الموازنة

بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

ـ ٣٧٠ هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد الله محمد محارب

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة



الموازنة

بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

ت ٣٧٠

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد الله حمد محارب

الجزء الثالث — القسم الأول

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى بمكتبة الخانجى

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

رقم الإيداع : ٣٥٧٦ / ١٩٩٠

I.S.B.N. 977-00-0064-7

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت . ٨٢٧٨٥١

قُدم هذا البحث إلى كلية دار العلوم .. جامعة القاهرة سنة ١٩٨٧ ، ونال المحقق عليه درجة الدكتوراه فى الآداب مع مرتبة الشرف الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى ينابيع الخير الثلاثة التى أترعت ورعا وتقى وحنانا وحبا

إلى والدى فضيلة الشيخ حمد محارب – رحمه الله تعالى – المحب لكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) ولآداب اللغة العربية حبا أعدانى فهمت بهذا الأدب عشقا .

إلى والدتى الرؤوم التى ظلت تَضُمُّنَا تحت جَناحَىْ المودَّةِ والرَّحْمَةِ حفظها الله ورعاها .

أما ثالثُ هذه الينابيع فقصيدة الحب وقيثارة الحنان زوجتى ، أنكرت ذاتها ، وصدت عن ملاهى الحياة ومُتَعِهَا ، وتحملت الصعاب مع أبنائى ، ودفعتنى بكل التشجيع لأبلغ غاية آمالى

فجزى الله الثلاثة عنى خير الجزاء ، إنه سميع مجيب .

* * *

فهرس المحتويات
القسم الأول

الصفحة

أولا : الدراسة :

* * *

ثانيا : الجزء الثالث من كتاب الموازنة

أولاً: الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على المصطفى وبعد :

فقد استقرَّ فى يقين كثير من النَّقدةِ المحدثين أنَّ كتابَ الموازنة يُعَدُّ وثبةً علمية وفنية كبرى فى تاريخ النقد الأدبى العربى ، وعلى الرغم من الانتقادات التى وجهها بعضهم إليه ، فإن أحدا منهم لم ينكر قيمة هذه المحاولة النقدية من الآمدى ، ولهذا فقد احتفل به النقاد والأدباء عندما طبع أول مرّة فى مطبعة الجوائب بالآستانة سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م ، ثم توالت طبعاته وكان آخرها طبعة دار المعارف ١٩٦٠ م بتحقيق شيخنا السيد أحمد صقر ، وهى أصحها وأضبطها وفيها زيادة حسنة تنتهى بالجزء الثانى ، ووعد فى مقدمته بإخراج الجزء الثالث .

وقد التقيت بهذا الكتاب مرتين ، أهمهما كان اللقاء الثانى ، وذلك أثناء قيامى بالاعداد لرسالة الماجستير ، وكان لقاء طويلا تمكنت خلاله من التعرف على الكتاب وكاتبه ، وكان دراسة متأنية فيها شيء غير قليل من الإعجاب ، تتردد بين فيناتها أصداء لقائى الأول بالكتاب ، فتعيدنى إلى عبارات استاذى المرحوم الدكتور محمد طاهر درويش فى عرضه له ، عندما كنت طالبا فى كلية دار العلوم فى الفترة من ٦٥ - ١٩٦٩ ، وكان هذا الدرس - كغيره من الدروس الجامعية - مرحلة إعداد أوّلىّ للطالب ينطلق بعدها إلى التخصص الدقيق ، غير أنّ طريقة أستاذنا فى توصيل المادة

العلمية تجعلك تشعر بأن عباراته قد تسللت إلى شغاف قلبك قبل عقلك ، وسيطرت على مشاعرك لتبقى دهرا طويلا تؤثر بشكل عميق فى السلوك الذهنى تجاه أى موضوع علمى يتصل بتلك المادة بسبب ، ومن ذلك اللقاء العابر جاءت هذه الأصداء ، ومن تلك الدراسة كانت هذه الصور التى تسطع فى الذهن كلما نظرت فى الكتاب .

وأثناء دراستى حول نقد الآمدى لشعر أبى تمّام شاء الله أن أعثر على نسخة فيها جزء لم يطبع من كتاب الموازنة ، وبعد قراءتى الأولى لها وجدت أنها أشلاء مبعثرة من الكتاب لفقت وضمت فصارت خلقة شوهاء ، صفحاتها متداخلة تداخلا شديدا ، وقد اتصلت بجزء من كتاب آخر هو « الوساطة » للقاضى الجرجانى .

ومنذ أن وعدنا شيخنا السيد صقر فى مقدمة الطبعة الأولى « سنة ١٩٦٠ » بإخراج الجزء الثالث ونحن فى شوق ولهفة إلى البقية الباقية من هذا السفر الجليل ، وقد مرّت السنون ، ويئس الكثيرون أو كادوا ، وبعد أن قيض الله لى الفوز بتلك النسخة هزتنى الرغبة لإكمال هذا العمل هزا شديدا ، لا جرأة على الشيخ أو تطفلا على عمله – كيف وأنا أدين بأستاذيته وتعظيمه ؟ – بل خدمة للكتاب وللبحث العلمى ، غير أننى كنت هيابا مترددا من ولوج الميدان ، وأنا الفقير فى فنه ، فالتحقيق – كما كنت أقرأ – صعب المسالك وعر الدروب ، إلى أن استعنت بالله عز وجل فأعاننى على تجاوز ترددى ، ونفث فى نفسى نفحات من شجاعة الإقدام والثقة بالنفس .

غير أن وعورة الدرب التى كنت أسمع عنها ، كانت أعظم مما وقع فى مخيلتى ، ولم تكن الثقة بالنفس كافيه لقهر الصعاب الجمة التى واجهتنى ، وربما كان أشدها وقعا على ، وأعظمها مقاساة وألما تلك التى تعكس ضيق الحيلة وقلة الخبرة ، ويضاعف تلك الألام صدودى النفسى وازوراری عن المطالعة الجادة للتراث ، وشعرت أننى سأفشل لا محالة ، لو أتحت لمثل هذه المعاناة أن تكسر فِىَّ صلابةَ التحدى فتهزمنى وتردنى خائبًا .

ومن المفيد أن أتحدث هنا عن أمرى هذا وما آل إليه حالى ، إذ إن الاستهانة بالتراث صار صرعة العصر ، فلا تكاد تجد بين ظهرانينا هذه الأيام من يعطى دراسة أدبنا العربى الاهتمام الواجب والعناية التامة ، ولهذا فإننى أظن أن حديثى سيكون معبرا عن حال عدد كبير من الباحثين المحدثين العرب ، فقد يكون فيه ما يهز أعماق بعضهم فيستيقظون من غفوتهم ، وينفضون عن ضمائرهم وعقولهم غبار جحود وجهل كرسته فى عقولهم تلك المناهج التى ظلموا بها أمتهم وتاريخها .

عندما بدأت رحلة دراسة هذا الكتاب . وتحقيقه كنت قد نضوت عن نفسى عبء بحث الماجستير حول أبى تمام ونقديه قديما وحديثا ، وكانت تلك الدراسة معتمدة على جملة من المصادر القديمة والحديثة معا ، أما القديمة منها فمحدودة جدا ، إذ إن الجانب الأعظم من البحث كان يتكىء على الدراسات النقدية الحديثة .

وكان هذا يوافق شيئا من توجه دراسى التزمت به ، بعد أن صرت أسير حالة تزييف العقل العربى التى سقطنا فيها جميعا ، وهى إحدى شراك التغريب الذى وصل مداه هذه الأيام ، ولولا فضل الله ومَنِّهِ لكنت واحدا من أسنان هذه الألة المدمرة ، التى استعملت من بعض بنى هذه الأمة ضروسا تطحن وتمزق بها أهم وأعظم مقومات وجودنا ، لغتنا وديننا ، إذ إن تلك الرؤى والأوهام صورت لنا أن مبادىء البحث فى ميدان الأدب تبدأ من الاطلاع على الأداب العالمية ، والتعمق فى دراسة الشعر والنقد الغربيين ، بمقولة أن هؤلاء قد تناهوا إلى قمم الإبداع فى أدبهم وفنهم ، وأن مناهجهم النقدية بمختلف أنواعها ومدارسها – على سخف بعضها وغثاثته – هى الغاية والمثل الأعلى الذى يجب أن نقيس عليه أدبنا العربى قديمه وحديثه ، فإن كان فيه بعض سمات تلك المناهج قبلنا مهتزة أعطافنا نشوة وطربا ، وإلّا اطرحناه ونبذناه .

وبهذا الفهم المزيف الردىء غَضَضْتُ النظر عن التعمق فى دراسة التراث إلا ذلك الذى يتصل بسبب مباشر بموضوع دراستى ، مكتفيا بالدراسات الحديثة عنه والتى تتزاحم على رفوف المكتبات ودور النشر ، وقد تلفت حولى فوجدت أن

هذا هو ديدن الكثرة الغالبة من الزملاء الدارسين ، إذ وقع فى وعينا أن ما قالته تلك الدراسات هو الكلمة الأخيرة فى التراث ، وأنها خلاصة فكر وزبدة علم مُخِضَ مَخْضَ البخيلة .

وأما علمنا ودرايتنا بتراثنا الأدبى المستمدة من مصادره الأصلية فهو حَسْوُ طائرٍ ، لا يعدو حفظ بعض الحكم ، وأسماء مجموعة من الشعراء ، ومعرفة هزيلة بسمات العصور الأدبية ، وكل ذلك درسناه بالواسطة ، أى عن طريق تلك الأبحاث الحديثة .

كما أن الرجوع إلى المصادر الأدبية الأولى والأصيلة لم يكن ضروريا فى رأينا ، وهذا الظن والاعتقاد كان وليد شعور لا نستطيع أن نصرح به ، غير أن سلوكنا البحثى يَنُمُّ عنه ، وإذا اتُّهِمْنا به فإننا نستميت فى إنكاره ، فهو سمةُ عَجْزٍ ووصمةُ عارٍ ، نعرفه يقينا ، ولكننا نضرب الذكر عنه صفحا كِبْراً وَجَهْلا .

وقد استمرأنا هذا الإنكار ، ساترين به عِلَلَنا التى لن نبرأ منها إلا إذا اعترفنا بها وواجهنا أنفسنا بحقيقة ضعفنا ، لنعالج مواضع القصور فَنَنْهَضَ من عثراتنا ، منطلقين إلى الطريق السوى الصحيح لإعادة وعينا الوطنى المستمد من أصولنا الثقافية الصحيحة .

لقد كنا فى كل التمرينات التى مارسناها فى مرحلة بناء تفكيرنا العلمى نأخذ عفو الأشياء دون الاهتمام بتفاصيلها ، نتحدث عن قضايا عامة ، ونناقش نظريات إنسانية وأدبية معادلها الموضوعى واسع الدائرة ، ولهذا فقد كنا نشعر بالضجر والضيق ، إذا دفعنا لمطالعة كتب التراث ، إذ إن فهمه وقراءاته على الصحة تقتضى منا دقة وصبرا وجلدا وحفظا ونظرا فاحصا ، مما لم نألفه ولا نستطيعه ، ولأن الإنسان عدو ماجهل ، صرنا — شيئا فشيئا — نتحول إلى الهجوم على تراثنا العظيم واصفينه بالجمود والتحجر ، والمستشرقون وأعوانهم من أبناء جلدتنا يهللون ويصفقون .

ولك أيها القارىء أن تتصور حالة أحدهم عندما يحاصر بامتحان حقيقى ، يكشف عن تلك القدرة العلمية المدعاة ، ليضعه أمام مرآة صادقة تنقل له صورته ،

فإذا هى قبيحة حقيرة عاجزة ، وهل هناك امتحان أصعب على مثل هؤلاء من دراسة التراث وتحقيقه ؟ .

وهكذا كان هذا الكتاب ابتلاء وتمرينا قاسيا لى ، عانيت فى سبيله مشقات جساما ، كان أولها وأشقها التحول النفسى والعاطفى ثم العلمى من معاداة التراث إلى حبه والاقبال عليه ، إذ بدون هذا الاستعداد ستأتى التجارب البحثية فى هذا المضمار خِلقاً مشوهة ضعيفة – وهذا جُلُّ ما بين أيدينا هذه الأيام من تلك الدراسات – وكانت أول الخطى فى هذا الحب الانتدو .ى خديعة دعاة التغريب ومن والاهم ، وبدأت الأمور تتضح واحدا بعد الآخر . وظهرت مواقف متناسقة مدروسة مترابطة ، تدور فى محيط دائرة واحدة مركزها هدف تدرخى لأعداء هذه الأمة ، وقد جاهدوا منذ قرون طويله للقضاء عليها ، وبدأوا يرون طريقهم عبر تحطيم ذلك البناء الأشم لمجد هذه الأمة التليد ، وصولا إلى إضعاف لغتها فدينها ، وهو غاية المراد ، ومنتهى الأمانى التى ظل الغرب المسيحى يحلم بها قرونا طوالا ، واستطاع فى النهاية أن يجند من بين بعض أبنائنا الذين تلقوا العلم فى مدارسه ومجتمعاته ، طابورا قد نزعت أدمغته ذات الهوية العربية المسلمة ، وزرعت مكانها مفاهيم جديدة . ومسلمات ظاهرها السلام والرقى والتقدم والحضارة وباطنها الهلاك والدمار ، لاجتثاث الأمة العربية المسلمة من جذورها وإلقائها فى مزبلة التاريخ . فهو الموضع الذى قدمت منه جحافل هذا الغرب .

وقد رد الدكتور / نجيب البهبيتى أصول هذا الطابور إلى موجات الغزو الأجنبى لبلادنا بدءا من الفُرس ثم الرومان فاليونان فالصليبيين « فجميع هذه الموجات خَلَّفَتْ بعد إجلائها رواسب أندرجت من حيث النسب فى مجتمعاتنا ، ولكنها لم تذب فيها ذوبانا تاما ، فتلكأت دماؤها فى عروقها .... وإنك لتلمح فى وجوه بعضهم ملامح بعض حمَّالى نابولى وكورنثة » .

غير أن واقع حاملى اللعنة هؤلاء لا يقتصر على ذلك الانتماء ، وإنما سحب رداءَهُ على بعض أبناء هذه الأمة الأقحاح الذين واجهوا تلألؤ مصابيح الحضارة الغربية وأنوارها المبهرة ، بعقول فارغة ، وبمحصول ثقافى ضحل ، فانكسروا وتضعضعوا ،

وأنحنوا إجلالا لهذا الإبهار الذى سلطته عليهم وسائل التقدم الغربى ، فصاروا يُسَبِّحون بحمده ويلهجون بالثناء عليه ، وسلموا عقولهم وإيمانهم لهذا الشيطان فحقَّقَ فيهم لعنته لكى يحملوها إلى بلادهم ، لينضموا إلى ذلك الحزب الذى تحدث عنه الدكتور/ نجيب البهبيتى ، والذين « يطيرون إلى اعتناق الأجنبى عند أول إطلاله منه عليهم ، يتخذون من مذهبه السياسى لهم مذهبا ، ولو كان يطلب من ورائه بناء امبرّاطورية لا تقوم إلا على أنقاض شعوبهم » (١) وهؤلاء هم أحفاد الذين بَشَّرهم نابليون بعد عودته إلى فرنسا مخلولا فى رسالته إلى كليبر عندما كتب إليه قائلا :

« اجتهد فى جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخصا من المماليك ، حتى متى لاحت السفن الفرنسية تقبض عليهم فى القاهرة أو الأرياف وتسفرهم إلى فرنسا ، وإذا لم تجد عددا كافيا من المماليك ، فاستعض عنهم برهائن من العرب ومشايخ البلدان ، فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يحجزون مدة سنة أو سنتين ، يشاهدون فى أثنائها عظمة الأمة (الفرنسية) ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا ، ولما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب يُضَمُّ إليه غيرهم » (٢) .

والحديث عن تلك المؤامرات يطول ويتشعب ، وقد هز الأستاذ/ محمود شاكر – مَتَّعَه الله بالصحة والعافية – قناته فى هذا الميدان فأسقط كل الزيف وكشف عن خبايا تلك المؤامرات الدنيئة ، بدراسته القيمة حول مؤامرات الغرب المسيحى وطابوره من المستشرقين فى تصفيد هذه الأمة ، ومحاصرتها بقيود ظاهرها مواكبة رَكب الحضارة الغربى ، وباطنها تقليم أظافر أبنائها وتدجينهم (٣) .

وبدأ نتن رائحة تلك الإدعاءات المريضة تزكم الأنوف ، فإذا بها رجع مِعَدٍ عليلة ، وصار وضوح تلك المؤامرات أمام ناظرى يؤجج فىَّ الرغبة فى دراسة

---

(١) تاريخ الشعر العربى د. نجيب البهبيتى – الطبعة المغربية ، المقدمة ص ١٣ .

(٢) « رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا » للأستاذ / محمود شاكر ص ١٦٢ .

(٣) فى دراسته القيمة « رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا » الملحقة بكتابه الخالد « المتنبى » طبعة سنة ١٩٨٧ ، وقد صدرت منفصلة فى سلسلة كتاب « الهلال » عدد ٤٤٢ أكتوبر سنة ١٩٨٧ .

تراثنا ، والعكوف على فحص ما يمكن أن تصل إليه يدى ، التى بدأت بعد لأي تلامس جفاناً عظيمة القدر زكية الرائحة ، مطمورة تحت طبقات كثيفة من الكذب والنفاق والظلم ، حجبتها عن عينى ردحا من الزمن ، وجعلتنى - مع أولئك الزملاء - نرى تراثنا خيوطا متشابكة ، لا نعرف أولها من آخرها ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وكان لابد من اتقان آلات البحث لتحصيل مفاتيح تلك الكنوز .

ونهضت لاستدراك مافات وتصحيح المسار بمراجعة وضبط الأفكار ، ومحاولة الالتزام بالدقة والتجويد والأناة والموضوعية .

أما تلك الأصداء والصور الوامضة بين ثنايا الفكر وترددات البحث [1] فقد زادت فِيَّ اللهفة والشوق للمضى فى هذه الدراسة ، بالتنقيب والبحث عما تبقى من كتاب الموازنة ، فقد كانت تلك الأصداء مزيجا محببا من الإعجاب بالمؤلف والكتاب ، وصورا مستدعاة لحال الصراع الأدبى فى ذلك العصر ، فالقارىء لأدبيات تلك العصور لا يسعه إلا أن يهتز طربا وفخرا واعتزازا بذلك الرقى الحضارى والازدهار الثقافى الذى حققه أجداده الأقدمون ، والذى لم تزل أصداؤه تتردد فى جنبات الثقافات العالمية حتى يومنا هذا ، فلم تعرف البشرية ثقافةً شغلت العالم وعلماءَهُ وبهرتهم ، واستجلبت أكثر طاقاتهم البحثية ، كالثقافة العربية الإسلامية ، والصراع الأدبى فى ذلك العصر أحد الجوانب الكثيرة المضيئة لهذه الثقافة ، ونمو مثل ذلك الصراع بين الأدباء والنقاد إشارة بينة إلى عمق الوعى الأدبى ، وتأصل النشاط الفكرى ، وقد بقيت هذه النتف اليسيرة التى وصلتنا من مؤلفاتهم تعكس لنا تلك الروح العلمية التى سادت طرائق البحث فى ذلك العصر .

وكتاب الموازنة يصور بوضوح شديد ذلك النشاط الذهنى الخلاق الذى ما فتىء يضخ فى التقاليد الشعرية كثيرا من رسومه التى اعتمدها النقاد علامات على الطريق ، وهوادى ومقاييس للوصول إلى الصورة الشعرية الجميلة ، أو التى يرونها كذلك بمقاييسهم ووفقا لأمزجتهم التى كونتها بيئتهم الخاصة ، وعلى الرغم من بعض الآراء النقدية التى نزعت إلى التقليل من أهمية محاولة الآمدى مستخدمة - بكل

---

(١) انظر ما سبق ص ١٠ - الفقره الأولى .

الاجتراء الظالم – المقاييس الحديثة ، التي مازالت محل خلاف بين المحدثين أنفسهم ، فقاسوا بها أدبيات تلك العصور ، أقول على الرغم من هذا تظل دراسة الآمدى هذه عملا نقديا رائدا ، يستحق كل الثناء والإطراء ، كما يستحق أن يبذل فيه الباحث الجهد الوافي ليخرج للناس على أفضل صورة ممكنة .

كل تلك الصور والأفكار والهموم كانت من بين بعض دوافعي إلى الحرص الشديد على شدة البحث والتقصي للوصول إلى نسخة قد تجبر نقص نسخة كمبردج – على نفاستها – ، فاتصلت بأكثر مكتبات المخطوطات في العالم ، وبدأت النسخ المصورة لمخطوطات كتاب الموازنة تصل ، ولكنها لم تخرج كلها عن كونها نسخا مكرورة من الجزء الأول من الكتاب ، وكلما سمعت عن نسخة للكتاب في مكان ما كان الأمل يملأ قلبي بأنها قد تكون هي الضالة ، ولكن دون جدوى ، حتى بدأ اخضرار الأمل يبهت في نفسي ، وكاد يصفر ليصبح هشيما تذروه الرياح لولا عناية الله وتوفيقه ، فقد سمعت عن نسخة في تونس ، فأرسلت أطلب مصورة منها ، والراسخ في ذهني أن حالها لن يكون أحسن من حال النسخ الأخرى ، ولكن القراءة الأولى لها أكدت أنها نسخة ثمينة جدا ، وفريدة وهدية ربانية جليلة ، فقد وجدت أنها تكاد تسد الفجوة بين المطبوع وبداية نسخة كمبردج ، فهي تبدأ ببقية باب وصف الهيبة الذي انتهى إليه المطبوع ، وتلتقي مع بداية نسخة كمبردج ببقية باب الجود والكرم وتستمر معها إلى نهاية هذا الباب ، حيث تنتهي النسخة التونسية وتواصل نسخة كمبردج مسيرتها منفردة إلى نهاية الكتاب ، وكنت في قمة سعادتي ، وصرت أقرؤها في لهفة وشوق شديدين ، وشغلت بهذه العروس التونسية عن أهلي وعن كل من حولي ، فقد استوى الجزء الثالث بهذه النسخة سفرا متكامل البناء صحيح التكوين ، شد إلى الجزئين المطبوعين بلحمة واحدة ، فصارت الأجزاء الثلاثة مراحل طريق واحد ، وأعضاء جسد صار بها قريبًا من التمام .

وقد كان إعادة ترتيب صفحات نسخة « كمبردج » عملا شاقا مضنيا ولولا النسخة التونسية لما توصلت إلى البداية الصحيحة لتلك النسخة ، فقد كانت صفحاتها متداخلة تداخلا شديدا كما سبق أن ذكرت .

ولا يفوتنى هنا أن أذكر أن الشيخ صقر فى مقدمة الجزء الأول قد سرد بعض أبواب الجزء الثالث الذى وعد بإخراجه ، إختصت ببعضه نسخة تونس ، وورد البعض الآخر فى نسخة كمبردج ، وقد يوحى هذا بأن النسخة التونسية قد تكون من بين النسخ التى كان سيعتمد عليها الشيخ صقر فى تحقيقه للجزء الثالث ، غير أن المقارنة بين نهاية الجزء الثانى المطبوع وبداية النسخة التونسية تلقى ظلالا قوية من الشك على هذا الإيحاء ، إذ إن اللوحة الأولى من تلك النسخة كانت تكملة لفصل « وصف الهيبة » الذى انتهى عنده القسم المطبوع ، فلو كان قد اطلع عليها لما تردد فى إكمال الفصل لينهى الجزء الثانى عنده على الأقل ، وإن كان من الأفضل أن ينتهى عند نهاية باب المدح « وهو ما اختصت به نسخة تونس دون صاحبتها » ، لا أن يجتزىء بعض فصل ليقف عنده ، والموضع الذى وقف عنده الجزء الثانى ، هو الموضع الذى انتهت إليه نسخة الموازنة التى اعتمد عليها الشيخ صقر فى تحقيقه ، وهى نسخة دار الكتب « التيمورية » المكتوبة بخط نسخىّ جميل للغاية ، وهى نسخته الوحيدة الخطية الموجودة بدار الكتب — كما قال فى المقدمة ، ولهذا فإننى أظن أن الشيخ صقر ربما يكون قد اطلع على نسخة أخرى اشتملت على بعض ما اشتملت عليه النسخة التونسية .

والكتاب بعد هذا جدير بالدراسة المتأنية الواعية ، وقد حاولت أن أُلِمَّ بطرفٍ منها ، فبدأتها بترجمة للمؤلف حاولت فيها تلمس بعض المراحل المهمة الخاصة بجوانب حياة الآمدى معتمدا على بعض الشواهد التاريخية المقارنة ، ثم تطرقت إلى مناقشة آراء بعض النقاد المحدثين حول زمن تأليف الموازنة . ولعلاقة حياته ودراسته النحوية بمواقفه النقدية من شعرى البحترى وأبى تمّام تحدثت عن مقاييسه فى الموازنة .

وفى الفصل الثانى : ناقشت دواعى الخصومة بين القديم والحديث فى الأدب العربى .

ثم انتقلت للحديث عن الاتجاه الفنى لكل من أبى تمام والبحترى .

وفى الفصل الثالث كان دور الحديث عن رأى النقاد القدماء والمحدثين فى كتاب الآمدى ، وختمت الفصل بالحديث عن منهج الآمدى فى الموازنة .

وفى القسم الثانى كان تحقيق نص الجزء الثالث من الكتاب ، بدأته بالحديث عن منهج التحقيق ، ثم وصفت النسختين المخطوطتين اللتين اعتمدت عليهما فى التحقيق ، ثم صنعت للكتاب بأجزائه الثلاثة فهارس متنوعة لتتم الفائدة به .

وقد بذلت فى بحثى هذا كُلَّ ما فى المكنة ، على قلة زادى وضيق حيلتى ، فإن شابه تقصير - وهو لا شك شائبه - أو شانه قذى أعمانى عنه جهلى وعجزى ، فإننى أعلم علم اليقين أن الكمال لله وحده ، وأرحب بكل نقد ينير أمامى طريق الحق والصواب ، فأنا مازلت فى أوَّل الطريق ، وقد يخفف بعض الوزر فى تلك الهنات ، أن هذا العمل صادرمن قلب صار مترعاً حباً وولعاً بتراث هذه الأمة ، والقيام على خدمته ، أُمتنا هذّه التى تقاسى اليوم من هجوم كلاب ضوار نجسة ، تحاول تمزيق روحها بالانقضاض على تراثها ولغتها ودينهاً ، ولكن فألهم سيخيب ، وجمعهم سيتفرق ، بإذن الله ، وستظل شامخة على الدهر ، باقية بقاء دينها وقرآنها ، كما وعد الذى لا يخلف الميعاد سبحانه جلَّ وعلاَ .

ولا يفوتنى أن أزجى الشكر الجزيل للاستاذ الدكتور الطاهر مكى الذى رعى هذا العمل فى بداياته الأكاديمية ، وأثراه بملاحظاته القيمة .

ويشرفنى هنا أن أنوّه بالفضل الذى ما انفكّ يغمر أجيالا من طلاب العلم والباحثين عن كنوز أدب هذه الأمة العريقة ، ومصدر ذلك الفضل رائد وعالم من علمائنا الأفذاذ هو أستاذنا الشيخ المحقق الجليل محمود محمد شاكر ، الذى ما فتىء يرعى طلابه وتلاميذه منذ سنوات طويلة ، فاتحا لهم قلبه وداره ومكتبته ، فصار منزله كعبة يشد إليه طلاب العلم من كافة الأقطار والأصقاع رحالهم ، فيجدون منبعا غزيرا وفيضا متدفقا ، فلا غرو أن يجد الباحث كل هذا لدى الشيخ ، فاستفاد من علمه ومن سعة اطلاعه ، ومن مكتبته الغنية بنفائس المطبوع والمخطوط ، فله منى ومن أبناء جيلى ، وأجيال سبقتنى ممن يهتمون بأدب هذه الأمة ، الشكر الوافى والتقدير الصادق ، الذى لا شك أنه سيغرق فى بحور فضله وإحسانه ، ودعوة إلى الله عز وجل أن يطيل فى عمره ، وأن يمنحه الصحة والعافية ليظل نبراسا ينير الطريق أمام أبنائه طلاب العلم .

والحمد لله بدءًا وختاما ، وصلاة وسلاماً على سيد الخلق النبىِّ الأمى وعلى آله وصحبه .

عبد الله حمد محارب

القاهرة فى { الخامس من رمضان المعظم سنة ١٤٠٩ هـ
العاشر من ابريل سنة ١٩٨٩ م }

أولا : الدراسة

الفصلُ الأولُ

المؤلفُ والكتابُ

١ – ترجمة الآمدى :

هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، وهو آمدى الأصل أما آمد هذه فهى أعظم ديار بكر وأجلّها قدرا وأشهرها ذكرا كما قال ياقوت ، نزلها جماعة من قضاعة بعد فتحها سنة ٢٠ ، من بنى تزيد بن حلوان بن قضاعة ، وينسب إليها خلق من أهل العلم فى كل فن [١] . هذا عن أصله أما مولده فقد أجمعت كل المصادر أنه ولد بالبصرة ونشأ فيها [٢] .

وتبقى بعد ذلك جوانب حياته ومراحلها يلفها الغموض إلا من بعض ومضات يمكن على هديها أن نطرح بعض الافتراضات حول هذه الجوانب .

وكل المصادر التى ترجمت له لم تذكر تاريخ ميلاده ، أما تاريخ وفاته فقد اختلف فيه ، وترددت أقوال المؤرخين بين ٣٧٠ ، ٣٧١ [٣] .

ومن خلال الأخبار المتفرقة التى تنقلها هذه المصادر نستطيع أن نتبين ثلاث مراحل هامة مرت بها حياته :

---

(١) معجم البلدان : ١/٥٦ .

(٢) معجم الأدباء ٨/٧٥ ، إنباه الرواة ١/٢٨٥ والفهرست ١٨٢ ، بغية الوعاة ١/٥٠٠ ، هدية العارفين ٢٧١ ، إشارة التعيين لعبد الباقى بن على مخطوط دار الكتب تاريخ ١٦١٢ ورقة ١٤ ، طبقات النحويين لابن قاضى شهبة مخطوط « تيمور تاريخ ٢١٤٦ » ورقة ٢٩٨ – ٢٩٩ ، تلخيص ابن مكتوم ، مخطوط تاريخ تيمور ٢٠٦٩ ص ٥٢ ، كشف الظنون ٤٦٢ ، ١٤٤٧ ، ١٦٣٧ ، ١٨٨٩ ، ١٩٢٨ ، والصفدى فى الوافى بالوفيات ١١/٤٠٧ .

(٣) أكثر الأقوال أنها كانت سنة ٣٧٠ وشذ عنها السيوطى وحاجى خليفة ، فقالا إنها كانت سنة ٣٧١ ، وذكر ياقوت التاريخين ، أما الصفدى فقد أضاف أن الوفاة قد تكون قبل سنة ٣٧٠ أو بعدها .

(١) **مرحلة الطلب ثم الكتابة ببغداد** : وهى التى بدأت بالتتلمذ على يد العلماء فى البصرة ثم فى بغداد ، فقد أخذ اللغة والنحو عن أبى موسى الحامض « ت ٣٠٥ » [١] ، وأبى إسحاق الزجاج « ت ٣١١ ، أو ٣١٦ » [٢] ، والأخفش الصغير « ت ٣١٥ ، ٣١٦ » [٣] ، وأبى بكر بن السراج « ت ٣١٦ » [٤] ، وأبى بكر بن دريد « ت ٣٢١ » [٥] ، وإبراهيم بن عرفة المشهور بنِفْطويه « ت ٣٢٣ » [٦] .

وقال ياقوت : « إن مولد أبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى بالبصرة ، وإنه قدم بغداد يحمل عن الأخفش والحامض والزجاج وابن دريد وابن السراج وغيرهم اللغة والنحو ، وروى الأخبار فى آخر عمره بالبصرة ، وكان يكتب بمدينة السلام لأبى جعفر هارون بن محمد الضبى ، خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان ، بحضرة المقتدر بالله ووزارته ، ولغيره من بعده » [٧] .

وتحليل هذا النص يلقى بعض الضوء على بداية هذه الفترة ، وهى مرحلة الطلب ، إذ إن أقدم أساتذته وفاة هو أبو موسى الحامض ، الذى توفى سنة ٣٠٥ ، وهذا يعنى أنه قد أخذ عنه قبل هذا التاريخ ، وأنه ربما انتقل إلى بغداد فى السنوات القليلة التى سبقت وفاته ، ولا ريب أن هذه المرحلة قد استمرت إلى سنة ٣١٣ ، وهى السنة التى سمع فيها كتاب القوافى للمبرد على نِفْطويه كما يذكر ياقوت [٨] ، ثم يذكر الآمدى نفسه فى الموازنة أنه بدأ تلقط محاسن شعر أبى تمام والبحترى سنة ٣١٧ [٩]

---

(١) بغية الوعاة : ١/٥٠٠ ، وإنباه الرواة : ٢/٢١ .

(٢) إنباه الرواة : ١/١٥٩ .

(٣) المصدر السابق : ٢/٢٧٦ .

(٤) المصدر السابق : ٣/١٤٥ .

(٥) المصدر السابق : ٢/٩٢ .

(٦) المصدر السابق : ١/١٧٦ .

(٧) معجم الأدباء : ٨/٧٦ .

(٨) المصدر السابق : ٨/٧٦ .

(٩) الموازنة : ١/٥٥ .

وقد تكون هذه بداية مرحلة جديدة هى التأليف والبحث بعد أن اكتسب المعارف والعلوم التى هيأت له عقلية عملية ناضجة .

ولهذا – ولأنه يكتب خطا حسنا من خطوط الأوائل ، وهو أقرب إلى الصحة ، وكتب الكثير [١] – استطاع أن يتصل بأبى جعفر هارون بن محمد الضبى وأن يكون من كتابه ، أما هارون هذا فكان من ملوك بنى ضبة وكان أسلافه ملوك عمان ، وقال ابن الجوزى : « هارون بن محمد استولى على الفضائل وساد بعمان فى حداثة سنه ، ثم خرج منها فلقى العلماء بمكة والكوفة والبصرة ، ودخل مدينة السلام سنة خمس وثلثمائة ، فعلت منزلته عند سلطان ، وارتفع قدره وانتشرت مكارمه وعطاياه ، وانتابه الشعراء من كل موضع فامتدحوه ... وأنفق أمواله فى بر العلماء والإفضال عليهم ... وفى اقتناء الكتب المنسوبة ، وكان مبرزا فى العلم باللغة والشعر والنحو ، وكانت داره مجمعا لأهل العلم من كل فن إلى أن توفى فى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة » [٢] .

فلقاء الآمدى بأبى جعفر هارون الضبى يرجح أنه بعد سنة ٣١٣ ، وهى سنة سماعه على نفطويه ، ولا شك أن الآمدى قد أفاد من هذا الجمع العلمى الممتاز الذى كان يفد إلى دار أبى جعفر .

وبعد ذلك كتب الآمدى – حيث كانت هذه هى مهمته الأصلية – لآخرين لم يحددهم ياقوت ، ولكنه أشار إلى أن الآمدى قد ألف كتاب « تبيين غلط قدامة فى نقد الشعر » لأبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، وهذا يعنى أمرين :

أولهما لقاء الآمدى لابن العميد ، وهذا يفتح باب الافتراض أنه كما ألف له المصنفات كتب له أيضا ، وهذا يفسر عبارة ياقوت أنه كتب « بحضرة المقتدر بالله ووزارته ولغيره من بعده » .

---

(١) إنباه الرواة : ٢٨٧/١ .

(٢) المنتظم لابن الجوزى : ٣٥٦/٦ ، ولم يذكر صاحب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان « أبى محمد عبد الله السالمى » شيئا عن أحمد بن هلال صاحب عمان ، الذى ذكره ياقوت ، ولا عن هارون بن محمد .

الأمر الثانى أنه فى هذه الفترة كان يؤلف كما كان يكتب ، والراجح أن التأليف كان بعد سنة ٣١٣ وهى سنة سماعه على نفطويه ، وخلال هذه الفترة وفى سنة ٣١٧ بدأ بتلقط محاسن شعر الطائيين كما سبق أن ذكرت .

وأبو الفضل بن العميد كان من أئمة الكتاب ، ولقب بالجاحظ الثانى فى أدبه وترسله ، وكانت وزارته أربعا وعشرين سنة إلى أن توفى سنة ٣٥٩ « أو سنة ٣٦٠ على خلاف » [١] ، فكأنه تقلد الوزارة سنة ٣٢٤ أو سنة ٣٢٥ [٢] ، والغالب أن يكون الآمدى قد ألف هذا الكتاب لابن العميد أثناء توليه الوزارة ، وكأن الآمدى وابن العميد قد التقيا فكريا أيضا ، فإذا كان الوزير أبو الفضل قد لقب بالجاحظ الثانى فى أدبه وترسله ، فإن الآمدى كان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب [٣] ، وتمتد هذه الفترة إلى ما قبل سنة ٣٣٥ حيث نجد الآمدى يروى أنه فى تلك السنة كان فى البصرة يكتب لأبى أحمد طلحة بن المثنى ، إلى أن قتل سنة ٣٣٥ ، وبهذا تنتهى الفترة الأولى من حياته .

(٢) **مرحلة الكتابة ورواية الأدب فى البصرة** : قال ياقوت « وكتب بالبصرة لأبى الحسن أحمد ، وأبى أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى » [٤] ثم نقل عن نشوار المحاضرة للتنوخى قصة يرويها الآمدى نفسه تدور حول نصيحته لأبى أحمد طلحة بن الحسين بن المثنى بالهروب من وجه أبى القاسم البريدى [٥] ، وبمراجعة النشوار وكتاب الفرج بعد الشدة نجد الرواية التالية : « حدثنى أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى – الكاتب المقيم – كان بالبصرة إلى أن مات قال :

---

(١) تُرْجِمَ له فى مواضع كثيرة منها ابن خلكان ١٠٣/٥ ، تجارب الأمم لمسكويه « الذى كان خازنه » ٢٧٤/٢ » ، تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ٣٥٩ ، ويتيمة الدهر للثعالبى ١٥٥/٣ .

(٢) قال ابن خلكان أنه تقلدها سنة ٣٢٨ .

(٣) إنباه الرواة : ٢٨٨/١ .

(٤) معجم الأدباء : ٨٧/٨ .

(٥) المصدر السابق : ٩٠/٨ .

لما سعى أبو أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى مع جيش أبي القاسم بن أبي عبد الله البريدى فى أن يقبضوا عليه ، ويحبسوه عند أبى أحمد إلى أن يَرِدَ المطيع بالله ، أو جيش له إلى البصرة ، فيملكوها ، ويتسلمون منه أبا القاسم البريدى ، وكانت القصة المشهورة فى ذلك .

فبلغنى ذلك ، فخلوت بأبى أحمد ، وكنت أكتب له حينئذ ، وكان لا يحتشمنى فى أموره ، وثنيته عن هذا الرأى ... » [1] .

فالآمدى كان فى البصرة يكتب لأبى أحمد طلحة بن المثنى حتى سنة ٣٣٥ ، عندما أحس البريدى بتدبير طلحة بن المثنى ، فقبض عليه واستصفاه ، ثم قتله بعد أيام فى تلك السنة .

وعلى هذا فالمرحلة الثانية ، وهى عودته إلى البصرة ، قد تكون قبل سنة ٣٣٥ بوقت لا نستطيع تحديده على وجه الدقة ، غير أن مايهم هو أن هذه المرحلة استمرت ، فبعد مقتل أبى أحمد طلحة بن المثنى قال ياقوت إنه كتب « لقاضى البلد أبى جعفر بن عبد الواحد الهاشمى على الوقوف التى تليها القضاة ، وكان يحضر به فى مجلس حكمه ، ثم لأخيه أبى الحسن محمد بن عبد الواحد لمّا وَلِىَ قضاء البصرة » [2] .

وقال فى موضع آخر « كان قد وَلِىَ القضاء بالبصرة – فى سنة نيف وخمسين وثلاثمائة – رجل لم يكن عندهم بمنزلة من صرف به ، لأنّه وَلِىَ صارفا لأبى الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى ، فقال فيه أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، كاتب القاضيين أبى القاسم جعفر ، وأبى الحسن محمد بن عبد الواحد » [3] .

فكأن هذه المرحلة قد انتهت بعزل القاضى أبى الحسن محمد بن عبد الواحد ،

---

(١) نشوار المحاضرة ١٤٦/٣ ، الفرج بعد الشدة : ٣١٨/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٨٧/٨ .
(٣) المصدر السابق : ٨١/٨ .

وقال ياقوت « أنها فى سنة نيف وخمسين وثلاثمائة » ، وحددها التنوخى فى نشوار المحاضرة بأنها كانت سنة ٣٥٦ (١) .

(٣) **مرحلة لزوم البيت واعتزال الوظيفة الرسمية** : قال ياقوت « ثم لزم بيته إلى أن مات » (٢) ، وهذه هى الفترة الثالثة التى استمرت من سنة ٣٥٦ حتى وفاته سنة ٣٧٠ أو سنة ٣٧١ ، وظل خلال هذه الفترة يؤلف ويروى حيث انتهت رواية الأدب والأخبار فى البصرة إليه (٣) ، والقارىء لتاريخ تلك الأيام تهوله تلك الأحداث الجسام ، من تصفيات وقتل وتشريد وسرقة ، التى صارت سمة لازمة لذلك العصر ، وكأنى بالآمدى قد لزم البيت مؤثرا السلامة تاركا تلك الحياة السياسية التى لازلنا نشعر بالتقزز ونحن نقرأ أخبار دسائسها ومؤامراتها ، ونهتز للقوى التى كانت تتجاذب الدولة الضعيفة ، قوى داخلية وخارجية ، فنعذر الآمدى فى عزلته هذه .

علمه ومؤلفاته وتلاميذه :

اتفقت كل المصادر على سعة علمه وبصره بالشعر والأدب فقال القفطى : « إمام فى الأدب ، وله شعر حسن ، واتساع تام فى علم الشعر ومعانيه رواية ودراية وحفظا ، وصنف كتبا فى ذلك حساناً ... صحب المشايخ والجِلَّة ... واتسع فى الآداب وبرّز فيها ، وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار فى آخر عمره بالبصرة إليه » (٤)

ولا ريب فثقافته العميقة واضحة فى كتابه الموازنة ، الذى حوى الكثير من الأبيات الشعرية التى استشهد بها والقضايا النقدية التى شرحها ونقدها ، وألف فى بعضها كتبا ككتابه « تبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر » .

---

(١) نشوار المحاضرة : ٢/٨٠ .
(٢) معجم الأدباء : ٨/٨٧ .
(٣) إنباه الرواة : ١/٨٥ .
(٤) إنباه الرواة : ١/٢٨٥ وما بعدها . وانظر معجم الأدباء : ٨/٧٥ .

أما ثقافته فى النحو فتعكسها تلك المؤلفات النحوية ، ومنها كتاب (فعلت وأفعلت) ، قال صاحب كشف الظنون ، – بعد أن عد عدة كتب تحمل نفس العنوان لأبى على القالى ، ولأبى إسحاق الزجاج ولأبى زيد سعيد بن أوس الخزرجى – : « ولحسن بن بشر الامدى المتوفى سنة ٣٧١ احدى وسبعين وثلاثمائة وهو أجوده » [١] .

وقال عنه ياقوت : « غاية لم يصنف مثله » [٢] .

فما ظننا بمن يؤلف كتابا فى النحو يكون أجود من مؤلفات أعلام سبقوه ؟ .

وذكر أيضا فى الموازنة أنه ألف كتابا فى معنى « قد وهل » لخص فيه ما ذكره النحويون وسيبويه فى معناهما [٣] .

غير أن مؤلفاته فى الأدب والرواية كانت هى الغالبة فقد عد له أبو حمدة أربعة وعشرين كتابا ، استخرج بعضها من إحالات الآمدى عليها فى معجم الشعراء [٤] وهى :

(١) كتاب المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء مطبوع – بتحقيق عبد الستار فراج .

(٢) كتاب الموازنة بين الطائيين (وهو الذى بين أيدينا) .

(٣) كتاب فى أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما .

(٤) كتاب نثر المنظوم .

(٥) كتاب ما فى عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ .

---

(١) كشف الظنون : ١٤٤٧ .

(٢) معجم الأدباء : ٨٦/٨ .

(٣) الموازنة : ٢١٥/١ .

(٤) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ٣١ .

(٦) كتاب فرق ما بين الخاص والمشترك .

(٧) كتاب تفضيل شعر امرىء القيس على الجاهليين .

(٨) كتاب معانى شعر البحترى .

(٩) كتاب الرد على ابن عمار فيما خَطَّأً فيه أبا تمام .

(١٠) كتاب شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه .

(١١) كتاب فعلت وأفعلت فى النحو .

(١٢) كتاب الحروف من الأصول والأضداد .

(١٣) كتاب ديوان شعره نحو مائة ورقة .

(١٤) كتاب الأبيات المفردة .

(١٥) كتاب معانى شعر أبى تمام ، نقل عنه ابن المستوفى فى النظام ، ولم يرد له ذكر فى الجزئين المطبوعين ، وقد نص عليه الآمدى فى الجزء الثالث فى عدة مواضع .

(١٦) معجم الشعراء .

(١٧) كتاب شرح حماسة أبى تمام .

(١٨) شرح ديوان المسيب بن علس .

(١٩) ديوان الأعشى الكبير .

(٢٠) كتاب الشعراء المشهورين .

(٢١) كتاب الآمالى .

(٢٢) كتاب الرباب .

(٢٣) كتاب أشعار بنى يربوع .

(٢٤) كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر .

(٢٥) كتاب فى معنى « قد وهل » لم يذكره أبو حمدة ، متابعا د. مندور الذى جعله جزءا من كتاب الموازنة [١] ، بينما نص الآمدى فى الموازنة يدل بوضوح

---

(١) النقد المنهجى ص ١٥٥ .

على أنه جزء منفرد قال : « وقد استقصيت القول فى هذا الباب وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى « قد وهل » ولخصته فى « جزء منفرد » [1] .

ولا بد أن يكون هذا العلم العريض وهذه الثقافة الواسعة موئلا لطلاب العلم ، وموردا يتكالبون على حياضه ، غير أن المصادر لم تذكر من هؤلاء إلا ثلاثة هم : أبو الحسين على بن دينار الكاتب ترجم له ياقوت ، وقال إنه كان شاعرا مجيدا ، شارك المتنبى فى أكثر ممدوحيه ولد سنة ٣٢٣ وتوفى سنة ٤٠٩ [2] ، وعبد الصمد بن حنيش قال ياقوت : « وجدت كتاب القوافى بخط أبى منصور الجواليقى ذكر فى إسنادِهِ أن عبد الصمد بن حنيش النحوى قرأه على أبى القاسم الآمدى » [3] ، والثالث هو أبو على عبد الكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم السكرى النحوى ، أشار إليه الخطيب التبريزى فى إسناده لرواية شعر أبى تمام فى شرحه [4] ، وقد نقل هذا الإسناد ابن المستوفى فى صدر كتابه « النظام شرحى المتنبى وأبى تمام » الذى لا يزال مخطوطا [5] .

زمن تأليف الموازنة :

قال د . مندور « الذى لا شك فيه أن الآمدى لم يكتب كتابه أيام عنف الخصومة بين أنصار أبى تمام والبحترى ، وذلك لأن أبا تمام توفى ٢٣١ ، والبحترى سنة ٢٨٤ ... أما الآمدى توفى سنة ٣٧١ فقد جاء بعد أن كان الزمان قد هدّأ من حدة الخصومة ، وكان الأدباء قد أخذوا الاقتتال حول رجل آخر هو المتنبى » [6] .

---

(١) الموازنة : ٢١٥/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٤٥/١٤ .

(٣) المصدر السابق : ٧٧/٨ . وبغية الوعاة : ٩٦/٢ .

(٤) شرح التبريزى : ٣/١ .

(٥) النظام دار الكتب ١٦٤٠ ز لوحة ٢ .

(٦) النقد المنهجى : ص ٩٨ .

والتقط أبو حمدة هذا الرأى وراح يحاول استخراج الأدلة على أن زمن تأليف الموازنة كان بعد تراخى الخصومة حول شعر أبى تمام (١) ولكن لو فحصنا أدلة د. مندور ، والأدلة التى استخرجها أبو حمدة لعلمنا أنها لا تعزز هذا الأفتراض ، بل قد تضعفه ، وأدلتهما هى :

١ - وفاة أبى تمام سنة ٢٣١ ، ووفاة البحترى سنة ٢٨٤ ، وليس فى هذا ما يدل على أن الخصومة قد تراخت أثناء تأليف الموازنة .

٢ - ظهور المتنبى وانشغال الناس بالخصومة حوله ، والمعروف أن نجم المتنبى بدأ فى الظهور بعد سنة ٣٣٧ ، وهو تاريخ اتصاله بسيف الدولة وتوفى سنة ٣٥٤ (٢) ، فلم تهيأ له الشهرة التى تصل به إلى الاختصام حول شعره قبل ذلك التاريخ ، ولو افترضنا أن هناك خصومة انعقدت حوله فإن هذا لا يعنى هدوء الخصومة حول شعر أبى تمام .

٣ - بداية دراسة الآمدى لشعر أبى تمام والبحترى كانت سنة ٣١٧ كما ذكر هو فى الموازنة (٣) ، وهذا أيضا لا يقوم دليلا على هدوء الخصومة حول شعر أبى تمام .

والباحث يرى أن تأجج نار الخصومة وتوقد جمرها استمر إلى الفترة التى تلت تأليف الآمدى للموازنة ، أى أنه ألفها فى أوارها للأسباب التالية :

عرض الآمدى لأقوال الخصوم فى الموازنة يدل على أنه ألفها بعد اطلاعه على كتاب أخبار أبى تمام للصولى ، لأنّه ألمّ فى هذا الفصل ببعض حجج أنصار أبى تمام التى نثرها الصولى فى كتابه ، بالإضافة إلى أن الآمدى قد دافع عن قول أبى تمام :

لا تسقنى ماء الملام فإننى　　　صب قد استعذبت ماء بكائى

بدفاع يكاد يتفق مع دفاع الصولى عن البيت فى كتابه « أخبار أبى تمام » (٤) ، فتأليف الموازنة جاء بعد ظهور كتاب أخبار أبى تمام ، وكتاب الصولى هذا يشير فيه إلى أنه ألفه أثناء عنف الخصومة حول شعر أبى تمام (٥) .

---

(١) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ٨٠ .

(٢) وفيات الأعيان : ١٢٠/١ .

(٣) الموازنة : ٥٢/١ .

(٤) الموازنة : ٢٧٧/٢ ، أخبار أبى تمام ٣٣ .

(٥) أخبار أبى تمام : ص ٢ وما بعدها .

وقد ذكر الصولى أنّه ألفه أثناء معاناته من « جور الزمان ، وجفاء السلطان ، وتغيّر الأخوان » [1] ، وهذه الفترة نجدها مبسوطة فى كتابه « أخبار الراضى بالله والمتقى لله » ، وذلك بعد أن تولى المتقى لله الخلافة وكان لا يريد جليسا [3] ، وكان ذلك سنة ٣٢٩ ، وفى هذه السنة فى شهر رمضان نهبت دار الصولى خطأً ويقول : « فوالله ما اكتسيت ولا عيالى إلى وقتنا هذا ، وإنى لفقير مذ ذاك لارزق لى ، ولا اتصال بمن يصلنى وينفعنى ، أتقوت أثمان دفاترى وثمن بستان لى ، كان عيشى وجنتى » [3] ، ثم نهب بستانه فى سنة ٣٣٠ [4] ، وفى هذه السنة تغيّر الوزير أبو عبد الله البريدى عليه أيضا [5] ، فتأليف هذا الكتاب فى الفترة من سنة ٣٢٩ إلى سنة ٣٣٥ وهى سنة وفاته بالبصرة طريداً ، وقيل توفى سنة ٣٣٦ [6] .

فالخصومة مستمرة حتى بعد وفاة الصولى ، وبسط أقوال الخصوم والأنصار فى مقدمة الموازنة يدل على تردد هذه الأقوال على ألسنة الذين عاصروا الآمدى من الأدباء وغيرهم ، كما أننا لا نستطيع أن نجزم بشيء حول الزمن الذى ألفت فيه الموازنة بعد ذلك ، أكان هذا أثناء حياة الصولى وهى الفترة التى ألف فيها كتابه أخبار أبى تمام « سنة ٣٢٩ — ٣٣٦ » أم بعد وفاته ؟ أى بعد تلك الفترة ، وإشارة الآمدى إلى الصولى فى الموازنة تدل على ازدرائه له وتهكمه على خزانة كتبه ، يقول الآمدى فى معرض تردده حول رواية بيت لأبى تمام « حتى رجعت إلى النسخ العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى وأضرابه » [7] ، وألمح إليه فى موضع آخر وإلى خزانة كتبه ساخرا : فقال : « وبعد ، لم لا تصدق نفسك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ عليك العلم

---

(١) المصدر السابق ص ٥ .

(٢) الأوراق : « أخبار الراضى والمتقى » ص ١٩٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢١١ .

(٤) المصدر السابق ص ٢١٦ .

(٥) المصدر السابق ص ٢١٥ .

(٦) انظر المنتظم : ٣٦٠/٦ ، تاريخ بغداد ٣ ، ٤٢٧ ، معجم الأدباء : ١٠٩/١٩ .

(٧) الموازنة : ٢١٦/١ .

بالشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانة كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء ، وأنك ربما قلبت ذلك وتصفحته أو حفظت القصيدة والخمسين منه » (١)

وهذه الخزانة هى التى يروى أبو بكر بن شاذان أنه رآها فى بيت الصولى ، وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، وقد أنشد العقيلى أبو سعيد لنفسه أبياتا فى الصولى ذكر فيها خزانته هذه (٢)

ولا أستطيع أن أؤيد ما ذهب إليه أبو حمدة من الاستدلال بهذين النصين على أن الآمدى ألف الموازنة بعد وفاة الصولى وقال : « فإنى استبعد أن يذكر الصولى فى معرض الذم والتجريح – وهو بعد حىّ – لاسيما أن الصولى كان فى آخر عمره بالبصرة » (٣)

كل ما نستطيع قوله أن الآمدى ألف الموازنة بعد ظهور كتاب أخبار أبى تمام ، والموازنة كتاب ضخم فيه من العلم الغزير ما يدل على نضج واتساع الثقافة العقلية التى أبدعته ، ولا يستبعد أن يكون قد استغرق تأليفه سنوات عدة ، ربما كان من بداياته ذلك الاهتمامُ من الآمدى بتلقط شعر الطائيين سنة ٣١٧ .

فمن المرجح أن تأليف الموازنة كان إبّان اشتداد الخصومة حول شعر الطائيين التى استمرت سنوات طويلة ، إذ ينقل الحاتمى فى حلية المحاضرة قصة عن اجتماعه بشيخ من أهل البصرة متعصب للبحترى ، وكيف دافع عن أبى تمام (٤) ورد معانى البحترى إلى أبيات أبى تمام ، وإن كنا لا نعرف تاريخ هذه المناظرة ، إلا أنها يجب أن تكون فى القرن الرابع والغالب أنها بعد ثلثه الأول لأن الحاتمى توفى سنة ٣٨٨ . والأهم

---

(١) الموازنة : ٤١٦/١ .

(٢) إنباه الرواة : ٢٣٦/٣ .

(٣) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ٨١ .

(٤) حلية المحاضرة لأبى على محمد بن الحسن الحاتمى . ص ٢٢١ ، ولا يستبعد د. إحسان عباس أن يكون خصم الحاتمى هو الآمدى نفسه ، وهذا فيه نظر ، « تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٨٤ » .

من هذا أن المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ يضع كتابا يرد فيه على خصوم أبى تمام يسميه « الانتصار من ظلمة أبى تمام » [(١)] ، مما يدل على استمرار عنف الخصومة إلى نهاية القرن الرابع ، وقد تكون استمرت ممتدة إلى أول القرن الخامس .

٢ – مقاييس الآمدى فى الموازنة :

لم يكن الآمدى بدعا من النقاد فى مقاييسه التى بنى عليها الموازنة ، فهو وإن كان رائدا فى النقد التطبيقى وفى منهج الموازنة ، إلا أنه كان يستخدم تلك المقاييس التى كانت شائعة فى عصره ، وأُمُّ هذه المقاييس عمود الشعر وطريقة العرب ، فكان مدار الموازنة وأساس المفاضلة بين الشاعرين يحدده مدى قربهما أو بعدهما من هذه الطريقة ، فكان المفارِقُ لهذه الطريقة هو صاحب النسج الردىء والعبارات المتكلفة وهو عادة أبو تمّام ، وأما الذى التزم بها فلم يعدوها فهو ذر المذهب الحلو التأليف الحسن النظم ، والديباجة الشعرية ذات الماء والرونق ، وهو البحترى . وهذا المقياس واضح فى كتابه وضوحا شديدا لا يحتاج إلى مزيد شرح أو بيان ، وقد تصل به عصبيته لمذاهب العرب إلى أن يفضل البحترى على أبى تمام على الرغم من اعجابه بأبيات الأخير ، ولكن التزام البحترى بمذاهب الشعراء أحق بالأفضلية على الرغم من كل شىء يقول : « قال أبو تمام :

من سجَايا الطُّلول ألا تُجيبا ... فصوابٌ من مُقلةٍ أن تَصُوبا
فاسْأَلَنها واجعلْ بُكاكَ جواباً ... تجِدِ الشّوقَ سائلاً ومجيبا

.... وهذه فلسفة حسنة ، ومذهب من مذاهب أبى تمام ، ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقتهم ... ولم يسلك البحترى هذه الطريق ، بل جرى فى هذا الباب على مذاهب الناس فقال :

وَقفْنا على ذَات النخيلةِ فانبَرتْ ... سواكِبُ قَدْ كَانَتْ بِها العَيْنُ تَبْخَلُ
على دارس الآياتِ عافٍ تعاقَبَتْ ... عليهِ صبًا ما تستفيقُ وشَمْألُ
فلم يَدْرِ رَسْمُ الدار كيف يُجيبُنَا ... ولا نحن من فرط البكا كيف نسأل

---

(١) شرح التبريزى : ٢/١ ، النظام لابن المستوفى مخطوط دار الكتب لوحة ٣ .

وقول أبى تمام وإن كان فيه دقة وصنعة ، فهذا عندى أولى بالجودة وأحلى فى النفس ، وألوط بالقلب ، وأشبه بمذاهب الشعراء » [1] .

وطريقة العرب هذه شملت فيما شملت الصورة الفنية ، وأبرزها الاستعارة ، وكانت الملائمة بين طرفيها ووضوح العلاقة المجازية بينهما من أهم قواعدها ، وظل الآمدى ملتزما بهذا المقياس ، وبه سفه كثيرا من صور أبى تمام التى اعتمد فيها على التشخيص أو التجسيم ، وهو ما يتطلب مبالغةً فى العلاقات المجازية ، وتخطيا للمعنى المعجمى المباشر للألفاظ ، والمهم هنا أن الآمدى لا يقبل هذه الصورة إن جاءت من البحترى فهو يقول عن بيته :

وأرتْنا خداً يُراحُ لَهُ الوَرْ ... دُ وَيشْتَمُه جَنىْ التُّفاحِ

« وقوله : « ويشتمّه جنى التفاح » ليس بالجيد ، بل هو ردىء ، لأنه لا يدخل فى الاستعارة أن يشتم التفاح خدها ، ولكنه يحمل على أنه لو كان مما يشتم لا شتمّ خدها ، أو لو كان الورد مما يراح لراح له » [2] . فهو هنا ملتزم أشد الالتزام بهذا المقياس ، شديد الانتباه حريص على ألا يتخطاه شاعر دون أن يخطئه وإن كان البحترى .

ومن المقاييس التى كانت سائدة فى ذلك العصر [3] « أن الشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقا » ، والصدق والكذب هنا بمفهومهما الفنى لا الواقعى ، وقد دُفِعَ الشعراءُ بهذا المبدأ إلى مضائق الكذب والنفاق والرياء [4] ، فقد نادى نقاد ذلك العصر باستبدال الغايات النفعية بالغايات الخلقية ، « فمن فضائل الشعر أن الكذب الذى اجتمع الناس على قبحه حسن فيه ، وحسبك ما حَسَّن الكذب واغتفر له قبحه » [5] ، وكانوا يرون أن « حُسْن البلاغة أن يُصَوِّر الحق فى صورة الباطل ،

---

(١) الموازنة : ٤٩٩/١ وما بعدها .
(٢) الموازنة : ٩٧/٢ ، ٩٨ .
(٣) المُوازنة : ٤٢٨/١ .
(٤) النقد الأدبى الحديث د. غنيمى هلال ص ٣١٩ .
(٥) العمدة ابن رشيق : ٢٢/١ .

والباطل فى صورة الحق » (١) ، وقد حاول ابن رشيق أن يبرر هذا بقصتين أوردهما يدلل بهما على أنه لا يعد الكذب فى المدح نفاقا ، والدارس لهاتين القصتين يكتشف فيهما مغالطة كبرى (٢) .

وقد ظهر أثر هذه الدعوة عند الآمدى فى موازنته ، فقد صَدَّر أحد الفصول بالعنوان التالى : « ومما يجب فى مدح الخلفاء – كانت تلك حالهم أو لم تكن – ذكر التقى والورع » (٣) ، فلا بأس من تزييف الحقائق فى هذه القضية ، بل يجب أن ينسب للممدوح التقى والورع وإن كان زنديقا فاجرا ، وفى الأغراض الشعرية ظهر أثر هذه الدعوة فى تفسير الآمدى لفن الرثاء بقوله : « اعلم أن تأبين الميت كمدح الحى لا فرق بينهما ، إلا ما يفترق بذلك من ذكر التوجع وأنواعه » (٤) .

وكان الآمدى يقيس الصور الشعرية بأقيسه منطقية ، وهذا يبدو واضحا فى تعليقه على قول أبى تمام :

وتَقْفُو لِىَ الجدوىٰ بجِدْوىٰ وإنّما   يَروقُكَ بيتُ الشِّعْرِ حين يُصرَّعُ

فهو يقول عنه :

« لفظ حسن حلو ، ولكنه مثل شيئا بشيء كان غيره بالتمثيل أليق ، وذلك لما قال : « وتقفو لى الجدوى » كان سبيله أن يقول : وإنما يبل الغليل العلل بعد النهل ، أو ما كان أشبه هذا وقاربه ، لأن الجدوى هو نائل المرأة ، وليس من حظوظ السمع فيمثل بها بيت الشعر المصرع الذى إنما يروق السمع فقط » (٥) .

ويقول عن بيت البحترى :

تَبُّسمٌ وقُطُوبٌ فى نَدىً ووغىً   كالْبَرْقِ والرَّعْدِ وَسْطَ العارِضِ البَرِدِ

---

(١) المصدر السابق : ٢٤٧/٢ .
(٢) العمدة : ٨١/١ – ٨٢ .
(٣) الموازنة : ٣٥٩/٢ .
(٤) الموازنة : ٤٦٩/٣ .
(٥) الموازنة : ٨٥/٢ .

« وشبه القطوب بالرعد ، وإنما كان ينبغى أن يشبهه بالمرئيات لا بالمسموعات ، والرعد إنما يوضع فى موضع التهدد والوعيد » [1] .

وقوله هذا لا يتفق مع طبيعة الشعر التى نعرفها اليوم ، والتى يقر فيها الرمزيون وسيلة « تراسل الحواس » كواحدة من أهم وسائل اللغة الوجدانية ، فبواسطة هذه الوسيلة « توصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى ، فتعطى المسموعات ألوانا ، وتصير المشمومات أنغاما ، وتصبح المرئيات عاطرة » [2] . فموسيقية التصريع التى أشار إليها أبو تمام تسمعها فى بيت من الأبيات فتشعرك بنشوة قد تلتقى مع النشوة الحسية التى تتكرر فيها الصلة والنائل ، وقطوب الشجاع فى الوَغَى ، أو عند الغضب يلقى فى قلب الجبان الرهبة والرعب فيهتز قلبه كاهتزاز قلب الانسان عند سماعه لأصوات الرعد ، على الرغم من الوهن الذى دب فى الصورة عند ذكر « العارض البرد » .

فقد عرض الآمدى هاتين الصورتين على المقياس العقلى فلم يحظ إلا باعتراض بعيد عن الفهم الواعى لطبيعة الشعر الفنيَّة .

أما دراسته لقضية السرقات فى شعريهما ، فقد اعتمد فيها على ما تناقله النقاد قبله من أهمية تسجيل براءات اختراع المعانى – إذا جاز لى هذا التعبير – فالمعنى هو أساس الصورة ، وكان الرأى السائد أن القدماء قد استنفذوا المعانى واستغرقوا معظمها ، وسبقوا إليها ، وما يحاوله المحدثون إن هو إلا ترجيع لما قاله الأقدمون ، والفرزدق عندما سئل عن الشعر قال : إن الشعر كان جملا بازلا عظيما ، فأخذ امرؤ القيس رأسه ، وعمرو بن مكثوم سنامه ، وعبيد بن الأبرص فخذه ، والأعشى عجزه ، وزهير كاهله ، وطَرَفة كركرته ، والنابغة جبينه ، وأدركناه ولم يبق إلا المذارع والبطون فتوزعناه بيننا » [3] ، وقد ضاق المحدثون بهذا الرأى وعارضه بعضهم فقال أبو تمام :

---

(١) الموازنة : ٣/٣١١ .

(٢) النقد الأدبى الحديث : ص ٤١٨ .

(٣) الموشح : ص ٥٥٣ .

يَقُولُ من تَقْرَعُ أَسمَاعَهُ   كَم تَرَكَ الأُوَلُ للآخِرِ [1]

ولهذا كان حظ الشاعر من الاتهام بالسرقة أكثر من حظه فى الابتكار والابتداع « إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر » [2] ، وتحت هذا المقياس ظهرت بعض التفريعات ، كالمبدأ القائل إن المعانى الشعرية إذا صدرت من شاعرين من أهل بلدين متقاربين فلا يجوز أن يحكم بالسرقة على أحدهما ؛ لأنه « غير منكر لشاعرين مكثرين متناسبين ومن أهل بلد متقاربين أن يتفقا فى كثير من المعانى ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد فى الأشعار ذكره ، وجرى الطبع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله » [3] .

وقبله قال الصولى : « إن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا وكانا فى عصر واحد الحق بأشبههما كلاما ، فإن أشكل تركوه لهما » [4] .

وقال الآمدى عن بيت أبى تمام :

إذا اليدُ نالتْها بوتْرٍ توقَّرت   على ضِغْنِها ثم اسْتَقادَتْ من الرِّجْلِ

« فإن كان أخذه من ديك الجن فلا إحسان له فيه ؛ لأنه أتى بالمعنى بعينه قال ديك الجن :

تَظلُّ بأيدينا تَتَعتَعُ روحُها   وتَأْخُذُ من أَقْدامِنَا الرَّاحُ ثارَها

كذا وجدته فيما نقلت ، وليس ينبغى أن نقطع على أيهما أخذ من صاحبه لأنهما كانا فى عصر واحد » [5] . ويؤكد هذا فى موضع آخر من الجزء الثالث « وكانا فى عصر واحد ، وأصحاب البحترى يقولون إنّ أبا تمّام هو الآخذ من ديك

---

(١) شرح التبريزى : ١٦١/٢ .
(٢) الموازنة : ٣١١/١ .
(٣) المصدر السابق : ٥٦/١ .
(٤) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٠١ .
(٥) الموازنة : ٦٠/١ .

الجن ، وإن ديك الجن كان أتيه من أن يسرق من أبى تمّام ، وهذا عندى حكم على الغيب ، ولم لا يكون أبو تمّام أولى بالتيه من ديك الجن ، وأبعد من أن يسرق من أهل عصره ؟ » [1] .

وتفريع آخر حاول الآمدى الالتزام به فى مناقشة قضية السرقات ، وينزوى تحت مقولة إن المعانى قد استنفذها القدماء ، وإن الذى يجب أن ينصرف إليه البحث هو سرقة المعنى ، حيث إن « الألفاظ غير محظورة على أحد » [2] ، وهذا التفريع هو قضية الخاص والمشترك من المعانى ، « فالسرقة إنما هى فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر ، لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية فى عاداتهم ، ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظِّنَّةُ فيه عن الذى يورده أن يقال : إنه أخذه من غيره » [3] .

وبهذا المقياس رد على ابن أبى طاهر حيث « إنه خلط الخاص من المعانى بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا » [4] .

وهذه الحدود التى ذكرها الآمدى لم تستند إلى ثوابت فى دراسة المعانى الشعرية ، بقدر ما كانت ميدانا لنمو التعصب ، ولإرضاء الهوى أو الرغبة فى إظهار علم باطل ؛ ولهذا نجد الآمدى لا يستطيع الالتزام بهذه الحدود والمقاييس التزاما تاما ، فعلى حين يقرر إن المعنى إذا تعاوره شاعران متفقان فى العصر وفى البيئة الجغرافية لا يجوز أن يقال إن أحدهما أخذه من الآخر ، فإنه يغيب عنه هذا المبدأ عندما يرى أن أبا تمام قد سرق من دعبل بعض معانيه ، على الرغم من تعاصرهما وتقاربهما فى البيئة ، بالاضافة إلى منابذة دعبل أبا تمام وحقده عليه ، ثم يعود فى موضع آخر

---

(١) المصدر السابق : ٦٠٦/٣ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦٠/١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٤٦/١ .

(٤) الموازنة : ١١٢/١ وما بعدها .

فيرى أن هذا المعنى هو من المعانى المشتركة بين الناس وجار فى العادات [1] ، وهذا القول أيضا – وهو شيوع المعنى – لم يستطع النأى به عن الوقوع فى التناقض وذلك عندما قال إن قول أبى تمام :

مَنْ لَمْ يُعايِنْ أبا نصر وقَاتِلَه   فما رأى ضَبُعًا فى شِدْقِها أَسَدُ

من قول طريح الثقفى يرثى قوما :

فللّهِ عينا من رأى قَطُّ حادِثاً   كَفَرْسِ الكِلابِ الأُسْدَ يوم المُشَلَّلِ

ثم يقول : وهذا معنى متداول ، وقد يجوز أن يكون الطائى أخذه من غير هذا الموضع » [2] .

فكيف يكون المعنى متداولا ، ثم نقول إن أبا تمام ربما أخذه من موضع آخر ؟

وثمة مقاييس أخرى استخدمها فى دراسته لأخطاء أبى تمام فى المعانى والألفاظ ، ومنها الاستعمال اللغوى ، فيقول الآمدى معلقا على بيت أبى تمام :

فافْزَعْ إلى ذُخْرِ الشئونِ وعُذْبِهِ   فالدَّمْعُ يُذْهِبُ بعض جَهْدِ الجَاهِدِ

قوله : « يذهب بعض جهد الجاهد » أى بعض جهد الحزن الجاهد أى : الحزن الذى جهدك ، فهو جهد الجاهد لك ، ولو كان استقام له أن يقول « بعض جهد المجهود » لكان أحسن وأليق ، وهذا أغرب وأظرف ، وقد جاء أيضا فاعل بمعنى مفعول ، قالوا : « عيشة راضية » بمعنى مرضية ، و « لمح باصر » ، وإنما هو مبصر فيه ، وأشباه لهذا كثيرة معروفة ، ولكن ليس فى كل شىء يقال ، وإنما ينبغى أن ينتهى فى اللغة حيث انتهوا ولا يتعدى إلى غيره ، فإن اللغة لا يقاس عليها » [3] .

وهذه العبارات الأخيرة تنبؤك عن اتجاه الآمدى العام فى موازنته ، وتكشف عن أسباب حرصه على الالتزام بما ورد عن العرب لغة وشعرا ، وذلك هو أثر المنهج

(١) الموازنة : ١/٧٠ – ٧١ .

(٢) الموازنة : ١/٩٨ ، ٣/٥٢٨ .

(٣) الموازنة : ١/٢٢٧ .

اللغوى فى البحث ، فقد كان الآمدى نحويا أخذ عن الأخفش والزجاج والحامض وابن السراج وابن دريد ونفطويه ، ولقبه جلال الدين السيوطى بالنحوى [١] ، وترجم له القفطى فى إنباه الرواة على أنباه النحاة [٢] ، فلم يسلم من البحث اللغوى ، وصار معدودا فى النحويين [٣] ، غير أنه انتهى به الأمر إلى أن اتسع فى الآداب وبرز فيها فى آخر عمره [٤] .

وقد التفت الآمدى إلى المعانى الإنسانية وحاول أن يقيس بها شعر صاحبيه ، ومن هذه المعانى أثر الدمع فى شدة الوجد والحزن فقول أبى تمام :

أَجْدِرْ بَجِمْرةِ لَوْعةٍ إطْفاؤُها   بالدَّمْعِ أنْ تَزْدادَ طُولَ وُقُودِ

« خلاف ما عليه العرب ، وضد ما يعرف من معانيها ، لأن المعلوم من شأن الدمع أن يطفىء الغليل ، ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة » [٥] .

ومن مقاييسه أيضا البحث فى طبائع الأشياء ، فقد غَلَّط الآمدى أبا تمام عندما وصف الخيل فى الحرب بأنها « تلوك الشكيما » ، « لأن الخيل لا تلوك الشكيم فى المَكَرِّ وحومة الحرب ، وإنما تفعل ذلك واقفة لا مَكَرَّ لها » ، ثم يقول « وإنما طرح أبا تمّام فى هذا قلةُ خُبْرِهِ بأمر الخيل » [٦] .

وقد فطن الآمدى إلى أهمية النظم وبراعة السبك ، وأن المزية ليست للمعانى وحدها ، ونجد عنده أيضا ما ذكره عبد القاهر بعده بأن اللفظة قد تكون جيدة أو رديئة فى نفسها ، ولكن وقوعها فى المكان المناسب أو غير المناسب يعطيها

---

(١) بغية الوعاة : ٥٠٠/١ .

(٢) إنباه الرواة : ٢٨٥/١ .

(٣) انظر : الآمدى وكتابه الموازنة ، بحث للدكتور طه الحاجرى ص ١٣ .

(٤) إنباه الرواة : ٢١٥/١ .

(٥) الموازنة : ٢٠٩/١ .

(٦) الموازنة : ٢٤٣/١ .

قيمة أخرى قد تختلف عنها قبل أن تنظم يقول : « ولا تكن مراعاتك مقصورة على تأمل المعانى دون ما سواها ، فإن رداءة الكلام منظومه ومنثوره ليست من أجل رداءة المعنى فقط ، بل يكون أيضا من أجل ردىء اللفظ وقبيح النظم وسوء التأليف .. واعلم أن ردىء اللفظ يكون على وجهين ، إما أن تكون اللفظة من ألفاظ العوام سخيفة فى نفسها ، أو جيدة قد وضعت فى غير موضعها فصارت رديئة فى ذلك الموضع خاصة » (١) .

وقد اهتم الآمدى بالفطنة النفسية والاستعداد الذى يعتمد على الموهبة فى سبر أغوار الصور الخيالية وفهمها ، اهتم به مقياسا من المقاييس الرئيسية ، وأكثر فى ثنايا كتابه من الإشارة إليه ، إذ يرى : « أن طريقة الشاعر وجنس شعره لا تبين الا لطائفة من الناس ، وهم ذوو البلاغة ، وأهل الأطباع النقية والقرائح السليمة ، وكان من سواهم لا يعلمه ولا لهم جملته ، حتى تقع الموازنة فيه بين بيت وبيت ومعنى ومعنى » (٢) .

« ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ويتسهل ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، لأن كل امرىء إنما ييسر له ما فى طينته قبوله ، وما فى طباعه تعلمه » (٣) .

وما من شك فى أن الآمدى كان يتمتع بحس فنى كاشف وبموهبة فى التذوق مرهفة أضفيا على أحكامه لمسات جمالية ، فجاءت قريبة من القلب ، وإن خلت فى كثير من الأحيان من التعليل ، فنجده يرى فى شعر أبى تمام أحيانا الغاية فى الحسن والجودة (٤) .

وهو عندما يأخذ على أحد الشاعرين بعض السقطات ، فإنه كثيرا ما يحكم ذوقه فى هذا النقد ، فلا يَكْذِبُهُ بل يقع به قريبا من الصواب ، يقول عن بيت أبى تمام :

مضى طَاهِرَ الأثْوابِ لم تَبْقَ بُقْعَةٌ غداةَ ثوى إلا اشْتَهتْ أنَّها قَبْرُ

قوله : « إلا اشتهت أنها قبر » من ألفاظه الموضوعة فى غير مواضعها ، ومازال الناس يستكرهونها ؛ لأنه جعلها فى موضع « ودَّتْ » ، وأنت لا تقول « أشتهى أنى قدرت » وإنما تقول « أود أنى قدرت » .

---

(١) الموازنة : ٤٧١/٣ ، وقارن دلائل الاعجاز ص ٧٩ .

(٢) الموازنة : ٤٧٢/٣ .

(٣) المصدر السابق : ٤١٩/١ .

(٤) المصدر السابق : ١٠٥/٢ ، ١٢١ .

ولا شك أن موضع « أشتهت » هنا غير لائق ، فهى كلمة نافرة عن هذا السياق ، ولا تعلق لها بالصورة بل تضعفها ، وإنما يليق بها الحنين والاشتياق والرغبة ، وقد قال الآمدى عقب هذا :

« ولله درُّ مروانَ بن أبى حفصة إذ يقول فى مرثية المهدى :

لما استَبانَ بِبطْنِ مَكَّةَ هُلْكُهُ حَنَّ التُّرابُ إليه من بَطْحائِها [1]

ويقول فى موضع آخر معلقا على بيت أبى تمّام :

مَلْطُومةً بالوردِ أُطْلِقَ طَرْفُها فى الخَلْقِ فَهْو من المَنونِ مُحكَّمُ

« وملطومة بالورد يريد حُمْرة خدها ، فلم لم يقل مصفوعة بالقار يريد سواد شعرها ، ومخبوطة بالشحم يريد امتلاء لحمها ، ومضروبة بالقطن يريد بياضها ، إنّ هذا لأحمق ما يكون من اللفظ وأسخفه وأوسخه » [2] .

ولفظة « ملطومة » من الألفاظ القبيحة فى هذا الموضع التى يستوى عندها اللطم بالورد واللطم بالكف .

كذلك تحدث الآمدى عن أهمية نمو الصور الخيالية وتدرجها إلى الأعلى ، فيقول معلقا على أبيات أبى تمام :

أرَىَ الداليَّتيْنِ على جَفاءٍ لَدَيْك وكلُّ واحِدَةٍ نُضَارُ

إذا ما شِعْرَ قَومٍ كانَ لَيْلاً تَبلَّجتا كما انْشقَّ النّهارُ

فإن كانَتْ قصائِدهُمْ جُدويًا تلوَّنتا كما ازْدَوج البَهارُ

« وقوله : « تلونتا كما ازدوج البهار » هو معنى قوله : « تبلجتا كما انشق النّهار » ، وإنما يريد تبلجتا بالمعانى ، وكذلك تلونتا ، وهذا وإن كان توكيدا للأول ، وكان سائغا جائزا ، فهو منحطُّ المعنى عن الأول انحطاطا قبيحا ، فكأنه إنما شانه

---

(١) الموازنة : ٣/٥٠٥ .

(٢) الموازنة : ٢/٩٤ .

ونقصه ولم يزده » [1] . وهذا فيه حس دقيق وذوق مرهف ، فقد أدرك دور هذه الصور الفنية فى تنمية التجربة الشعرية ، وهذا النمو يجب أن يكون متدرجا إلى الأعلى ، أما الترتيب من الأعلى إلى الدون ففيه اضمحلال للتجربة وانحلال للصور التخيلية ، وقد أشار الصولى إلى اعتراض النقاد على بيت آخر لأبى تمام فيه العيب نفسه ، وقال عن قول أبى تمام :

خُلُقٌ كالمُدامُ أو كَرُضَابِ الـ ـمِسْكِ أو كالعبيرِ أو كالمَلَابِ

« وقد عيب هذا عليه وقيل : الناس يرتفعون من الدون إلى الأعلى وهذا من الأعلى إلى الدون ، فجعل خُلُقَهُ كالمُدام ، أو كرُضَابِ المسك ، ثم قال أو كالعبير ... » [2] .

ولكن الصولى راح يحاول الاعتذار لأبى تمام بما ينبىء عن قصور فهمه ، ونُبُوّ ذوقه فلم يستطع أن يدرك سبب اعتراضهم ، وهنا تتضح سلامة ذوق الآمدى وطبعه الذى مكنه من إدراك هذا الخلل فى صور أبى تمام ، وقال أبو هلال العسكرى فى الصناعتين : « وقد استحسنوا قول البحترى

كالقِسِيِّ المُعَطَّفاتِ بل الأسـ ـهم مَبْرِيَّةً بِلِ الأوْتَـارِ

فأحسن فى الترتيب ولم يرض أن جعلها كالقسىِّ حتى قال : « بل الأسهم » ، ثم قال : « بل الأوتار » ، وهذا ترتيب مصيب من أجل أنه بدأ بالأغلظ ثم انحط إلى الأدقّ .

وقد عيب ترتيب أبى تمام فى قوله « كالخَلُوقِ أو كالمَلاب » فبدأ بالأنفس ثم انحط إلى الأخس ، كما تقول : هو مثل النجم بل القمر بل الشمس فترتفع من الشيء إلى ما هو أعلى منه ، وإذا قلت هو مثل الشمس بل القمر بل النجم لم يحسن » [3]

---

(١) الموازنة : ٦٩٥/٣

(٢) ديوان أبى تمام بشرح الصولى ٢٥٥/٣ .

(٣) الصناعتين ص ٢٢٩ .

ويرى د. غنيمى هلال أن هذا مما له أهمية فى علم الأسلوب الحديث لدقته ودلالته النفسية [١] .

والمواضع التى كشف فيها عن ذوقه المرهف هذا كثيرة ، وقد كان فى اختياراته التى يختم بها أبواب الموازنة ، ما يكشف عن أصالة هذا الحس الفنى لديه ، بحيث يقع به على أجمل ما قالته العرب ، وقد عد بعض الأساتذة الباحثين هذه الاختيارات من أبرز خصائص الكتاب [٢] .

* * *

(١) النقد الأدبى الحديث د. محمد غنيمى هلال ص ٤٠

(٢) النقد المنهجى عند العرب د. مندور ص ٣٤٩ .

الفصل الثانى

القديمُ والحديثُ بين أبى تمّام والبُحتُرِىّ

١ – دواعى الخصومة بين القديم والحديث فى الأدب العربى :

إذا كان من سنة الحياة التطور عن طريق التفاعل التلقائى بين متناقضاتها ، كما إن السمة الخاصة للوجود الحيوى هى النمو والتغير استنادا إلى القوانين الطبيعية التى تحكم هذا التبدل ، إذا كان هذا كذلك ، فإنه من المؤكد أن هذا التفاعل الذى يتم بين المتناقضات رحم لأطوار الحياة بكاملها ، تنصهر فيه العوامل والدوافع الجديدة ، وتلتقى فيه مع الأشكال القديمة والسائدة ، ليحدث نوع من التصارع يؤدى إلى تكون مرحلة جديدة فيها الكثير من ملامح العصر البائد ، اتسقت وتلائمت مع الظروف التى من شأنها أن تضيف إلى الحياة طابعا من الجدة والتطور .

وفى الحياة الأدبية للمجتمعات الإنسانية فإن التطور – فى الشعر مثلا – يقوده رواد التجديد الذين يحاولون أن يحققوا لمجتمعهم شيئا من الغنى الذهنى ونوعا من الرقى الثقافى ، ويحاول الشعراء المجددون أن يسموا بالشعر إلى مرتبات جمالية ، يستطيع أن يتذوقها الفرد الذى اكتسب الحضارة الجديدة ، وأن يرى فيها صورة لواقعه تعبر عن آلامه وأفراحه ، وكل معاناته ، وهؤلاء المجددون يصطدمون فى تجاربهم هذه بكل الآثار الشعرية المألوفة وتقاليدها المتوارثة ، ولا بد أن يكون لهذه الآثار والتقاليد أنصار يحمونها ويدافعون عنها ، وهنا تثور قضية الصراع بين القدماء والمحدثين .

ويستطيع أنصار القدماء أن يتمتعوا بتأييد ونصرة العامة فى مجتمعاتهم ، إذ إنهم يعتمدون على عنصر أساسى يضمنون به انحياز الاغلبية إليهم ، وهو آثار الماضى التى لا يستطيع الإنسان مقاومة حنينه إليها ، وقصة الصراع بين القدماء والمحدثين فى

الشعر ، هى فصل من ملحمة الصراع بينهما فى الفن عامة « فلم يخل عصر أدبى فى حياة الأمم التى كان لها حظ من الأدب ، وحظ فى إتقان القول وإجادته من هذه المسألة ، مسألة القدماء والمحدثين » (١) .

ولكن ماذا يفعل الفنان الذى هو مرآة عصره ، وعالم فسيح خصب تلتقى فيه كل مؤثرات التطور ونتائجه ، وقلب يحتوى هذه المتغيرات فلا يتوقف نبضه ، وإنما يظل يضخ لنا تركيبات حيّة ، تمد حركة التطور بالقوة والتجدد ، ماذا يكون موقفه ؟ ، إنه يؤمن بأصالة القديم ، ولكنه لا يفهم هذه الأصالة على أنها التحجر ، وإنما هى العطاء المستمر ، عليه إذن أن يجد الصيغة المناسبة التى يعبر بها عن واقعه من خلال معطيات هذا الواقع بالإضافة إلى جذور حياته الضاربة فى أعماق التاريخ .

وعندما بدأ بشار وأبو نواس ومسلم ريادة تجارب شعرية جديدة ، بدأ يتشكل اتجاه شعرى يحاول الفكاك شيئا ما من أسر القديم ، وأخذ هؤلاء الرواد فى دراسة القديم ، معانيه وألفاظه ، يقارنونها بالأنماط الحضارية والثقافية التى جدت على ساحة المجتمع الإسلامى ، وكان فى الساحة هؤلاء النقاد والأدباء ، الذين كانت أعينهم على تلك المحاولات والتجارب ، يقيسونها بالقديم ، فلا يرضون بما يفارقه من معان وأساليب ، وظلت تجارب هؤلاء الرواد تستنشق عبير الماضى وتترسم خطاه إرضاء لطائفة من الأدباء واللغويين وطلبا للسيرورة الشعرية ، وعندما لاح فى هذه التجارب شىءٌ من التململ والزحزحة لبعض المثل الشعرية الموروثة تصدى لهم الأدباء واللغويون .

وقد أدرك الأدباء منهم خاصة محنة الشاعر المحدث وأشار إليها بعضهم بطرف خفى ، فابن طباطبا بعد أن يتحدث عن أنواع الشعر الجيد وطريقه بناء القصيدة يقول : « والمحنة على شعراء زماننا فى أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم ، لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ، ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة وخلابة ساحرة ، فإن أتوا بما يقصر عن معانى أولئك ولا يربى عليها ، لم يتلق بالقبول ، وكان كالمطرح المملول » (٢) .

---

(١) حديث الأربعاء : ٢/٣ .

(٢) عيار الشعر لابن طباطبا ص ١٣ .

وابن قتيبة بعد أن يمنع متأخر الشعراء من الخروج عن مذهب المتقدمين فى مضامين الشعر ومعانيه ، يورد استفهام شيخ من أهل الكوفة ويتركه دون تعليق فيقول : « قال خلف الأحمر : قال لى شيخ من أهل الكوفة : أما عجبت من الشاعر قال :

أتيت قيصوما وجثجاثا

فاحتمل له ، وقلت أنا :

أتيت أجّاصا وتفاحا

فلم يحتمل لى ؟ » [1] .

وكأنه يقدر لهؤلاء المحدثين حيرتهم وموقفهم الدقيق الذى دفعوا إليه فهم بين هذه المعانى الجديدة ، ومعطيات واقعهم الحضارى ، وبين تلك السياط التى يلهب ظهورهم بها علماء اللغة والأدباء لمراعاة القديم والالتزام برسومه ، وهؤلاء العلماء والأدباء بيدهم القوة والسلطان وهى الرواية يقول الخليل بن أحمد : « إنما أنتم معشر الشعراء تبع لى وأنا سكان هذه السفينة ، إن قرضتكم ورضيت عنكم نفقتهم ، وإلا كسدتم » [2] ، وقد قلت نسخ ديوانى أبى تمام والبحترى فى البصرة فى وقت أحمد بن إبراهيم الرياشى الذى كان يغض منهما ، فقلَّتِ الرغبة فى شعرهما [3] .

وقد شن علماء اللغة حملتهم على المحدثين بعصبية شديدة ، يدفعهم فى هذا حرصهم على الانتصار للقديم ، إذ يرون فيه منبع الأصالة والقوة والقياس ، ومعينا لا ينضب للشاعرية الحقيقية ، يقول ابن الأعرابى : « إنما أشعار هؤلاء المحدثين – مثل أبى نواس وغيره – مثل الريحان ، يشم يوما ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازددت طيبا » [4] .

---

(١) الشعر والشعراء : ٧٧/١ .

(٢) الأغانى ١٦/١٧ .

(٣) الوساطة : ص ٥١ .

(٤) الموشح : ص ٣٨٤ .

ومثله كان أبو عمرو بن العلاء ينظر إلى شعر الإسلاميين نظرة دونية بالمقارنة مع الشعر الجاهلى ، فيجعل الزمن هو الحد الفاصل عنده بين الجودة والرداءة ، وعندما سئل عن أشعار المولدين قال : « ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحدا ، ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسيح ، وقطعة نطع » ، ويعلق ابن رشيق على هذا قائلا : « هذا مذهب أبى عمرو وأصحابه كالأصمعى وابن الأعرابى - أعنى أن كل واحد منهم يذهب فى أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم من قبلهم ، وليس ذلك إلا لحاجتهم فى الشعر إلى الشاهد ، ثم صارت لحاجة » [١] .

أما اشتداد اللغويين فى مناصرتهم للقديم فيفسره منهجهم فى الدرس اللغوى ، فجُلُّ اهتمامهم كان منصرفا إلى البحث عن المثل والشاهد فى الشعر الجاهلى حتى نهاية فترة الاستشهاد ، وإن كنا لا ننكر دقة ذوقهم ونظراتهم الفنية القيمة ، كما كانوا يرون أنهم حماة اللغة والحرسة على تراثها ، هذا المنهج خلق لهم إطارا ذهنيا أثر فى أذواقهم ، وطبعها بطابعه فظهرت على آرائهم أثار هذا الميسم ، فكان منهم هذا الموقف المتطرف فى التعصب للقديم ، واختصوا به دون غيرهم .

وجاء شعر أبى تمام بصوره العميقة المركبة ، ومعانيه التى تحتمل التأول ، محاولا تجاوز بساطة القديم ، وسذاجة صوره فاستخدم التشخيص فى التصوير ، وعمد إلى المحسنات البديعية من جناس وطباق ومقابلة فجعلها منسوجة فى لحمة الصورة تضخ فى ثناياها خيالات ورؤى تزيد فى عمقها ، فأثار معاصريه ، فهم بين مؤيد ومعارض ، وبدأ النقاد يناقشون شعره ، واحتدمت المعركة بين أنصاره وخصومه ، وظهرت دراسات جادة تحلل شعره وترسى قواعد ومقاييس نقدية يعرض عليها الشعر المحدث كله ، فكان من بين أنصاره من دافع بموضوعية كما فعل ابن المعتز [٢] ، ومنهم من

---

(١) العمدة : ٩١/١ .

(٢) ولا تغرنك العبارات التى نسبت إليه فى الموشح والتى تظهره متحاملا على أبى تمام « الموشح ص ٤٧٠ وما بعدها » ، فإن سوء التحقيق قد جعل النصوص تتداخل فى مواضع كثيرة فى الكتاب ، فاختلط رأى المرزبانى - وهو من خصوم أبى تمام - برأى ابن المعتز « وأنظر طبقات ابن المعتز ص ٢٨٦ » .

اشتد فى مناصرته فلم يجوز عليه خطأ وذلك هو أبو بكر الصولى [1] ، وهكذا كان خصومه بين مقسط ومفرط كالجرجانى فى وساطته والمرزبانى فى موشحه ، فأنت ترى أن هذه الخصومة كانت من حسنات الصراع بين القديم والحديث حيث إن نتاجها كان هذا التراث النقدى العظيم .

وعمد خصوم المحدث إلى التقاليد الشعرية المعروفة عند العرب — وهى التى سماها الآمدى « عمود الشعر » — فكانت أهم أسلحتهم فى مواجهة هذا الجديد ، ثم إن القضية — فى رأيهم — ليست قديما وجديدا ، بل هى أصالة لها قواعدها التى تواضعوا عليها ، والخروج عن هذه القواعد هو الزيف الشعرى أو ادعاء الشاعرية ، ورأوا أن مما يؤيد هذا الرأى ، أنّ كثيرا من الشعراء المعاصرين لهذه الخصومة كانوا ملتزمين بهذه القواعد ، فكان شعرهم هو نمط الأعراب ، وعلى رأسهم البحترى ، فوضعوه بإزاء أبى تمام ، وجاء الآمدى فقال : إن البحترى لم يفارق عمود الشعر المعروف [2] ، وانتصر له بهذا المقياس ، ومال عن أبى تمام ، ووضع موازنته التى حاول فيها أن يكون منصفا ، فوضع ذلك المقياس أمام عينه ، وصار يعرض عليه شعر الشاعرين ، فانتصر لأبى تمام عندما جاء شعره قريبا من طريقة العرب ، ولكن انتصاره للبحترى كان أقوى حيث إنه لم يفارق تلك الطريقة ، فظهر بمظهر المتعصب على أبى تمام .

وهناك أمر آخر فى هذه الخصومة أدركه الأقدمون وهو اللجاج والتطرف فى الملاحاة والمنابذة يقول ابن المعتز : « ربما رأيت فى تقديم بعض أهل الأدب الطائى على غيره من الشعراء إفراطا بينا ، فاعلم أنه أوكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته فى الشعر لما يدعو إليه اللجاج » [3] ، ويقول ابن رشيق عن تعصب القدماء للقديم إنه بسبب حاجتهم للشاهد : « وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون ، ثم صارت لجاجة » [4] ،

---

(١) انظر أخبار أبى تمام فى مواضع متفرقة .

(٢) الموازنة : ٤/١ .

(٣) الموشح : ٤٧٠ .

(٤) العمدة : ٩١/١ .

والحق أن هذا يبدو واضحا فى مواقف بعض أنصار أبى تمام وخصومه ، والظاهر أن هذا ما آل إليه حال تلك الخصومة ، إذ تحورت وسفلت حتى صارت لجاجة وملاحاة وتطرفا فى التعصب لهذا الشاعر أو ذاك ، دون تعليل ، وقد انعكس هذا فى بعض ادعاءات الأنصار والخصوم التى سردها الآمدى فى مقدمة كتابه ، فأصحاب أبى تمام يرون أن أخذ البحترى من أبى تمام وتتلمذه على يديه ، واستقائه من معانيه ، ورثائه له بعد موته يجعل أبا تمام أشعر من البحترى ، ويرد عليهم أنصار البحترى بتفنيد وحجج أخرى ، لا طائل ورائها ، وتشعر أنك تسمع صراخا مفتعلا ، يمده تعصب شديد ، وهو جفر لا ينضب أبدا .

واستمع إلى الصولى يدافع عن صاحبه فيقول : « لوقصّر « يعنى أبا تمام » فى قليل - **وماقصّر** - لغرق ذلك فى بحور إحسانه » ، ويقول عن عائبى أبى تمام : إن « منزلتهم حقيرة يصان عن ذكرها الذم ويرتفع عنها الوهد » (١) ، وفى المقابل يقول ابن الأعرابى عن شعر أبى تمام : « إن كان هذا شعرا فما قاله العرب باطل » ، ويطلب ممن قرأ عليه أرجوزة لأبى تمام أن يكتبها له لجودتها وهو لا يعرف أنها له ويسأله كاتبها : أحسنة هى ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها ، قلت : إنها لأبى تمام ، قال : خرّق ، خرّق (٢) .

وقد نظر بعض الباحثين المحدثين إلى ذلك الصراع بين العرب وغيرهم ، وخاصة فى القرن الرابع عندما تسلط الجنس الأجنبى على مقدرات الخلافة الإسلامية ، فحاولوا التسلل به إلى قضية الصراع بين القديم والحديث ، وهو مما يبعد بهم عن فنية البحث ، فقد رأى ذلك الدكتور محمد زغلول سلام ، إذ كانت هذه جلّ ملاحظاته على كتاب الآمدى -: « فهذا الاتجاه الغريب ، وهو سيطرة العناصر الفارسية واليونانية ، أوضح ما يكون فى شعر أبى تمام منه فى شعر البحترى » (٣) ،

---

(١) أخبار أبى تمام للصولى ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ ، والموشح ص ٤٦٥ .

(٣) تاريخ النقد الأدبى فى القرن الرابع د. محمد زغلول سلام ص ٢٤٧ .

وإذا كان الدكتور سلام لم يدلل على قولته تلك ، فإن د. السيد أحمد خليل يرى فى مصاحبة أبى تمام للمعتصم – الذى قرب الترك من السلطة – دليلا على هذا الرأى [1] ، ثم جاء د. خليفة الوقيان فى دراسته لشعر البحترى فردده ، ولكنه لم يدلل عليه [2] ، كما أفاض فى هذا الدكتور عبده بدوى وحاول أن يدلل عليه بأراء فيها مبالغة شديدة فى تأثير البيئة وعواملها على موهبة الشعراء [3] ، إلا أننى أجد فى هذه الآراء مبالغة فى الاستدلال ، فالشاعران لم يكن فى شعرهما ما يؤكد تلك الاتهامات ، فلم يكن شعر أبى تمام نموذجا لغزو المؤثرات الأجنبية ، ليصبح بالتالى شعر البحترى مثالا للشعر الملتزم بالروح العربية ، بل إننا لو اعتمدنا على تلك الأدلة لكان البحترى أولى بأن يكون مناصرا لهذا التيار الغازى ، إذ إن مدائحه لكبار القواد والملوك من العجم مشهورة ، وقد بالغ فيها مبالغة دفعت بعض الباحثين المحدثين إلى اتهامه بالشعوبية ، وأكثر ما أثارهم تهكُّمُه على العرب فى قصيدته السينية فى مدح إيوان كسرى « فالبحترى وقف على آثار قوم غير قومه ، فأشاد بذكرهم ونوه بمجدهم ، وليته وقف عند التمدح بحضارة الفرس ، بل إنه نفذ من ذلك إلى السخرية من بداوة العرب وخشونة عيشهم ورثاثة مبانيهم فى شعوبية ذميمة ، ما كنا نستغربها من شاعر مثل إسماعيل بن يسار ، أو بشار بن برد ، ولكن الغرابة فى أن ينطلق بها لسان شاعر عربى مثل البحترى » [4]

والباحث بالطبع لا يرى هذا الرأى ولا ذاك ، فالشاعران صدرا فى شعرهما عن روح عربية خالصة ، وكل منهما كانت له خصائصه وطريقته

---

(١) الاتجاهات الأدبية فى العصر العباسى – ص ١٤٤

(٢) شعر البحترى دراسة فنية د. خليفة الوقيان ص ٣٧٠ .

(٣) انظر : أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر – د. عبده بدوى – ص ١٥٩ ومواضع أخرى .

(٤) الأندلس فى شعر شوقى ونثره – د. محمود على مكى – مقال فى مجلة فصول المجلد الثالث – العدد الأول ص ٢٠٠ وما بعدها .

٢ - الاتجاه الفني لكل من الشاعرين

إن القراءة الأولية لتلك الخصومات التى ثارت حول هذين الشاعرين تخدع بأن لكل منهما مذهبا جديدا ، وأنهما قد استطاعا أن يؤسسا مدرستين فنيتين جديدتين فى الشعر ، ولكن الواقع غير هذا ، فلم يجرؤ أى شاعر فى ذلك العصر على الإقدام على مجاوزة التقليد ، فتعاليم النقاد تلهب ظهورهم لتدفعهم إلى مضائقه ، وتحدد عليهم مجالات الاختيار وترسم لهم طرائق لا يتعدونها ، فعلى الشاعر المحدث ألا يخرج عن مذهب المتقدمين فى المعانى والأغراض الشعرية « فيقف على منزل عامر أو يبكى عند مشيد البنيان ، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافى ، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما ، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ... » (١) .

أما المجاز كالاستعارة والتشبيه ، فإن العرب « استعارت المعنى لما ليس هو له إذا كان يقاربه أو يشبهه فى بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه ، فتكون اللفظة حينئذ لائقة بالشيء الذى استعيرت له ، ملائمة لمعناه » (٢) أما باقى المحسنات ، فإنها موجودة فى أشعار الأوائل « لكن إنما يأتى منه فى القصيدة البيت الواحد أو البيتان على حسب ما يتفق للشاعر ويحضر فى خاطره ، وفى الأكثر لا يعتمده وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه ، فلا ترى له لفظة واحدة » (٣) ، وجاء المرزوقى فحدد عمود الشعر فى مقدمته لشرح حماسة أبى تمام (٤) .

وظلت هذه الرسوم حادى الشعراء يجعلونها أمام أعينهم عند قدح قرائحهم الشعرية ، وقد حاول بعضهم التفرد فى مجال محدود اعتمد فيه على موهبته ، وبقدر تلك الموهبة كان حظه من الشهرة وكان من هؤلاء البحترى وأبو تمام ، فقد انصرفت

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٧٦/١ .

(٢) الموازنة : ٢٦٦/١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٨٤/١ .

(٤) شرح حماسة أبى تمام للمرزوقى ٩/١ .

شاعرية الأول إلى الاعتناء بموسيقى الشعر ، فجاءت ألفاظه وتراكيبه يُرَقِّصُها نغم داخلى شجّى بارع ، وهو ما يطرب له نقاد الشعر ، بل وكل قارىء لشعره ، أما باقى العناصر التى كانوا يهتمون بها ، فإن البحترى كان وفيا لها ، فالتزمها منقادا طائعا سعيدا ، حيث إن موهبته الشعرية لم تستطع أن تنفذ إلى ما هو أبعد منها ، فطاقاته لم تَتعَدَّ تلك الموسيقية التى أشرت إليها ، أما النقمة والغضب فقد كانا من نصيب أبى تمام حيث إنه – لسوء حظه – كان شديد الذكاء عميق الفكرة ، سريع الخاطر ، تصطرع فى ذهنه الأفكار وتتشابك ، مع ثقافة عريضة تهيأت له باطلاعه على علوم عصره ، وبحافظته التى وسعت أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع [1] .

كل هذا أعانه على أن يغوص على المعانى فيستوحيها ويستخرجها صورا مركبة ، ويستعمل الزينة اللفظية استعمالا جديدا يبعد بها عن سطحية التزيين وحرفيته ، لينسجها مع ثنيات الصور العميقة ، وكان هذا ما انصرفت إليه موهبته ، وبه صار كأنه يحاول زحزحة بعض التقاليد الشعرية ، ويعالج شيئا من التغيير فى نظرة القدماء إلى المجاز والبديع وهذه النظرة من أهم عناصر عمود الشعر ، فتصدى له هؤلاء العلماء فدرسوا شعره وحللوا صوره ، وكان ما كان من خصومتهم حوله .

فالشاعران لم يفارقا القديم ، ولم يكونا ناقدين للاتجاهات الشعرية فى عصرهما ، بل كانا ككل الشعراء والأدباء فى عصرهما يؤثران من الشعر ما كان أكثر قربا من النمط القديم ، وشعر البحترى يدل على هذا ، أما أبو تمام فقد كانت موهبته تخالف اختياراته ، أعنى أن شعره الذى أثار دهشة النقاد بطريقته غير المألوفة لا يتفق مع اختياراته ، وقد أثار هذا نظر العلماء وأولهم الصولى فقال : « حضرنا مع أبى تمام وهو ينتخب أشعار المحدثين ، فمر به شعر محمد بن أبى عيينة المطبوع ، الذى يهجو به خالدا ، فنظر فيه ورمى به ، وقال : هذا كله مختار ، وهذا أول دليل على علم أبى تمام بالشعر ؛ لأن ابن أبى عيينة أبعد الناس شبها به ، وذلك أنه يتكلم بطبعه

---

(١) وفيات الأعيان : ١٢/٢ .

ولا يكد فكره ، ويخرج ألفاظه مخرج نفسه ، وأبو تمام يتعب نفسه ، ويكد طبعه ويطيل فكره ويعمل المعانى ويستنبطها ، ولكنه قال هذا فى ابن أبى عيينة لعلمه بجيد الشعر أى نحو كان » (١) .

والناظر فى اختياراته فى الحماسة يلاحظ هذا بينا ، ويعلق المرزوقى على هذه الظاهرة فيقول : « وأما تعجبك من أبى تمام فى اختياره هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه ، وإجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق فى قصده ، فالقول فيه أن أبا تمام كان يختار ما يختار لجودته لا غير ، ويقول ما يقع له من الشعر بشهوته ، والفرق بين ما يُشْتَهى وبين ما يُسْتَجَادُ ظاهر » (٢) .

فلم يكن أبا تمام عندما جاء شعره مخالفا لبعض ما تواضع عليه العرب ناقدا لهذا التواضع ، بل جاءت موهبته الشعرية ، وشهوة قريحته مغايرة لهذا التواضع ، أما إذا تجرد ناقدا فإنه ممن يناصر عمود الشعر ، فقد كان ذوقه النقدى غير ناب عن أذواق معاصريه .

أما البحترى فلم تكن له مواقف نقدية أبان فيها عن ذوقه فى الاختيار ، وقد قال عنه الصولى : « إن شاعرا مميزا ناقدا مهذب الألفاظ مثل البحترى لم يكمل لنقد جميع الشعر » (٣) ، وقال المرزوقى : « إنه قد يميز الشعر من لا يقوله ، ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده ، على ذلك كان البحترى لأنه – فيما حكى عنه – كان لا يعجب من الشعر إلا بما وافق طبعه ومعناه ولفظه » (٤) .

أما ما قيل عن مذهب أبى تمام وإمامته له ، وأن هذا قد يوحى بأن هناك مذهبا للبحترى يقابله ، هذا القول يخلط بين اختراع المذهب والنسج على غير مثال ،

---

(١) أخبار أبى تمام ص ١١٨ ، أخبار البحترى ص ١٣٧ .

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١٣/١ .

(٣) أخبار البحترى ص ٥ .

(٤) شرح حماسة المرزوق ١٤/١ .

وبين أن يشتهر به صاحبه ، ويقال إن هذا هو مذهب الطائى ، فأما أن يكون قد جاوز الاحتذاء وصار إلى الابتكار والاختراع ، فهو أمر لم يكن مهيأ له فى عصره ، ولا انصرف إليه ذوقه النقدى كما أسلفت ، فرنين التقليد الشعرى لازال حادى الحياة الثقافية ، والمبارزة فى ميدان الصحة اللغوية والطهارة من اللحن ، أمور لازمة لمن أراد أن يكون له باع فى أى منحى من مناحى الثقافة ، ولكنه ربما لمح تراقص الصور والألفاظ فى أبيات مسلم وأبى نواس فصرف إليها موهبته وجعلها وكده ، وصيرها بوتقة يصهر فيها المعانى المركبة المعقدة التى تتنازع فكره ، فأكبّ على طرائق التخييل من تشبيه وإستعارة فأولاها الكثير من العناية وربما التقط بعض المعانى التى تدور بين الناس فركبها وعمقها ، ثم وشّى هذا بأنواع الزينة ، وجعلها تلتصق بالمعنى فتزيد من عمقه وإيحاءاته ، وهذا الذى جعل طريقته تفارق طرائق الأقدمين ، فنفر منها الأدباء والرواة .

فأبو تمام جدير بأن يدّعى أن له مذهبا خاصا ، ولكن لم يكن مذهبا جديدا ، فريدا فى كل عناصره ، وإنما كان طريقة جديدة فى الالتقاط والاعتناء والتأليف .

ولقد استطاع الآمدى من خلال مدارسته لشعر أبى تمام فى كتابه هذا أن يحدد لنا أهم خصائص مذهب الشاعرين ، فملاحظاته النقدية واعتراضاته على شعرهما وجهت إلى تلك المواضع التى فارق فيها أبو تمام « عمود الشعر المعروف » كما يراه الآمدى ، فى حين أن البحترى « لم يفارق عمود الشعر » .

وكانت أكثر ملاحظاته موجهة إلى اختلاف مذهبيهما فى معالجة الصياغة الشعرية ، وقد أوضح هذا حين تحدث عن أثر هذه الصياغة فى إضاءة المعنى وذلك حين قال : « وينبغى أن تعلم أنّ سوء التأليف ورداءة اللفظ ، يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحوج مُسْتَمِعَهُ إلى طول تأمل ، وهذا مذهب أبى تمام فى عظم شعره ، وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا ، حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى ، ولهذا قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام » [١] ، فمعانى

---

(١) الموازنة : ٤٢٥/١ .

أبى تمام عميقة ، تحتاج إلى طول تأمل ، والآمدى يراها بهذا مفسودة ومعماة ، أما معانى البحترى فقريبة مكشوفة .

ويتضح هذا جليا عند تعليقه على محاولة أبى تمام تخطى المعنى القريب المتعارف عليه ليصل إلى معنى آخر يبنى على تصور مجازى ، فعن علاقة الوعد بالإنجاز يقول معلقا على بيت أبى تمام :

إذا مارحىً دارت أدرَّتْ سَماحَةً رحى كلِّ إنْجازٍ على كُلِّ مَوْعِدِ

« وهذا إتلاف الموعد وإبطاله ، لأنه جعله مطحونا بالرحى ، وإنما ذهب إلى أن الإنجاز إذا وقع بطل الوعد ، وليس الأمر كذلك ، لأن الوعد ليس بضد للإنجاز ، فإذا صح هذا بطل ذاك ، بل الوعد الصادق طرف من الإنجاز وسبب من أسبابه ، فإذا وقع الإنجاز فهو تمام الوعد ، وتصحيح له وتحقيق وتصديق ، فهو فى هذه الاستعارة غالط » ثم يقول : « ألا ترى إلى البحترى كيف كشف عن هذا المعنى ، وجاء بالأمر من فَصِّهِ فقال :

يُوليكِ صَدْرَ اليومِ قاصِيةَ الغِنَى بمواهِبٍ قَدْ كُنَّ أَمْسِ مواعِدا

فبطلان الموعد هو بطلان الشيء الذى الموعد واقع به ، وصحته هو صحة ذلك الشيء ، ثم أتبع البحترى هذا البيت بأن قال :

سَوْمُ السحائِبِ ما بدأْنَ بوارِقاً فى عارِضٍ إلا انْثَنَيْنَ رواعِدا [(١)]

فأبو تمام لم يقنع بالمعنى القريب الراسخ فى الأذهان للعلاقة بين الوعد والانجاز ، ولم يقتصر على المعادل القريب البسيط لهذه العلاقة ، بل ألبسه صورة مجازية استدعتها معاناته فإذا بهذا المعنى يتحور ويعمق ، وتنحل بعض المعادلات المعجمية للألفاظ – ظاهرا فقط – فلم يعد الوعد طرفا من الإنجاز ، وسببا من أسبابه ، ولا صار الإنجاز تصحيحا للوعد وتصديقا له ، كما هو المعنى القريب المكشوف الذى جاء به البحترى من « فَصِّهِ » ، بل صارت العلاقة بينهما قريبة من

---

(١) الموازنة : ٢٣٢/١ .

التضاد والتناقض ، وهو ما نفر منه الآمدى ، فعلى حين كانت طريقة البحترى مألوفة وعلى مذهب الشعراء والناس ، تفرد أبو تمام بمذهب آخر فى الحفر عن المعنى ، فليس من الواجب أن يكون الوعد دائما طرفا من الانجاز وسببا من أسبابه ، إذ على سبيل التوسع فى المجاز يكون الوعد مغايرا للإنجاز ، ويكون كذلك ، عندما يصبح ثقيل الوطأة على طالب الرفد ، فيتمنى أن يأتى الإنجاز فيقضى عليه ، وأبو تمام أحد طلاب الأعطيات تصطرع فى قلبه تلك المعانى ، فيعبر عنها بصورة قد لا يفهما إلا من يدرك معاناته .

وإذا كانت الاستعارة من المجاز الذى طرقه الشعراء العرب ، فإنهم لم يتجاوزا بها إلى ما فعله أبو تمام ، فهم قد التزموا بالمقاربة والمناسبة والمشابهة اللائقة بين المستعار والمستعار له ، وهذا ما فعله البحترى حين قال يصف المطر والروض (1) :

أَسْقَى دِيارَكِ والسُّقيا تقلُّ لها ... إغْزارُ كُلِّ مُلِثِّ الوَدْق ثَجَّاجِ
يُلْقِى على الأرضِ من حَلْىٍ ومن حُلَلٍ ... ما يُمْتِعُ العَيْنَ من حُسْنٍ وإبْهاجِ
فصاغَ ما صاغَ من تِبْرٍ ومِنْ وَرِقٍ ... وحاكَ ما حاكَ من وَشْىٍ ودِيبَاجِ

ولكن أبا تمام عالج هذا فسلك سبيلا آخر ، وهو التشخيص قال (2) :

إذا غازل الروضُ الغَزالَةَ نُشِّرَتْ ... زَرابِىُّ فى أَكْنافِهِمْ ودَرانِكُ
إذا الغَيْثُ غادَى نَسْجَهُ خِلْتَ أَنَّهُ ... مَضَتْ حُقْبَةٌ حَرْسٌ لَهُ وَهْوَ حائِكُ

فنفر منه الآمدى وقال : « فأما جعله الغيث كأنه كان حائكا ، فمن مضاحيك معانيه وألفاظه » (3) ، فاستخدام معنى « الحوك » لدى الشاعرين ينبئك بالفرق بين منهجيهما ، فالبحترى جاء بالفعل الماضى من « الحوك » بعد أن قدّم له بالشطر الأول ما يبعده عن أية صورة خيالية عميقة فقال « فصاغ ما صاغ ... »

---

(1) ديوان البحترى : ٤١١/١ .

(2) شرح التبريزى : ٤٥٧/٢ .

(3) الموازنة : ٥٢٦/١ .

فصارت الصورة سطحية ساذجة ، أما أبو تمام فجعل الغيث ناسجا ، فشخصه ، ثم جعله حائكا فى كل وقت ، وقد لحظ عبد القاهر معنى للبيت هو أقرب إلى الصحة فى رأيى ، فإذا كان « الآمدى قد ظنّ أن غرض أبى تمام فى قوله : « وأنشد البيت » ، أن يقصد « بخلت » إلى الحوك وأنه أراد أن يقول « خلت الغيث حائكا » فذلك سهو منه ، لأنه لم يقصد « بخلت » إلى ذلك ، وإنما قصد أن يقول : إنه يظهر فى غداة يوم من حوك الغيث ونسجه بالذى ترى العيون من بدائع الأنوار وغرائب الأزهار ، ما يتوهم معه أنّ الغيث كان فى فعل ذلك ، وفى نسجه وحوكه حقبا من الدهر ، فالخيلولة واقعة على كون زمان الحوك حقبا ، لا على كون ما فعله الغيث حوكا ، فاعرفه » [1] .

والذى كان يثير حفيظة الآمدى ذلك التشخيص الذى كان أبو تمام كثير الاتكاء على نفسه فيه ، وكان يهتم بتشخيص المجردات وتجسيمها اهتماما كبيرا ، كالدهر والزمن ، والأمل ، والبين والمنايا ، والكرم ، والوعد ، وغيرها من المعانى العقلية ، والقارىء لشعره يرى هذا واضحا بينا فيه فمن قوله فى الوعد :

إذا وَعَدَ انهلَّتْ يَدَاهُ فأهْدَتَـــا ... لكَ النُّجْحَ مَحْمُولاً على كاهِلِ الوَعْدِ [2]

وفى خطوب الدهر قال :

تَروحُ عَلَيْنا كُلَّ يومٍ وَتَغْتَدِى ... خُطوبٌ كأنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ [3]

وفى الدهر قال :

أَلَا لا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفاً بسيِّءٍ ... إلى مُجْتَدِى نَصْرٍ فتُقْطَعْ مِنَ الزَّنْدِ [4]

---

(١) دلائل الاعجاز ، تحقيق الأستاذ / محمود شاكر ص ٥٥٤ .

(٢) شرح التبريزى : ١١٣/٢ .

(٣) شرح التبريزى : ٣٢٤/٢ .

(٤) شرح التبريزى : ٦٤/٢ .

وقال فى الأمانى (١) :

يا يَوْمَ وقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ أنصرفَتْ عَنْكِ المُنَى حُفَّلاً مَعْسولةَ الحَلَبِ

وقال فى المَوْتِ والأَجَلِ (٢) :

جَلَّيْتَ والموتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ وقَدْ تَفَرْعَنَ فى أَوْصالِهِ الأَجَلُ

وقال الآمدى معلقا على مثل تلك الصور : « وهذه استعارات فى غاية القباحة والهجانة والبعد عن الصواب » (٣) .

فمثل هذه الصور كانت غير مألوفة فى ذهن الآمدى ، ينفر منها ذوقه إذ إن محاولة الشاعر إضفاء صفات التشخيص على المجردات ، وصولا إلى تجويز الصفات المحسوسة عليها كى يمكن تصورها فى الذهن ، ضد ما عليه العرب ، كما إنه يرى أن هذا الطريق ، طريق عىّ وسخف يقول فى « كتاب البأس والنجدة » :

قال أبو تمام :

مَكْرُهُمْ عِنْدَه فَصيحٌ وإنْ هُمْ خَاطَبوا مَكْرَهُ رَأَوْهُ جَلِيبَا

فجعل المكر يخاطب وجعله أعجميا ، ودلّ على عجمته بالجَلَبِ ، وما أظن أنّ أبا العبر لو تعمّل للسخف كان ينتهى إلى هذا الحد » (٤) .

أما البحترى فلم تكن استعاراته تخرج عن الاستعمال المعتاد ، بعيدة عن العمق والثراء ، فهى ككل وظيفة ذهنية تعتمد على إعمال الفكر كان حظ البحترى منها متواضعا فعلى حين قال أبو تمام :

جَمُّ التَّواضُعِ والدُّنْيا بسُؤْدُدِهِ تكَادُ تَهْتَزُّ من أقطارِها صَلَفَا (٥)

---

(١) شرح التبريزى : ٤٦/١ .

(٢) شرح التبريزى : ١٦/٣ .

(٣) الموازنة : ٢٦٧/١ .

(٤) الموازنة : ٢٨٩/٣ .

(٥) شرح التبريزى : ٣٦٤/٢ .

قال البحترى :

أَبْدَىٰ التَّواضُعَ لمَّا نَالَها رِعَةً   عنَها ونَالَتْهُ فاخْتالَتْ بِهِ تِيها [1]

وحين قال أبو تمام :

تكـادُ مغانِيـهِ تَهِش عِرَاصُهـــا   فَتَرْكَبُ من شَوْقٍ إلى كُلِّ رَاكِبِ [2]

قال البحترى :

فَلَوَ انَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ غَيْرَ ما   فِى وُسْعِهِ لَمشَىٰ إلَيْكَ المِنْبَرُ [3]

وقال أبو تمام :

مَجْدٌ رَعَى تَلَعاتِ الدَّهْرِ وَهْوَ فَتىً   حَتَّى غَدا الدَّهْرُ يَمْشى مِشْيَةَ الهَرِمِ [4]

فقال البحترى :

صَحِبوا الزَّمانَ الفَرْطَ ، إلا أنَّهُ   هَرَمَ الزَّمانُ وعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمِ [5]

وهذه الصور توافق الذوق المحافظ للنقاد القدماء ، ولهذا كان الآمدى كثيرا ما ينحاز إلى طريقة البحترى فنجده يقول [6] :

« وقول أبى تمام ، وإن كان فيه دقة وصنعة ، فهذا عندى أولى بالجودة وأحلى فى النفس وألوط بالقلب وأشبه بمذاهب الشعراء . فطريقة القدماء فى الإخبار عن الشيء على ما هو ، هى طريقة البحترى والتى بها كان يعفى على كل بديع واستعارة إذا اعتمدها ، وذلك لحسن عبارته وتلخيصه » [7] .

هذه البساطة والسذاجة فى تناول صور الاستعارة جعلت أحد دارسى شعره لا يعدها من كبير مقومات صناعته [8] .

---

(١) ديوانه : ١٤٢١/٤ .

(٢) شرح التبريزى : ٢٠٤/١ .

(٣) ديوانه : ١٠٧٣/٢ .

(٤) شرح التبريزى : ١٨٧/٣ .

(٥) ديوانه : ٢٠٨٤/٤ .

(٦) الموازنة : ٥٠٠/١ .

(٧) الموازنة : ١٢٤/٢ .

(٨) شعر البحترى دراسة فنية د. خليفة الوقيان ص ٢٦٩ .

وقد لاحظ الآمدى مذهب أبى تمام فى استخدام البديع من جناس وطباق ومقابلة ، حيث إنه – جريا على طريقته – لا يقنع بالاستخدام النمطى لهذه المحسنات – كما يفعل البحترى – بل جعله عشقه لنوافر الأضداد يتجاوز بفكرة التضاد المعنى المباشر ، ليصل إلى ما يمكن أن يحتمله المعنى فيخلق نوعا من المطابقة العقلية ، فتكون العلاقة بين قسمى الصورة ، علاقة غير مباشرة – ظاهريا فقط – ولكنها ملحوظة فى المعنى ، ويرفض الآمدى هذا الأسلوب ، ويقارن بينه وبين طريقة ومذهب البحترى ، ويدعو إلى استعمال الطباق ذى المعنى المباشر ، فيقول معلقا على بيت أبى تمام :

فأنْتَ الذى تُسْتَنْطَقُ الحَرْبُ باسْمِهِ إذا جاضَ عن حَدّ المَنِيَّةِ جَائِضُ

« قوله : « وأنت الذى ... » ليست قسمته مع عجز البيت قسمة مؤتلفة على ظاهر اللفظ ، وإنما يأتلف المعنى عند التأول ، وكان اللفظ يحسن فى القسمة لو قال : أنت الذى **تُستَنْطَقُ** الحربُ باسمه إذا كان اسم غيرك **يُخْرِسها ولا ينطقها** ،وإنما يريد يوريها ويشعلها ، أو أن يقول :

فأنت الذى تَغْشَى الأسِنَّة مُقْدِماً إذا جاض عن حَدِّ المنيَّةِ جَائِضُ

والقسمة الصحيحة فى هذا قول البحترى :

إذا خَرِسَ الأبْطالُ فى حُمُسِ الوَغىٰ عَلَتْ فوقَ أصْوَاتِ الحَديدِ زَماجِرُهْ »(١)

فانظر إلى طريقة البحترى ، وكيف جاءت بسيطة ساذجة ، فلا يعمد إلى تناول معنى اللفظ إلا من خلال انعكاساته فى الذهن ، فلا يكد نفسه ، بل يقف عند ظاهر المعنى ، وهذا الفن – وهو الطباق – ميدان فسيح للابتكارات الذهنية العميقة ، لاعتماده على فكرة التضاد ، وما فيها من صراع بين المتناقضات ، وفيها يكمن سر حركة الحياة ، والبحترى لا يلتفت إلى هذا ، بل يكفيه أن يورد لفظا ثم يورد نقيضه ، بأسلوب معجمى مسطح ، وأمثلته فى ديوانه قليلة وإليك بعضها (٢) :

---

(١) الموازنة : ٣/٣١٦ .

(٢) ديوانه : ٢/٦٦٢ .

والدَّهْرُ لَوْنَانِ فَهَلْ مُخْلِقٌ أَبْيَضَه باللُّبْسِ أم أَسْوَدَهْ
يا هَلْ تُرىٰ مُدْنِيَةٌ لِلهوىٰ « بِمَنْبِجٍ » أَيَّامُهُ المُبْعَدَهْ ؟
نَشَدْتُ هذا الدَّهْرَ لمَّا ثَنَى يُصْلِحُ من شأنى الذى أَفْسَدَهْ
مَذَمَّـــةٌ مِنْـــهُ تَغَمَّدْتُهـــا بالصَّبْرِ حَتَّى خُيِّلَتْ مَحْمَدَهْ
فَرَّقَ بين النَّاسِ فى نَجْرِهِمْ ما يُعْظِمُ العَبْدُ لَهُ سَيِّدَهْ
وأَنْجُمُ الأُفْقِ نِظَامٌ ، خَلا ما خَالَفَتْ أَنْحُسُهُ أَسْعُدَهْ

وقال [١] :

مِنِّيَ وصْلٌ ومِنْكَ هَجْرٌ وفِيَّ ذِلٌ وفيكَ كِبْرُ
وما سَوَاءٌ إذا الْتَقَيْنَا سَهْلٌ علىٰ خُلَّةٍ وَوَعْرُ
إنيّ وإنْ لَمْ أَبُحْ بِوَجْدِى أُسِرُّ فيكَ الذى أُسِرُّ
قَدْ كُنْتُ حُرّاً وأنتَ عَبْدٌ فَصِرْتُ عَبْدًا وأَنْتَ حُرُّ
أنتَ نَعيمِى وأنتَ بُؤْسِى وقَدْ يَسُوءُ الذى يَسُرُّ

ويعلق د. شوق ضيف على أبياته الأخيرة فيقول : « فإنك تجد فيها الطباق الذى عرف به البحترى ، ولكنه طباق ساذج لا تعقيد فيه ، ولا تعب ولا عناء ولا مشقة ، طباق ضحل بسيط ، هو أشبه ما يكون بتداعى المعانى ، فلا خيال ولا عمق ولا فكرة » ، ويسميه « طباق الذاكرة » ، « فهو يذكر الوصل فيأتى الهجر ، وهو يذكر الذل فيأتى الكبر ، هو يذكر السهل فيأتى الوعر » [٢] .

وتأتى الأمثلة التى استخرجها د. خليفة الوقيان من شعر البحترى لتؤكد طريقة البحترى التى أشار إليها د. شوق ضيف آنفا [٣] ، ويظهر هذا جليا لو قارنت هذه الأمثلة بطباق أبى تمام ، ففى وصف أبى تمام لموقعة عمورية يقول [٤] :

---

(١) ديوانه : ٢/١٠٥٠ .
(٢) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٣) شعر البحترى - دراسة فنية ص ٢٥٩ وما بعدها .
(٤) شرح التبريزى : ١/٥٣ .

لَقدَ تَرَكْتَ أَميرَ المُؤمنينَ بِها　　　للنّارِ يوماً ذليلَ الصّخر والخَشَبِ
غادرْتَ فيها بَهِيمَ اللّيلِ وَهْو ضُحىً　　　يَشلُّهُ وَسْطها صُبْحٌ من اللَّهَبِ
حتَّى كأنَّ جَلابيبَ الدُّجىٰ رَغِبَتْ　　　عن لَوْنِها وكأَنَّ الشَّمْسَ لم تَغِبِ
ضوءٌ من النَّارِ والظَّلْماءُ عاكِفَةٌ　　　وظُلْمةٌ من دُخانٍ في ضُحًى شَحِبِ
فالشَّمْسُ طالِعةٌ من ذا وقد أَفَلَتْ　　　والشَّمْسُ واجِبَةٌ من ذا ولم تَجِبِ
تَصرَّحَ الدَّهْرُ تَصْريحَ الغَمامِ لهَا　　　عن يَومِ هَيْجاءَ مِنها طَاهِرٍ جُنُبِ
لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ فيه يوم ذاكَ على　　　بانٍ بأَهْلٍ ولم تَغْرُبْ على عَزِبِ
ما ربعُ مَيَّةَ مَعْمُوراً يُطيفُ بهِ　　　غَيْلانُ أَبْهىٰ رُبىً من رَبْعِها الخَرِبِ
ولا الخُدودُ وقد أُدْمِينَ من خَجَلٍ　　　أَشْهىٰ إلى نَاظرٍ من خَدِّهَا التَّرِبِ
سَماجَةٌ غَنيتْ مِنَّا العيونُ بِها　　　عن كُلِّ حُسْنٍ بَداً أو مَنْظَرٍ عَجَبِ
وحُسْنُ مُنْقَلبٍ تَبدو عَواقِبُهُ　　　جاءتْ بشَاشَتُهُ من سُوءِ مُنْقَلَبِ

وقال (1) :

فاطلبْ هدوءاً بالتَّقَلْقُلِ واستَثِرْ　　　بالعِيسِ من تَحْتِ السُّهادِ هُجودا

وقال (2) :

سأَجْهِدُ عَزْمِي والمَطَايَا فإنَّني　　　أَرى العَفْوَ لا يُمْتاحُ إلا من الجَهْدِ

وقال (3) :

قَدْ يُنْعِمُ اللّهُ بالبَلْوى وإن عَظُمتْ　　　ويَبْتَلي اللّهُ بعضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ

وقال (4) :

هي البَدْرُ يُغنيها تَوَدُّدُ وَجْهِها　　　إلى كلِّ من لاقَتْ وان لمْ تَوَدَّدِ

---

(1) شرح التبريزى : ٥٣/١ .

(2) شرح التبريزى : ١١٢/٢ .

(3) شرح التبريزى : ٢٨٠/٣ .

(4) شرح التبريزى : ٢٣/٢ .

ولكنّنى لم أَحْو وَفْرًا مُجمَّعًا ففُزْتُ بِهِ إلاّ بشَمْلٍ مُبَدَّدِ
ولم تُعْطِنى الأيّامُ نَوْماً مُسكناً أَلَـذُّ بِهِ إلّا بِنَـوْمٍ مشرَّدِ
وطولُ مقامِ المَرْءِ فى الحَىِّ مُخْلِقٌ لديبَاجَتَيْـهِ فاغْتَـرِبْ تَتَجـدَّدِ

وأمثلة هذا الفن كثيرة عند أبى تمام ، غنية عميقة ، لا تكاد تخلو قصيدة له من عدة أبيات استخدم فيها هذا المحسن استخداما مبتكرا ، فهو فى قصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر ، ومطلعها [1] :

هُنَّ عوادى يُوسفٍ وصواحِبُهْ فَعزْماً فَقِدْماً أَدْركَ السُّؤْلَ صَاحِبُهْ

يكاد لا يخلى بيتا من صورة ذهنية تعتمد فكرتها الأساسية على هذا التضاد والصراع ، الذى استحال عنده إلى طريقه للتفكير ، فأصبحت وظيفة المحسن البديعى التعبير عن فكرة عميقة ، بعد أن كان زينة لفظية ، وكأنه كان يرى فى هذا الطباق ما يتفق مع ذلك الصراع الذى يشتعل فى فكره ومشاعره ، فيخلطه ويمزجه بالصورة ، ليضيف إليها بعدا آخر فيه حيوية دافقة ، فتجعل المعنى محمولا على قوة التناقض والصراع ليستثير الفكر ويدعوه إلى التصور والتخيل ، فيستحيل إلى قوة خلاقة ، وكأنه بهذا الاستخدام يشير بطرف خفى إلى أن الحياة مليئة بالصراع الذى ينتهى إلى نتائج متناقضة موت وحياة ، وكأنها حلقة لا يعرف لها نهاية فهى فى ظاهرها دور فلسفى تتوالد فيه النتائج لتتحول إلى مقدمات فى حركة مستمرة .

وإذا كان البحترى لم يستطع أن يجارى أبا تمام فى هذا المركب الوعر ، فإنه قد برّز فى جانب فنى آخر لم يستطع أحد أن يباريه فيه ، وهو الموسيقى الشعرية ، فقد التفت النقاد إلى هذا الجانب عند دراستهم لشعره ، ولا حظوا تلك الموسيقية الشعرية التى تنساب فى ألفاظه وهى واضحة جلية تتخلل أبنيته وعباراته ، إذ إن البناء الشعرى عنده استحال إلى فن صوتى فى المقام الأول ، تهزك رقة ألحانه وعذوبتها وتشعر بذلك الترابط الحميم بين نغمات ألفاظه ، فالبحترى من هذه الناحية فنان عازف

---

(١) شرح التبريزى : ٢١٦/١ .

لموسيقى غنائية مطربة ، وقد تجلت شاعريته الفذة فى هذا الجانب ، وحاول بعض النقاد الوصول إلى سر هذه الظاهرة فى شعره ، وأشهرهم ذلك المعجب الكبير الآمدى الذى تحدث عن حسن الرصف وصحة السبك وحسن الديباجة وحلو الكلام وكثرة الماء والرونق فى شعر البحترى [١] .

وقال بعضهم إنه أراد أن يشعر فغنى [٢] ، وحاول بعض الدارسين المحدثين بحث هذه الظاهرة فى شعره [٣] وكان أكثرهم توفيقا فى هذا د. شوقى ضيف إذ حاول أن يكشف عن ذلك التناغم الموسيقى الذى يتردد بين ثنيّات أبياته ، « فالبحترى كان يعرف كيف يلائم بين ألفاظه ، وكيف يرشح لقوافيه ، وكيف يهيىءُ لها مكانها ، ويصف الآذان للقائها » ، ويعلق على قصيدته التى مطلعها :

لى حَبِيبٌ قد لَجَّ فى الهَجْرِ جِدًّا وأعادَ الصدودَ مِنْهَ وأَبْدَا [٤]

ويقول فيها :

ذو فُنونٍ يُرِيكَ فى كُلِّ يومٍ خُلُقاً من جَفائِهِ مُسْتَجَدًّا
يَتأَبَّى مَنْعًا ويُنْعِمُ إسْعا فًا ، ويَدْنو وَصْلاً ، ويَبْعُدُ صَدًّا
أَغْتَدِى رَاضِيًا وقد بِتُّ غَضْباَ نَ ، وأُمْسِى مَوْلًى ، وأُصْبِحُ عَبْدا

« فأنت تراه يبدأ فيوفق بين الشطرين فى المطلع ، ويجعلهما مصرعين هذا التصريع الذى كان يعجب به أصحاب البيان ، ولا يكتفى بذلك بل نراه يلائم بين الحروف فى الشطرين ، فقد تكررت الجيم فى الشطر الأول ، كما تكررت الدال فى الشطر الثانى ، فأحدث ذلك توافقا صوتيا بين الكلمات ... وانظر إلى قوافى الأبيات كيف أحكم قرارها ، فقد تتابعت منسقة تنسيقا جيدا وهاهى « أبدا ، صدا ،

---

(١) الموازنة : ٣/١ ، ٥ .

(٢) المثل السائر : ٢٢٧/٣ .

(٣) انظر : من حديث الشعر والنثر د. طه حسين ص ١٢٢ موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس ٤٦ ، ١٩٦ .

(٤) ديوانه : ٧١١/٢

عبدا ، أعدى ، فردا ، وردا ، عهدا ، تهدا ، ندا ، قدا » فإنك تراها متحدة فى عدد حروفها وحركاتها وسكناتها وسمى أصحاب البديع ذلك بالتطريز ، وهو وشى غريب » [1] .

وحلل نماذج أخرى من شعره ، ومنها قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى ، التى تجلت فيها شاعريته فى تلك الترددات الموسيقية وبراعته فى اختيار الألفاظ ، وتوزيع مقاطعها مؤلفا نغما يهز النفس فيطربها حينا ويشجيها حينا آخر .

كانت تلك أهم ملامح الفن الشعرى عند أبى تمام والبحترى ، لخصته فى هذه العجالة واتكأت فيها على رأى الآمدى فيهما من خلال دراسته لشعرهما فى كتابه هذا ، التى وضع لها مقاييس التزم بها فى أكثر آرائه النقدية .

* * *

(١) الفن ومذاهبه ص ٨٣ وما بعدها .

الفصل الثالث

كتاب الموازنة والنَّقْد العربى

١ - النقاد الأقدمون

يبدو أنّ كتاب الموازنة بما طرحه من قضايا نقدية كان أهمها الدفاع عن حرمة القديم وقدسيته ، قد لفت الأنظار إلى أهمية المنهج الذى يعتمد على التحليل والتعليل للدفاع عن أية قضية نقدية ، وبدأ الاهتمام بالناحية التطبيقية فى الدراسات النقدية ، وسأعرض فى عجالة (١) لأهم تلك الدراسات التى ظهر فيها أثر كتاب الموازنة ، وأولها كتاب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى (ت ٣٩٢) ، والعنوان يدل على طلب العدل وتوخى الإنصاف ، وهى الفكرة التى بدأ بها الآمدى كتابه عندما قال : « وقد رسمت من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة وأحسن فى اعتماد الحق وتحرى الصدق وتجنب الهوى والمعونة بمنه ورحمته » (٢) وتبعه القاضى الجرجانى فى وساطته فقال : « إنه يحظر إلا اتباع الحق وتحرى العدل » (٣) . وإذا كان الآمدى حاول جهده أن يكون منصفا – على الرغم من تلك الهنات التى ظهرت فى تقريعه لأبى تمام عندما كان يخرج على طريقة العرب ، ويفارق عمود الشعر – فإن القاضى الجرجانى تعصب لصاحبه « المتنبى » فى مواجهة خصومه ، وتبقى القضايا النقدية التى عالجها والأبيات التى تعرض لها لا تكاد تخرج عن طرح الآمدى وآرائه ، فهو قد اعتمد مقاييس الآمدى فى الاستعارة والسرقات الشعرية (٤) .

---

(١) آثرت أن أختصر الحديث فى هذا الموضوع ، حيث إن الأستاذ / محمد على أبو حمدة قد أسهب فى دراسة هذا الجانب فى كتابه « أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة » .

(٢) الموازنة : ١/٣ .

(٣) الوساطة : ص ٢٠ .

(٤) انظر الوساطة : ٤٢٩ وما بعدها ، ١٨٣ وما بعدها .

وجاء أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥) فى (الصناعتين) فنقل من كتاب الموازنة نصوصا كاملة دون أن ينص عليها ، بل لم يذكر الآمدى ، مع انتشار نصوص من الموازنة فى كتابه بصورة ملفتة للنظر ، وكأنها من عبارة أبى هلال بينما هى بنصها وشواهدها فى كتاب الموازنة ، والظاهر أن كتابه (الصناعتين) عبارة عن نصوص ملفقة من كتب اطلع عليها وكانت متداولة فى عصره ككتاب طبقات الشعراء لابن سلام ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والمعانى الكبير لابن قتيبة ، والبديع لابن المعتز ، وكتب اخرى [١] .

ويأتى الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) فى كتابيه الأمالى ، وطيف الخيال فيرد على الآمدى ويقف منه موقفا عنيفا ، فيسفه آراءه ويتهمه بالتعصب ، وبقلة نقد الشعر ، فعندما يقرظ الآمدى بعض أبيات لأبى تمام يرد عليه الشريف قائلا : « هذا مدح تكلفته ، وما نراك إذا أعجبك أو أطربك معنى للبحترى تقتصر على هذا القدر من المدح ... » [٢] ، ويرى أن طعن الآمدى على بعض الأبيات لأبى تمام من « قبح العصبية » وهو « عصبية ظاهرة » [٣] .

ويلاحظ الشريف أن الآمدى يقيس المعانى الشعرية بأقيسة منطقية فيقول : « إن الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه فى كلامه التحقيق والتحديد فإن ذلك متى اعتبر فى الشعر بطل جميعه ، وكلام القوم مبنى على التّجوز والتوسع والإشارات الخفية والإيماء على المعانى تارة من بعد وأخرى من قرب ، لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق ، وإنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم » [٤] .

وقد يكون للمرتضى الحق فى هذا التوجيه ، إذ كانت مقاييس الآمدى وخاصة فى الاستعارة والمجاز يغلب عليها الجانب المنطقى الذى يبحث فى الصورة عن المعادل الواقعى .

---

(١) انظر مقدمة المحقق .

(٢) طيف الخيال : ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٩ ، ٢٠

(٤) أمالى المرتضى : ٩٥/٢ .

ولكن الشريف أبعد فى تحامله عليه عندما اتهمه « بقلة نقد الشعر وضعف البصيرة بدقيق معانيه التى يغوص عليها حذاق الشعراء » (١) ، وهو ميدان شهد للآمدى فيه بصحة الذوق وسلامة النقد كثير من النقاد والعلماء ، وعلى الرغم من أن كتاب الموازنة قد حفل بالعديد من النظرات والآراء والتحليلات النقدية التى كان عمادها الذوق السليم والتى كشفت عن موهبة الآمدى الراقية فى نقده لشعر أبى تمام والبحترى إلا أن الشريف يقول : « وما رأيت أشد تهافتا فى الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين » (٢) .

ويرد على الآمدى قائلا : « فأما قول الآمدى إن النفوس هى التى تجتمع وتلتقى ويتمثل لها ما تتمثله فى يقظة أو نوم ، وإن نفس الإنسان هى التى تنام واستشهاده بالآية (٣) مما كان ينبغى له إلا يخوض فيه ، وألا يدخل نفسه فى مثله ، فإنه ليس من عمله ، ولا مما له به علم ولا معرفة ، وترك الإنسان الدخول فيما لا يعرفه أستر عليه » (٤) ويقول : « والآمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب على علوم العرب ، إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف » (٥) .

ولا نعرف سببا لهذه العصبية إلا أن تكون تأثرا باستاذه المرزبانى الذى تتلمذ على يديه فى الشعر والأدب (٦) ، والمرزبانى تلميذ وراوية لأبى بكر الصولى (٧) ، وقد مثل الصولى والآمدى طرفين مختلفين فى ذلك العصر كما يرى د. طه الحاجرى (٨) ، وتعكس اللهجة التى تحدث بها الآمدى عن الصولى عمق ذلك التناقض (٩) .

---

(١) أمالى المرتضى : ٦١٣/١ .
(٢) المصدر السابق : ٦٢٦/١ .
(٣) الموازنة : ١٨٢/٢ .
(٤) طيف الخيال : ص ٥٠ .
(٥) الأمالى : ٦٢٤/١ .
(٦) مقدمة طيف الخيال ص ١٤ .
(٧) راجع الموشح ، ومقدمة كتاب الأوراق لهيورث دن ص : ى .
(٨) الآمدى وكتاب الموازنة بحث للدكتور طه الحاجرى ص ٢٦ .
(٩) انظر الموازنة : ٢١٦/١ ، ٤١٦ .

أما أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦ هـ) ، فقد كان من العلماء النقاد الذين عرفوا للآمدى قدره ، وأثنوا عليه ، وقرظوا آراءه واستشهد بنقول من كتابه (الموازنة) فى عدة مواضع من كتابه (سر الفصاحة) ، فهو يعلق على نقد الآمدى لقول أبى تمام :

طَلَلَ الجميعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدا وكَفَى علىْ رُزْئِي بِذاكَ شَهِيدا [١]

فيقول : « وهذا الذى ذكره الشيخ أبو القاسم رحمه الله قول مثله من يتقدم الناس فى هذا العلم ودقيق النظر فيه وكشف أسراره » [٢] . وهو إن عارضه فى رأى ، أو احتج عليه فى نظر قدم بين يدى معارضته ما يؤكد احترامه له والأعتراف بفضله . فعندما أثنى الآمدى على بيت امرىء القيس :

فقلت له لَمَّا تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

وقال : إن هذه الاستعارة فى غاية الحسن والجودة والصحة [٣] . رد عليه الخفاجي قائلا : « وهذا الذى قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى ، ولو كنت أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة ، أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم ، لصحة فكره ، وسلامة نظره وصفاء ذهنه وسعة علمه ، لكننى أغلب الحق عليه ، ولا أتبع الهوى فيما يذهب إليه » [٤] .

وهو إن رأى فى بعض اعتراضات الآمدى على أبى تمام شيئا من عصبية أو تحامل ، ذكر هذا دون أن يتعدى إلى ذم الرجل أو تسفيه رأيه ، فهو يجد فى رأى الآمدى فى بيت أبى تمام :

مُسَودُّ شَطْرٍ مثل ما اسْوَدَّ الدُّجىٰ مُبيضُّ شَطْر كابْيِضَاضِ المَهْرَقِ [٥]

---

(١) الموازنة : ٢١٦/١ .

(٢) سر الفصاحة : ص ١٠٥ .

(٣) الموازنة : ٢٦٦/١ .

(٤) سر الفصاحة : ص ١١٢ .

(٥) الموازنة : ٣٩٧/٣ .

تحاملاً على أبي تمام [1] .

وقد بان الآن الفرق بين موقف ابن سنان الخفاجي وموقف الشريف المرتضى من الآمدى وآرائه ، وظهر بوضوح تعصب الشريف عليه .

وأما عبد القاهر الجرجاني (٤٧١) فيعتمد في كتابيه (دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة) بعض آراء الآمدى ويستشهد بها [2] ، ولكنه فى موضوع السرقات الشعرية كانت نظرته إلى المعانى الشعرية تختلف عن نظرة من سبقه وبينهم الآمدى ، فقد استطاع أن يضع حدا فاصلا بين الأخذ والسرقة ، فأما الأخذ فهو أمر غير منكر من الشاعر عندما يأخذ معنى من المعانى الانسانية ثم يضيف إليه بصياغة جديدة فهو يقول : « وأعلم أن المشترك العامى والظاهر الجلى ، والذى قلت إن التفاضل لا يدخله ، والتفاوت لا يصح فيه ، إنما يكون كذلك ما كان صريحا ظاهرا لم تلحقه صنعة ، وساذجا لم يعمل فيه نقش ، فإذا ركب عليه معنى ، ووصل به لطيفة ودخل إليه من باب الكناية والتعريض والرمز والتلويح ، فلقد صار بما غير من طريقته واستؤنف من صورته ، واستجد له من المعرض وكُسِيَ من دَلِّ التعرض داخلا فى قبيل الخاص الذى يُتَملَّك بالفكر والتعمل ، ويتوصل إليه بالتدبر والتأمل » [3] .

فمقياس الآمدى فى أن السرق لا يقع فى العام المشترك والمعنى المتداول المعروف يجب ألا يؤخذ على إطلاقه ، فقد يعمد الشاعر إلى معنى متداول معروف فيعبر عنه أحسن تعبير .

ويرد عبد القاهر على من قال : « بأن من أخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان أحق به » [4] – وهو المقياس الذى اعتمده الآمدى فى دراسة السرقات – قائلا :

---

(١) سر الفصاحة : ص ٢٣٣ .

(٢) راجع دلائل الاعجاز تحقيق الأستاذ/ محمود شاكر ص ٥٥٤ ، وأسرار البلاغة تحقيق هـ . ريتر : ٣٥٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٣) أسرار البلاغة : ٣١٥ .

(٤) أخبار أبى تمام ص ٥٣ .

« ومن أين يتصور أن يكون ها هنا معنى عار من لفظ يدل عليه ؟ ثم من أين يعقل أن يجيء الواحد منا لمعنى من المعانى بلفظ من عنده ، إن كان المراد باللفظ نطق اللسان ؟ ، ثم هب إنه يصح له أن يفعل ذلك ، فمن أين يجب إذا وضع لفظا على معنى أن يصير أحق به من صاحبه الذى أخذه منه ، إن كان هو لا يصنع بالمعنى شيئا ، ولا يحدث فيه صفة ، ولا يكسبه فضيلة ؟ وإذا كان كذلك فهل يكون لكلامهم هذا وجه سوى أن يكون اللفظ – فى قولهم : فكساه لفظا من عنده – عبارة عن صورة يحدثها الشاعر أو غير الشاعر للمعنى ؟ ، فإن قالوا : بلى يكون ، وهو أن يستعير للمعنى لفظا ، قيل : الشأن فى أنهم قالوا : إذا أخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده ، كان أحق به ، والاستعارة عندكم مقصورة على مجرد اللفظ ولا ترون المستعير يصنع بالمعنى شيئا ، وترون أنّه لا يحدث فيه مزية على وجه من الوجوه ، وإذا كان كذلك ، فمن أين – ليت شعرى – يكون أحق به ؟ فاعرفه » [١] .

وهكذا فرّق عبد القاهر بوضوح بين الأخذ والسرقة ، وهو ما فات الآمدى على الرغم من سلامة ذوقه فى نقده التطبيقى ، لاحتفاله بالمعنى واعتماده عليه فى تخريج السرقات .

أما أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير « ت ٦٣٧ » فإنه قد ذكر الآمدى فى كتابه « المثل السائر » فى عدة مواضع ، وأثنى عليه وعلى كتابه « الموازنة » ، وقال إنه لم يجد ما ينتفع فى علم البيان إلا كتاب الموازنة للآمدى ، وسر الفصاحة للخفاجى « غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا ، وأجدى محصولا » [٢] .

وكان يرى الآمدى « أثبت القوم قدما فى فن الفصاحة والبلاغة وكتابه المسمى بالموازنة بين الطائيين يشهد بذلك » [٣] .

---

(١) دلائل الاعجاز : ص ٤٨٣ .

(٢) المثل السائر ٣٦/١ .

(٣) المثل السائر : ١١٠/٢ .

وتتكرر آراء الآمدى عند ابن الأثير ، وخاصة فى الاستعارة [1] ويؤيده فى أهمية الذوق والفطرة للنفاذ إلى معرفة علم البيان [2] ، وأن طبائع الناس فى تعلم العلوم تختلف كلّ بحسب ما يؤديه إليه طبعه [3] ، وكذلك رد على قدامة بن جعفر فى تفسيره لمعنى (المعاظلة) و (المطابقة) بما هو فى الأصل من رأى الآمدى [4] .

* * *

(١) المصدر السابق : ١٣٣/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٣٨/١ ، ٣/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٤١/١ .

(٤) المصدر السابق : ٣٩٧/٢ ، ١٤٣/٣ .

٢ - كتاب الموازنة والنقاد المحدثون :

لقد كان ظهور كتاب الموازنة مطبوعا ووقوعه بين أيدى النقاد المحدثين حدثا هاما جعل الفئة العظمى منهم تنظر إلى أدب الأجداد نظرة إعجاب وإكبار ، فقد كان هذا الكتاب بالمقاييس الحديثة مدعاة فخر ، ومصدر اعتزاز بهذا التراث العظيم الذى يحق لهذه الأمة أن تتيه به اختيالا وعجبا على جميع الأمم ، فهو بلا ريب يعد « وثبه فى تاريخ النقد العربى ، بما اجتمع له من خصائص لا بما حققه من نتائج ، ذلك لأنه ارتفع عن سذاجة النقد القائم على المفاضلة بوحى من الطبيعة وحدها دون تعليل واضح » [١] .

وسأعرض هنا بايجاز بعض الجوانب التى ناقشها بعض النقاد المحدثين فى الموازنة ، والتى كان من مظاهر مناقشاتهم تلك ، أن برز منهم من قرظ الكتاب وأخلاه من كل عيب إلا اللمم ، ومنهم من أسقط كل قيمة فنية ونقدية له ، ومنهم من تعدى ذلك فجعله جسرا إلى النيل من أدوات النقد العربى ثم من الأدب العربى ، ويبقى الفريق الذى تحرى الموضوعية فذكر ما للآمدى وما عليه .

أما أولئك الذين ظلموه فى رأيى فقد تراوحت ادعاءاتهم بين نقد منهجه وادعائهم بتعصبه على أبى تمام ، وكان الدكتور شوقى ضيف من الذين نقدوا منهجه متبنيا اعتراضات طرحها الأستاذ طه ابراهيم ، فهما يعتقدان أنه قد تأثر بفكرة النقائض ، وقصة أم جندب [٢] ، وأرى أنه لا تثريب عليه إن تأثر بمناهج سبقته – إن عددنا تلك الظواهر مناهج فى النقد وهى بلا شك لا ترقى لأن تكون كذلك – فإنه لم يقم عليها لا يعدوها ، بل عدّل منها وحوّر ، فمنهجه فى كتابه لم يسبق إليه ، أما فكرة النقائض فهى طريقة ساذجة للمنابذة والمعارضة بين شاعرين لا تصلح لأن

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب د. إحسان عباس ص ١٥٧ .

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب طه ابراهيم ص ١٦٨ ، النقد د. شوقى ضيف سلسلة فنون الأدب العربى دار المعارف ص ٦٨ .

تطبق على الشعر كمنهج يمكن بواسطته الوصول إلى الجيد والردىء عند كل شاعر ، وقد أدرك الآمدى هذا فعدّل فى منهجه عندما قال : « وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى إليها المقصد وهى المرمى والغرض » (١) .

والآمدى يرى أنّ مدخل الموازنة هو المعانى خاصة ، ولكن الموازنة الفعلية تتم بين طريقة الصياغة عند كل منهما « ولما كانت طريقة الشاعر وجنس شعره على ما وصفته لا تبين إلا لطائفة من الناس ، وهم ذوو البلاغة ، وأهل الأطباع النقية والقرائح السليمة ، وكان من سواهم لا يعلمه ولاهم حملته حتى تقع الموازنة فيه بين بيت وبيت وبين معنى ومعنى ، وجب أن أعدل فى المراثى أيضا إلى انتزاع الأبيات المتفقة المعانى من كل قصيدة من قصائدهما ، وأنوعهما أنواعا ، وأوازن بين أبيات كل نوع ، على حسب ما فعلت فى الأبواب المتقدمة من هذا الكتاب حتى يظهر الفضل فى المعانى خاصة وبالله أستعين » (٢) .

وليس هذا عدولا عن المنهج ، وإنما دخولا حقيقيا فيه وتثبيتا لأركانه ، وتصحيحا لمساره ، فهو إن تأثر بأساليب كانت شائعة فى عصره ، فليس فى هذا ما يعيبه ، إلا إذا التزم بها ولم يحاول تخطيها .

أما الدكتور عبد القادر القط ، فإنه يرى أنّ الآمدى عندما عدل عن منهجه الذى وعد به فى بداية الموازنة « أسقط ما كان يمكن أن ينتهى إلى شىء من الدراسة المنهجية فى المقارنة بين قصائد كاملة ، واكتفى بالمقارنة بين معنى ومعنى ، مرتبا هذه المعانى حسب بناء القصيدة العربية الطويلة القديمة من وقوف بالديار ونسيب ووصف ومدح ، مفتتا كلّ غرض من هذه الأغراض إلى أجزاء أصغر » (٣) . وهو

---

(١) الموازنة : ٤٢٩/١ .

(٢) المصدر السابق : ٤٦٧/٣ .

(٣) النقد العربى القديم والمنهجية – بحث منشور فى مجلة فصول العدد الثالث ، ابريل سنة ١٩٨١ ص ١٥ .

يرى أن الآمدى كان يستطيع أن يوازن بين قصيدة كاملة لأبى تمام وأخرى مماثلة للبحترى فيقارن بينها ، « لكن النقد العربى لم يعرف هذا الأسلوب من التحليل لنص كامل ، وظل يعنى بالأبيات المفردة المنتزعة من سياقها » (١) .

والواقع أن طبيعة بناء القصيدة العربية فى تلك العصور لا يتيح للناقد أن ينظر إليها نظرة كلية ، فالشعراء القدماء لم يولوا الوحدة العضوية فى القصيدة عناية تذكر « إذ كانت تتوالى أبيات القصيدة على نحو لا يبرره إلا واقع حياة البدوى ومشاعره النفسية ، فكان غالبا ما يتخيل أنه فى رحلة فيصادف أطلال منازل الأحبة ورسومها فيقف يبكيها » (٢) .

وقد نجد العذر للدكتور عبد القادر ، لأن القارىء لما طبع من الكتاب ، قبل ظهور هذا الجزء الجديد ، يعتقد أن الآمدى سيسير على هذا المنوال إلى آخر الموزانة ، دون أن يلتفت إلى أن ذلك القسم المطبوع لم يتعد غرض المدح ، وفيه القصيدة مبنية على عدة معان وكذلك الرثاء ، لذلك كان لابد من انتزاع هذه المعانى والموازنة بينها .

وكأن الآمدى كان يتوقع هذا عندما قال فى باب الرثاء : « فلا يمكن الموازنة بين قصيدة وقصيدة ، كما لم يمكن ذلك فى قصائد المدح لأن القصيدة الواحدة تتضمن من المعانى ما ليس فى القصيدة الأخرى » (٣) .

وهو إن التزم هذا فى قصائد المدح والرثاء ، فإنه فى باقى الأبواب أجرى الموازنة بين قصيدة وقصيدة وهذا يبدو واضحا جليا فى الجزء الثالث ، وهذه بلا شك إحدى حسنات العثور عليه ، فقد وازن فيه بين قصائد وقصائد فى باقى الأغراض ، كالهجاء والعتاب والفخر ووصف الخيل ، ووصف الغلمان ، ووصف الرياض ... إلى آخر تلك المعانى .

---

(١) النقد العربى القديم والمنهجية : ص ١٦ .

(٢) النقد الأدبى الحديث ، د. غنيمى هلال ص ٢٠٨ .

(٣) الموازنة : ٤٦٩/٣ .

أما الأستاذ طه ابراهيم فقد اتهم الآمدى – فى كتابه القيم تاريخ النقد عند العرب وهو من الدراسات الرائدة لتأريخ النقد العربى – بأنه قصر موازنته على ديباجة الشعر فقال :

« وكان تطبيق هذه الطريقة على ديباجة الشعر خطأ جسيما ، وكيف نترك الجوهر ونذهب للعرض ؟ ، كيف ندع اللباب ، ونوازن بين شاعرين فى أشياء تقليدية ليست إلا مواضعات ؟ كيف ندع الأغراض الشعرية ونوازن بين عناصر الديباجة فى الشعرين ؟ ، لأبى تمام مراث رائعة ، وشعر فى الطبيعة غزير ، ونظرات فى الكون ، وللبحترى شعر فى ذلك كله ، فى مثل هذه الأمور تكون الموازنة »[1] .

فالجزء الثالث احتوى الأغراض التى سأل عنها الأستاذ طه كلها تقريبا ، ولم تعد موازنة الآمدى مقصورة على ديباجة الشعر .

أما أبو حمدة ، فقد كان كتابه (الآمدى وكتاب الموازنة) محاولة قصيرة النفس لدراسة الكتاب والمؤلف ، فعلى الرغم من أهمية الموضوعات التى تعرض لها ، إلا أنه لم يوفها حقها ، بالاضافة إلى تناقض آرائه فى بعض الأبواب ، وغابت عن الدراسة روح البحث والتحليل ، وأهم ما فى الكتاب ترجمته لأبى تمام ودراسته عن ثقافته ، أما قوله : « أن النظر الكلى الصحيح هو أن يضع الآمدى كل شعر أبى تمام فى كفه وشعر البحترى فى كفه ، ثم ينظر أيهما أرجح جملة »[2] ، فقد رفضه الآمدى عندما قال : « فلا تطالبنى أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الاطلاق ، فإننى غير فاعل ذلك ، لأنك إن قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد »[3] .

---

(١) تاريخ النقد عند العرب ص ١٦٨ .

(٢) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة ، محمد على أبو حمدة – ص ٧٧ .

(٣) الموازنة : ٤١٠/١ .

فإن كنا اليوم نعيب تلك الأحكام المطلقة التى تناثرت فى مؤلفات بعض النقاد العرب القدماء ، فكيف نطالب الآمدى بأن يعود القهقرى ، بعد أن تجاوز الأحكام المطلقة البعيدة عن التعليل إلى نظرات فنية استخدم فيها مقاييس فنية كانت سائدة فى عصره ، وساعده فى هذا ذوق فنى سليم ؟ .

ويناقش أبو حمدة رأى الآمدى فى بيت أبى تمام :

من ذاكَ أُجَهْدُ أن أراهُ ولا أرى　　　حقاً سوىٰ الدُّنْيا تُسَمَّى باطلا

عندما قال : « وقوله : « من ذاك أجهد أن أراه » من سخيف ألفاظ العوام ، وليس من ألفاظ الشعراء » [1] .

يقول أبو حمدة : « ومثل هذا المبدأ فى تخليص الشعر من الألفاظ العاميّة يحجر حيويتها ، وينشف عروق الحياة فيها ويحيلها إلى رسوم عقيمة » [2] والنص الذى نقله لا يحمل هذا المعنى ، فالآمدى يعترض على طريقة استخدام الألفاظ ، اما اللفظة نفسها فلا يعيبها ، إذ إن « أجهد » فصيحة فى نفسها ولكن استعمالها كان عاميا ، وقد أشار إلى هذا فى مقدمة باب الرثاء عندما قال : « واعلم أن ردىء اللفظ يكون على وجهين : إما أن تكون اللفظة من ألفاظ العوام سخيفة فى نفسها ، أو جيدة قد وضعت فى غير موضعها فصارت رديئة فى ذلك الموضع خاصة » [3] ، فاللفظة السخيفة فى نفسها هى التى لم تستند إلى أساس لغوى صحيح ، وقد أشار الآمدى إلى سخافة بعض الألفاظ فى عدة مواضع من كتابه إشارات تدل على أنه يقصد استعمالها داخل التركيب لا اللفظة نفسها [4] .

وأبو حمدة يأخذ على الآمدى فى موازنته أنه لم يكن موضوعيا متجردا فى

---

(١) الموازنة : ٤٨٤/٣ ، وانظر أيضا ص ٤٨٢ .

(٢) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة – أبو حمدة ص ٩٦ .

(٣) الموازنة : ٤٧١/٣

(٤) الموازنة : ٤٨٢/٣ ، وانظر رأى عبد القاهر : دلائل الاعجاز ص ٤٧٩ .

أحكامه ثم يقول بعد عدة أسطر : « ونحن نأخذ على الأمدى عدم تعاطفه مع أبى تمام »[1] . كيف بالله نتمنى أن يكون الآمدى متجردا فى أحكامه موضوعيا ، ثم نطلب منه أن يكون متعاطفا مع شاعر ينقده ؟ .

وأبو حمدة كثيرا ما يطلق الألفاظ دون أن يتحقق من مناسبتها للعبارة ، فقد قال : « إن الواضح الجلى أن الآمدى كان ينصف أبا تمام فيما وقع من شعره ضمن عمود الشعر » .

ويقول : « لكن محافظته دفعته – شعر أم لم يشعر – إلى أن يصدر أحكاما جائرة بحق الفنان المبدع والشاعر العبقرى أبى تمام الطائى » ثم يقول فى نفس الفقرة « ولكن نظرة الآمدى المحافظة ومقاييسه العتيقة قصرت به عن فهم شعر أبى تمام وتذوقه مما أفقد أحكامه النزاهة والأتزان »[2] .

فكلمة « النزاهة » هنا لا محل لها ، إذ إن معناها لا يتفق مع ما انتهى إليه أبو حمدة – وهو ما لا أختلف معه فيه – إلاّ أن القول بأن أحكامه لم تكن نزيهة يحمل من المعانى الرديئة لموقف الآمدى من أبى تمام الكثير ، ففقدان النزاهة يعنى « التزييف والتدليس والجور والظلم ... » وأظن أن التعبير قد خانه هنا .

وجاء الدكتور خليفه الوقيان فى أطروحته عن شعر البحترى ، فقال إن نظرية عمود الشعر عند الآمدى « يكاد يجعل منها ثوبا يفصله على مقاس (كذا) البحترى » ، وأن قواعد عمود الشعر « ثم استيحاؤها من مذهب أبى تمام بغية تسفيهه ونقضه وهدمه ، ووقف تفشيه وانتشاره »[3] . وهذا تعميم فى الاستنتاج ، إذ إن نظرية عمود الشعر معروفة قبل الآمدى ، وقبل أبى تمام ، والدكتور خليفة فى هذا

---

(١) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ٧٧ .

(٢) أبو القاسم الآمدى وكتاب الموازنة : ص ١٣١ .

(٣) شعر البحترى – دراسة فنية – د. خليفه الوقيان ص ٣٦٧ .

الرأى يناقض ماذهب إليه فى بداية الفصل – وكان هو الصواب – عندما قال : « وذلك يعنى أن نظرية عمود الشعر ليست بنظرية جديدة ، تعاون فى وضع أسسها الآمدى والجرجانى والمرزوقى ، بقدر ماهى تقنين للمقاييس والنظرات النقدية المحافظة المتناثرة فى تقويم الشعر العربى والحكم عليه منذ أقدم عصوره ، ذلك أن الأقدمين من نقاد ورواة ولغويين كانوا يقفون عند البيت الواحد ، فيحكمون عليه بفساد المعنى ، أو قبح الاستعارة أو بعد وجه الشبه بين المشبه والمشبه به ، أو تكلف البديع ، أو حزونة اللفظ ... ولعل فى كثرة ما تناقلته كتب الأدب والنقد من ملاحظات نقدية فى هذا المجال ما يغنى عن الاستشهاد » (١) . فكيف بعد هذا نقول إن نظرية عمود الشعر استخرجت من مذهب أبى تمام الشعرى وأن الآمدى فصلها على مقياس البحترى ؟ .

أما من تجاوز نقد موازنة الأمدى إلى اتخاذها وسيلة لإلغاء كل قيمة للنقد الأدبى العربى ، فهى سوزان بينكنى ستتكيفتش التى قالت فى مقالة منشورة فى مجلة فصول : « على أية حال فإن إخفاق الآمدى بالتحديد فى مقارنة القصائد بصفة خاصة هو الذى أدى إلى إبراز نقطة الضعف الكبرى فى (الموازنة) وفى النقد الأدبى عند العرب بأكمله » !! (٢)

ولم تتفضل علينا الكاتبة بشرح نقطة الضعف هذه ، إنما المهم إطلاق القول بالهجوم على النقد العربى وتقول فى موضع آخر : « وهكذا فإن تمحيص هذا العدد القليل من المائة وتسعة عشر مثلا التى يوردها الآمدى يكشف النقاب عن عدم صلاحية أدوات النقد العربى التقليدى للتعامل مع قضية صلة الشاعر بمن سبقوه وبالموروث الشعرى بصفة عامة » (٣) .

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٦٤ .

(٢) أبو تمام فى موازنة الآمدى ، حصر المؤسسة النقدية فى شعر البديع سوزان بينكنى ستتكيفتش ترجمة أحمد عثمان ، مجلة فصول المجلد السادس العدد الثانى – يناير سنة ١٩٨٦ ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ٤٥ .

فالقفز من خصوصية الحكم إلى عموميته شيء ميسور عندها فهى تأخذ من معالجة الآمدى للقصائد عند البحترى وأبى تمام والتى تراها قاصرة – وهذا رأيها الذى يخالفها فيها الجِلّةُ – دليلا على وجود نقطة ضعف كبرى فى (الموازنة) (وفى النقد عند العرب بأكمله) ، لاحظ القفز من الموازنة إلى النقد العربى بأكمله ، ثم تأتى إلى مناقشة الآمدى لأبيات أبى تمام تجعلها تكشف النقاب عن عدم صلاحية أدوات النقد العربى التقليدى للتعامل مع قضية صلة الشاعر بمن سبقوه .

أما مناقشتها لرأى الآمدى فى أخطاء أبى تمام ، ومحاولاتها الرد على اعتراضاته فقد دارت على التلميح إلى قصور فهم الآمدى للمعانى الشعرية ، حيث إنها تردد كثيرا أنه (فات على الآمدى) و (لم يصل الآمدى إلى إدراك معنى البيت) و (ما لم يفهمه الآمدى) ، ونحن لو سمعنا هذا من علمائنا العرب المعاصرين لأمكننا أن نجد له شيئا من القبول فى نفوسنا ، على أن معظمهم يأبى لهم تواضعهم وتقديرهم لأجدادهم العلماء الرواد أن يوجهوا مثل تلك الانتقادات لهم ، وانطلاقا من مبدأ فنى واضح ، وهو أن مقاييس نقادنا القدماء ، تختلف عن مقايسنا نحن ، كما أن فهمهم للعبارات الفنية والصور الخيالية فى الشعر العربى بعيد عن فهمنا نحن فى هذه الأيام ، إذ إن أداتا اللغة وهى الألفاظ ومعانيها من حيث كونها أوعية للصور الفنية لها أصداء فى النفس وانعكاسات فى الشعور تختلف ، وقد تتناقض ، مع أصداء وانعكاسات الكلمات والتراكيب ذاتها فى عصور أخرى ، وهذا أمر يتعلق بتاريخ الألفاظ وموقعها الاجتماعى فى كل عصر وطريقة استخدامها ، وأعظم مثال على هذا اختلاف لهجات قبائل الجزيرة العربية ، أضف إلى هذا كله أن شعرنا العربى القديم تجرى فى عروقه دماء مادتها الأولية حياة العربى وبيئته ، وأدواته التى تلازمه فى حله وترحاله ، وهذه المواد وتلك الأدوات قد تلاشت الآن ، فلا يستطيع القارىء العربى إلاّ أن يحاول تخيلها إعتمادا على تصوير الشاعر لها ولكنه لن يستطيع أن يتلقى من خلال هذا الشعر كل إحساس الشاعر بتلك الألفاظ ومدلولاتها ، هذا عن القارىء العربى ، فما بالك بالقارىء الأجنبى ، الذى وإن قرأ بالعربية وأجادها لفظا وكتابة كأهلها ، وهو أمر يكاد يكون مستحيلا ، فإن براعته هذه لن تتعدى إدراك العلاقات الدلالية ، إذ إنه لن يستطيع أن يتعدى هذا إلى اللغة الفنية ، تماما كالقارىء العربى

الذى ينظم بحثا عن الشعر الانجليزى مثلا ، فهو إن تبحر فى الرطانة فلن يتعداها إلى تحليل الصور الفنية عند شكسبير ، أو كولودج أو وردزورث أو إليوت وغيرهم من شعراء الانجليز على قرب العهد بهم مقارنة بالشعر العربى القديم ، ولو حاول لوجد من يسفه آراءه ويدعوه إلى التزام حدوده ، وخاصة أن الأدب الانجليزى فى نظر بعض نقادهم هو عنوان المثل الأعلى فى الفن ، يقول ماثيو أرنولد عند حديثه عن ميلتون : « أما أن ميلتون يعد الفنان الوحيد ، من بين فنانينا الانجليز جميعا ، الذى يحظى بأعلى مرتبة فى الأسلوب الفخم بفضل لغته وإيقاعه فإن هذا أمر مسلم به ، لأنه لا يحتاج إلى مناقشة » ثم يتساءل « إلى أى شيء يدين ميلتون بهذا الامتياز الفائق ؟ » ثم يختم الفصل بهذه العبارة التى تقطر تعصبا : « إن الجنس الانجليزى ينتشر فى العالم أجمع ، ولسوف يظل إلى الأبد مالكا لناصيته المثل الأعلى فى الجودة الرفيعة النادرة »[(١)] .

فهل بعد هذا سيقتصر الأمر على مجرد تسفيه رأى ناقد عربى تجرأ على نقد الشعر الانجليزى ؟ ، أشك فى هذا .

أما الأدب العربى فساحته مستباحة ، وحماه قد ولغ فيه كل ذى ظفر وناب ، ثم تعاظم الأمر إلى أن صار البغاث بأرضنا يستنسر ، ولهذا بحث يطول .

أما مناقشاتها تلك والتى حاولت فيها أن (تصحح) للآمدى بعضا من (فهمه) للأبيات التى نقدها فمنها قولها تعليقا على نقد الآمدى لقول أبى تمام :

فى مَكَرٍّ تلَوكُها الحَرْبُ فيه   وهى مُقْورَّةٌ تلوكُ الشَّكيما

يقول الآمدى : « (وتلوك الشكيما) أيضا ههنا خطأ ، لأن الخيل لا تلوك الشكيم فى المكر وحومة الحرب ، وإنما تفعل ذلك واقفة لا مكر لها » تقول سوزان : « وتتركز المشكلة حول كلمة (مكر) التى أخذها الآمدى على أنها تعنى (الهجوم) ، ومن هنا استنتج أن الصورة الشعرية التى يرسمها أبو تمام ليست

---

(١) مقالات فى النقد ماثيو أرنولد ترجمة على جمال الدين عزت ، ص ٦٠ .

صحيحة ، لأن الخيول لا تعض على الشكيمة وهى تهاجم ، فى حين أن المعنى الأصلى للفعل (كر) هو (أن يدور دورة ثم يعود للحرب) ، ومن ثم فهى تتضمن إحكام الشكيمة ثمّ لف الحصان للهجوم ، فلا سبيل إذن للقول إن الحصان اللهوف على المعركة لا يمكن أن يعض الشكيمة » [١] .

فالكاتبة تضع تفسيرا معجميا للألفاظ غير منسوب لأى مرجع فى العربية - وأظنها تعتقد أن اللغة العربية لا تستحق مفرداتها أن تؤصل معجميا ، وأن كل من هب ودب يمكنه أن يفسر منها ماشاء على هواه ، فالمعنى الأصلى - كما تدعى - للفعل (كرّ) : (أن يدور دورة ثم يعود للحرب) ، ولكن من قال أن هذا هو المعنى (الأصلى) للفعل (كرّ) ؟ أليس هو كما تنص المعاجم : (العطف على الشيء أو الرجوع عنه) [٢] ثم استعمل فى الحرب ؟ .

كذلك من السهل أن تقول إن معنى (يلوك) يعض ، (فاللوك) صار هو (العض) ، أين هذا من ذاك ، (اللوك) يعرفه المبتدىء فى اللغة العربية (أعنى العربى) على أنه (المضغ) لا العض ، وتضيف المعاجم هو : مضغ الشيء الصُّلْب المَمْضَغَةِ تديره فى فيك ، أو إدارة الشيء فى الفم [٣] ، وهذا يصاحبه تلبث وأناة وراحة .

فكيف يكون الحصان - اللهوف على المعركة كما تقول - قادرا على أن يدير الشكيم فى فمه وهو مشدود اللجام ؟ لقد فهم الأمدى خطأ أبى تمام هنا فهما صحيحا ، وهو شيء طبيعى ومتوقع ، ولم تفهمه سوزان وهو أيضا أمر طبيعى ومتوقع !! .

وتقول فى موضع آخر : « ويثبت التحليل الاشتقاقى لكلمة « ذوابل » أن معرفة الشاعر اللغوية هنا أكبر من معرفة ناقده » [٤] .

---

(١) أبو تمام فى موازنة الآمدى - سوزان بينكنى ص ٤٦ .

(٢) اللسان والتاج (مادة كرر) .

(٣) اللسان (لوك) .

(٤) أبو تمام فى موازنة الآمدى ص ٤٧ .

فالكاتبة أعلم منهما ، حيث أنها استطاعت (بعلمها هذا) أن تحكم على أن معرفة أبى تمام باللغة أكبر من معرفة الآمدى !! .

ومن هذا أيضا تعليقها على تخطئة الأمدى لأبى تمام فى قوله :

كالأرْحَبِىِّ المُذَكِّى سَيْرُهُ المَرطىٰ والوَخْدُ والمَلْع والتَّقْرِيبُ والخَبَبُ

يقو الآمدى : « فالأرحبى من الأبل منسوب إلى أرحب ، وهى من همدان » ثم يقول : « وليس التقريب من عدو الأبل ، وهو فى هذا الوصف مخطىء ... والمرطى أيضا من عدو الخيل ولم أره فى أوصاف سير الأبل ولا عَدْوها » . وتقول سوزان : « ومن وجهة النظر اللغوية النظرية : يعد كلام الآمدى صحيحا ولا غبار عليه ، ولكن الذى **لم يفطن إليه الآمدى** هو أن هذا الخلط الشاذ بين عدو الخيل ومشى الجمال أمر متعمد من قبل الشاعر ، ذلك أنه لا يصف الجمل ، بل الوزير الشاعر الزيات ، الذى أهديت إليه القصيدة ، والذى تمثل قدرته غير العادية لانجاز مختلف المهام السياسية » [1] !! .

أى أن الضمير فى (سيره) يعود على الوزير ! ، والمعنى على هذا أن الوزير ينجز المهام بسرعات مختلفة منها البطىء (كالوخد) وهو أن يرمى بقوائمه كما تفعل النعام وهو ضرب من سير الابل سريع ومنها (المرطى) وهو سرعة المشى والعدو فوق التقريب ودون الإهذاب ، ومنها (الملع) وهو السير الخفيف السريع ومنها (التقريب) وهو عدو دون الإسراع ، ومنها (الخبب) وهو ضرب من العدو [2] .

وهذا – كما هو واضح – سخيف لا يفكر فيه إلا ذو ذوق أجوف فارغ لا حس فيه ، وفوق هذا كله فإن المعانى التى مرت ليس فيها شيءٌ غير عادى يمثل « قدرة الممدوح غير العادية » على إنجاز المهام .

---

(١) أبو تمام فى موازنة الآمدى ص ٤٧ .

(٢) اللسان مادة (وخد ، مرط ، ملع ، قرب ، خبب) .

ولا تكتفى الكاتبة بتأليف وإدعاء المعانى للألفاظ والتراكيب بل تتجاوز ذلك إلى الأخيلة والصور فتخترع بعض العلاقات المجازية المتوهمة ، والتى ليس لها أساس فنى أو واقعى إلا فى ذهن الكاتبة ، فعندما يقول الآمدى عن قول أبى تمام :

وكأنَّ أفئدةَ النَّوىٰ مَصْدوعَةً   حتى تصَدَّع بالفراق فؤادى

وأفئدة النوى مصدوعة يشبه قوله :

وكم أبرزت منكم على قبح قدهـا   صروف النوى من مرهف حسن القد [(١)]

تقول سوزان كما هى عادتها فى تسفيه رأى الآمدى :

« وعلى أية حال يبدو أن الآمدى لم يستوعب على نحو كامل مدلول المجاز فى أبيات الشاعر ، فى المثل الأول فاته أن يفطن إلى اللعب «؟» بكلمة « مصدوعة » ، لأن الفعل « صدع » لا يعنى فقط « كسر » بل يعنى أيضا – مثل قطع – « عبر الصحراء » ، وهكذا فإنّ الشطر الأول يعنى ، « كما لو أنّ أفئدة النوى « أى الأراضى » «؟» قد قطعت « أى تم عبورها » » «؟» وباللعب «؟» أو التجنيس يمكن أن يعنى « كما لو أن قلوب الصحراء قد كسرت » ، إنه إذن يؤدى وظيفتين شعريتين : الأولى أنه يخلع حالة الشاعر الداخلية على الإطار الخارجى ، أى الطبيعة كما نرى دائما فى حالة الديار المهجورة ، والثانية أنه يعكس على المستوى اللغوى العلاقة السببية المباشرة بين الشطرين الأول والثانى ، فالتشابه اللفظى « التجنيس » بالنسبة للشاعر ومستمعيه « أو متلقيه » يعكس التشابه الدلالى ، أو التجنيس الداخلى إن صحت العبارة : أى رحيل القبائل والعشاق وفراقهم ، فرحلة الفراق عبر الصحراء هى سبب تصدع قلب الشاعر ، وهى تتشابه معه على المستوى الشعرى ، وبغض النظر عما يقوله الآمدى فنحن هنا لسنا إزاء لعب فارغ بالألفاظ ، ولا تشخيص تعسفى للأشياء ، وإنما نحن بصدد عبارة مكثفة من حيث القيمة الأدبية والشعرية » [(٢)] .

---

(١) الموازنة : ٢/٤٩ .

(٢) أبو تمام فى موازنة الآمدى : ص ٥٥ .

وتكلف الكاتبة وتحميلها للألفاظ فوق ما تحتمل ، واختلاق خيالات ومجازات فارغة واضح كل الوضوح ، حيث جعلت صدع « وهو شق الشيء قسمين » بمعنى : عبر ، ثم جعلت النوى بمعنى : الصحراء ، كيف ؟ لا أعلم ، أما أن صدع بمعنى عبر ، فيجوز أن تأتى من قولهم : صدع المسافر المفازة أى شقها وقطعها ، وصدع النهر أى شقه وقطعه ، وهذا كله على المثل ، لأن الصدع هو الشق فى الشيء ، أما أن « أفئدة النوى » هى الأراضى مجازا ، فلا أرى لها أية علاقة مجازية ، وليس فى البيت ما يوحى بهذا المعنى إطلاقا ، أما اللعب بالكلمات ، فلعبها الأول بكلمة « مصدوعة » لعب مجازى ثم قالت : وباللعب أو التجنيس ، ولم أفهم مرماها ، وعلى أية حال ، فإننى أنصح الكاتبة بأن تلعب بعيدا عن اللغة العربية ولتلعب ، إن تاقت إلى اللعب ، بلغتها ، فهى أولى بلعبها هذا ، ولتدع اللغة العربية للعب أبنائها .

ولنقرأ شرح الصولى للبيت : « يقول كانت كأنها مصدوعة ، حتى نالنى هذا فلّما تصدع بالفراق فؤادى استراحت » [1] .

وقد زاد الناقد اللماح المرزوقى المعنى وضوحا فقال : « يقول : كأن قلوبها « أى النوى »كانت مشقوقة إلى أن نال منى الفراق ، فصدع قلبى فلما تصدع فؤادى التأمت أفئدتها ، ويروى « حتى تصدّع » والمعنى : أنها كانت كذلك فاشتفت بما فعلت بى مما كان بها » [2] .

فهذا هو المعنى الذى أراغ إليه الشاعر قصده ، لا التخريجات والرؤى والخيالات التى لا يمكن أن تتولد فى ذهن قارىء عربى اللغة يدرك مدلولات الألفاظ المعجمية واستعمالاتهما المجازية إدراكا صحيحا .

---

(١) ديوان أبى تمام بشرح الصولى : ٤٩٤/١ .

(٢) شرح مشكلات ديوان أبى تمام للمرزوقى ص ٢٥٤ .

وقد أجد تفسيرا لهذا التعسف فى التفسير والجنوح فى الخيال فى أنها عثرت بشرح التبريزى للبيت الذى استشهد به الآمدى وهو قول أبى تمام :

وكم أحرزت منكم على قبح قدها صروف النوى من مرهف حسن القدّ

قال التبريزى فى نهاية الشرح : « وقد يجوز أن يريد « بقدِّ النوى » قطعها الوصل » [1] فهى فى شرحها لهذا البيت نقلت تفسير التبريزى ولم تنسبه إليه ، وبدا كأن هذا الشرح هو من بنات أفكارها ، غير أنها فى الهامش تلطفت وقالت : « وقد لاحظ التبريزى فى شرحه لهذا البيت » ثم أوردت نص الشرح فى الهامش ، وبعد هذا وجدت أن معنى « يصدع » فى البيت : « يشق » أو « يقطع الفلاة » ، فجاءت بمعنى من عندها « لأفئدة النوى » لتصير : « الأراضى » .

وبعد هذا فمقالتها تلك مملوءة غثاء كثيرا وسخفا مركبا ، وهجوما مشوبا بعنصرية ذميمة على واحد من أكبر نقادنا العرب القدامى ، وتسفيها لأرائه وكأنها تريد إسقاط تجاربه النقدية الرائدة فى كتابه هذا ، وصولا إلى إسقاط أدوات النقد العربية كلها كما ادعت ، وكان يمكن أن أضيف هذه المقالة إلى كتابات أخرى ظهرت عن الموازنة ، ولكننى لم أعبأ بها ، وتجاهلتها لعدم جدوى دراستها ونقدها ، لولا أن الكاتبة غير عربية ، ولولا هجومها على النقد العربى من خلال نقدها للموازنة ، وأن المقام ليس مقام دراسة مستفيضة لكل ما كتب عن الموازنة .

أما الباحثون الذين أسرفوا فى الاحتفال بمحاولة الآمدى فى الموازنة ، فمنهم الدكتور مندور فى كتابه النقد المنهجى الذى لم ينع عليه إلا تعنته فى أن اللغة لا يقاس عليها [2] ، وتجاهل إصرار الآمدى على التمسك بنظرية عمود الشعر ،

---

(١) شرح التبريزى : ١١٠/٢ .

(٢) النقد المنهجى ص ١٢٤ ، والموازنة ٢٢٧/١ .

وخاصة فيما يتعلق بالصور الفنية ، بل أيده فى بعض المواضع [1] ، كذلك نفى عنه كل شُبَهِ التعصب ، وقال بعد أن شرح معنى التعصب النفسى والفنى « وبالرجوع إلى كتاب الموازنة نفسه نجد أن المؤلف لم يتعصب للبحترى كما لم يتعصب ضد أبى تمام ، وإنما هذه تهمة اتَّهمه بها النقاد اللاحقون عندما فسد الذوق وغلبت الصنعة والتكلف على الأدب العربى ، ونظر هؤلاء الأدباء المتأخرون فى بعض انتقادات الآمدى لسخافات أبى تمام « ووساوسه » ، ولم يوافقوا على تلك الانتقادات لمرض أذواقهم فقالوا : إن الرجل متعصب ضد أبى تمام ، وهذا ظلم يجب أن نصلحه ، والتهمة لا تقوم بعد على استقصاء لأقواله ، ولا تصدر عن نظر شامل فى كل ما قاله ... » [2] ، وقال فى موضع آخر « وهذه حالة نفسية لا وجود لها فى كتاب الآمدى لا صراحة ولا من وراء حجاب » [3] .

أما أن الآمدى كان متعصبا ضد أبى تمام فإننى أؤيد د. مندور فى ماذهب إليه من بطلان هذه التهمة ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر ميل الآمدى للبحترى ، لا تعصباله ضد أبى تمام ، ولكن حبا لمذهب عمود الشعر الذى لم يفارقه البحترى .

وإعجاب د. مندور الشديد بالآمدى يجعله يحاول تخريج بعض أقواله التى لا تتفق مع المقاييس الفنية للشعر ، فعندما قال الآمدى : « والشاعر لا يطالب بأن يكون كلامه صدقا » [4] عقب عليه د. مندور قائلا : « وإن كنا لم نعرف ماذا يقصد بقوله « والشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقا » ثم تمسكه بعد ذلك بصحة المعنى ، والذى يبدو لنا هو أنه يقصد بالصدق صدوره عما وقع فعلا ، فالشعر كما هو معلوم ليس من الضرورى أن يكون صادرا عن الواقع لكي لا يتهم بالكذب ،

---

(١) النقد المهجى : ٣٤٢ .

(٢) النقد المنهجى : ٩٧ - ٩٨ .

(٣) النقد المنهجى : ٩٦ .

(٤) الموازنة : ٤٢٨/١ .

يكفى أن يكون صادرا عن واقع نفسى ، ولعل هذا هو المقصود بصحة المعنى ، فالمعنى يصح إذا استجابت له النفس أو أمكنها الاستجابة له عندما تتهيأ لذلك ، وهو يصح حتى لو كان مجرد احتمال أو إمكان » (١) .

ولكننى أرى أن ما قصده الآمدى هو الصدق الفنى ، فالشاعر غير مطالب بأن تكون عاطفته متفقة مع معنى شعره ، ولهذا قال الآمدى « إعلم أن تأبين الميت كمدح الحى لا فرق بينهما ، إلا ما يفترق ذلك من ذكر التوجع وأنواعه » (٢) ، وهذا يدعوه إلى أن يلزم الشعراء طريقة واحدة فى إظهار العاطفة تجاه الحبيب وهى « التوله ، لا التجلد والصبر » (٣) مع أن ميزان هذا هو صدق الشعور ، وقد ذكرت هذا فيما مر من الحديث عن مقاييس الآمدى (٤) .

ومن الذين تعرضوا للآمدى ولم يسرفوا فى تأييده أو تسفيه آرائه الدكتور إحسان عباس ، وإن شاب بعض آرائه التناقض ، كقوله فى موضع : « فمن حق الموازنة أن تكون قائمة على الحساب ، هذه حسنة يقابلها حسنة ، وهذه خمس سيئات يقابلها أربع ، فإن شئت بعد ذلك أن تقوم بعملية جمع وطرح ، استطعت أن تصل إلى نوع من الحكم قائم على الدقة الاحصائية وهو على أية حال أسلم من الحكم المرسل » (٥) ، وكأنه أدرك أن هذا الأسلوب لا يتفق مع طبيعة الفن الشعرى ونقده ، فعاد يقول فى موضع آخر « وموطن الضعف فى هذه الموازنة أنها تقوم على تجزئة القصائد وهى بالعملية الاحصائية أشبه » ، ويقول « إنها « أى الموازنة » إخضاع شىء لا يخضع للإحصاء » (٦) .

ويقول فى تقريظه للموازنة « فكتاب الموازنة وثبة فى تاريخ النقد العربى بما

---

(١) النقد المنهجى : ١٢٨ .

(٢) الموازنة : ٤٦٩/٣ .

(٣) الموازنة : ٣٧/٢ - ٣٨ .

(٤) انظر ص ٣٢ .

(٥) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٦٠ .

(٦) المرجع السابق ص ١٨٢ .

اجتمع له من خصائص لا بما حققه من نتائج ، ذلك لأنه ارتفع عن سذاجة النقد القائم على المفاضلة بوحى من الطبيعة وحدها دون تعليل واضح » [1] ثم يقول فى موضع آخر « إن قضية الموازنة قد اقتضت من الآمدى جهدا فى غير طائل ، وردته إلى سذاجة المفاضلة مرة أخرى على الرغم من تذرعه بالعلل » [2] ، فكيف يكون قد ارتفع عن النقد القائم على المفاضلة أولا ، ثم عاد إلى سذاجة المفاضلة ؟؟ .

وتبقى بعد ذلك آراؤه فى كتاب الموازنة التى جاء كثير منها وليد دقة البحث وأمانة الاحتكام إلى الموضوعية . ولم تخل من بعض الآراء التى تحتاج إلى مناقشة كقوله : « الشعر لديه « أى الآمدى » عالم مستقل من النغمة العذبة واللفظة المألوفة والمعنى المألوف ، لا دخل له بالأفكار المتفردة والصياغة المتعلة والإشارات البعيدة » كل هذا حق وواضح فى كتاب الآمدى ، إلا أن قوله « وهو فى هذا شبيه بابن طباطبا ، إلا أنه لا يهتم اهتمام ابن طباطبا بكيفية الصياغة ، ولا يعرف كثيرا عن العلاقة الصناعية بين القصيدة والرسالة » [3] ، فيه شيء من اطلاق للحكم دون ترو ، إذ كيف نستطيع الجزم بأنه لا يعرف كثيرا عن العلاقة الصناعية بين القصيدة والرسالة ؟ وقد قرأنا للآمدى عبارات كثيرة تنم عن إدراكه لأهمية الصياغة كقوله : « وينبغى أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ، ويعميه حتى يحوج مستمعه إلى طول تأمل ، وهذا مذهب أبى تمام فى عظم شعره ، وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى » [4] وبعد أن ينقل أقوال بعض العلماء فى الشعر يقول : « فصحة التأليف فى الشعر وفى كل صناعة هى أقوى دعائمه بعد صحة المعنى » [5] . ولهذا يرى

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٢ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٧٣ .

(٤) الموازنة : ٤٢٥/١ .

(٥) الموازنة : ٤٢٨/١ .

د. مندور أن ما قاله الآمدى آنفا هو رأى معظم نقاد أوربا اليوم الذين يرون أن أمر المعانى فى الشعر ثانوى بالنسبة للصياغة [1] ، وهذه هى الصياغة كما يراها الآمدى أما « العلاقة الصناعية » التى ذكر د. إحسان أن الآمدى لم يعرفها ، فإذا كان يقصد بها « ميكانيكية » الصياغة الشعرية ، أو النشاط الإبداعى فى الصياغة الشعرية ، وهو أهم الفروق بين الشعر والترسل ، فإنه ميدان لازال البحث فيه حتى يومنا هذا غضا ، وأعنى به بحث ظاهرة « الإبداع » فى الفنون ، وهى من الظواهر الغامضة التى اهتمت بها الدراسات النفسية الحديثة ، ولم تصل تلك الدراسات حتى اليوم إلى تفسير علمى عن « ميكانيكية » الإبداع عند الفنان .

ويرى د. إحسان أن أحكام الآمدى جاءت نتيجة النشأة التأثرية ، ورد هذه النشأة إلى سنة ٣١٧ عندما كان يحاول اختيار الجيد من شعر الطائيين ، وكان ذوقه قد حدد وجهته فى أخذ ما يأخذه وطرح ما لا يستسيغه [2] ، وأنا أويده فى ما ذهب إليه من أثر النشأة التأثرية ولكننى لا أردها إلى اختياراته من شعر الطائيين ، بل إلى فترة سابقة على هذا التاريخ بدأت مع أوليات ثقافته التى كان عمادها النحو ، فقد كان معدودا من النحويين ، والمنهج اللغوى فى الدرس يعتمد على السماع ، فاللغة لا يقاس عليها ، فتربى ذوقه فى هذه المدرسة فظهر عنده هذا الميل إلى الالتزام الشديد بالسماع ونبذ القياس ، وبهذا الذوق ناقش الصور الفنية عند الشاعرين

غير أن من أبرز ما صحب د. إحسان التوفيق فيه تأكيده على أن الآمدى « حاول أن يكون منصفا وظهر بمظهر المنصف فى مواطن عديدة ، ولكن ميله كثيرا ما كان يوجهه رغما عنه » [3] .

---

(١) النقد المنهجى : ص ١١٧ .

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٧٤ .

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ١٦٤ .

ومن هذه النظرات الصائبة دعوته إلى عدم تحكيم قواعدنا التى نراها صائبة فى هذه الأيام فى ما كان يظنه النقاد القدماء فى عصرهم صائبا [١] ويقول : « وقد يتحدث الآمدى لفريق من أبناء عصره بهذا فيدركون أن استعارة امرىء القيس صحيحة للخيال العربى ، وأن استعارة زهير كذلك مقبولة سائغة ، ولكن من الصعب علينا اليوم أن نميز ذلك تمييزه ، بعد أن اختلطت علينا استعاراتنا بالاستعارات المستمدة من الخيال الأجنبى حتى ألفنا هذا الخليط العجيب » [٢] .

وهذا – لعمرى – القول الحق ، إذ كيف نتعسف فنحاول تطويع أذواق القدماء لأذواقنا ، والاختلاف بيننا وبينهم كبير وواضح ؟ ، وهذا السؤال موجه إلى كل من يحاول التقليل من أعمال نقادنا القدماء الرائدة ، أو التعرض للمقاييس التى تعتمد على الذوق والإحساس أو التى مصدرها بيئتهم وأدواتها ، والأدهى أن يأتى أحدنا إلى المفاهيم والمصطلحات الأجنبية يحاول استخراجها قسرا من أدبنا القديم ، وإذا لم يستطع كال لهذا الأدب التهم والدعاوى الباطلة ، على الرغم من إدراكه الواعى باختلاف المفاهيم النقدية المعاصرة لتعدّد المدارس النقدية « النقد الماركسى ، النقد النفسى ، النقد اللغوى ، الأسلوب ، الشكليه العضوية الجديدة ، النقد الأسطورى الذى يستعين بمكتشفات الأنثربولوجيا الثقافية ، النقد الفلسفى الوجودى » . بل باختلاف هذه المفاهيم من ناقد إلى آخر داخل المدرسة الفنية الواحدة [٣] ، ومع هذا كله يحاول البعض أن يتشدق بمصطلحات أجنبية معاصرة فى دراسات مظهرية للنقد الأدبى القديم .

أما عن تعصب الآمدى على أبى تمام فقد نقل ياقوت فى إرشاد الأريب عن أبى الفرج الببغاء الشاعر (ت ٣٩٨) قوله : كان الآمدى صاحب كتاب الموازنة

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٣) انظر : مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ، ترجمة د. محمد عصفور ص ٥٠ ، ٥٣ ، ٤٦٧ .

يدعى هذه المبالغات على أبى تمام ، ويجعلها استطرادا لعيبه إذا ضاق عليه المجال فى ذمه » [١] .

فهى تهمة قديمة إذن نقلها ياقوت وأيدها فقال : « ونسب فيه إلى الميل مع البحترى فيما أورده ، والتعصب على أبى تمام فيما ذكره » ثم قال : « ولعمرى إن الأمر كذلك » [٢] .

وابن المستوفى « ت ٦٣٧ » يقول فى النظام : « أظن الآمدى لتعصبه على أبى تمام كان يضع فى شعره أبياتا مفسودة ليردها عليه » [٣] .

وجاء المحدثون فتبنى أكثرهم هذا الرأى ومنهم الأستاذ أحمد أمين [٤] ود. محمد عبده عزام [٥] ود. شوقى ضيف [٦] .

والواقع أن الناظر فى كتاب الآمدى يلحظ بعض الظواهر التى قد تثير فى نفسه شيئا من مظنة الاعتقاد بتعصبه على أبى تمام ، كعرضه لمحاورة الخصمين : « فقد كان موقف الآمدى فيها موقف المتشيع لأصحاب البحترى والمشجع لهم » [٧] .

أضف إلى هذا ثوراته على أبى تمام ، وألفاظه القاسية لإرذال شعره ، هذه الظواهر يرى فيها د. طه الحاجرى دوافع « حملت ياقوتا وغيره على اتهام الآمدى بالتعصب على أبى تمام فى كتابه الموازنة ، وربما لم يقصد الآمدى إلى شىء من هذا ، ولكنها على كل حال الطبيعة التى لا تغالب مهما تحرز المتحرز وتحصن » [٨] .

---

(١) معجم الأدباء : ٨٤/٨ .

(٢) المصدر السابق : ٨٧/٨ ، ٨٨ .

(٣) النظام شرحى المتنبى وأبى تمام دار الكتب لوحة : ٢٧١ .

(٤) مقدمة كتاب أخبار أبى تمام ص أ هـ .

(٥) مقدمة شرح التبريزى ص ٢٠ .

(٦) النقد د. شوقى ضيف ص ٧٣ .

(٧) الآمدى وكتاب الموازنة د. طه الحاجرى ص ٣٩ .

(٨) المرجع السابق : ص ٤١ .

لقد حاول الآمدى جهده فى الموازنة أن يكون منصفا محايدا ولكنه عندما يوازن ويحكم فإنه يستبطن ذاته ، ويستوحى مشاعره ، ويتحسس وقع الصورة الشعرية فى نفسه وعواطفه ويصدر عن هذا كله أحكاما حاديها الذوق الذاتى ، وباعثها التأثر الشخصى ، وقد درب هذا الذوق ، وتربى هذا المزاج فى مدرسة النحويين وبين روائع الأدب القديم ، فالقضية التى لا يستطيع أن يتحرر منها هى تأثير الذاتية فى الحكم ، وإذا كان هذا الذوق إنما هو محصلة لأذواق شتى مختلفة صهرت فى بوتقة واحدة من العواطف الذاتية المستقلة ، فإنها ستنتهى إلى أن تعود إلى نقطة البداية وهى اختلاف الأذواق فيما بينها ، والآمدى بعد كل هذا لم يتعصب للبحترى تعصب الصولى لأبى تمام ، بل إن موقف الصولى من أبى تمام ، يظهر لنا الآمدى ناقدا منصفا لأبى تمام متعصبا للاتجاه القديم ، ولو أردنا الموضوعية لقلنا : إن الآمدى كان منصفا لنفسه ولذوقه أكثر من عصبيته للبحترى .

* * *

٣ - منهج الآمدى فى الموازنة

استطاع الآمدى فى كتابه أن يجسد لنا ذلك الرقى الذهنى والروح العلمى الواعى والمتمكن للنقد فى القرن الرابع ، وقد امّاز عن النقاد الذين سبقوه فظهر من بينهم ناقدا فنيا شامخا ، ولا غرو فقد كشف فى كتابه عن عقلية نقدية ، وذوق فنى صادق قل أن نجد لهما نظيرا بين نقادنا القدماء ، وبهذين الدعامتين خرج لنا عمله هذا مبنيا على منهج علمى محكم غاية الأحكام ، فتوصل به إلى أحكام فنية قريبة من الصواب فى معظم الأحيان

أما منهجه فقد تجلت فيه الدقة والترتيب المنطقى والفنى ، فهو فى بداية كتابه تحدث عن السبب الأساسى لتأليفه له ، فقد انشعب الناس فى عصره إلى شعبتين مختلفتين ، واختصموا حول أبى تمام والبحترى وغلب الهوى على كل فرقة فلم تسلم من الحيف والظلم ، وظهرت الحاجة إلى إخراج هذا المصنف ليتحرى الدقة ويبتعد عن التعصب ، ولعل الظن الذى ذهب إليه د. إحسان عباس فى محله عندما رأى أن الموازنة ربما تكون « تلبية علمية المظهر والمنهج لحاجة ذلك الصراع الدائر بين المتطرفين من الفريقين » (١)

وقد بدأ الآمدى بأن حدد الأطار العام لمنهجه فى الكتاب ، فهو سيؤسس هذا المنهج على الحكم العادل والموازنة المقسطة يقول : « أما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقنا فى الوزن والقافية وإعراب القافية وبين معنى ومعنى ، ثم أقول أيهما أشعر فى تلك القصيدة وفى ذلك المعنى ، ثم احكم أنت حينئذ إن شئت على جملة ما لكل واحد منهما ، إذا أحطت علما بالجيد والردىء » (٢) .

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب د. إحسان عباس ص ١٦٠ .

(٢) الموازنة : ٦/١ .

ويقول فى موضع آخر مؤكدا الذاتية فى التذوق متجاوزا الأحكام المطلقة والتعميم فى تقديم الشعراء « وأنا أذكر – بإذن الله – فى هذا الجزء أنواع المعانى التى يتفق فيها الطائيان ، أوازن بين معنى ومعنى ، وأقول أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه ، فلا تطالبنى أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الإطلاق فإننى غير فاعل ذلك ، لأنك إن قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد » (١) .

هذه بلا شك نغمات جديدة فى تاريخ النقد العربى ، كما يقول د. مندور (٢) إذ إنه لن يحدد أيهما أشعر عنده على الاطلاق ، لتدخل التذوق الشخصى والذاتية فى الحكم ، وربما لن يستسيغ القارىء ما استجاده المؤلف لاختلاف الأمزجة ، وهو لا يريد أن يقلده القارىء ، لأنه لن تحصل الفائدة بالتقليد وإنما تحصل بالنظر .

ثم بدأ كتابه بعرض واف لاحتجاج الخصمين ، وردود الأنصار والخصوم ، ولا شك أنها بداية تقتضيها منهجية البحث ، ثم يبدأ الآمدى بذكر مساوىء الرجلين ليختم الفصل بذكر محاسنهما فيناقش سرقات أبى تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره ومساوىء شعر البحترى فى أخذ ما أخذ من معانى أبى تمام ، وغير ذلك من غلطه فى بعض معانيه .

ويفتتح الموازنة بذكر ابتداءاتهما فى المقدمة الطللية ، ولم تكن تلك الابتداءات التى وازن بين معانيها مقصورة على أبواب المدح ، وإنما كان هذا عنصرا هاما فى منهجه ، يبدأ دائما بابتداءات القصائد فى الأغراض الشعرية الرئيسية من مدح ورثاء ، فيقول فى بداية باب المراثى : « قد جرت العادة فى كل باب أن نعتد فيه الابتداءات فيجب أن أقدم ابتداءات هذا الباب » (٣) .

كما شملت الموازنة الألفاظ والصياغة والصور والأخيلة ، كما حرص على ترتيب

---

(١) الموازنة : ٤١٠/١ .

(٢) النقد المنهجى : ص ٩٤ .

(٣) الموازنة : ٤٥٧/٣ .

المنهج ترتيبا عقليا مقبولا عندما قال : « وكان الغرض فى ترتيب الموازنة أن أبدأ بأنواع المناسب التى ذكراها فى ابتداء قصائدهما قبل المدح : ولمّا ذكرت ما كان من وصفهما للخمر والرياض فى القصائد ، وجب أن أذكر ما كان من الأشعار القائمة بأنفسها فى غير قصائد المدح ليكون الباب بابا واحدا .

ومن أليق الأشياء بوصف السحاب وصف الأمطار ، وكان الأولى بالتأليف أن يكون قبل ذكر الريّاض ، وأنا الآن أجعل بابها فى هذا الموضع ، ليكون كلّ نوع مع شكله ونظيره .

وقد مضى من ذكر السحائب والأمطار فى باب « الدعاء للمنازل والربوع بالسقيا » ما مضى ، وهذا الباب طريقه غير ذلك الطريق » [1] .

وقد حرصت على ايراد هذا النص على طوله لما له من دلالة عظيمة على دقة منهج الآمدى ، وحرصه على ترتيب أبوابه ، وفطنته للعلاقات التى تربط الأبواب ببعضها ربطا منطقيا وواقعيا محكما .

فمن ناحية ترتيب الموضوعات حرص الآمدى على التزام عنوان الفصل ، فيورد الأبيات التى قالها الطائيان فى معنى محدد ، وإذا تعلق بهذه الأبيات بيت لا يتفق معناه مع الأبيات التى يناقشها ، فإنه يؤخره إلى بابه الذى يناسبه ، فيقول تعليقا على قول أبى تمام :

أيّها البَرقُ بُتْ بأعلى البِراق ... واغْدُ فيها بوابلٍ غيداق

وهذا بيت جيد ووصله ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نأتى به إن شاء الله فى بابه » [2] .

وفى باب « ما أخطأ فيه البحترى من المعانى » يناقش خطأه فى قوله :

قِفِ العيسَ قد أدْنَى خُطاها كَلالُها ... وسَلْ دارَ سُعْدى إن شفاك سُؤالُها

---

(١) الموازنة : ٦٥٣/٣ .

(٢) الموازنة : ٤٦٤/١ .

ثم يقول : « وسأزيد شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار » (١) .

وكان يلتزم أن يورد فى نهاية الباب أحسن ما قيل فى معناه وذلك بعد أن ينتهى من الموازنة بين الشاعرين « حتى لتعتبر موازنته موسوعة فى المعانى الشعرية التى تناولها شعراء العرب » (٢) .

ومن الأمور التى تلفت النظر إشارته إلى كافة المؤلفات التى اطلع عليها فى موضوع موازنته ، ومناقشتها والرد عليها ، فقد نقل عن محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الشعراء (٣) وكتاب الورقة (٤) ، ويتحدث عن أمالى وكتب المبرد (٥) ، ويرد على ابن أبى طاهر فى تخريجه سرقات أبى تمام (٦) ، ويذكر ما قاله أبو العباس عبد الله ابن المعتز فى كتاب البديع (٧)، وكتاب سرقات الشعراء (٨) ، ويناقش أبا العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف « بالعُزَيْر » ، ويرد عليه فى الأبيات التى أنكرها ولم يقم الحجة على تبيين عيبها وإيضاح الخطأ فيها ، ثم يذكر الأمام الشافعى فى تفسيره لمعنى « الأيم » فى الحديث (٩) ، كما نقل عن كتاب الخيل لأبى عبيدة (١٠) ، ويناقش آراء البعض منهم كما فعل مع قدامة ورد عليه فى كتاب خاص سماه « تبيين غلط قدامة فى نقد الشعر » (١١) ، فهو لا ينقل نقلا جافا عن

---

(١) الموازنة : ٣٧٩/١ .
(٢) النقد المنهجى : ٣٤١ .
(٣) الموازنة : ١٩/١ ، ٢٧ .
(٤) الموازنة : ١٣٨/١ .
(٥) الموازنة : ٢٢/١ .
(٦) المصدر السابق : ١/ ١١٢ وما بعدها .
(٧) المصدر السابق : ١٣٩/١ .
(٨) المصدر السابق : ٢٧٣/١ .
(٩) المصدر السابق : ١٦٩/١ .
(١٠) المصدر السابق : ٣٠٥/١ .
(١١) المصدر السابق : ١٧٥/٢ .

الكتب والمصنفات التى اطلع عليها ، وإنما يناقش ، ويرد ويفند فى اسلوب نقدى رصين ، فهو يفعل كما نفعل اليوم عندما نريد درس مسألة من المسائل « فنجمع الكتب التى وضعت فى تلك المسألة ، وننظر فيها ، فنقر مانقبله منها ، ونعتمد ما نعتبره كسبا نهائيا ، ثم نراجع ما نراه خطأ ونكشف عما ترك فى الظلال » [١] .

ويظهر الآمدى فى كتابه محتويا ثقافة عصره متأثرا بابن المعتز ، قارئا لآراء وحكمة اليونان والفرس ، ويتعرض للرد على مقاييس أرسطو التى أوردها قدامة فى كتابه « نقد الشعر » [٢] ، ثم يناقش آراء بزرجمهر ويشرحها [٣] .

وإذا كنا فى هذه الأيام نحاول أن نحقق النصوص ، فنرجع إلى عدة نسخ نقارن بينها ، ونستخرج أحكاما تكون أقرب إلى الصحة ، بأسلوب علمى معلل ، فإن هذا ما كان يفعله الآمدى ، فقد روى قول أبى تمام :

دارٌ أُجِلُّ الهوى من لَمْ أُلِمَّ بِها ... فى الرَّكْبِ إلّا وعَيْنِى من مَنائِحها [٤]

ثم قال : « فإنما وجه الكلام أن يقول : دار أجل الهوى عن أنْ أُلِمَّ بها إلّا وعينى من منائحها ، أو أجل الهوى من أن أُلِمَّ بها وليس عينى من منائحها ، وقد كنت أظن أنَّ أبا تمام على هذا نظم الشعر ، وأن غلطا وقع فى نقل البيت ، حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى وأضرابه فوجدت البيت فى غير نسخة مثبتا على هذا الخطأ » [٥] .

وكرر هذا فى عدة مواضع [٦] ، وهذه دقة تضاف إلى مناقب الآمدى ، ويرى د. طه الحاجرى أن هذه الدقة مرجعها دراسته النحوية فيقول : « وإلى هنا نرى

---

(١) النقد المنهجى : ١٠٠ .

(٢) الموازنة : ١/١٧٤ .

(٣) المصدر السابق : ١/٤٢٨ .

(٤) شرح التبريزى : ١/٣٤٥ .

(٥) الموازنة : ١/ ٢١٥ .

(٦) انظر الموازنة : ١/٢٢٨ ، ٤٠٨ .

الآمدى مزاجا من الشعر والرواية والنحو ، فأما الشعر فمعناه الانفعال بصور الجمال الفنى ، وأما الرواية فمعناها الإلمام بصور العبارة الفنية ، أو حتى الإحاطة بألوان الثقافة الفنية ، وأما النحو فمعناه عند الآمدى هذه الصفات العقلية المنهجية ، دقة النظر ، ونظام الفكر وتعليل الرأى ، وهذه المعانى وهذا الترتيب هى عناصر الآمدى الناقد : الذوق الفنى ، الثقافة الفنية ، النزوع العلمى » [1] .

ملاحظات على منهجه :

على الرغم من محاولة الآمدى الالتزام بهذا المنهج ، فإنه قد تجاوزه فى بعض الأحيان ، وفى مواضع محدودة ، وكان التجاوز قد تجلّى فى عدة صور ، منها عدم الالتزام بعنوان الفصل وذلك عندما ناقش « ما عيب به البحترى وليس بعيب » [2] ، فإنه بعد أن ناقش أربعة عشر بيتا للبحترى ، وعرض رأى من عابها ودافع عنه محاولا إسقاط حججهم ، أدخل تحت هذا العنوان أبياتا ثلاثة أقر الآمدى بتعسف البحترى فيها وتعقيد ألفاظه ، وردىء تجنيسه ، فيقول فى تعليقه على قول البحترى :

« فتىً لَمْ يَمِلْ بالنَّفْسِ مِنْهُ عن العُلىٰ   إلى غَيْرِها شَيءٌ سِوَاهُ مُمِيلُها

فإن سلم من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف ، ولست أعرف بيتا تعسف فى نظمه غير هذا البيت » [3] .

ويقول : « ومن ردىء التجنيس وقبيحه قوله :

أَمِنَّا أَنْ تُصَرَّعَ عن سَمَاحٍ   وللآمالِ فى يَدِكَ اصْطِراعُ »

ثم يعلق عليه مقرا بقبح التجنيس بين « تصرع » و « اصطراع » [4] .

---

(١) الآمدى وكتاب الموازنة د. طه الحاجرى – الآداب والتربية – الجامعة الليبية – المجلد ص ١٤ .

(٢) الموازنة : ٣٨١/١ .

(٣) المصدر السابق : ٤٠٣/١ وديوانه : ١٧٨٠/٣ .

(٤) المصدر السابق : ٤٠٥/١ وديوانه : ١٢٤٦/٢ .

ثم يقول :

« ومن ردىء التجنيس قوله :

حُيِّيتِ بَلْ سُقِّيتِ من مَعْهودَةٍ عَهْدِى غَدَتْ مَهْجورَةً ما تُعْهَدُ (١) »

فالأبيات الثلاثة كان الأولى لها أن تفرد فى باب « تعقيد اللفظ وردىء التجنيس » كما فعل عند أبى تمام ، فهو لا يدفع عنها العيب كما يوحى عنوان الفصل الذى أدرجها تحته .

وكان الآمدى قد تحدث عن الأحكام وعللها فقال : « وإن طالبت بالعلل والأسباب التى أوجبت التفضيل ، فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمى من نعت مذهبيهما ... فإنى أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما فى الأشعار التى أرتبها فى الأبواب ، وأنص على الجيّد وأفضله ، وعلى الردىء وأرذله ، وأذكر من علل الجميع ما ينتهى إليه التخليص ، وتحيط به العبارة ، ويبقى مالا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة ، وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت تجربته وقلت دربته ، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة وامتزاج بها وإلا فلا » (٢) .

إذن فهو سينص على علل أحكامه فى التفضيل والإرذال ، ويبقى بعد ذلك الأمور التى تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة (٣) ، وهى لا يمكن إدراكها الا بالدربة والطبع ، ولكنه يبدو أنه توسع فى هذا المبدأ إذ إننى قد وجدته فى عدة مواضع أطلق الأحكام على جملة قصائد دون تعليل ، فيقول فى نهاية الجزء الثالث وفى باب « وصف قصائدهما » : « فأقول فى الموازنة بينهما إن عيون شعر أبى تمام أجود من عيون شعر البحترى وهما فى جيدهما متساويان ، وأطَّرح إساءات أبى تمام فى هذا الباب ولا أعتد بها » (٤) .

---

(١) الموازنة : ٤٠٦/١ وديوانه : ٦٢٨/١ .

(٢) الموازنة : ٤١٠/١ .

(٣) وهى عبارة إسحاق الموصلى كما نقل الآمدى « الموازنة : ٤١٤/١ » .

(٤) الموازنة : ٧٠٢/٣ .

وهو فى هذه الأحكام لا يوضح أسباب الاستجادة أو الرداءة فى كثير من المواضع .

وإذا كانت الموازنة لا تصح إلا إذا كان هناك نموذجان تعقد بينهما المفاضلة ، فإن غياب مساهمة أحد الشاعرين فى معنى من المعانى تجعل من العبث منهجيا إثبات وإيراد ما تفرد به أحدهما فى ذلك المعنى ، فالآمدى يقول :

« ومما لم يقل فيه أبو تمام شيئا وصنف الأبنية والبرك ، وقد قال البحترى فى ذلك وأحسن كل الإحسان وأتى فيه من ذكر الرياض والمياه بما وجب أن يوصل بهذه الأبيات التى تقدمت » (١) .

وقد أورد قصيدة البحترى التى أولها :

حَلَفْتُ لها باللهِ يومَ التَّفُرُّقِ وبالوَجْدِ من قَلْبِى بها المُتَعَلِّقِ (٢)

وفيها شيء من ذكر الرياض والمياه قد يشفع لها أن يثبتها فى هذا الباب ، أما باقى القصائد كقصيدة البحترى فى وصف قصرى المتوكل الصبيح والمليح ، وقصيدتيه فى وصف بركة المتوكل وإيوان كسرى ، فلا محل لها فى هذا الباب إذا كان ديوان شعر أبى تمام قد خلا من مثل هذه الموضوعات ، وكذلك باب « ذكر الحرب فى البحر » إذ قال فى نهايته الباب بعد أن ذكر قصيدة البحترى فى مدح أحمد ابن دينار : « وليس لأبى تمام فى حرب البحر شيء » ، فإذا كان شعر أبى تمام قد خلا من هذه المعانى ، فما الداعى لإثبات هذا الباب إذا كانت الموازنة لا تتحقق مع غياب نماذج من شعر أحدهما ؟ .

* * *

(١) الموازنة : ٣/٦٦٢ .
(٢) ديوانه : ٣/١٥٠٤ .
(٣) الموازنة : ٣/٣٦٩ .

ثانيًا: الجزء الثالث من كتاب الموازنة

أولا : منهج التحقيق

للتحقيق قواعد علمية اتفق عليها ، منها ما هو عام يطبق على كل نص ، ومنها ما يستمد أهميته من خصوصية الأثر العلمى ، وقد التزمت فى قراءتى وشرحى لهذا الكتاب العناصر المنهجية التالية :

١ – الالتزام التام بالنص ورسمه ، فإذا سقطت بعض الكلمات من الأصل ، أو كانت مطموسة ، أو مكتوبة خطأ بسبب سبق قلم الناسخ ، أصلحتها ووضعتها بين معقوفين وأشرت إليها فى الهامش ، وإذا كان رسم الكلمة يحتمل الصحة تركته وأشرت إليه فى الهامش .

٢ – لأهمية النقول التى وردت فى كتاب ابن المستوفى « النظام شرحى المتنبى وأبى تمام » فقد اعتمدت عليها فى تحرير النصوص وتوثيقها . وإكمال نقص بعضها ووضعت الزيادة المستجلبة من النظام بين معقوفين ، ولأن ابن المستوفى كان ينقل من الموازنة ومن كتاب آخر للآمدى هو « تفسير معانى أبيات أبى تمام » ، وكان لا ينص على موضع النقل أحياناً ، فقد كنت حريصا على التأكد من أن النص فى الموازنة يطابق نقل النظام حرفيا ، ثم أثبت النصوص الأخرى المشكوك فيها فى الهامش .

٣ – اضطررت إلى أن أضع عنوانا لباب واحد وهو « بلاغة الوزراء وحسن عباراتهم ووصف القلم » ، وجعلته بين معقوفين ، وصححت عنوانا آخر ورد متداخلا مع ألفاظ التعليق ، بعد أن أعيانى استخراجه وهو « إغناء السائلين حتى يكونوا مسئولين » .

٤ – عند التقاء النسختين « التونسية وكمبردج » جعلت نسخة كمبردج هى الأصل ، لوضوح خطها ولأنها تشتمل على معظم هذا القسم ، بالاضافة إلى معرفة تاريخ كتابتها ، فإذا وردت زيادة فى التونسية على مافى الأصل أثبته بين معقوفين .

٥ – وردت بعض الأخطاء اللغوية فصححت بعضها وأشرت إليه فى الهامش ، وتركت الأشارة إلى البعض الأخر لوضوح الخطأ .

٦ – اعتمدت على ديوان أبى تمام ، شرح الصولى ، وشرح التبريزى لديوان أبى تمام فى تخريج أبياته ، وعندما يذكر فى هامش شعر أبى تمام « ديوانه » ، فالمَعْنِىُّ شرح الصولى لديوانه .

٧ – رجعت إلى بعض النسخ المخطوطة لديوان أبى تمام لتخريج بعض أبيات له لم أجدها فى شرحى ديوانه للصولى وللتبريزى .

٨ – تركت ترجمة الأشخاص المشهورين وقصرتها على الذين قد يغيب عن القارىء أمرهم .

٩ – حاولت جهدى تخريج الأبيات الواردة فى هذا الجزء ، فهدانى الله لبعضها ، وعجزت عن البعض الآخر مع شدة البحث والتقصى .

١٠ – وردت بعض القضايا النقدية واللغوية أشرت إليها مع شىء من التفصيل فى الهامش انظر « ص ٦٤٨ ، ٦٥٥ ، ومواضع أخرى » .

١١ – وضعت فهارس للأعلام وقوافى الأبيات واللغة وصولا إلى تحقيق سبل الاستفادة الكاملة من الكتاب .

١٢ – رمزت إلى نسخة كمبردج بـ « ك » أو « الأصل » وإلى النسخة التونسية بـ « س » .

١٣ – جعلت بداية هذا الجزء من الكتاب من أول باب « ما قالاه فى الجمال والجلال والهيبة والبهاء والجهارة » حتى لا تكون بداية مبتورة ، حيث إن أول النسخة التونسية يبدأ من الورقة الأخيرة فى ذلك الباب ، وقد اعتمدت فى تحقيق هذا الجزء المضاف على الجزء الثانى المطبوع بالإضافة إلى نسخة مخطوطة له مصورة فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة رقمها « ٤/١١٩٥ ينى جامع » ورمزت إليها بـ « ق » ، والنسخة التيمورية – « دار الكتب المصرية ١٢٦٦٢ ز » ورمزت إليها بـ « م » .

ثانيا : وصف النسختين المخطوطتين

١ – **نسخة كمبردج** « فهرس المخطوطات الاسلامية فى كمبردج ، إدوارد براون سنة ١٩٠٠ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٥ » ، وهذه النسخة صفحاتها مبعثرة تبدو للناظر فيها خلقة شوهاء ، تداخلت أوراقها كتداخل أوراق « اللعب » ، بالإضافة إلى أنها اتصلت بعشرين لوحة تقريبا من كتاب الوساطة ، ولهذا ظنّ « براون » صاحب الفهرس أن الجزء الثانى من تأليف على بن عبد العزيز الجرجانى ، وقال فى فهرسه عن الكتاب : « جزءان مستقلان فى نقد شعر أبى تمام والبحترى وهما من

طيىء ، وعنوانهما « الموازنة بين أبى تمام والبحترى أو الموازنة بين الطائيين » الجزء الأول : تأليف أبى القاسم الحسن بن بشر الأمدى ، والجزء الثانى : تأليف أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى » !!؟ .

وتبدأ هذه النسخة من آخر فصل « الإكثار من العطاء » من باب الجود والكرم ، وقد تركت ترقيم الصفحات كما هو دون تعديل ، وفى هذا الجدول ترى مقدار اختلال صفحات هذه النسخة :

رقم اللوحة	بقيتها	ملاحظـــات
٦٢/أ	٦٧/ب	
٨٢/أ	٨٨/ب	وتبقى اللوحات التالية وهى من الوساطة .
٧٨/أ	٦٨/ب	من ١ - ١٤/أ
٨٠/أ	٧٠/ب	ثم من ٦٢/ب - ٦٧/أ
٧٠/أ	٧٨/ب	وعددها تسع عشرة لوحة ونصف اللوحة .
٨٨/أ	٨٠/ب	
٧٤/أ	٧٦/ب	
٧٢/أ	٧٤/ب	
٧٦/أ	٨٢/ب	
٢٠/أ	١٤/ب	
١٦/أ	٢٠/ب	
٦٨/أ	١٦/ب	
٩٤/أ	١٢٠/ب	
١٢٠/أ	٥٤/ب	

وتبدأ النسخة بلوحة « ٧٢/ب » حيث تلتقى مع نسخة تونس ، وهذا الجدول يوضح حالتها السقيمه والجهد الذى بذل فيها لترتيب صفحاتها كما ينبغى لتستوى نسخة مرتبة الصفحات مترابطة الأجزاء .

ورقم هذه النسخة هو (Qq 286) وتقع فى ١٤٥ لوحة مزدوجة « بما فيها لوحات الوساطة » ، ومسطرتها ٢٤ سطرا وقياس صفحاتها ٢٤ × ١٧٫٥ ، مكتوبة بخط مشرق جميل ومشكول .

وقال فى آخرها :

« وقع الفراغ من تحريره يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة
أربع وتسعين وستمائه هجرية
والحمد لله رب العالمين دائما أولا وأبدا
المأنوسة حماة بمحروسة »

وعلى هامشها بعض الحواشى القليلة ، مكتوبة بخط فارسىّ ، ليست لها أهمية ، فتركت الإشارة إليها .

وهذه النسخة من مقتنيات الرحالة المستشرق « لويس بوركهارت » وتاريخ اقتنائها سنة ١٨١٩ (١) .

وتحتوى هذه النسخة على بقية كتاب الجود والكرم ثم كتاب البأس والنجدة ، ثم ماقالاه فى أوصاف الخيل ، ما قالاه فى الفخر ، ثم التوجع من العلل والنكبات ، ثم ما قالاه فى المراثى ، ذكر الحجاب والاستبطاء والتنجز ، ثم العتاب والوعيد والتهديد والذم المجمل والهجاء ، ثم باب فيما جاء عنهما فى الرياض والأنوار والشراب ومعاطاة الندمان ، ثم باب وصف الغلمان واستهدائهم ، ثم باب وصف الرياض والأنوار والسحائب والأمطار وذكر الأبنية ، ثم ذكر ما وصفا به قصائدهما .

وتنتهى نسخة كمبردج عند هذا الباب ، ويقول فى آخرها « نجز كتاب الموازنة » ولكن الكتاب لا يزال ناقصا على الأقل البابين التاليين : باب التشبيه ، وباب الأمثال اللذان قال الآمدى إنه سيختم بهما الرسالة (٢) .

ومع هذا الترتيب الذى قمت به لهذه النسخة فلا يزال هنالك موضع يشير إلى أن الأصل الذى نُقِلَتْ منه هذه النسخة لم يكن صحيح التبويب ، إذ إن

---

(١) فهرس براون : ص ٣٧٩ .
(٢) الموازنة : ١/٥٧ .

الآمدى قال فى باب « ما قالاه فى وصف الخيل » معلقا على قول البحترى :

لَوْ يُوقَدُ المِصْبَاحُ مِنْهُ لَسَامَحَتْ بضيائِهِ شيةٌ كَوَهْيِ الكَوْكَبِ

قال : « وقوله : « كَوَهْيِ الكَوْكَبِ » قد مضى تفسيره عند تفسير قوله فى وصف الخمر !

من كُمَيْتٍ تَقُولُها وَهْىَ نَجْمٍ ضَوَّأَ الليلَ أو مُجَاجَةَ شَمْسِ »

ولكن باب وصف الخمر متأخر فى هذه النسخة عن باب وصف الخيل ! .

أما خروم هذه النسخة فأهمها :

(١) فقدان أولها وضياعه واستبداله ببداية كتاب الوساطة ، والمتأمل للخط يجد أن الخطين فى كتاب الوساطة والموازنة لا يكادان يفترقان ، وهذا أحد أسباب تلفيق الكتابين ، وقد جبرت النسخة التونسية هذا النقص كما سنرى .

(٢) سقط باب « تعجرف الجواد على ماله وإتلافه إياه » ، ووضعت نسخة كمبردج هذا العنوان على باب « إعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه » وسقط أيضا باب « دفع الجواد وعطاياه لنوائب الدهر » [1] .

(٣) فى كتاب البأس والنجدة ورد باب « ذكر تشبيه الأبطال بالسباع » وفيه خرم ، هو بالتأكيد فى النسخة التى ينقل منها الكاتب ؛ لأن الخرم جاء بتداخل العبارات واتصالها فى سطر واحد دون فاصل ، وكأن الحديث متعلق ببعضه ، ولكن المعنى يختلف اختلافا بينا ، فالآمدى يشرح قول أبى تمام :

يا يَوْمَ أَرْشَقَ كُنْتَ رَشْقَ مَنِيَّـةٍ لِلْخُرَّمِيَّـــةِ صَائِبُ الآجَالِ

أسرىٰ بَنُو الإسلام فيهِ وأَدْلَجُو بقلوبِ أُسْدٍ فى صُدورِ رِجالِ

يقول : « « أسرى » من السرى ، وهو السير بالليل ، و « الإدلاج » أيضا بالليل ، وإنما أراد « الإدّلاج » بالتشديد يبهر الشمس ويزيد عليها ... » ، فقوله « يبهر

---

(١) انظر ١٨٦/٣ ، ١٩٠ .

الشمس ويزيد عليها » وما تلاه من عبارات هى فى وصف السيف ولا تتعلق بالبيتين السابقين ، ووجدت أن الشرح على أبيات لأبى الهول الحميرى ، وتنسب لابن يامين المصرى فى وصف السيف فأثبتها [1] .

(٤) وهذا أيضا شبيه بسابقه إذ جاء فى آخر كتاب المراثى الباب التالى « الذكر للميت وطيب الأحاديث بعده » ، ثم ذكر ثلاثة أبيات لأبى تمام وضمّ إلى البيتّ الأخير منها بيتا يختلف عنه فى القافية والمعنى ، كما أن البيت لبشار يذكر فيه الاستبطاء فى العطاء وجاء البيتان على هذه الصورة :

« وقال « أى أبو تمام » :

وقُمْنَا فَقُلْنَا بعد أَنْ أُفْرِدَ الثَّرَى ... بِهِ ما يُقالُ للسَّحابَةِ تُقْلِعُ

تُعْطِى الغَزِيرةُ دَرَّها فإذا أَبَتْ ... كانَتْ مَلَامَتُها على الحَلَّابِ » [2]

فالبيت الثانى لبشار كما قلت ، فجعلت بيت أبى تمام نهاية كتاب المراثى ، وبيت بشار بدايةً لِباب « الحجاب والاستبطاء والتنجز » ، وأخذت العنوان من عبارات الآمدى التى وردت فى ص ٥٣٦ ، وهى قوله : « وقال أبو تمام وذكر الحجاب » ، وقوله فى ص ٥٤٣ : « ولأبى تمام فى الاستبطاء والتنجز أشياء رديئة وقبيحة » .

وفيها خروم أخرى صغيرة أشرت إليها فى موضعها .

٢ – النسخة التونسية : وهى مكتوبة بخط مشرقى مشكول ضبطها صحيح إلا فى بعض المواضع القليلة ، مسطرتها ١٥ سطرا وعدد لوحاتها ٩٩ لوحة مزدوجة . ولم يذكر عليها تاريخ نَسْخِها . وهى فى المكتبة الوطنية بتونس ورقمها (١٦٠٨٨ أدب) [3] .

---

(١) انظر ٣٢٣/٣ ، ٣٢٤ .

(٢) ٥٣٥/٣ ، ٥٣٦ .

(٣) انظر فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس « خزانة جامع الزيتونة » ، تأليف : عبد الحفيظ منصور ص ١٢١ ، ورقم النسخة فيه : (٤٤٦٦) .

وقد كان وصول هذه النسخة نعمة من الخالق الذى منّ علىّ بها ، فى وقت فقدت فيه الأمل فى العثور على نسخة أخرى تجبر نقص نسخة كمبردج ، والحق أن هذه النسخة قد جبرت ثم فاضت حسناتها بعد ذلك على الكتاب كله ، إذ سدّت فرجة كبيرة بدأت من انتهاء الجزء الثانى المطبوع ، فلوحتها الأُولى تشمل الصفحات الأخيرة من باب وصف الهيبة الذى وقف عنده الجزء الثانى المطبوع ، والراجح أن شيخنا السيد صقر لم يطلع على هذه النسخة ، وإلا كان قد وقف فى الجزء الثانى عند نهاية باب الهيبة بحيث ضمّ إليه ما ورد فى اللوحة الأُولى من هذه النسخة .

وتستمر هذه النسخة دون إخلال لتأتى على باقى أبواب كتاب المدح الذى سُرَدتْ أبوابه فى الجزء الثانى المطبوع ، ثم يأتى كتاب الجود والكرم ، وتتوالى أبوابه إلى أن تلتقى هذه النسخة مع نسخة كمبردج فى باب (الإكثار من العطاء) ، ثم تترافق النسختان إلى نهاية باب الجود والكرم ، حيث تنتهى نسخة تونس وتستمر نسخة كمبردج إلى نهاية الكتاب .

وجعل فى أول هذه النسخة صفحة مستقلة كتب عليها ثمن الكتاب : « قيمته ثمانية عشر ريالا » ، ورقم ١٨ على يمين العبارة ، ثم فى أعلى الصفحة إلى اليمين رقم (٤٤٦٦) ، ثم نقرأ شهادة الوقف التالية :

« الحمد لله ، أشهد مولانا موقظ جفن الملك بعد إغفائه ، وناشر بساط المجد بعد انطوائه ، والمعتنى بنشر العلم ورفع لوائه ، والمتسبب لأهله فى الاشتمال بردائه ، سراج « الإيالة » الأفريقية « والمحر » بأرجائها مسالك السياسة الدينية والدنيوية ، سيدنا المشير أحمد باشا حماه الله فعلى دولته ، وأداح فى ميدان الملك جولته ، أنه حبس هذا الكتاب ، وهو الثانى من كتاب الموازنة لأبى تمام « كذا » ، على كل متأهل للانتفاع به من عامة العلماء ، وتلامذتهم وغيرهم ، معينا « بقراره » خزائنه العلمية التى عمرّ بها صدر الجامع الأعظم بتونس ، وشرط عدم إخراجه منه إلا لمؤتمن عليه ، بعد استئمار أحد شيخى الإسلام الحنفى والمالكى ، على أن لا تتجاوز مدة مغيبه حولا ، جاعلا ثواب ذلك فى صحيفة صدر الأفاضل ، ومقدمهم بلا منازع ولا مناضل ، خاتمة

المحققين ، ومن ضم إلى غزارة العلم متانة الدين ، سيدى إبراهيم الرياحى ، الذى اشترى – أيده الله تعالى – من ماله هذا الكتاب من مخلف الشيخ المذكور بهذه النية الحسنة ، فبهذه الشروط انعقد تحبيسه ، وعلى هاته الدعائم أحكم تأسيسه ، بحيث لا يغير التحبيس عن مشروح حاله ، ولا يعدل به عن يمين ما سطّر إلى شماله ، وشهد عليه بمضمون ذلك ، وهو – أيده الله تعالى – بالحالة اللائقة بمحله من الملكّ ، وذلك بواسطة ارتسام ختمه الأشرف أمام « الحمدية » ، فى أواخر أشرف الربيعين بمولده عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فى عام ١٢٦٨ ثمانية وستين ومائتين وألف ، و « نقلد » نصره الله كالبدر ليلة كماله أحمد ... » .

والشهادة كتبت بخط مغربى مخالف لخط الأصل ، والكلمات القليلة التى وضعتها بين قوسين لم أستطع قراءتها ، ويلاحظ أن الكتاب قد نسب فيها إلى أبى تمام خطأ ، وربما كان هذا من أسباب صعوبة العثور على هذه النسخة .

أما خروم هذه النسخة فأهمها :

١ – خرم فى أولها لانعلم مقداره ص ١٣ ، والراجح أنه لا يزيد على صفحات قليلة .

٢ – خرم فى ص ١٦ قد يكون أبياتاً معدودة .

٣ – خرم ص ٥٨ لا يتجاوز سطرين .

٤ – ورد فى أبواب باب الكرم ص ١٢٣ باب « عذل الجواد على الجود » .

وقد وقع خرم بين نهاية باب « فى خبط الجواد بنائله من غير تمييز » ص ١٨١ وبداية باب « عذل الجواد على الجود » فتداخل البابان من ص ١٨١ .

وقد اتفقت المخطوطتان على هذا الخرم مما قد يوحى أن أصلهما واحد .

وفى ص ١٣١ « لوحة ٥١ ، ٥٢ تونسية » تكررت اللوحتان ، وهما من نسختين للموازنة كاتبهما واحد ، غير أن بداية ونهاية كل منهما تختلف عن الأخرى .

ثالثا : استدراكات

وهى ملاحظات برزت أثناء عملية التحقيق ، ولم أقصد بها تتبع عمل شيخى السيد صقر ، وإنما كنت أضع تحقيقه للكتاب نصب عينى ، أحاول أن أقترب من

قممه ، فتعقد بي قلة خبرتي في هذا الفن ، وأتذكر فضله في إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة المشرقة التي جعلته يتبوأ مكانته اللائقة بين تراثنا الأدبي ، وفتحت أعين طلاب العلم وتلامذة الشيخ على كنوزه ، وجعلت القارىء العربي وغير العربي المهتم بآداب العربية يطل على تراثها من أرحب طاقاتها ، ولكنها محاولة ابن لتجميل عمل من أعمال أبيه ، ليظهر على الناس وهو على أحسن صوره ، فليتقبلها أستاذي مني على هذا الوجه :

١ - جاء في الجزء الأول ص ٢١٢ : « مثل قول أبي تمام « هل رضيت وهل أرضى » وصحتها : « رضيت وهل أرضى » وهي كذلك في بعض النسخ المخطوطة .

٢ - ص ٢٤٧ بيت الأغلب العجلي :

أَنْ قَدْ خَلَوْنَا بِفَضاءٍ بقيٍّ   وغاب كلّ نفس مَخْشيّ

وإنما هي « بفضاءٍ قِيّ » والقِيُّ : القفر من الأرض [1] ، وهو في المخطوطة الألمانية على الرواية الصحيحة ، وكذلك ورد البيت بالرواية الصحيحة في الجزء الثالث ص ٣٩٢ .

٣ - في الجزء الأول ص ٢٥٠ - ٢٥١ ورد قول الآمدي « وقوله : « وتخفى الذي نبدي » لفظ فاسد ، لأنّ تخفى معناه تكتم وتستر ، والذي قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته .

فإن قيل : ولم لا يكون هذا توسعا أو مجازا .

قيل : المجاز في مثل هذا لا يكون ، لأن الشيء الذي تكتمه وتطويه إنما أنت خازن له وحافظ ، فهو ضد الشيء الذي تزيله وتبطله والأضداد لا يستعمل أحدهما في موضع الآخر إلا على سبيل المجاز « ، وصحة العبارة « والأضداد لا يستعمل أحدهما في موضع الآخر على سبيل المجاز » بإسقاط « إلا » .

---

(١) اللسان : مادة (قوا) .

٤ – وردت فى الجزء الثانى ص ٣٥٤ العبارة التالية :

« ولهما فى السؤدد والمجد والشرف فى مدح سائر الناس ما أذكره من بعد فى تأييد الدين وتقوية أمره » .

وهذه العبارة ألحقت نهاية باب السؤدد والمجد بعنوان باب جديد هو : « فى تأييد الدين وتقوية أمره » ، وقد ذكره الآمدى فى سرده لعناوين أبواب كتاب المدح « ٣٣١/٢ » ، ومعانى الأبيات التى وردت بعد هذا تدور كلها حول هذا العنوان .

٥ – قال عن أبيات البحترى فى ٥١٨/١ فى الهامش رقم (٢) : « لم ترد فى ديوانه ووردت فى القول الفائق ٣٣ ظ » ، وكذلك فعل محقق ديوان البحترى عندما جعلها فى ملحقات الديوان ، والحقيقة أن هذا الكتاب ما هو إلا نسخة ثانية من القسم الأول من كتاب الموازنة ، سمّى « القول الفائق » تزويرا ، ولفقت نسبته إلى ابن الأثير ، ونسخته موجودة فى معهد المخطوطات تحت رقم ١٤١٥ أدب ، وهذه الأبيات وردت – بالطبع – تحت الباب نفسه الموجود فى كتاب الموازنة « وصف الديار وساكنيها » (١) .

رابعا : ملاحظات عامة :

١ – ورد « باب الحسد » فى الجزء الثالث ص ١٥٥ ، ولم يذكر فى أبواب كتاب المدح فى الجزء الثانى المطبوع .

٢ – فى موضع فريد وردت العبارة التالية :

« قال : والوفر هو المال .. »

ولا أدرى من القائل ، ولم تجر عادة الآمدى على هذا أبدا ، وربما تكون من زيادات النساخ (٢) .

٣ – من حسنات نسخة « س » أنها احتوت على أحكام الآمدى فى أبواب الموازنة فى حين سقط بعض هذه الأحكام من نسخة كمبردج .

---

(١) وانظر الموازنة : ١٩٤/٣ .

(٢) انظر ص ١٥٥ .

٤ – قال الآمدى فى ص ٥٧٩ من هذا الجزء :

« وقد ذكرت غلطة فى قوله « وكنت أعز عزا من قنوع » فى أغاليطه » .

ولم أجده فى أغاليطه ، أو فى أى موضع آخر من الكتاب مع شدة البحث والتقصى .

٥ – قال ياقوت فى ترجمة الآمدى ، وذكر تعصبه على أبى تمام ، ثم قال : « وحسبك أنه بلغ إلى قول أبى تمام :

أصم بك الناعى وإن كان أسمعا

وشرع فى إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين ، فتارة يقول هو مسروق ، وتارة يقول هو مرذول ... » [1] .

وما ذكره ياقوت لم يرد فى الموازنة أو على الأقل فى القسم الذى بين أيدينا ، وقد أشار الآمدى إلى هذا البيت فى موضعين ، الأول عندما قال إنه مأخوذ من قول محياة بنت طليق :

نعى ابنى محلّ صوت ناع أصمّنى فلا آب محبورا بريد نعاهما

أو من قول سفيان بن عبد يغوث النصرى :

صمّت له أذناى حين نعيته ووجدت حزنا دائما لم يذهب [2]

ولم يعلق الآمدى على البيت ، وربما كان هذا ما قصده ياقوت عندما قال : إنه مسروق .

والموضع الثانى فى حديثه عن ابتداءاتهما فى المراثى ويعلق عليه قائلا :

« وهذا معنى حسن جدا ، وليس يريد بالصمم انسداد السمع ، وإنما يريد أن

---

(١) معجم الأدباء : ٧٨/٨ .

(٢) الموازنة : ١٠٣/١ .

الناعى أذهل عن كل شيء وحيّر حتى صار الانسان يخبر بالشيء ، فلا يفهم ما يقال لعظم ما ورد فجعل ذلك صمما » [1] .

فالآمدى أثنى على البيت ولم يرذله .

٦ - كانت الفائدة عظيمة من نقول ابن المستوفى من كتابى أبى تمام « الموازنة » و « شرح معانى أبيات أبى تمام » ، حيث إنها سدت كثيرا من الخلل فى بعض النصوص ، كما إنها فى بعض المواضع « أشرت إليها فى الهامش » ساعدت على تتبع إحالات الآمدى إلى كتابه المفقود « تفسير معانى الأبيات » ، وقد كان من فضل توفيق الله أن بعض هذه المواضع التى أحال إليها ، نقلها ابن المستوفى كاملة كقوله :

« وقوله :

أهدى كنارا جدّه فيما مضى   للسّيل واستصفى أباة اليلبق

فهو مما يتعلق بخبر وفيه معنى غامض قد ذكرته فيما أفردته من تفسير غامض معانيه » « ص ٣٩٩ » .

وهو يعنى بهذا كتابه « تفسير معانى أبيات أبى تمام » ، وقد نقل ابن المستوفى من هذا الموضع الشرح كاملا .

وقال فى ص ٥٣٧ عن قول أبى تمام :

يا أيها الملك النائى برؤيته   وجودهُ لمراعى جودهِ كثبُ
ليس الحجابُ بمُقْصٍ عنك لى أملا   إنّ السماءَ تُرَجَّىْ حين تحتجبُ

« هذا معنى عابه به أبو العباس المبرد على ما حاكاه عنه الفزارى ، وقال : الذى يرجّى هو الحجاب نفسه ، وإنما أخذ هذا من قول مسلم بن الوليد :

كذلك الغيث يُرْجَىْ فى تحجبه   حتى يُرىٰ مُسْبِلاً عن وابلِ المَطَرِ

---

(١) معجم الأدباء : ٨/٧٨ .

وقول أبي تمام أقرب إلى الصحة من قول مسلم ، وقد ذكرت مافى البيتين جميعا فى باب سرقات أبى تمام » .

وقد بحثت عن هذا البيت فى سرقاته ، فلم أجده ، كما لم يذكرهما فى موضع آخر من الكتاب ، وفقا للنسخ التى بين يدى ، ووجدت ابن المستوفى نقل فى كتابه النظام يقول : « ذكر الآمدى القول فى هذا البيت فى غير موضع من كتابه « يعنى الموازنة » واستوفى القول فيه عليه فى شرح الأبيات « يعنى كتاب تفسير معانى أبيات أبى تمام .. » ثم نقل ابن المستوفى تعليق الآمدى المفصل على هذين البيتين ، فالآمدى توهم أنه شرح هذين البيتين فى الموازنة ، ولكنه لم يفعل ذلك إلا فى كتابه الآخر .

وقد حرصت على نقل كل ماوقعت عليه عيناى من تعليقات الآمدى حول الأبيات الواردة فى هذا الجزء والتى نقلها ابن المستوفى ولم يحدد موضع نقلها ، وكانت تختلف فى صياغتها وأفكارها عما ورد فى الموازنة ، وجعلت هذه النقول فى الهامش لتكتمل الفائدة .

٧ - لاحظت أن كثيرا من أبيات أبى تمام والبحترى وردت فى دواوينهما مُخْتَلَّةَ الوزن العروضي ، وقد أشرت فى الهامش إلى هذه المواضع انظر : « ص ٤٢٤ ، ٥٣٢ ، ٥٣٩ ، ومواضع أخرى » .

* * *

دليل المصادر

الأغـــــــانى = طبعة ساسى
الأمـــــــالى = أمالى أبى على القالى
البغـــــدادى = خزانة الأدب
التنبيـــــــه = التنبيه على أبى على فى أماليه للبكرى
التبريـــــزى = شرح ديوان أبى تمام للخطيب التبريزى
ديـــوان أبى تمام = شرح ديوان أبى تمام للصولى
المرزبـــــانى = معجم الشعراء للمرزبانى .

* * *





No 16088

اللوحة الأولى من النسخة التونسية تحتوى على نص شهادة الوقف

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] وما توفيقي الا بالله [illegible]

وقال النخعي

تلقت [illegible] [illegible]

جماهير المطالب يفضل القوم عندها [illegible] كالرماح الرواكد

يوقفون [illegible] مواطنهم [illegible] في المشاهد

ولم ار امثال الرجال تفاوتت الى الفضل حتى الف بواحد

وقال في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين قدم بغداد

ونطيف انا الستر الذي دونه به لحسن الاخلاق فيهم جميلها

كانهم منذ استلام رجاله عصابة عند البيت حان قفولها

اذا ازدحموا قدامه ووراءه مشوا مشية بالاناة عجولها

وقال ابو عمرو والمفضل [illegible]

شهدت ابن ليلى في مواطن [illegible]

فلا هاجر [illegible] القول [illegible] النصح يلفى مشيرها

ترى القوم يغضون للواعظ عنده [illegible]

ومثل هذا [illegible]

من آل ابي موسى ترى القوم حوله كانهم الكروان ابصرن بازيا

مرتبين [illegible] عليه مهابة [illegible] الاصوات الا [illegible] مناديا

فما يعرفون الضحك الا تبسما ولا يشبهون القول الا تناجيا

لدى ملك يعلو الرجال بضوئه كما يبهر البدر النجوم السواريا

ولا الفحش فيه يرهبون ولا الخنا عليهم ولكن هيبة هي ماهيا

المرء السائل [illegible] وقوله [illegible] في التحرك والتقرب

اذا الكثر [illegible] يتكلمون كلاما خفيا [illegible]

ترى القوم يخفون المواعظ عنده [illegible]

وابلغ من قول البحتري في الفتح بن خاقان [illegible] العباسية في الماء [illegible]

[illegible]

وانا [illegible] على قول [illegible] في المنصور [illegible]

لهم لحظات عن حفافي سريره اذا كرها فيها عقاب ونائل

[illegible] العدل [illegible]

الخلفا فقال ابو تمام في المامون

اللوحة الثانية من النسخة التونسية وهى آخر باب الهيبة الذى ورد أوله فى الجزء الثانى

وقال في مثله:

للنار نار الشوق في كبد الفتى والبر انهيتما موت مسموم

خير له من أن يجاور صدره وحشاه معروف لديه مكتوم

يبرق الصنيعة ما سمت بلينه يدعو عليه النائل المظلوم

ألا فتى المعروف وهو كأنه قمر الدجى إني إذا اللئيم

مثر من المال الذي ملكتني إعناته ومن الوفاء عديم

فاروح في بُردين لم يبحهما فلي نقى وهما الغنى واللوم

ولمونتما يجيء في هذا الباب أيضا ألطف من البحتري

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم ٩٨



اللوحة الأخيرة من النسخة التونسية وينتهي عندها باب الجود والكرم

اللوحة الأولى من نسخة كمبردج وعليها عنوان كتاب الوساطة للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني

اللوحة الثانية من نسخة كمبردج وهي أول كتاب الوساطة

اللوحة رقم ٦٢ من نسخة كمبردج ونصفها من اليمين جزء من باب المراثي من كتاب الموازنة ونصفها الآخر جزء من كتاب الوساطة . لاحظ تشابه الخطين

أغرّ غريبا يمسح الناس وجهه كما مسح الأيدي الجواد المشهّرا

وقال سويد بن كراع جاهلي إسلامي

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سربا من الوحش نزّعا
إذا الهاجني أعرس بعدما يكون سحيرا أو بعيد فأهجعا
عواصي إلا ما جعلت أمامها عصا مربد تغشى نحورا وأذرعا
أهبت بغرّ الأبدات فراجعت طريقا أملته القصائد مهيعا
بعيدة شأو لا يكاد يردّها لها طالب حتى يكلّ ويظلعا
إذا خفت أن تروى عليّ رددتها وراء التراقي خشية أن تطلعا
وجشّمني خوف ابن عفان ردّها فثقفتها حولا حريدا ومربعا
وقد كان في نفسي عليها زيادة فلم أر إلا أن أطيع وأسمعا

وقال المسيب بن علس

فلأهدينّ مع الرياح قصيدة مني مغلغلة إلى القعقاع
ترد المياه فلا تزال غريبة في القوم بين تمثّل وسماع

قوله وسماع لأنهم كانوا يتغنون بالشعر في النشيد أخذ أبو تمام قوله فلأهدين مع الرياح قصيدة فقال

تسير مسير الريح مطرداته وما السير منها لا العنق ولا الوخد

نجز كتاب الموازنة بين الطائيين والحمد لله رب العالمين
وصلواته على نبيه محمد وآله الطاهرين
وقع الفراغ من تحريره يوم الجمعة الثاني والعشرين
من شهر ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة
هجرية
والحمد لله رب العالمين دائما أزلا أبدا ٦٩٤ هـ

حسن شاه محمود

اللوحة الأخيرة من نسخة كمبردج

فهرس موضوعات الجزء الثالث

الصفحة

بقية كتاب المدح

* * *

الصفحة

* * *

الصفحة

* * *

* * *

* * *

الصفحة

* * *

* * *

الصفحة

* * *

أثناء مثول هذا الكتاب للطبع فجعنا بنبأ وفاة
شيخنا وأستاذنا العلامة السيد صقر، رحمه الله
رحمة واسعة، وجعل ما قدم من أياد بيضاء لخدمة
تراثنا في ميزان حسناته إنه سميع مجيب .

الموازنة

بين شعر أبي تمام والبحتري

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي

ت ٣٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قالاهُ فى الجمالِ والجلالِ والهيبةِ والبهاءِ والجهارةِ [1]

قال أبو تمام [2] :

إنَّا غَدَوْنَا وَاثِقِينَ بِوَاثِقٍ ... باللهِ شمسِ ضُحًى وبَدْرِ تَمَامِ

ثم قال بعد فى القصيدة [3] :

مَا أَحْسبُ البَدْرَ المُنِيرَ إذا بَدَا ... بَدْرًا بِأَضْوَأَ مِنْكَ فى الأَوْهَامِ

قوله : « فى الأَوْهَام » قد عِيبَ به ، وقيل لم يجعله مضيئًا فى العين ، وجعله مضيئًا فى الأوهام . والذى ذهب إليه أبو تمام معنى صحيح ؛ لأن وجه الإنسان لا يكون أضوأ من البدر ، فجعله أضْوأَ منه فى الصدور وفى النفوس ، يريد الجلال والهَيْبَة .

وأجود من هذا قول محمد بن وهيب [4] :

تُعَظِّمُهُ الأَوْهَامُ قَبْلَ عِيَانِهِ ... ويصْدُرُ عنْهُ الطَّرْفُ والطَّرْفُ حَاسِرُ

وأحسن من قول ابن وهيب قول الأَحْوَص [5] :

تَرَاهُمُ خُضَّعَ الأَبْصَارِ هَيْبَتَهُ ... كما اسْتَكَانَ لِضَوْءِ الشَّارِقِ الرَّمِدُ

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيَد [6] :

---

(١) آثرت أن يبدأ الجزء الثالث بداية طبيعية ، فكان أوله هذا الباب ، إذ إن المخطوطة التونسية التى يبدأ بها هذا القسم تبدأ بأبيات هى بقية باب الجمال والجلال والهيبة والهجاء والجهارة (انظر المقدمة ص ١٠٤) .

(٢) ديوانه ٢ : ٣٦٤ وشرح التبريزى ٣ : ٢٠٤ وفيهما « إنا رحلنا » .

(٣) فى الديوان والتبريزى « ما أحسب القمر » . وفى ب : وقال

(٤) شعراء عباسيون : ٩٤ .

(٥) م ، ق « أبى وهيب » وهو خطأ . والبيت فى ديوانه : ٩٧ وفيه : « رأيتهم خُشَّع » .

(٦) ديوانه ١ : ٤١٨ وشرح التبريزى ١ : ٤٤٠ فى عبده : أى أنفه .

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيَد[1] .

كالبَدْرِ حُسْنًا وقد يُعاوِدُهُ عُبُوسُ لَيْثِ العَرِينِ فى عَبَدِهْ

كالسَّيْفِ يُعْطِيكَ مِلْءَ عَيْنَيْكَ مِنْ فِرِنْـــدِهِ تارَةً ومِـــنْ رُبَـــدِهْ[2]

وهذا غاية فى حسنه وصحته وبراعته .

وقال فى جَعْفرٍ الخَيَّاط[3] :

فَتًى فى يَدَيْهِ البَأْسُ يَضْحَكُ والنَّدَى وفى سَرْجِهِ بَدْرٌ ولَيْثٌ غَضَنْفَرُ

وهذا مأخوذ من قول مسلم بن الوَلِيد[4] :

تَمْضِى المَنَايَا كما تَمْضِى أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فى سَرْجِهِ بَدْرًا وضِرْغَامَا

وقد أحسن محمد بن وُهَيْب كُلَّ الإحسان فى قوله[5] :

وكَأَنَّ ضَوْءَ جَبِينِهِ قَمَرٌ و كأَنَّ سائِرَ خَلْقِهِ أَسَدُ

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيد[6] :

وقَدْ كَانَ مِمَّا يُضِيءُ السَّرِيـ ـرَ والبَهْوَ يَمْلَؤُهُ بالبَهَاءِ

مَضَى خَالِدُ بنُ يزيدَ [بنِ] مَزْ يدٍ قَمَرُ الليلِ شمسُ الضَّحَاءِ[7]

وهذا يَمُرُّ فى « المراثى »[8] .

وقال البحترى فى المهتدى بالله[9] :

زَادَ فى بَهْجَةِ الخِلَافَةِ نُورًا فَهْوَ شَمْسُ النَّهار وهْى نَهارُ

---

(١) ديوانه ١ : ٤١٨ وشرح التبريزى ١ : ٤٤٠ فى عبده : أى أنفه .

(٢) الربد : جمع ربدة ، وهى كالكلف فيه . « التبريزى » .

(٣) ديوانه ١ : ٥٥٣ وشرح التبريزى ٢ : ٢١٥ ، وفيهما : « من يديه » .

(٤) ديوانه ٦٥ « أى أسنته والمنايا سواء ، تفعل أسنته ما تفعل المنايا « كأن فى سرجه بدرًا » فى فخامة الخلق وحسن المنظر ، وليثا فى الشجاعة . وصفه بالنجدة » .

(٥) شعراء عباسيون ٧٢ ، وفيه : « وكأنه فى صولةٍ أَسَدُ » ، و « كأن » ساقطة من م . وهى فى ق

(٦) ديوانه ٣ : ٢٢٢ والتبريزى ٤ : ١٤ ، ٢٤ ، وفى الجزء الثانى « السرُير » بالضم ، وهو خطأ .

(٧) « بن » ساقطة من م و ق ، وفى ديوانه والتبريزى منع « مزيد » من الصرف والواجب أن يصرف ضرورة ليصح الوزن .

(٨) لم أجد البيتين فى باب المراثى ، وقد يكونان فى الجزء الساقط منه .

(٩) ديوانه ٢ : ٨٥٤ . وفيه : « فهو شمس للناس » .

طَلْعَةٌ تَمْلأُ القُلُوبَ ووَجْهٌ خَشَعَتْ دُونَ ضَوْئِهِ الأَبْصَارُ
ذَكَرُوا الهُدَى مِنْ أَبِيكَ وقَالُوا هُوَ ذَاكَ السِّيما وذَاكَ النِّجَارُ (١)
وعليهِمْ سكينةٌ لكَ إِلَّا مَدَّ أَيْدٍ يُومًا بها ويُشَارُ
بُهِتُوا حَيْرَةً وصَمْتًا فَلَوْ قِيـ ـلَ : أَجِيرُوا مَقَالَةً مَا أَحَارُوا (٢)
وقلِيلٌ إنْ أَكْبَرُوكَ لَكَ الهَيْـ ـبَةُ مِمَّنْ رَآكَ والإِكْبَارُ

وقال فى المتوكل لما خرج لصلاة العيد (٣) :

وَٱفْتَنَّ فيكَ النَّاظِرُونَ : فَإِصْبَعٌ يُومَا إِلَيكَ بها ، وعَيْنٌ تَنْظُرُ
يَجِدُونَ رُؤْيَتَكَ التى فَازُوا بِهَا مِنْ أَنْعُمِ اللهِ التى لَا تُكْفَرُ
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النبيَّ فَهَلَّلُوا لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ وكَبَّرُوا
حتَّى ٱنْتَهَيْتَ إِلى المُصَلَّى لَابِسًا نُورَ الهُدَى يَبْدُو عليكَ ويَظْهَرُ
ومَشَيْتَ مِشْيَةَ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ للهِ لَا يَزْهُـو ، ولا يَتَكَبَّـرُ (٤)
وَلَوَ آنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِى وُسْعِهِ لَمَضَى إِليكَ المِنْبَرُ (٥)

وقال فيه لما دخل عليه وفد الرُّوم (٦) :

ورَأَيْتَ وَفْدَ الرُّومِ بَعْدَ عِنَادِهِمْ عَرَفُوا فَضَائِلَكَ التى لا تُجْهَلُ
لَحَظُوكَ أَوَّل لَحْظَةٍ فَٱسْتَصْغَرُوا مَنْ كَانَ يُعْظَمُ فيهِمُ ويُبَجَّلُ
ورَأَوْكَ وَضَّاحَ الجَبِينِ كَما يُرَى قَمَرُ السماءِ السَّعْد ساعَةَ يَكْمُلُ (٧)
نَظَروا إِليكَ فَقَدَّسُوا ، ولَوَ آنَّهُمْ نَطَقُوا الفَصِيحَ لَكَبَّرُوا ولَهَلَّلُوا

---

(١) فى الديوان « هى تلك السيما » .
(٢) م « أجيروا مقالة ما أجاروا » .
(٣) ديوانه ٢ : ١٠٧٢ .
(٤) فى الديوان « لا يُزْهَى » .
(٥) وفيه : « فلو ... غير ما فى وسعه لَمَشَى » .
(٦) ديوانه ٣ : ١٥٩٦ .
(٧) فى الديوان « التّمّ ليلة يكمل » .

حَضرُوا السِّمَاطَ فَكُلَّمَا رَامُوا القِرَى مَالَتْ بِأَيْدِيهِمْ عُقُولٌ ذُهَّلُ
تَهْوِى أَكُفُّهُمُ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَجُورُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وتَعْدِلُ
مُتَحَيِّرِينَ فَبَاهِتٌ مُتَعَجِّبٌ مِمَّا يَرَى ، أَوْ نَاظِرٌ مُتَأَمِّلُ (١)
ويَوَدُّ قَومُهمُ الأُلَى بَعَثُوهُمُ لَوْ ضَمَّهُمْ بالأَمْس ذَاكَ المَحْفِلُ (٢)
قَدْ نَافَسَ الغَيْبُ الحُضُورَ عَلَى الذى شَهِدُوا ، وقَدْ حَسَدَ الرَّسُولَ المُرْسِلُ (٣)

قوله : « بَاهِتٌ » ، من بَهِتَ يَبْهَتُ وقد قيلت ، وهى رديئة ، والجيد بُهِتَ يُبْهَت

وقال فى المعتز (٤) :

يُبْهَتُ الوَفْدُ فى أَسِرَّةِ وَجْهٍ سَاطِعِ الضَّوْءِ ، مُسْتَنِيرِ الشُّعَاعِ

وقال فيه (٥) :

إِذَا نَظَرَ الوُفُودُ إِليه قَالُوا أَبَدْرُ الليلِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ

وأجود من هذا قول ابن هرمة (٦) :

لا يَرْفَعُونَ إِليه الطَّرْفَ خَشْيَتَهُ لا خَوْفَ بَأْسٍ ولَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ

وأجود من هذا قول طُرَيح الثَّقَفِى (٧) :

يَعْرُوهُمُ أَفْكَلٌ لَدَيْكَ كَمَا قَفْقَفَ تَحْتَ الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ
لا خَوْفَ ظُلْمٍ ، ولا قِلَى خُلُقٍ لَكِنْ جَلَالٌ كَسَاكَهُ الصَّمَدُ

---

(١) فى الديوان « متحيرون » .

(٢) وفيه « ويودّ قومهم الأُلَى .. بعثوا بهم » . وفى الجزء الثانى « الأولى » .

(٣) فى الجزء الثانى : « الغَيْبَ الحضورُ » ، « حُسِدَ الرسول المُرْسِلُ » ، وهو خطأ .

(٤) ديوانه ٢ : ١٢٤٤ .

(٥) ديوانه ٢ : ٩٣٨ .

(٦) ديوانه ١٧٩ وفيه « لا خوف فحش » .

(٧) فى اللسان : « الأفكل على أفعل : رعدة تعلو الإنسان ولا فعل له » . وقفقف : أرعد من البرد ، والدجنة : الظلمة . الصرد : الذى أرعده البرد . والبيتان فى شعراء أمويون ٣ : ٣٠٠ ، وفيه : « إلا أجلالاً » .

وأصل الباب كلّه قولُ الحَزِينِ الكِنَانِى[١] :

يُغْضِى حياءً ، ويُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وقال فى المُتَوَكّل[٢] :

اليَوْمَ أُطْلِعَ لِلخِلَافَةِ سَعْدُها وأَضَاءَ فيها بَدْرُها المَتَهَلِّلُ
لَبِسَتْ جَلَالَةَ جَعْفَرٍ فَكَأَنَّهَا سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ المُقْبِلُ

وقال فى المعتز ويذكر الزَّوَّ[٣] :

ولَمْ أَرَ كالمُعْتَزِّ إذْ راحَ مُوفِياً عليه بوجهٍ لاح فى الرَّوْنَقِ النَّضْرِ[٤]
مَلِيًّا بأَنْ يَجْلُو الظَّلَامَ بِغُرَّةٍ تَخَاضَعُ إكْبَارًا لَهَا غُرَّةُ الفَجْرِ
إذَا اهتَزَّ غِبَّ الأَرْيَحِيَّةِ والنَّدَى وأَسْفَرَ فى ضَوْءِ الطَّلَاقَةِ والبِشْرِ

---

(١) الوساطة ٢٩٦ والأغانى ١٤ : ٧٥ وغير منسوب فى الكامل ٢ : ٥٧٤ . وكلمة « أصل » ساقطة من م وهى فى ق .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧٥ .

(٣) فى اللسان « زوى » « الزو : القرينان من السفن » ثم قال : « الجوهرى : وزو : اسم جبل بالعراق . قال ابن برى : ليس بالعراق جبل يسمى زواً ، وإنما هو سمع فى شعر البحترى قوله يمدح المعتز بالله حين جمع مركبين وشحنهما بالحطب وأوقد فيهما ناراً ، ويسمى ذلك بالعراق زواً فى عيد للفرس يسمى الصدق فقال : « ولا جبلا كالزو » وقال الفيروزآبادى فى القاموس ٤ : ٣٣٩ « والزو كالتو : سفينة عملها المتوكل ، لا جبل ، ووهم الجوهرى ، وإنما غره قول البحترى :

ولا جبلا كالزو يوقف تارة وينقاد إما قدته بزمـــام

والبيت فى ديوانه ٣ : ١٩٩٨ .

(٤) ديوانه ٢ : ١٠٥٣ عليه : أى على الزو الذى ذكره قبل ذلك :

تعجبت من فرعون إذ ظن أنه إله لأن النيل من تحته يجرى
ولو بصرت عيناه بالزو لازدرى حقير الذى نالت يداه من الأمر
إذًا لرأى قصرًا على ظهر لجة يَرُوُحُ ويغدو فوق أمواجها يجرى
تُصاد الوحوشُ فى جِفَافَى طريقه وتُستَنْزَلُ الطيرُ العوالى على قَسْر

وقَابَلَهُ بَدْرُ السَّماءِ بِحُسْنِهِ ... فَبَدْرٌ عَلَى بَدْرٍ ، وبَحْرٌ على بَحْرِ (١)
رأيتُ بَهَاءَ المُلْكِ مُجْتَمِعًا لَهُ ... ودِيبَاجَةَ الدُّنْيَا ومَكْرُمَةَ الدَّهرِ

وقال فيه :

مَلِكٌ يَمْلأُ العُيونَ بَهَاءً ... حِينَ يَبْدُو فى تَاجِهِ المَعْقُودِ (٢)

والخلفاءُ وملوكُ الإسلام لا يلبسون التِّيجَان ، وأظنها كانت يتخذها الأحداثُ منهم فيلبسونها فى خلواتهم ، ومع نسائهم ، ومن لا يَحْتَشِمُونَه مِنْ نُدَمائِهم . فأما القَلانِسُ المُعَمَّمَةُ التى تُرَصَّعُ بالجوهر فلا شك فيها . ومَنْ ذَكَرَ تيجانَ الخلفاءِ من الشعراءِ فلعله رأى على رءُوسهم هذا الجِنْسَ ، فقد قال البحترى أيضًا فى المهتدى ينفى عنه لُبْسَ التَّاج (٣) :

لسَجَّادَةُ السَّجَّادِ أَحْسَنُ مَنْظَرًا ... مِنَ التاج فى أَحْجَارِهِ وَاتِّقَادِهَا

وقال فى المعتز :

كَأَنَّمَا التَّاجُ إِذَا مَا عَلَا ... غُرَّتَـهُ بالـدُّرَرِ الزُّهْـرِ (٤)
[كَوَاكِبُ الفَكَّةِ فى أُفقها ... دَنَتْ فَحَفَّتْ غُرَّةَ البَدْرِ] (٥)

وقد تقدم من إنكار عبد الملك بن مروان على ابن الرُّقَيَّات قوله (٦) :

* يَعْتَدِلُ التاجُ فَوْقَ مَفرِقِهِ *

---

(١) ديوانه « بوجهه » .
(٢) ديوانه ٢ : ٧٢٩ وفيه : « تُمْلأُ العيونُ » .
(٣) ديوانه ٢ : ٦٧٧ وقوله : « فى المهتدى » ساقطه من ق .
(٤) ديوانه ٢ : ١٠١١ .
(٥) زيادة لازمة ، وجاء فى اللسان « فكك » « والفكة : نجوم مستديرة بحيال بنات نعش خلف السماك الرامح » .
(٦) لم أجده فيما تقدم وتمام البيت « على جبين كأنَّهُ الذَّهَبُ » . ديوانه : ٥ . وكان ابن الرقيات منقطعا إلى مصعب بن الزبير يمدحه ويهجو عبد الملك ، فلما قتل مصعب لجأ إلى عبد الله بن جعفر ، الذى سأل عبد الملك فى أمره فأمَّنَه ؛ ومدح ابن الرقيات عبد الملك بقصيدة منها هذا البيت ، فلما سمعه عبد الملك قال : تمدحنى بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مصعب :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماءُ

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاءً أبدًا . « الموشح : ٢٩٤ ، الأغانى ٤ : ١٥٧ » .

فأما الجلال ، والبهاءُ ، والهيبة ، وسائر ما مضى من ذلك فى هذا الباب ، فإنه واجب فى مدح الخلفاءِ والملوك والعظماءِ ؛ لأنه من الأَوصاف التى تخصُّهم ، ويحسن موقع ذكرها عندهم ، وكذلك جمال الوجه وحسنُه مما يجب المَدْحُ به ؛ فإنَّ الوجه الجميل يزيد فى الهيبة ، ويَتَيَمَّنُ به العرب ؛ لأنه يَدُل على الخصال المحمودة ، كما أَنَّ قبح الوجه والدَّمَامَة يسقط الهيبة ، ويدل على الخصال المذمومة ، وذلك ما تكرهه العرب، وتتشاءَم به(١) ؛ لأن أَول ما تلقاه من الإنسان وتعاينه وجهه ، ألا ترى إلى قول البحترى(٢) :

أَغَرُّ كَبَارِقِ الغيْثِ المُرَجّى ... يُحَبَّبُ فى الأَبَاعِدِ والأَدَانى
تخَاضعَتِ الوُجُوهُ لِحُسْنِ وَجْهٍ ... يَدُلُّ على خَلائِقِهِ الحِسَانِ

وقال فى مثل ذلك :

حَسَنُ الوَجْهِ والرّواءِ وكَمْ دَ ... لّ عَلَى سُؤْدَدِ الشَّرِيف رِوَاؤُهْ(٣)
ماءُ وَجْهٍ إِذَا تَبَلَّجَ أَعْطا ... كَ أَمانًا مِنْ نَبْوَةِ الدَّهْرِ مَاؤُهْ
يَتَعَــالى ضِيــاؤُهُ فَيُجَلِّــى ... طِخْيَةَ الحَادِثِ المُضِبِّ ضِيَاؤُهْ(٤)

وقد غَلِط بعض المتأخرين فى هذا الباب – ممن أَلف فى « نقد الشعر » كتابًا – غلطًا فاحشًا(٥) ، فذكر أَن المدح بالحسن والجمال ، والذم بالقبح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ، ولا ذم على الصحة ، وخَطَّأَ كلّ من يمدح بهذا أَو يَذُمُّ بذاك ،

---

(١) ق « وذلك مما يكرهه العرب » .

(٢) ديوانه ٤ : ٢٢٧٧ .

(٣) ديوانه ١ : ٣٠ وفيه : « حَسَنُ الفِعْلِ » .

(٤) فى الديوان « يتجَلّى ضياؤه » و « ظلمة الحادث » وهى بمعناها .

(٥) يقصد قدامةَ بن جعفر الكاتب ، مؤلف كتاب نقد الشعر ، أنظر : « نقد الشعر ص ٢١٥ – ٢٢٢ » .

فعَدَلَ بهذا المعنى عن مذاهب الأمم كلها عربيّها وعجميّها ، وأسقط أكثر مدح العرب وهجائها . وقد بينت قبح غلطه فى هذا تبيينًا شافيًا مستقصى فى كتاب منفرد (١) .

وقال البحترى يمدح المعتز ويذكر ابنه عبد الله (٢) :

عَلَيْهِ مِنَ المُعْتَـزِّ باللهِ بهْجَـةٌ أُضَاءَتْ فَلَوْ يَسْرِى بِهَا الرَّكْبُ لاَهْتَدَى

يَرُوقُ العُيونَ النَّاظِـراتِ بِطَلْعَةٍ مِنَ الحُسْنِ لو وَافَى بها البَدْر ما عَدَا (٣)

تَأَمَّلْ أَمِينَ اللهِ فَرْطَ جَلالَةٍ وأُبَّهَـةٍ تَبْـدُو عَلَيْـه إذَا بَدَا (٤)

* * *

وقد تصرف البحترى فى المدح بالجمال والهيبة والجلال تصرفًا كثيرًا فى غير مدح الخلفاء ، فقال فى الفضل بن إسماعيل الهاشمى (٥) :

لَا تَطلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّأَمُّلِ مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ

وقال فى الفتح بن خاقان (٦) :

تَكَشَّفَ الليلُ مِنْ لَألاءِ غُرَّتِهِ عَنْ بَدْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسِ إِصْبَاحِ

وقال يمدحه (٧) :

ويبْتَدِرُ الراءُونَ مِنْهُ إذَا بَدَا سَنَا قَمَرٍ مِنْ سُدَّةِ المُلْكِ مُطْلَعِ

---

(١) اسمه « تبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر » ، وقد ألفه لأبى الفضل : محمد بن الحسين بن العميد ، وقُرِئَ عليه ، وكتب خطه ، فى سنة خمس وستين وثلاثمائة . كما فى معجم الأدباء ٨ : ٧٦ .

(٢) ديوانه ٢ : ٦٧١ ، « ويذكر ابنه عبد الله » ساقط من ق .

(٣) فى م وق « لو أوفى » وهى خطأ وفى الديوان « باعدا » .

(٤) فى م و ق « تبدو عليك » والصحيح ما أثبت الشيخ صقر وهى كذلك فى الديوان ، وفى الجزء الثانى « رائعة تبدو عليه » وهو خطأ ، والتصحيح من ديوانه وق .

(٥) ديوانه ٣ : ١٦٥٩ .

(٦) ديوانه ١ : ٤٤٣ .

(٧) ديوانه ٢ : ١٢٣٩ .

يَقُومُونَ مِنْ بُعْدٍ إذَا بَصرُوا بِهِ ... لِأَبْلَجَ مِنْ نُورِ الجَلَالَةِ أَرْوَعِ (١)

ويُدْعَونَ بالأَسْمَاءِ مَثْنَى ومَوْحَدًا ... إذَا حَضَرُوا بَابَ الرِّوَاقِ المُرَفَّعِ (٢)

إذا سَارَكُفَّ اللَّحْظُ عَنْ كُلِّ مُبْصَرٍ ... سِوَاهُ ، وغُضَّ الصَّوْتُ عَنْ كُلِّ مَسْمَعِ (٣)

فَلَسْتَ تَرى إِلَّا إِفَاضَةَ شَاخِصٍ ... إليه بِعَيْنٍ ، أَوْ مُشِيرٍ بِإِصْبَعِ

الإفاضة : الدَّفْعُ ، يريد أنه يدفعُ (٤) ببصره إليه ، ويَنْحُو به نَحْوَه . والإفاضة فى الكلام أن يدفعوا أيضًا القول ، ويبعثوا الكلام . وهذه هيبةٌ وجلال ما وراءَهما غاية . وكان المتوكل أولى بهذا الوصف من الفتح وإن كان الفتح أَوْقَرَ وأهيب .

وقال البحترى فى دخوله إلى الفتح (٥) :

ولما حَضَرْنَا سُدَّةَ الإِذْنِ أُخِّرَتْ ... رِجالٌ عنِ البابِ الذى أَنَا دَاخِلُهْ

فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إلى ذِى مَهَابَةٍ ... أُقَابِلُ بَدْرَ الأُفْقِ حِينَ أُقَابِلُهْ

فَسَلَّمْتُ وَاعْتَاقَتْ جَنَانِى هَيْبَةٌ ... تُنَازِعُنِى القَوْلَ الذى أَنَا قَائِلُهْ

فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَانْثَنَى ... إِلَىَّ بِبِشْرٍ آنَسَتْنِى مَخَايِلُهْ

دَنَوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدَى فى يدِ امْرِىءٍ ... جميلٍ مُحَيَّاهُ ، سِبَاطٍ أَنَامِلُهْ (٦)

صَفَتْ مِثْلَ مَا تَصْفُو المُدَامُ خِلَالُهُ ... ورَقَّتْ كما رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهْ (٧)

هكذا – لعمرى – تمدح الملوك .

---

(١) فى الديوان « لأبلج موفور الجلالة » .

(٢) م « إذا حضر فى باب » .

(٣) فى الديوان « عن كل منظر » .

(٤) فى م وق « يدفعه » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٦٠٩ .

(٦) م « فقبلت الذى » .

(٧) م « المدام جلالة » .

وقال فيه[1] :

مَهِيبٌ يُعْظِمُ العُلَمَاءُ مِنْهُ ... جَلَالَةَ أَرْوَعٍ وَارِى الزنَادِ
يُؤَدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنَ بَعيدٍ ... إلى قَمَرٍ مِنَ الإِيوانِ بَادِ
قِيَامٌ فى المَرَاتِبِ أَوْ قُعُودٌ ... سُكونٌ مِنَ أَنَاةٍ واتِّئادِ
فَلَيْسَ اللَّحظُ بالمَكْرورِ شَزْرًا ... إليه ، ولا الحديثُ بِمُسْتَعَادِ

وقال فيه أيضًا لما دخلت إليه بنو تَغْلب بعدما أُصْلِحَ بينهم حتى سكنت حَرْبُهم . يقول ذلك فى قصيدته المنصفة[2] :

تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السِّمَاطِ فَقَصَّرُوا ... خُطَاهُمْ وقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وهُمْ عُجْلُ
إِذَا قَلَّبُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ ... وَمَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتَ أَنَّهُمُ قُبْلُ[3]

وهذا من فاخر المدح ، ومُصيبِ الوَصْف . وفى اقتصاص مثل هذه الأحوال التى تشاهد يظهر[4] حِذْقُ الشاعر وبراعته[5] .

(٦)

....

* * *

---

(١) ديوانه ٢ : ٧٢٦ « يعظم العظماء منه » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٦١٥ وفى م « تراؤل » وهو تحريف .

(٣) فى الديوان « إذا نكسوا » .

(٤) م « فيظهر » وهو تحريف .

(٥) جاء بعد هذا فى المخطوطتين م و ق :

والله الموفق .

تم كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدى بحمد الله ومنه وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين (ق : وآله أجمعين) وسلم تسليماً كثيراً دائما أبدا آمين والحمد لله رب العالمين (من قوله : دائماً ... ليست فى ق) .

(٦) هنا خرم بين نهاية المخطوطتين م ، ق وبين بداية المخطوطة التونسية (س) لا نعرف مقداره قد يكون أبياتاً وقد يكون صفحات .

/ وقالَ[1] « البحترى » فى الفتح : ٢ س

تَلفَّتَ فوقَ العالمينَ [فطالَهم] تَشوُّفُ بَسَّامٍ إلى الوَفْـدِ قَاعِـدِ[2]
جَهيرُ الخِطاب يَخفِضُ القومُ عندَهُ معاريضَ قَولٍ كالرِّيَاحِ الرَّوَاكِدِ
يَخُصون بالتَبْجيلِ أطْوَلَهم يدا وأظْهرَهـم أُكرُومـةً فى المَشاهِـدِ[3]
ولم أرَ أمثـالَ الرِّجـالِ تَفـاوتَتْ إلى الفَضْلِ حتى قِيسَ أَلْفٌ بِوَاحِدِ[4]

وقالَ فى عُبيد الله بن عبد اللهِ بن طاهرٍ حين قَدِمَ بغدادَ[5] :

وتُعْطَفُ أَثْنَاءُ السُّرادِقِ حَوْلَهُ [على قمرٍ تَنْجابُ عنه سدولُها]
[إذا القومُ قامُوا يرقبونَ بُدوّهُ] بدا حَسَنُ الأخلاقِ فيهم جَميلُها[6]

---

(١) من هنا يبدأ القسم الجديد وهو الجزء الثالث من الكتاب مع بداية هذه النسخة التونسية المباركة ، جاء فى أولها : (بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى إلا بالله) ، وهى تكمل ما انقطع بعد الجزء الثانى المطبوع الذى انتهى إلى « وصف الجلال والهيبة » ، وهذه الأبيات وما بعدها بقية هذا الباب كما سيمر ، وفى الأصل : « وقال فى الفتح » . والأبيات فى ديوان البحترى ١ : ٦٢٤ .

والفتح بن خاقان بن أحمد ، كان من أولاد الملوك ، وفى نهاية الذكاء والفطنة وحسن الأدب اتخذه المتوكل أخا له وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، وكان له خزانة جمعها له على بن يحيى المنجم ، توفى فى الليلة التى قتل فيها المتوكل سنة ٢٤٧ « الفهرست ص ١٣٠ ومعجم الأدباء ١٦ : ١٧٤ » .

(٢) ديوانه « فوق القائمين » . وما بين الحاصرتين سقط من س .

(٣) فى س « يخوضون بالتبجيل أطوالهم يد » تحريف والتصحيح من ديوانه .

(٤) ديوانه « حتى عدّ » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٧٧٣ والممدوح هو أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى بالولاء ، كان أبوه وجدّه من المقدمين عند المأمون ، ولى شرطة بغداد ، وكان سيدا ، وإليه انتهت رئاسة أهله ، وله بعض المصنفات ولد سنة ٢٢٣ وتوفى سنة ٣١٠ « ابن خلكان ٣ : ١٢٠ وتاريخ بغداد ١٠ : ٣٤٠ والديارات ٧١ والأغانى « الدار » ٩ : ٤٠ » .

(٦) ورد صدر البيت الأول مع عجز الثانى ، وسقط ما بين الحاصرتين .

كأنَّهُمُ عند استلامِ رِكَابِه   عَصائبُ عند البيتِ حانَ قفولُها
إذا ازدحموا قُدَّامَه ووراءَه   مشوا مِشْيةً يأبى الأناةَ عَجولُها

وقال أبو عمرو والمفضل : كُثَيِّرٌ أشعرُ الناس فى وصف الهيبةِ إذْ يقول[1]:

شَهِدْتُ ابنَ ليلى فى مواطنَ قد خلتْ   يزيدُ بها ذا الحلمِ حِلمًا حضورُها
فلا هاجرات القولِ يُوَرَّثْنَ عندَهُ   ولا كلماتُ النُّصحِ ملقىً مُشيرُها[2]
ترى القومَ يخُفونَ المواعِظَ عنده   ويُنْذِرُهم عورَ الكلامِ نَذيرُها[3]

وقد أحسن ذو الرمَةِ كلَّ الإحسانِ إذ يقولُ فى مدح بلالِ بن أبى بردةَ[4] :

مِنَ آلِ أبى موسى ترى القومَ حولَهُ   كأنهُمُ الخِرْبانُ أبْصرنَ بازِيَا[5]
مُرِمِّينَ من ليثٍ عليهِ مهابَةٌ   تفادَى الأسودُ الغُلْبُ مِنْهُ تفادِيَا[6]
فما يُغْرِبُونَ الضَّحكَ إلّا تَبسُّمًا   ولا يَنْسِبُونَ القولَ إلَّا تَناجِيَا
لدَى مَلكٍ يعلو الرجالَ بضوئِهِ   كما بهَرَ البدرُ النجومَ السَّوارِيَا
ولا الفُحْشَ فيهِ يرهبونَ ولا الخنَا   عليهمْ ولكنْ هيبةٌ هِىَ ماهِيَا

---

(١) وهذا يقطع بأن هذا القسم هو بقية باب « وصف الجلال والهيبة » وهو آخر أبواب الجزء الثانى المطبوع . والأبيات فى ديوانه : ٣١٧ ، وابن ليلى هو : عبد العزيز بن مروان .

(٢) ديوانه : « يؤثرن » .

(٣) ديوانه : « يخفون التبسّم » .

(٤) بلال بن أبى بردة عامر بن أبى موسى الأشعرى ، كان أمير البصرة وقاضيها ولاه إياها خالد القسرى سنة ١٠٩ وتوفى فى حبس يوسف بن عمر سنة نيف وعشرين ومائة « وفيات الأعيان ٣ : ١٠ ، وخزانة الأدب ٣ : ٣٥ » والأبيات فى ديوان ذى الرُّمة : ١٣١٣

(٥) ديوانه : « ترى الناس ، « كأنهم الكروان » ، والخربان ذكور الحبارى ، الواحد خرَب ، وقيل هو الحبارى كلها ، انظر « الخصائص لابن جنى ٢ : ٢٤٢ ، والحيوان ٦ : ٣٧٤ » .

(٦) ديوانه : أسود الغاب .

« المُرِمُّ » : الساكتُ المطرقُ ، وقولُه : « يُغْرِبُونَ » من أغربَ فى الضَّحِكِ واسْتغْربَ إذا أكْثَرَ ، و « يَنْسِبُونَ » : يتكلّمونَ كلامًا خفيًّا[1] ، وهذا مِثْلُ قولِ كُثَيِّرٍ :

تَرى القومَ يُخْفونَ المواعِظَ عِنْدَهُ

وليسَ هذا ولا قولُ كُثَيِّرٍ بأجودَ ولا أبلغَ من قَولِ البحتريِّ فى الفتحِ بنِ خاقانَ[2].

وقال أبو العتاهيةَ فى الهادى[3] :

يضطَرِبُ الخوفُ والرجاءُ إذا حَرَّكَ موسىٰ القضيبَ أو فَكَّرْ

وإنَّما حذاهُ على قولِ ابنِ هَرْمَةَ فى المنصورِ[4] :

لَهُ لحظاتٌ عن حِفَافَىْ سريرِهِ إذا كرَّها منها عِقابٌ ونَائِلُ

* * *

---

(١) انظر شرح المبرد للأبيات فى الكامل ٢ : ٥٧٠ .

(٢) انظر ما سبق من شعره فيه .

(٣) ديوانه ٢١١ .

(٤) ديوانه ١٦٨ ، وحفافا كل شيء : جانباه .

إفاضةُ العدلِ وإقامةُ الحقِّ (1)

« ...... ؟ » (2) بما قالوه فى الخلفاءِ .

وقال (3) أبو تمامٍ فى المأمونِ (4) :

٣ س / يا أيُّها الملكُ الهُمامُ وعَدْلُهُ   مَلِكٌ عليه فى القضاءِ هُمامُ

مازالَ حُكمُ اللهِ يُشرِقُ وجهُهُ   فى الأرضِ مُذْ نيطت بكَ الأَحكامُ

قوله : « يشرقُ فى الأرضِ » عمومٌ يليقُ بالخليفةِ ، ولكن لا يقبح أن يوصَفَ به وزيرٌ أو من يقوم مقامه ، لأنّ الخليفةَ ينوطُ أمرَ الأحكامِ وغيرِ الأَحكامِ بهِ .

وقولُهُ : « وعدلُهُ مَلِكٌ » ليس بمنكرٍ أن يجعلَ العدلَ ملكاً على الحقيقةِ إذا كان يُتَدَبَّرُ بإفاضتِه واستعمالِهِ ، فلم يقنعْ بهذه الاستعارة حتّى جعل العدلَ مَلِكاً هماماً من أجل قوله : « يا أيها الملكُ الهُمامُ » ، على مذهبِهِ فى ردىءِ الاستعارةِ .

والهُمامُ : ذو الهِمَّةِ البعيدةِ ، ويقال : الذى إذا همّ بشىءٍ أمضاهُ ولم يتعذرْ عليه .

[و] الجيّدُ النّادرُ فى إفاضةِ العدلِ قولُ منصورٍ (5) :

لقد شَمِلَ البَرِيَّة منهُ عَدْلٌ   سيجعلُهُ أَئِمَّتُهُـمْ مِثَـالا

يُقَدِّم عَفْوَهَ وإذا استَخفُّوا   نكَالَ عقوبةٍ مطلَ النَّكَالا

وقال أبو تمّامٍ فى المعتصِمِ (6) :

جَلا ظُلماتِ الظُّلمِ عن وجْهِ أُمَّةٍ   أضاءَ لها من كَوْكبِ الحقِّ آفِلُهْ

---

(1) فى س « وإقامة العدل » وانظر ص ٢٠ من هذا الجزء و ٢ : ٣٣١ .

(2) كلمات مطموسة لم أتمكن من قراءتها .

(3) كذا فى س ، وربما سبق هذا بعض الأبيات لأبى تمام سقطت من النسخة .

(4) ديوانه ٢ : ٣٧٥ والتبريزى ٣ : ١٥٣ .

(5) منصور النمرى : هو منصور بن سلمة بن الزبرقان من بنى النمر بن قاسط ، وكان مقدما عند الرشيد ، « الشعر والشعراء ٨٥٩ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٢ » ، ولم أجد البيتين فى ديوانه المجموع .

(6) ديوانه ٢ : ١٩٩ والتبريزى ٣ : ٢٦ .

وقامَ فقامَ العدلُ فى كلّ بَلدَةٍ خطيباً ، وأضحىٰ المُلْكُ قد شَقَّ بازِلُهْ
وجرّدَ سيفَ الحقّ حتّى كأنَّهُ من السَّلِّ مودِ جَفْنُهُ وحَمائِلُهْ

البيتُ الأوّل والثّانى جيّدان فى مدح الخلفاءِ . وقولُهُ فى البيت الثالثِ : « من السَّلِّ » لفظٌ غير جيّدٍ ولا مُتمكّنٌ .

وقال أيضا فى المعتصِم[1] :

سكَن الزّمانُ فلا يَدٌ مذمومةٌ للحادثاتِ ولا سوامٌ يُذْعَرُ
فى الأرض مِن عدلِ الإمام وجودِهِ ومن النَّباتِ الغَضّ سُرْجٌ تَزْهَرُ

البيتُ الأول فى غايةِ الجودةِ ، والثّانى فى غايةِ الرّكاكةِ لأنّه من ألفاظِ العَوامّ .

وقال البحترىُّ فى المتوكّل[2] :

تَحسّنت الدُّنيا بِعَدْلك فَاغْتدتْ وآفاقُها بِيضٌ وأكْنَافُها خُضْرُ
هنيئًا لأهلِ الشّامِ أنّكَ سائِرٌ إليهِمْ مسيرَ الشّمسِ يَتْبَعُها القَطْرُ[3]

وهَذا فى غايَةِ الحُسْنِ والحَلاوةِ ، وقالَ فيهِ[4] :

أظْهَر العدلَ فاسْتَنَارتْ بِهِ الأرْ ضُ ، وعمَّ البلادَ غَوْراً ونَجْدا

وهذا عمومٌ لا يحسن أنْ يقالَ إلّا لخليفةٍ ، أو وليِّ عَهْدٍ أو وزيرٍ .

وقالَ فى المتوكّلِ[5] :

ما ضَيَّعَ اللهُ فى بذوٍ ولا حَضَرٍ رَعِيَّةً أنت بالإحسانِ رَاعيها
وأُمّةً كانَ قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُهَا دهراً ، فأصبحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضِيها

---

(١) ديوانه ١ : ٥٣٨ ، والتبريزى ٢ : ١٩٦ .
(٢) ديوانه ٢ : ٩٩٢ .
(٣) ديوانه [مسير القطر يتبعه القطر] .
(٤) ديوانه ٢ : ٧١٢ .
(٥) ديوانه ٤ : ٢٤٢١ .

وقالَ فى المعتزّ[١] :

٤ س / إمامُ هدًى عمَّ البريّةَ عدلُهُ فأضحَى لديهِ آمِنًا كُلُّ رَاهِبِ[٢]
ورُدَّتْ – وما كانت تُرَدُّ – بعَدْلِه ظُلاماتُ قومٍ مُظْلِماتُ المطَالِبِ

وقالَ فى المُهْتَدِى[٣] :

مَلِيٌّ بِنَصْرِ الحق والحقُ واحدٌ إذا عُصْبَةٌ يوماً لِظُلْـمٍ تَصَدَّتِ[٤]
وتَأْيِيدُهُ حُكْمَ الهُدَى بخُشُونَةٍ من الجِدِّ لو مرّت على الصَّخْرِ خَدَّتِ[٥]

وهذا فى غايةِ الجودة إلا أنه خالٍ من العُمومِ ، ويصلُحُ أن يُمْدَح بهِ قاضٍ وغيرُه من الولاةِ .

وقال فيه[٦] :

بالمهتدى باللهِ والهادى بهِ أرستْ قواعدُ دينِنا فَتَأثَّلا[٧]
وَرِثَ النَّبىَّ سَجيّةً مَرْضيَّةً وطريقةً قَصدًا وقولاً فَيْصلا
فإذا قَضى فى المُشْكلاتِ ترادفتْ حِكَمٌ تُرِيكَ الوَحْىَ كيفَ يُنَزَّلا[٨]

وقالَ فيه[٩] :

أَسِفْتُ لأقوامٍ مَلكْتَ بُعَيْدَهُمْ وكانتْ دَجتْ أيَّامُهـمْ فاسْوَأَدَّتِ[١٠]

---

(١) ديوانه ١ : ١٠٩ .
(٢) فى س « داهب » تصحيف والتصحيح من الديوان .
(٣) ديوانه ١ : ٣٧٠ وفى س « المهدى » .
(٤) الديوان : « والحق أوحد » ، « عصبة منا »
(٥) خدت : أى شقت .
(٦) ديوانه ٣ : ١٦٤٩ .
(٧) صدره فى الديوان : « يا ابن الهداة الراشدين ومن بهم » .
(٨) فى الأصل : « تنزلا » والتصحيح من ديوانه .
(٩) ديوانه ١ : ٣٧١ .
(١٠) ديوانه : « أسيت لأقوام ملكت أمورهم » ، وفى س : « اسودّت » ولا يستقيم الوزن بها والتصحيح من الديوان ، وقال أبو العلاء فى عبث الوليد ص ٦٩ : « فى الأصل اسوأدت وهو أشبه بمذهب الشاعر ، والعرب يحكى عنهم همز مثل هذه الأشياء التى يلتقى فيها ساكنان يقولون : احمأرّ فى معنى احمار واسوأدّ فى معنى اسواد »

مَضَوْا لم يَرَوْا من حُسْنِ عَدْلِكَ منظراً ... ولم يَلْبَسُوا نُعماكَ حين اسْتُجِدَّتِ
ولمْ يعلموا أنَّ المكارِمَ أُبْدِيَتْ ... جِذَاعاً ولا أنَّ المظالِمَ رُدَّتِ(١)

وقال فيه(٢):

أرىٰ حَوْزَةَ الإسلامِ حينَ وَلِيْتَها ... تُخُرِّمَ باغِيها وحِيطَ حَرِيمُها
تدارَكَ مظلومُ الرَّعيــةِ حَقَّــهُ ... وخَلَّى لهُ وَجْهَ الطَّريقِ ظَلومُهــا(٣)

وقالَ في المعتمِدِ(٤):

بلغَ احْتِيَاطُكَ وفْدَ كلِّ قبيلةٍ ... وأغاثَ عَدْلُكَ أهلَ كلِّ بِلادِ

وقال في المعتزِّ(٥):

أقامَ منارَ الحقِّ حَتَّىٰ اهتدتْ بهِ ... وأبْصَرَهـا مَنْ لَمْ يَكُـنْ قَطُّ مُبْصِرَا(٦)
وعادتْ على الدُّنْيَا عوائِدُ فَضْلِهِ ... فأقبلَ مِنْها كلُّ ما كانَ مُدْبِرا(٧)

وهذا كُلُّهُ في غايةِ الجودةِ والصّحةِ والاستقامةِ ، وهو عمومٌ لا يكونُ إلّا من خليفةٍ ، أو من يقومُ مقامَه(٨) .

وقال في المتوكِلِ(٩):

عرَّفْتَنَا سُنَنَ النَّبيِّ وهَدْيَهُ ... وقَضَيْتَ فينا بالكِتابِ المُنْزَلِ

لولا قوله : « وهديه » كان يصلُحُ أن يكونَ مدحاً لقاضٍ أو فقيهٍ ، إلّا أن يُسْرِفَ مُسْرِفٌ .

---

(١) ديوانه : « ولا علموا » وفي س : « خداعا » تصحيف .
(٢) ديوانه ٣ : ٢٠٢١ .
(٣) في الأصل : « وخلي الطريق ظلومها وغشومها » والتصحيح من الديوان .
(٤) ديوانه ٢ : ٧٣٤ .
(٥) ديوانه ٢ : ٩٣٣ .
(٦) في الديوان : « اهتدى » ، و « أبصره ... أبصرا » .
(٧) ديوانه : « أدبرا » .
(٨) في س : « مقامها » .
(٩) ديوانه ٣ : ١٦٢٣

وقالَ فيه[١]:

إمامٌ يراهُ اللهُ أَوْلَى عبادِه بحقٍّ ، وأهْداهُـمْ لِقَصْدِ سَبيلِـهِ[٢]
خليفَتُهُ فى أرضِهِ وَوَليُّهُ [الـ (م) رضىُّ] لَديهِ ، وابنُ عمِّ رَسولِهِ[٣]
تَرى الأرضَ تُسْقَى غَيْثَها بِمُرورِهِ عليها[٤] ، وتُكْسَى نَبْتَها بِنُزُولِـهِ

/ وقالَ فيه[٥]: ٥ س

أَوَ ما تَرى حُسْنَ الزَّمانِ وما بَدا وأعادَ فى أيَّامِهِ المُتوكِّلُ
أشْرَقْنَ حتَّى كادَ يُقْتَبَسُ الدُّجى ورَطُبْنَ حتَّى كادَ يَجْرى الجَنْدَلُ[٦]

فهذا ما يَليقُ بالخُلفاءِ مِن ذِكْرِ العَدْلِ وإقامةِ الحقّ وصلاح الأمور ، والبحتريُّ فيما أورده من ذلك كلِّهِ أشعرُ من أبى تمّام .

ومِمّا قالاهُ من ذلكَ فى سائرِ النّاس ، قالَ أبو تمّامٍ فى مُحمّد بن عبد الملك[٧] :

أرَى ابنَ أبِى مَرْوانَ أمَّا لِقَاؤه فَدانٍ وأمَّا حُكْمُهُ فَهْوَ عَادِلُ

وقال فى إبراهيم بن الخصيب[٨]:

ما لِأَهلِ الشآمِ أنْ يَكْفُرُوا بَعْـ ـدَك فِيهِمْ نَعْماءَ أَهْلِ العِراقِ
فلقد صار أفقهم بأياديـ ـكَ حديثًا لسائرِ الآفاق

(١) ديوانه ٣ : ١٦٣٠ .
(٢) ديوانه : « رآه الله » .
(٣) مابين الحاصرتين ساقط من س .
(٤) فى س : « عليه » .
(٥) ديوانه ٣ : ١٧٥١ .
(٦) سبق فى ١ : ٣٤٤ .
(٧) ديوانه ٢ : ٣٣٥ – والتبريزى : ٣ : ١٢٥ وفيهما « أما عطاؤه فطام » ، وفى النظام لابن المستوفى جـ ٢ لوحة ٢٧١ : « وروى الآمدى : أما لقاؤه فدان » .
(٨) لم أجد الأبيات فى ديوانه أو فى شرح التبريزى غير أنى وجدتها فى نسخة من ديوانه مخطوطة استانبول « الفاتح » برقم ٣٧٧٢ لوحة ١٣١ .

نزَلَ العدْلُ حيثُ شاءوا وأضحى الـ ـجورُ والظُّلمُ عنهُمُ فى وَثَاقِ[١]
كلُّ يومٍ تَزِيدُهم منك عدلاً ونوالاً كذاك جَرىُ العِتَاقِ

هذه الأبياتُ كلها رديئةٌ ، وقوله : « كذاكَ جرىُ العِتاقِ » ؛ لأنَّ الخيلَ العتاقَ إذا استزدتَها فى الجَرىِ زادتْكَ ، وليسَ بالمعنى الحلوِ هاهُنا

وقالَ البحترىُّ فى صاعِدِ بن مخلدٍ[٢]:

فكيفَ وجدتم عذْلَهُ وقدِ التَقَتْ مساويةً شاءُ البلادِ وسِيدُهَا[٣]
فإن تُخْرِجِ الأيامُ مذخورَ حُسْنِها فقد آنَ أنْ يُبْدِى النضارةَ عُودُها

وهذا غايةٌ فى حسنهِ وحلاوتِهِ .

وقالَ فى أبى الصقْرِ[٤]:

تَقَرَّى جُنُوبَ الأرضِ جُوداً ونائِلاً وطَبَّقَ عَدْلاً حَزْنَهَا وسهولَهَا[٥]
ولوْ سِيقَتِ الدُّنيا إليهِ بأسْرِها ولم يَتْلُها حمْدٌ لعافَ قَبولَهَا[٦]

وقالَ فى أبى يعقوبَ إسحاقَ بن إسماعيل[٧]:

إنَّ العواصمَ قد عُصِمْنَ بأبيضٍ ماضٍ كصدرِ الأبيضِ المسلولِ[٨]

---

(١) فى النسخة المخطوطة « حيث ساروا » .
(٢) ديوانه ١ : ٥٣٢ .
(٣) فى الديوان : « مسالمة » وفى عبث الوليد ص ٨٣ : « مسالمة » وقال : « كان فى النسخة « مساوية » وله معنى ، والأشبه أن يكون « مشاربة » ؛ لأن الأخبار التى تنقل فى الزمان الذى يصلح فيه شؤون يقال فيها إن الموادعة تقع حتى يشرب الذئب مع الشاة من حوض واحد » .
(٤) ديوانه ٣ : ١٧٩٤ .
(٥) فى س : « وطُبِّق » بالبناء للمجهول وهذا يجعل قافية البيت مضمومة ، والتصحيح من الديوان .
(٦) فى س : « قبولها » بضم القاف واللام وهو خطأ ظاهر .
(٧) ديوانه ٣ : ١٨٣٧ .
(٨) ديوانه : « كحدّ الأبيض » .

أعطى الضَّعيفَ من القويِّ وردَّ منْ نَفْسِ الوحيدِ ومُنَّةِ المَخْذُولِ
عزَّ الذليلُ وقد رآكَ تشدُّ من وَطْءٍ على عُنُقِ العزيزِ ثَقيلِ
رَعَتِ الرَّعيَّةُ مرتعاً بك مونقاً وثَنتْ بظلٍ فى ذَراكَ ظَليلِ (١)
أَعْطيتَها حُكْمَ الصَّبيِّ ، وزِدتَها فى الرِّفْدِ إذْ زَادتْكَ فى التَّأميلِ

وقالَ فى إبراهيمَ بن المدبِّرِ (٢) :

نافِرُ الجأشِ لا تَقِرُّ حشَاهُ أو تُؤدَّى ظُلامةُ المَظْلومِ

وهذا كلُّه جيِّدٌ نادرٌ فوقَ ما قاله أبو تمَّامٍ .

* * *

(١) ديوانه : « مرتعا بك حابسا : أى كلأ حابسا يحبس المال لكثرته وجودته » ، وفيه : « بظل من ذراك » .

(٢) ديوانه ٤ : ٢١٢١ .

سدادُ الرأي والتدبيرِ والاضطلاعُ بالأمورِ

وحُسْنُ الكفايةِ وإمضاءُ العزائمِ[1]

قالَ أبو / تمّامٍ في المعتصمِ[2]: ‏٦ س

فِكْرٌ إذا رَاضَهُ راضَ الأمورَ بِهِ ‏ ‏ رأىٌ تَفنَّنَ عنه الرَّيْثُ والعَجَلُ

أرادَ أنّ الرّأىَ يروضُ الأمورَ بالفِكْرِ، وقوله: «تفنَّنَ عنه الريثُ والعَجَلُ» أى تشعَّبَ منه، وصار أفناناً، يقول: يَريثُ فى حالٍ إذا كان الرَّيْثُ أولى، ويَعجلُ فى حالٍ إذا كانتِ العجلةُ أحزمُ، فالرَّيْثُ والعَجَل يصدران جميعاً عنهُ، وهذا بيتُ غيرُ جيّدٍ ولا شهىٌّ[3].

وقالَ فى المأمونِ[4]:

وأرَى الأمورَ المشكلاتِ تمزَّقَتْ ‏ ‏ ظُلماتُها عن رأيكَ المتوقِّدِ

عَنْ مثلِ نَصْلِ السَّيْفِ إلّا أنَّهُ ‏ ‏ مُذْ سُلَّ أوَّل سَلَّةٍ لمْ يُغْمَدِ

فَبسطْتَ أزْهَرَها بوجهٍ أزْهر ‏ ‏ وقَبضْتَ أربدَها بوجهٍ أرْبَدِ

لَهُ فى هذا البيت إساءةٌ قد ذكرتُها فى أغاليطِهِ[5].

وللهِ درُّ أبى عبادةَ إذ يقولُ فى المهتدى باللّهِ[6]:

---

(١) فى ص ٣٣١ من الجزء الثانى «حسن السياسة».

(٢) ديوانه ٢ : ١٨٩ والتبريزى ٣ : ١٩ وفيهما «تفنن فيه».

(٣) تعليق الآمدى هنا نقله ابن المستوفى فى النظام جـ ٢ لوحة ٢٤٥.

(٤) ديوانه ١ : ٤٥٢ والتبريزى ٢ : ٥٢.

(٥) انظر ١ : ٢٣٦.

(٦) ديوانه ١ : ٣٧٠

وقد عَلِمَ الأقوامُ أنَّ صريمةً إذا اختلفتْ شورىٰ النَّجيِّ استَبَدَّتِ
متى وَقَدَتْ فى مُظْلِم الأمْرِ ضَوَّأتْ وإنْ ضَرَبَتْ فى جانبِ الخَطْبِ قَدَّتِ

وقوله فيه[1]:

لَهُ عَزمةٌ ما استَبْطأَ المُلْكُ نُجْحَها ولا استعتَبَ الإسلامُ ورىَ زِنَادِها
إذا شُوهِدَتْ بالرَّأيِ بانَ اختيارُها وإن غَابَ ذو الرَّأيِ اكْتفتْ بانْفِرادِها[2]

وقالَ ابنُ هَرمةَ فى المنصورِ[3]:

ولا يَنْتجى الأدْنَونَ فيما يُحَاوِلُ[4]

وتَبِعَه أبو العتاهيةَ فقالَ[5]:

إذا همَّ لمْ يَشْرَكْهُ فى الأمرِ غيرُهُ وكانَ بما يأتِى أطبَّ وأبْصَرا

وقولُهُ فى المعتمِدِ[6]:

تَبِعَتْ « بنو العبّاسِ » هَدْىَ مُحمَّدٍ ثَبْتِ البصيرةِ فى المحجّة هَادِ[7]
وكأنّهمْ لمَّا اقْتَفَوْا مِنْهاجَهُ تَبِعُوا ضِياءَ الكَوْكَبِ الوَقَّادِ[8]

وقولُهُ[9]:

مُتَيَقِّظٌ عُصِمتْ بوادِرُ حُكْمِهِ بِعُرىً من الرَّأيِ الأصيلِ شِدَادِ[10]
كالسَّيْفِ فى ذاتِ الإلهِ ، وقد يُرى كَرَماً كفرعِ النَّبعةِ المَيَّادِ[11]

---

(١) ديوانه ٢ : ٦٧٦ .
(٢) ديوانه : « وإن بان ذو الرأى » .
(٣) ديوان ابن هرمة ص ١٦٧ وفيه « الأدنين » ، وفى أمالى القالى « الأدنون » ٣ : ٤٠ ، وصدر البيت : « يزرن امرأ لا يصلح القوم أمره »
(٤) وينتجى : يفضى بسره .
(٥) لم أجده فى ديوانه .
(٦) أى البحترى ، ديوانه ٢ : ٧٣٢ .
(٧) ديوانه : « هدى موفق » .
(٨) ديوانه : « اقتفوا آثاره » .
(٩) ديوانه ٢ : ٧٣٣ .
(١٠) ديوانه : « بوادر أمره » .
(١١) ديوانه : « المنآد » .

وقولُه فى المهتدى[١] :

تَثْنى بوادِرَهُ الأَناةُ ، وإنَّما   سارتْ عزيمَتُهُ فكانتْ جحْفَلَا[٢]

وقالَ أبو تمَّامٍ[٣] :

وعزائماً فى الرَّوع مُعْتَصِمِيَّةً   مَيْمونَةَ الإدْبار والإقْبالِ
فَتَعَمُّقُ الوُزَراءِ يَطْفُو فَوْقَها   طَفْوَ القَذى وتَعقُّبُ العُذَّالِ[٤]
/ والسَّيْفُ مالمْ يُلْفَ فيهِ صَيْقَلٌ   من سِنْخِهِ لِم يَنْتَفِعْ بصِقَالِ[٥] ٧ س

ما كانَ ينبغى أن يجعلَ العزائمَ إدباراً ، لأنَّها لفظةٌ قبيحةٌ ولا يصحُّ لهَا أيضًا معنى فى هذا الموضعِ ، وخاصةً وقدْ قالَ : « فى الرَّوع » ، إلّا أنْ يُتَأوَّل أنْ يكون أرادَ قولَهم : فلانٌ يضربُ الأمْرَ ظهراً لبطنٍ ويُقْبِلُ بالرَّأى ويُدْبِرُ ، يريد أنَّه يصرِّفُهُ ويُقلِّبُهُ ، وبينَ اللَّفظتيْنِ فَرْقٌ كبيرٌ ، وما كانت ها هنا ضرورةٌ إلى هذا اللّفظِ الرّدىءِ ، لأنَّ فى سائر الألفاظِ والمعانى مندوحةً ، و « تعقُّبُ العذَّال » ردىءٌ أيضا ، لأنَّ الخليفَةَ يَجِلُّ أن يُقْدِمَ أحدٌ على عذْلِهِ ، وقولُه : « فتعمُّقُ الوُزراءِ يَطْفُو فوقَها » فى غايةِ الحُسْنِ والجودةِ والحلاوةِ .

وقال أبو تمّامٍ[٦] :

تَرَى الحادثَ المستعْجِمَ الخَطْبِ مُعْجَمًا   لديهِ ومَشْكولاً إذا كان مُشْكِلاَ

---

(١) ديوانه : ٣ : ١٦٤٩ وتكرر فى ص ١٨٧٤ ، ص ١٨٨٠

(٢) ديوانه : « وربما سارت » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢١٨ والتبريزى ٣ : ١٤٥ .

(٤) التبريزى : أى أبطلت قول العذال وذوى الشفقة من الأقرباء ، إنك مخطىء فى مصيرك إلى مقاتلتهم .

(٥) س : « يكف » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى وفيها « من طبعه » والسنخ : الأصل من كل شىء وسنخ السيف : سيلانه ، وهو ما يدخل من السيف والسكين فى النصاب .

(٦) ديوانه ٢ : ٣١٠ والتبريزى ٣ : ١٠٢ .

وهذا من أشعارِ المعلّمينَ ومعانيهم ؛ لأنَّه أرادَ بقولِهِ « مُعْجَمًا » أى : مَنْقُوطًا ؛ و « مَشكولًا » أرادَ الشَّكْلَ .

والبحتريُّ فى هذا الباب أشعرُ من أبى تمّامٍ ألفاظًا ومعانىَ ، وليسَ لأبى تمّامٍ فيه إلّا قولُهُ : « يطفو فوقَها طَفْوَ القَذىٰ » .

* * *

في مراعاةِ أَمْرِ الدُّنيا والإضطلاعِ بالأمورِ وحُسْنِ الكفاءَةِ

وهو قريبُ المعنَى من البابِ الذى قبلَهُ

يقولُ البحتريُّ فى مدحِ المعتزِّ باللهِ[1] :

بِهِ تُعْدَلُ الدُّنْيَا إذا مالَ قَصْدُها ⁂ ويَحْسُنُ صُنْعُ الدَّهْرِ، والدَّهْرُ أَخْرَقُ

وقال فيه[2] :

مُدبِّرُ دنيا أَمْسكت يَقظَاتُهُ ⁂ بآفاقِها القُصْوَى وما طَرَّ شارِبُهْ[3]

وقالَ فى المتوكِّلِ[4] :

ولَهُ، وإن غدتِ البلادُ عريضةً ⁂ طَرْفٌ بأطرافِ البِلادِ مُوَكَّلُ

وأجودُ من هذا قولُ أبى تمّامٍ يعنى نَفْسَه فى اغْتِرابِهِ[5] :

أَطَلَّ على طُلَى الآفاقِ حَتَّى ⁂ كأَنَّ الأرضَ فى عَيْنَيْهِ دَارُ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٥٣٢ .

(٢) ديوانه ١ : ٢١٧ .

(٣) س : « طُرَّ » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٧٥٢ .

(٥) ديوانه ١ : ٥١٣ والتبريزى : ٢ : ١٥٥ وفيهما « كُلَى » جمع كُلْيَةَ . وقال ابن المستوفى فى النظام حـ ٢ لوحة ٤١ « ويروى على طُلَى الآفاق » وطُلَى : جمع طُلاةٍ وهى العُنُق ، وقد سبق البيت فى ١ : ٦٧ برواية الديوان ، وقال : « ويروى (طلى) » .

وهذا المعنى حَسَنٌ جدًّا ، ولكنَّه لَيسَ لَهُ ، وإنَّما سَمِعَ منصوراً النَّمَرىَّ يقولُ فى الرَّشيدِ (١) :

وعَيْنٌ محيطٌ بالبَرِيَّةِ طَرْفُها   سواءٌ عَلَيْهِ (٢) قُرْبُها وبَعيدُها

فحذَا عَلَيهِ ، غَير أنَّ قولَه : « كأنَّ الأرض فى عينيهِ دَارُ » فى غايةِ الحُسْنِ والحَلاوة (٣) .

وقال البحتريُّ فى عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٤) :

طَرْفٌ مُطِلٌّ على الآفاقِ يَكلأُها   بناظرٍ لم يَنَمْ عَنْهَا ولم يُنِمِ

وبيتُ منصورٍ أجودُ من هذا ، وبيتُ أبى تمّام أجودُ من بيت مَنْصورٍ ، وإن كانَ منه أخذَ ، وما قال النَّاس فى السِّياسةِ أحسَنَ من قولِ محمدِ بن وُهَيْب (٥) :

وكأنَّ ضوءَ جبينهِ قَمَرٌ   بدر وسائِرُ خَلْقِهِ أسَدُ

/ وكأنَّه رُوحٌ تُدبِّرُنا   حَرَكاتُهُ وكأنَّنا جَسَدُ ٨ س

ونحوُهُ قولُ أبى العتاهيةَ (٦) :

أمينَ اللهِ أمْنُكَ خيرُ أمْنٍ   عَلَيْكَ من التُّقَى فيهِ لِبَاسُ

تُساسُ من السَّماء بِكلِّ بِرٍّ   وأنتَ بِهِ تَسُوس كما تُسَاسُ

كأنَّ الخلقَ رُكِّبَ فيهِ رُوحٌ   لَهُ جَسدٌ وأنْتَ عليهِ راسُ

---

(١) سبق البيت فى ١ : ٦٧ ، وانظر شعر منصور النمرى ، ص ٨٠ .

(٢) فى س : (علينا) تحريف ، والتصحيح من ديوانه .

(٣) قال فى الجزء الأول ص ٦٧ « عجز هذا البيت حسن جدا ، وبيت النمرى أحب إلىّ ، لأن معناه أشرح » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٩٧١ .

(٥) هو محمد بن وُهَيْب الحميرى شاعر من أهل بغداد ومن شعراء الدولة العباسية ، من معاصرى دعبل وأبى تمّام ، مدح المعتصم والمأمون وهو شاعر مطبوع مكثر . « الأغانى ١٧ : ١٤١ ومعجم الشعراء ص ٣٥٧ » ، والبيتان فى ديوانه (شعراء عباسيون د. السامرائى) : ٧٢ وفيه : « فى صولةٍ أسد » .

(٦) لم أجد الأبيات فى ديوانه ، وهى فى الأغانى ٤ : ٦٤ دار الكتب ، من كلمة فى مدح الرشيد .

وقالَ عليُّ بنُ جَبَلَةَ فى حُمَيد بن عبد الحميد[1] :

يَفْتَتِقُ ما يَرْتُقُ أعداؤُه وما لِمَا يَفْتُقُ مِنْ آسِ
فالنَّاسُ جِسْمٌ وإمامُ الهُدىٰ رَأْسٌ وأنتَ العَيْنُ فى الرَّاسِ

وقال أبو تمّامٍ فى مُحَمد بن عبدِ الملكِ[2] :

ردءُ الخِلافةِ فى الجُلىّ إذا نَزَلتْ وقَيِّمُ المُلْكِ لا الوانى ولا النَّصِبُ
جَفْنٌ يَعافُ لذيذَ النَّوْمِ نافِرُه شُحًّا عليهِ وقَلْبٌ حَولَها يَجِبُ[3]
طَليعةٌ رأيُهُ من دونِ بَيْضتِها كما انْتَمىٰ رابىءٌ فى الغَزْوِ مُنْتَصِبُ
حتَّى إذا ما انْتَضىٰ التَّدبيرَ ثابَ لَهُ جَيشٌ يُصارِعُ عنهُ مَالَهُ لَجَبُ
شِعارُهَا اسمك إنْ عُدَّت محاسِنُها إذا اسم حاسِدِكَ الأدنَى لها لَقَبُ[4]
وزيرُ حَقٍّ ووالى شُرطةٍ ورحَا ديوانِ مُلْكٍ وشيعىٌّ ومُحْتَسِبُ
كالأرحبىِّ المُذَكَّى سَيْرُهُ المَرَطىٰ[5] والوَخْدُ والمَلْعُ والتَّقْرِيبُ والخَبَبُ
عَوْدٌ تُساجِلُهُ أيَّامُهُ فِيهـا من مَسِّهِ وبِهِ من مسِّها جَلَبُ

قوله : « كما انْتَمىٰ رابىءٌ » أى : ارْتَفَعَ إلى رأس جَبلٍ ، وانتميتُ أى : ارتفعتُ ، ومنه انتمى فى النَّسب إلى بنى فلان ، أى ارتفع ، و « الرَّابِىءُ » الذى يَربأُ للقومِ كأنَّهُ يرتفع إلى موضع عالٍ ، وليس هو من « الرَّبْوَةِ » لأنَّ تلك غيرُ مهموزةٍ ، يفعلُ ذلك يرقبُ للقومِ أمرَ العدوِّ ، والرَّابِىءُ لاينتصبُ وإنَّما ينامُ على بَطْنِهِ

---

(١) هو حميد بن عبد الحميد الطوسى كان من كبار قواد المأمون ، وكان جبارا وفيه قوة وبطش وإقدام وكان يندبه للمهمات ، مات مسموما سنة ٢١٠ « النجوم الزاهرة ٢ : ١٩٠ والطبرى ٨ : ٥٤٩ وأسماء المغتالين ص ١٩٩ » ، والبيتان فى ديوانه : ٤٧ وفيه :

يرتق ما يفتق أعداؤه وليس يأسو فتقه آس

(٢) ديوانه ١ : ٣٠٣ وشرح التبريزى : ١ : ٢٤٥ .

(٣) ديوانه « شحّا عليها » .

(٤) ديوانه وشرح التبريزى « إذ » .

(٥) فى الأصل : « المُذَكَّىٰ » بالبناء للمجهول .

أو يستلقى على جَنْبه ليَخفىٰ شَخْصُهُ ؛ لأنَّهُ إنْ قامَ أَدْرَكتهُ العينُ من بُعْدٍ كما قال الهذليُّ [1] :

أقمْتُ بِرَيْدِهَا يوماً طويلاً ولم أُشْرِفْ بِها مثلَ الخَيالِ
ولَمْ يَشْخَصْ بِها بَصرِي و [لكِنْ] دنوتُ تَحــدُّرَ الماءِ الــزُّلالِ [2]

فان كانَ حذا على قولٍ مُتقدِّمٍ فالصَّوابُ هو هَذا ، إلّا أنْ يكونَ أرادَ : نَصَبَ نَفْسهُ لِذَلِكَ ، أى : أعدَّها ، ولم يُردِ الانْتِصَابَ .

و « الأرحبىُّ » من الإبلِ منسوبٌ إلى « أرحبَ » حىٌّ من همدانَ تُنْسَبُ إليهم النَّجائِبُ ، و « المذكىّ » الَّذى قد انتهىٰ فى سِنِّهِ وقوَّتِه ، و « المَرَطىٰ » : عَدْوُ الخيلِ فوقَ التَّقريبِ [3] ودونَ الإلْهابِ ، و « الوَخْدُ » الاهتزازُ فى السيرِ ، مثلُ وَخْدِ النَّعامِ .
٩ س / و « المَلْعُ » من سير الابلِ السَّريعُ ، و « التَّقْريبُ » من عدوِ الخَيْلِ معروف ، و « الخَبَبُ » دَونُه .

وليسَ التَّقريبُ من عدوِ الإبلِ ، [و] هو عندى فى هذا الموضِعِ مُخْطِىءٌ ، وقد يكونُ التَّقْريبُ لأجناسٍ من الحيوانِ ولا يكونُ من الإبلِ ، فإنَّا ما رأينا قطُّ بعيراً يقرِّبُ تقريبَ الفرسِ ، و « المَرطىٰ » أيضًا من عدوِ الخَيْلِ ، ولم أَرهُ فى أَوْصافِ الإبِلِ .

---

(١) هو عمرو ذو الكلب بن عجلان بن برد أحد بنى كاهل ، وكان جارا لهذيل ، عَلِقَ امرأةً من فَهْمٍ يقال لها « أم جُلَيْحة » ، فأحبها وأحبته ، وطلبه أهلُها وقتلوه ، « انظر : أسماء المغتالين ص ٢٤١ ، والأغانى ١٧ : ٢٠ ، ومعجم الشعراء ص ٢٧ ، وشرح أشعار الهذليين صنعة السكرى ص ٥٦٨ وما بعدها » .

(٢) فى س « بصرى فقامت » ، وفى شرح أشعار الهذليين « ولم يشخص بها شرفى » .

(٣) التقريب : أن يرفع الفرس يديه معا ويضعهما معا ، والإلهاب : الجرى الشديد الذى يثير الغبار .

وقولُهُ : « شعارُها اسْمُكَ » يعنى الخلافةَ ، والشّعار هو العلامةُ التى تَخصُّ الشّىءَ ، أُخِذَ من الشِّعار وهو الثوبُ يصل شعرَ الجسدِ(١) ، وقسمةُ البيتِ رديئةٌ على مذهبِهِ فى الطّباقِ ، لأنّ الشّعار طِباقُهُ الدِّثارُ ، واللّقبُ طِباقُه الاسمُ ، وكانَ ينبغى أن يقولَ : إذا اسمُ حاسِدِكَ الأدنىٰ لهَا دِثارُ ، وذلك أنَّ الشّعارَ أخصُّ بالجسدِ من الدِّثارِ ، ولو استوى له أن يقولَهُ كانَ أيضاً فى غايةِ الرَّداءةِ ، لأنَّ الدِّثارَ يعلو على الشّعارِ ويغطّيهِ ، وليس بجيّدٍ أن يَعلوَ لَقبُ حاسدِه علىَ اسمِهِ ، وإنما يعنى هذا الحاسدَ المعروفَ بأبى الوزير وكان قد اخْتُصَّ بالواثِق ، ولَطُفَتْ مَنْزِلَتُه عنده جِداً ، حتى كانَ ربما عرضَ عليه الكُتُبَ ، وكان عدوَّ محمّد بن عبد الملك ، فيقولُ : شعارُ الخلافةِ اسْمُكَ ، لأنَّك الوزيرُ ، وذلك أبو الوزيرِ لَقبٌ ، فلهذا قالَ :

وزير حقٍّ ووالى شُرْطةٍ ورحا ديوانِ مُلْك وشيعىٌّ ومحتسبُ

فجعله الوزيرَ حقاً ، وأنَّه ينظرُ فى الأمورِ كلها ، ليُعْلَم أَنها إليه ، وأَنّه القيّمُ بها ، وهذا بيتٌ من مدحِ الوزراءِ فى غايةِ الرَّكاكةِ والسُّخْفِ ، وقُبْحِ المعانى والألفاظِ ، ومن الذى يشكُّ فى أنَّ الوزيرَ إليه النَّظرُ فى هذه الأشياءِ ، وكأنَّهُ أرادَ أنَّـ[ـه] يعاينُها بَنفسِهِ ، من غيرِ واسطةٍ ، ليدُلَّ على كفاءَتِهِ .

وجعلَه « رحا ديوانِ مُلكٍ » ، و « الرَّحا » هاهنا فى غايةِ القُبْحِ ، وأرادَ أنَّه هو الذى يدبِّرُ أمورَ الديوانِ دون الكُتّابِ ، فجعلهَ هو الذى يدورُ ، ولم يقنع حتّى جعله رحا ، وإنما المستعملُ من الاستعارةِ لمثل هذا المعنى : قُطبُ الرَّحا لا الرَّحا ، لأنَّ المدارَ على القُطبِ .

وقد جعل البحترىُّ « رحى » فى موضعٍ أشْبَهُ بالصَّوابِ من هذا الموضِعِ فقال(٢):

---

(١) كذا فى س ، وفى اللسان « شعر » : الشعار ما ولى شعر الجسد من الثياب .

(٢) ديوانه ٣ : ١٤٣٦ والطلى : الأعناق .

لله أنتَ رحا هيجاءَ مُشْعلَةٍ　　إذا القنا من صُباباتِ الطُّلَى رَعَفَا

ثمّ قالَ أبو تمّامٍ : « وشيعيٌّ »[١] ، منسوب إلى شيعةِ ولد العبّاسِ ، وكان لهم في كُلِّ ديوان رجلٌ من الشِّيعةِ ، يَخْزِنُ الدِّيوانَ ويَحفظُ الحِساب ، فجعلَ الوزيرَ أيضاً خازناً ، وكان ينبغى أنْ يجرىَ عليها أيضا للخَزْنِ جرايةً ! ، ثمَّ ختم البيتَ « بالمحتسبِ » ، ومَا عِلِمْنا أحدًا مَدَح وزيراً فجعله والىَ شُرْطةٍ ولا مُحْتَسِباً ولا خَازِناً ، وقد كانَ يكفيه من ذلِكَ كلِّه أن يقولَ إنَّهُ ينظرُ / فى كِبَارِها نحو ما قالَ ١٠ س
البحتريُّ فى أبى نوحٍ[٢] عيسى بن إبراهيم :

يُـؤيِّدُ المُلْكَ مِنهمْ نُصْحُ مُجْتَهِدٍ　　لله يُسْرِعُ بالتَّقْـوىٰ وَيَتَّئِـدُ[٣]
مُباشِرٌ لِصِغَار الأمْرِ لا سَلِسٌ　　سَهْلٌ ، ولا عَسِرُ التَّنفِيذِ مُنْعَقِدُ
ولا يُؤَخِّرُ شُغْلَ اليومِ يَذْخُرُهُ　　إلى غدٍ إنّ يومَ الأعجزينَ غَـدُ

وقالَ البحتريُّ[٤] فى الفتحِ بن خاقان :

تحمَّـلَ أعبـاءَ المعـالى بأسرِهَـا　　إذا حُطَّ منها مَغْـرَمٌ عَادَ مَغْـرَمُ[٥]
وَقـامَ بما لَو قامَ رضوىٰ ببـعضِه　　هوَى الهَضْبُ من أركانِ رَضوىٰ المُلَمْلَـمُ
مُدَبِّرُ مُلْكٍ ، أيَّ رَأْيَيْهِ صارَعُوا　　بِهِ الخَطْبَ رُدَّ الخَطْبُ يُدْمىٰ ويُكْلَـمُ
أمدُّ الرِّجالِ لُبْثَةً حينَ يَرْتَئِى　　وأسرعُهــم إمَضاءةً[٦] حين يَعْــزِمُ
بِتَسْدِيدِهِ تُلْغَىٰ الأمورُ وتُجْتَبَىٰ　　وتُنْقَضُ أسبابُ الخطوبِ وتُبْـرَمُ

---

(١) فى س « واد » .
(٢) فى س « أبى فرح » وستأتى ترجمته ص ٦٢٦ وانظر ديوان البحترى ١ : ٤٩٦ .
(٣) ديوانه « منه » .
(٤) ديوانه ٣ : ١٩٢٥ .
(٥) فى س : « شاد » والتصحيح من ديوانه .
(٦) س « إمضاؤه » ، والتصحيح من الديوان .

وما أحسنَ ما قالَ منصورٌ النَّمَرِيُّ فى حُسْنِ الكَفاءةِ وسُرْعةِ إمضاءِ الأمورِ[١] :

وليسَ لأعباءِ الأمورِ إذا عَرتْ بِمُكْتَرِثٍ لكن لَهُنَّ صبورُ[٢]
يُرىٰ ساكنَ الأوصالِ باسِطَ وَجْهِهِ[٣] يُرِيكَ الهُوَيْنَا والأُمورُ تَطيرُ

وقالَ آخرُ - أظنُّهُ أشجعَ السُّلَميَّ[٤] -:

بَديهَتُهُ مِثْلُ تَفْكيرِهِ إذا رُمْتَهُ فَهْوَ مُسْتَجْمِعُ

وقالَ البحتريُّ فى ابنِ بِسْطَامٍ[٥] :

بِتَدْبيرِ مَأْمونٍ علىٰ الأمْرِ رَأْيُهُ ذَكيٍّ ، وأَمضىٰ المُرْهَفَاتِ ذَكيرُها
تُحاطُ قواصِي المُلْكِ فيهِ، وتَسْكُنُ الْـ ـخِلافَةُ مُلْقَاةً إليهِ أُمورُها[٦]
وَذو هاجسٍ لا يُحْجَبُ الغَيبُ دُونَه تُريهِ بُطونَ المُشْكلاتِ ظُهورُها

وقالَ أبو تمّامٍ فى مُحمّدِ بن عبدِ المَلكِ[٧] :

هَزَزْتَ أميرَ المؤمنينَ محمّدًا فكانَ رُدَيْنِيًّا وأبيضَ مُنْصُلَا
فما إنْ تُبالِي إذْ تُجهِّزُ رأيَهُ إلى نَاكثٍ ألّا تُجَهِّزَ جَحْفَلا[٨]

(١) نسبا إلى الأخطل فى ديوان المعانى من جملة أبيات « ١ : ٥٨ » ولم أجدهما فى ديوان منصور .
(٢) فى س : « لمكترث » ولا يستقيم التعبير والتصحيح من ديوان المعانى ، وفيه « لهن قهور » .
(٣) ديوان المعانى « باسط جهده » ، وقد سبق هذا البيت منسوبا إلى النمرى فى ١ : ٢٣٧ دون تخريج ، كما ورد الشطر الثانى فى ديوان المعانى ٢ : ٧٧ .
(٤) أشجع السلمى يكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطرود نشأ فى البصرة وقال الشعر وأجاد وعد فى الفحول ، « أخبار الشعراء المحدثين للصولى تحقيق هيورث دن ص ٧٤ ، الأغانى ١٧ : ٣٠ ، الشعر والشعراء ص ٨٨١ » ، والبيت من قصيدة فى مدح جعفر بن يحيى البرمكى عندما ولاه الرشيد خراسان « أخبار الشعراء المحدثين ص ٨٣ ، الأغانى ١٧ : ٣٧ ، خزانة الأدب ١ : ٢٩٧ » ، وفيها كلها « مثل تدبيره » الشعر والشعراء ص ٨٨٣ وديوان المعانى ١ : ٦٤ « تدبيره متى هجته » .
(٥) ديوانه ٢ : ١٠٠١ .
(٦) ديوانه « وتسكن الرعية » .
(٧) ديوانه ٢ : ٣١٠ والتبريزى ٣ : ١٠١ .
(٨) ديوانه والتبريزى « أن تجهز رأيه » .

تَرىٰ شَخْصَهُ وَسْطَ الخلافةِ هَضْبَةً ‏ وخُطْبَتَهُ دونَ الخِلافةِ فَيْصَلا
وما هَضْبَتا رَضْوىٰ ولا رُكْنُ مُعْنِقٍ ‏ ولا الطَّوْدُ من قُدْسٍ ولا أَنْفُ يَذْبُلا
بِأَثقلَ منهُ وَطأَةً يومَ يَغْتَدِي ‏ فيُلْقِى وَراءَ المُلْكِ نَحْراً وكَلْكَلا

وهذا جَيِّدٌ بالغٌ ، إلّا أنَ قولَ البحترىِّ فى الرَّأيِ « ردَّ الخطب يُدْمىٰ ويُكْلَمُ » أجودُ من قَوْلِه « أَلا تُجَهِّزَ جَحْفَلا » ، وقولُهُ « هوىٰ الهَضْبُ من أركانَ رِضوىٰ المُلَمْلَمُ » أجودُ من قولِه « بأثقَل مِنْهُ وَطْأَةً » وإنْ كان هذا قد جمَع عِدَّةَ جبالٍ ، ولكنَّ قَوْلَهُ « فيُلْقِى وراءَ المُلْكِ نَحراً وَكَلْكَلا » حَسَنٌ جِدّا .

وقالَ أبو تمامٍ فى مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ[1] :

١١ س / وأنتَ شِهابٌ فى المُلِمَّاتِ ثَاقِبٌ ‏ وسيفٌ إذا ماهزَّكَ الحقُّ قَاصِلُ
من البِيضِ لم تَنْضُ الأكُفُّ كَنَصْلِهِ ‏ ولا حَمَلَتْ مِثْلاً إلَيْهِ الحَمائِلُ
مُؤَرِّثُ نارٍ والإمامُ يَشُبُّهَا ‏ وقَائِلُ فَصْلٍ والخَليفَةُ فَاعِلُ
وإنَّكَ إنْ صدَّ الزَّمانُ بِوَجْهِهِ ‏ لَطَلْقٌ ومن دون الخِلافَةِ بَاسِلُ[2]

قوله : « مُؤَرِّثُ نَارٍ » ، بنىٰ البيتَ على معنًى لَهُ وَجْهٌ جيِّدٌ ، ولكنَّ عَكْسَهُ أجودُ وأَبْلَغُ وأعْرَقُ ، وذلك أَنَّهُ قالَ :

« مُؤَرِّثُ نَارٍ والإمامُ يَشُبُّهَا »

« فمؤَرِّثُ » مُوقِدٌ ، و « يَشُبُّهَا » يَرْفَعُ لَهَبَها ، فجَعلَهُ مُبْتَدِئًا ، والخَليفةَ مُتَمِّماً ، وكذلِكَ قولُهُ :

« وقائِلُ فَصْلٍ والخَليفةُ فَاعِلُ »

وكانَ الأَحسنُ أنْ يكونَ الخليفةُ المُبْتدِىءَ بتأْرِيثِ النَّارِ وهوَ الذى يَشُبُّ ،

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٢٨ والتبريزى ٣ : ١١٩ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « من دون الخليفة » .

والخَليفةُ القائِلَ ، وهو الذى يَفْعَلُ ؛ لأنَّ القائِلَ هو الآمِرُ ، والفاعِلَ هو المأمورُ ، ولكنَّه بنى الأمْرَ على أنَّ الخليفةَ يعملُ على رأيِهِ ، فصارَ الخليفةُ مأموراً عَليهِ ، ولو سَمِعَ الخليفةُ لأنكَرَهُ وعاقَبَ من أجْلِهِ .

وقالَ البحترىُّ يخاطِبُ صالحاً مولَى المهتدى باللهِ (١) :

إنَّ الخليفةَ ليسَ يَنْظُرُ بالذى ... طَالَبْتُ إلا أنْ تقولَ فَيَفْعَلا

وليسَ هذا من قولِ أبى تمّامٍ فى شيءٍ ، إنَّمَا استشْفَع البحترىُّ إلى المهتدى بصالحٍ ، فقالَ إنَّ الخليفة يَنْتَظِرُ أنْ يَسْألَهُ فى أمرى فَيفْعلَ ما يقولُ ، فأبو تمّامٍ أطلقَ القولَ عُموماً فى الأمور كلِّها ، وأنَّ وزيرَه يقولُ وأنَّ الخليفةَ يَفْعَلُ .

وقَوْلُهُ :

وإنكَ إنْ صدَّ الزَّمانُ بوجْهِهِ ... لَطَلْقٌ ومن دوُنِ الخلافةِ باسِلُ

بيتٌ غيرُ جيدِ القِسْمةِ ، لأنَّ الصُّدودَ بالوجْهِ لا يكون مقابَلَتُهُ طلاقةَ الوجْهِ ، و« الباسل » هَو الشّديدُ ، والبسالةُ الشدّةُ ، ولذلك قيل للشجاع باسلٌ ، فذهَب أبو تمّامٍ إلى أنَّ الطّلاقةَ فى الوجهِ أن يكونَ مُنْبَسِطًا مُسْفِراً ، والبسالةُ الشدّةُ ، فجعلها فى موضِعِ النَّقِيضِ كما قال ابنُ هَرْمَةَ (٢) :

كريمٌ له وجهانِ ، وجهٌ لذى الرِّضا ... أسيلٌ ، ووجهٌ فى الكَريهةِ باسِلُ

والجيِّدُ النّادرُ قولُ البحترىِّ فى محمدِ بنِ عبد الملكِ (٣) :

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٧٣ وسبق البيت فى ١ : ٣٦٥ وروى هناك وفى ديوانه : « ليس يرقب » . أما الممدوح فهو صالح بن وصيف القائد التركى ، قتل « بغا » سنة ٢٥٤ وخلع المعتز وقتله وقتل قوما من كبار الكتاب ، ولما قدم موسى بن بغا إلى سامراء استتر صالح ، ثم انكشف أمره وقتل سنة ٢٥٦ « الطبرى ٩ : ٣٤١ وما بعدها » .

(٢) ديوانه ص ١٦٧ يمدح المنصور .

(٣) ديوانه ١ : ٦٣٥ ، وقد سبق البيت الأول فى ٢ ٣٠٠ .

عَلقُوا من « محمدٍ » خيرَ حَبْلٍ لِرُواقِ الخِلافـةِ المَمْـدودِ
لم يَخُنْ ربَّها ، ولم يُعْمِلِ التّد بيرَ فى حَلِّ تاجِها المَعْقودِ
مُصْلِتًا بيْنَها وبينَ الأعادِى حدَّ رأيٍ يَفُلُّ حَدَّ الحَديدِ
صارِمَ العَزْمِ ، حاضِرَ الحَزْمِ سارِى الـ ـفِكْرِ ثَبْتَ المقالِ صُلْبَ العُـودِ (١)

وقال البحترىُّ فى الحَسَنِ بن مَخْلَدٍ (٢) :

وَزَرُ الخلافةِ حين يُعْضِلُ حادِثٌ وشِهابها – فى المُظْلِماتِ – الواقِدُ
/ المَذهبُ الأَمَمُ الذى عُرِفَتْ لَهُ فيهِ الفضائلُ والطَّرِيـقُ القـاصِدُ (٣) ١٢ س
وَلِىَ الأمورَ بِنَفْسِهِ ، ومحلُّها متقاربٌ ، ومرامُها مُتباعِدُ
إنْ غارَ فهْو من النَّباهَةِ مُنْجِدٌ أو غابَ فهْوَ من المَهابَةِ شَاهِدُ
فقد اغْتَدَىٰ المُعْوَجُّ وهْو مُقَوَّمٌ بيدَيْهِ ، واستوفَىٰ الصَّلاحَ الفاسِدُ
أوْفَىٰ فأغشاكَ الصَّباحُ بِضَوئِهِ وجرَىٰ فغرَّقَكَ « الفُراتُ » الذّائِدُ (٤)

وهذا هوُ القولُ الذى لو عصرتَهُ لانْعصَرَ ، لكثرةِ مائِهِ ورونَقِهِ .

وقولُهُ :

« وشهابُها – فى المظلماتِ – الواقِدُ »

مثلُ قولِ أبى تمّامٍ :

« وأنتَ شِهابٌ فى المُلِمّاتِ ثَاقِبُ »

وليس هذا بمأخوذٍ من ذاكَ ، لأنَّ المعنى مُشْتَرَكٌ وليس من خاصِّ المعانى الذى يأخُذُها واحدٌ عن آخر .

وقالَ البحترىُّ فى عبيد اللهِ بن يحيىٰ بن خاقانَ (٥) :

---

(١) ديوانه « ثبت المقام » .
(٢) ديوانه ١ ٦٠٢ .
(٣) ديوانه « الفضيلة » ، و « الأمم » : القصد والوسط .
(٤) ديوانه « فأعشاك » بالعين المهملة ، و « الزائد » بالزاى .
(٥) ديوانه ٢ : ١٣١٩ .

وكَمْ لِعُبَيْدِ اللهِ من يومٍ سُؤْدَدٍ   يُجَلِّي طَخا الأَيَّامِ ضَوءُ شُعَاعِهِ
وكَمْ بحَثْوِهُ عن طباعٍ تَكَرُّمٍ   يَرُدُّ الزَّمانَ صَاغِرًا عن طِباعِهِ
سَلِ الوُزراءَ عن تَقَدُّمِ شأْوِهِ   وعن فَوْتِهِ من بَيْنِهِم وانقطاعِهِ
وهَلْ وازَنُوهُ عند جِدٍّ حَقِيقَةٍ   بِمِثْقَالِهِ ، أَوْ كَايَلُوهُ بِصَاعِهِ
زَعِيمٌ بفَتْحِ الأَمْرِ عند انْغِلاقِهِ   عليهِمْ ، ورَتْقِ الفتقِ عند اتِّساعِهِ
علا رَأْيُهُ مَرْمَى العُقولِ فلم تَكُنْ   لِتُنْصِفَهُ فى بُعْدِهِ وارْتِفَاعِهِ
وقاربَ حتى أَطْمعَ الغُمْرُ نَفْسَهُ   مُكَاذَبَةً فى خَتْلِهِ واخْتِدَاعِهِ (١)
تَضِيعُ صروفُ الدَّهرِ فى بُعْدِ هَمِّهِ   وتَتْوَى الخطوبُ فى اتِّساعِ ذِرَاعِهِ (٢)
وتعلمُ أَعباءُ الخلافةِ أنَّها   وإنْ ثَقُلَتْ موجودةٌ فى اضطِلاعِهِ
وما طاوَلَتْهُ مِحْنَةٌ من مُلِمَّةٍ   فينزِعَ إلا باعُها دونَ باعِهِ (٣)
رعى اللهُ من تلقَى الرَّعِيَّةُ أُنْسَهَا   إلى ذَبِّهِ من دونِها ودِفاعِهِ

فهل تريدُ زيادةً فى مدحِ وزيرٍ على هذا حسناً ، وبلاغةً وحلاوةَ معانٍ ؟!

وإذْ قد انتهيتُ إلى هذا الموضعِ من الأبياتِ ، فأذكرُ ما بعدَها من اعتذارِ (٤) البحتريِّ ، وذلِكَ قولُهُ :

تَصرَّمْتُ حَوْلًا بالعراقِ مُجَرَّماً   مدافعةً مِنِّى ليومِ وَداعِهِ
أَأُنْساكَ بعد الهولِ ثُمَّ انْصِرافِهِ   وبعد وُقوعِ الكُرْهِ ثمّ انْدِفاعِهِ
إذاً نسىَ اللهُ اطِّيافِى ببَيْتِهِ   ووفْدُ الحجيجِ حاشدٌ فى اجْتِماعِهِ
وواللهِ لاحَدَّثْتُ نَفْسِى بِمُنْعِمٍ   سِواكَ ، ولا عَنَّيْتُها باتِّباعِهِ
ولو بِعْتُ يوماً منك بالدَّهرِ كُلِّهِ   لفكّرتُ دهراً ثانياً فى ارْتِجاعِهِ

---

(١) ديوانه « وخداعه » .
(٢) تتوى : تهلك .
(٣) ديوانه « فتنزع » ، « فما طاولته محنة عن ... » .
(٤) فى س : « اعتداد » .

وقالَ فيهِ[1] :

١٠٣ س / الدَّهْرِ يضحكُ عن بشاشةِ بشْرِهِ   والعيشُ يَرْطُبُ من نضارةِ عُودِهِ
ونَصيحة السُّلطانِ موقعُ طَرْفِهِ   ونَجِيُّ فِكْرتِهِ وحُلْمُ هُجُودِهِ
إنْ أَوْقَفَ الكُتَّابَ أَمْرٌ مُشْكِلٌ[2]   فى حَيْرةٍ ، رَجَعُوا إلى تَسْدِيدِهِ
والحَزمُ يَذْهبُ غيرَ مُلْتاثٍ إلى   تَصْويبِهِ فى الرَّأْيِ أو تَصْعِيدِهِ
أوفَى على ظُلَمِ الشُّكوكِ فشقَّهَا   كالصُّبْحِ يَضْرِبُ فى الدُّجى بِعَمودِهِ

وَهذا هوَ القولُ الذى لَوْ قَدَحْتَ منه النَّارَ لَأَوْرَى .

وقالَ فى [أبى] الحسنِ بن عبد الملكِ بن صالحٍ[3] :

أَفتَى « أبو الحسنِ » المحاسِنَ مُنْعِماً   بخلائـقٍ لِلقَطْـرِ بعضُ شُكولِهـا[5]
وإذا الأمورُ تَصَعَّبَتْ شُبُهاتُهـا   سَبَقَتْ رِياضَتُـهُ إلى تَذْليلِهـا
عَرَفَ المصادِرَ قبلَ حينِ وُرُودِها   ومَواقِعَ البدَهاتِ قبلَ حُلُولِهـا

وهذا مِثْلُ قولِ الآخَرِ :

مُطِلٌّ على الأشياءِ حتىَ كأنَّما   لَهُ من وراءِ الغَيْبِ مُقْلةُ شاهِدِ[6]
يرىَ عاقِباتِ الأمْرِ والأَمْرُ مُقْبِلٌ   كأنَّ لَهُ فى اليومِ عَيْناً على غَدِ[7]

---

(١) ديوانه ٢ : ٦٩٥ .
(٢) ديوانه : « أن أوقع الكتاب » .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س ، والأبيات فى ديوانه ٣ : ١٧٦٧ ، ، والممدوح هو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شاعر أديب مشهور ، « جمهرة الأنساب ص ٣٦ ، ومعجم الشعراء ص ٣٦٣ » .
(٥) ديوانه : « المحاسن كلها » ، وفى س : « القطر » والتصحيح من الديوان .
(٦) زهر الآداب ٤ : ١٠٤٤ ولم ينسب ، وفيه : « أطلّ » ، وفى س : « الغيث » تصحيف .
(٧) عيون الأخبار ١ : ٣٥ وروايته فيه :
عليم بأعقاب الأمور برأيه   كأن له فى اليوم عينا على غد
ووفيات الأعيان ٢: ٤١٧ ، ولم ينسب ، وروايته فيه :
عليم بأخبار الخطوب بظنه   ....

وحَسْبُكَ بهذا حُسْناً ، وهو ألطَفُ من معنى البحتريِّ .

وقالَ آخرُ :

بصيرٌ بأعقابِ الأمورِ كأنّما يُخاطِبُهُ من كُلِّ أمْرٍ عَواقِبُهْ (١)

وقالَ آخرُ :

بَصيرٌ بأعقابِ الأمُورِ كأنّما يرىَ بصوابِ الرّأي ماهُوَ واقِعُ (٢)

ورواهُ المُبَرِّدُ :

يَرى فلتاتِ الرّأيِ والرّأيُ وائِقٌ كأنَّ لَهُ في اليومِ عَيْنًا على غد (٣)

وقالَ البحتريُّ في أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ الموفّقِ (٤) :

وإنَّ « أبا العبّاسِ » مَنْ تَمَّ رَأْيُهُ ومن شُهِرَتْ آثارُهُ ومَناقِبُهْ (٥)

يُرِيناكَ لاتَرْتابُ فيكَ إذا بَدا يُؤَدِّيكَ نَصًّا نَجْرُهُ وضَرائِبُهْ (٦)

وقد شَحَذتْ مِنْهُ حَداثة سِنِّهِ شَهامةُ غِطْريفٍ جِدادٍ مَخالِبُهْ

إذا المرءُ لَمْ تَبْدَهْكَ بالحَزْمِ كُلِّهِ قَريحَتُهُ لم تُغْنِ عَنْكَ تَجارِبُهْ

* * *

(١) عيون الأخبار : ١ : ٣٥ والعقد الفريد : ٢ : ٢٥١ ، ونسب فيه إلى جثامة بن قيس « انظر : المؤتلف والمختلف ص ٥٠ ، وجمهرة الأنساب ص ١٨١ » وزهر الآداب ٤ : ١٠٤٤ ونسب فيه إلى محمد ابن وهيب ، وفي نهاية الأرب ٦ : ٧٩ وغرر الخصائص ص ٩٥ ووفيات الأعيان ٢ : ٤١٧ ، والكامل ٢/٢ ولم ينسب .

(٢) عيون الأخبار : ١ : ٣٥ ، والعقد الفريد : ٢ : ٢٥١ ، ووفيات الأعيان : ٢ : ٤١٧ ، ولم ينسب .

(٣) الكامل للمبرد : ٢ : ٢ ، وروايته فيه « يرى فلتات الرأى والرأى مقبل » .

(٤) ديوانه ١ : ٢١٩ وأبو العباس أحمد بن الموفق هو « الخليفة المعتضد » وجاءت هذه الأبيات في الديوان خاتمة لقصيدة قالها « يمدح الموفق بالله . ويذكر العلوى الخارج بالبصرة » فهي إذن في مدح الأب ، وهذه الأبيات الأخيرة في وصف الابن .

(٥) أبو العباس هو ابن الموفق ، ديوانه : « أيامه ومناقبه » .

(٦) يخاطب « الموفق » ويقول : إننا نرى في ابنك صورة كاملة لك .

بلاغة الوزراءِ وحُسنُ عبارتِهم ووصفُ القلمِ

وإذ قد ذكرتُ كفايَة الوزراءِ واضطلاعهم بالأمورِ ، فأذكُر ها هُنا شيئًا من بلاغتِهم ، وحُسْنِ عبارتِهم ووصفِ القلمِ .

قالَ أبو تمّامٍ فى سليمانَ بنِ وَهْبٍ[1] :

ما على الوُشَّجِ الرواتِك من عَتْـ ـبٍ إذا ما أتَتْ أبا أيُّوبِ
حُوَّلٍ لا فَعَالُهُ مَرْتَعُ الـذم(م) ولا عِرضُهُ مُراحُ العُيـوبِ
سُرُحٍ قولُهُ إذا ما استَمرَّتْ عُقْدَةُ العِيِّ فى لِسانِ الخَطيبِ

١٤ س / وقال فى الحسنِ بنِ وهبٍ[2] :

---

(١) هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو من أسرة خدمت الخلفاء منذ عهد معاوية ، ولى الوزارة للمهتدى ثم للمعتمد على الله وله ديوان رسائل ، « الأغانى ٢٠/٦٧ وما بعدها ، والفخرى ص ٢٠٢ » ، والأبيات فى ديوانه ١ : ٢٢٦ والتبريزى ١ : ١٢١ ، وفيهما « الوسّج » بالسين المهملة ، ورواية الديوان أوجه ، والوشج جمع واشجة ، « وهى صلة الرحم أو شبه الإبل بالوشيجة – وهى عرق الشجرة – لضمرها » انظر تاج العروس ٦ : ٢٥٩ . « الوسّج : جمع واسج ، والوسيج : ضرب من سير الإبل » . التبريزى .

(٢) لم أجد هذه الأبيات فى ديوانه أو فى شرح التبريزى ، غير أنى وجدتها فى مخطوطتين للديوان ضمن قصيدة فى مدح الحسن بن وهب أولها :

قف نؤبن كناس ذاك الغزال إنَّ فيه لَمسرحًا للمقال

وقد ورد هذا البيت فى ١ : ٤٣١ ولم يخرج ، « ديوان أبى تمّام بخط محمد بن مظفر بن أبى نصر بن شيخ الوزيرى ورواية الصولى أيا صوفيا رقم ٣٨٧٣ لوحة ١٥٢ ، ديوان أبى تمام فاتح استانبول رقم ٣٧٧٢ نسخت قبل ٨٦٠ هـ لوحة ١٢٩ » .

لَصدُورُ الأقْلامِ أمضىٰ بكفَّيْـ ـكَ إذا شئتَ من سِهامِ نِبَالِ[١]
بِمُصفًّى فِرِنْدِهَا النَّيِّرِ الوَشْـ ـيِ وحِدْثانِ عَهْدِها بالصِّقالِ[٢]
نُطَفٌ تَثْلُجُ امْرءًا وهْوَ حَرَّا ن ببردٍ من المعانى زُلالِ
وتُناغِي الهوى ، وتَنْسابُ فى الرُّوُ ح بِسِحْرٍ منَ البيانِ حَلالِ
يَشْرَعُ الذِّهْنَ والمسامِعَ فيها فى صفايا أمْثالِها أمْثالى

يُرِيدُ أمثالَهُ من الشِّعْرِ الذى يقولُهُ .

وقالَ فيه[٣] :

ولقَدْ سَمْعِتُكَ والكلامُ لآلِيءٌ تُومٌ وبِكْرٌ فى النِّظامِ وَثَيِّبُ
فكأَنَّ قُسًّا فى عُكاظٍ يَخْطُبُ وكأنَّ ليلى الأَخْيَلِيَّةَ تَنْدِبُ
وَكَثِيرُ عَزَّةَ يومَ بَيْنٍ يَنْسِبُ وابنُ المُقَفَّعِ فى اليتيمةِ يُسْهِبُ
تكسو الوقارَ وتستخِفُّ مُوَقَّراً طَوْراً وتُبْكِى سامعينَ وتُطْرِبُ

قولُهُ : « بِكْرٌ فى النِّظامِ » يريدُ مالمْ يُسْبَق إليه ، و « ثَيِّبٌ » يريدُ الألفاظَ والمعانى قد تقدمَ النَّاسُ فيها واستعملوها ، والبيتانِ بعدَ هذا رَديئانِ جدّاً ، وما نُدْبةُ ليلى الأخيليّة من النِّساءِ وغَيْرِها ، والرجالُ أندبُ مِنْها ؟! ، وكان ينبغى أن يُفَضِّله على ابنِ المُقَفَّعِ وغَيْرِهِ لا[٤] أن يُشَبِّهَهُ بِهِ ، وكذلك ذِكْرُهُ « لِكَثيرٍ » رَكَاكَةٌ وضِيقُ حِيلَةٍ .

وقالَ فيهِ حينَ ورَدَ عليهِ كِتَابُهُ[٥] :

---

(١) فى المخطوطتين : مخطوطة أيا صوفيا « من صدور العوالى » ، وفى مخطوطة الفاتح « من سهام النصال » .

(٢) فرند السيف : وشيه ، وجوهره وماؤه .

(٣) فى س : « وقال آخر فيه » . ديوان أبى تمام ١ : ٢٣٦ والتبريزى ١ : ١٣٤ ، وفيهما : « ولقد رأيتك » و « فبكر » .

(٤) فى س : « إلا » .

(٥) ديوانه ٣ : ٦٢ والتبريزى ٣ : ٣٥٤ .

لقد جَلّىٌ كتابُك كلَّ بَثٍ   جَوٍ وأصابَ شاكِلَةَ الرَّمِيِّ

فضضْتَ خِتَامَهُ فتبلّجت لى   غَرائِبُهُ عن الخَبرِ الجَلِيِّ

وكانَ أغضَّ فى عَيْنِي وأندىٰ   على كَبِدِي من الزَّهْرِ الجَنِيِّ

وأحسنَ موقعاً مِنِّى وعندِى   من البُشْرىٰ أتتْ بعدَ النَّعِيِّ

وضُمِّنَ صَدْرُهُ مالمْ يُضَمَّنْ   صدورُ الغانياتِ من الحُلِيِّ [1]

وكائِنْ فيهِ من معنًى خَطيرٍ   وكائِنْ فيهِ من لفظٍ بَهِيِّ [2]

وكمْ أفْصَحْتَ عن برٍ جَليلٍ   بهِ وَوَأَيْتَ مِنْ وأيٍ سَنِيِّ [3]

فأَطْلِقْ مِن عِقَالى فى الأمانى   ومِنْ عُقُلِ القَوافِى والمَطِيِّ

فيَا ثَلَجَ الفؤادِ وكانَ رَضْفاً   ويا شِبَعِى بَرونَقِهِ وريِّى [4]

لَئِنْ غَرَّبْتَها فى الأرضِ بِكْراً   لقد زُفَّتْ إلى سَمْعٍ كَفِيِّ [5]

بيانٌ لم تَرِثْهُ تُراثُ دَعْوىٰ   ولم تُنْبِطْهُ من حِسْيٍ بَكِيِّ [6]

وهذه أبياتٌ مضطربةٌ ، وليسَ فيها جيّدٌ إلاّ قولهُ : « ويا شِبَعِى بِرَوْنَقِهِ وريِّى »

وقال فيه : [7]

فأَجْلُ القذىٰ عن مُقْلَتَىَّ بأَسْطُرٍ   يكْشِفْنَ من كُرُباتِ باكٍ بالي

/ سودٌ يُبَيِّضْنَ الوجوهَ بِمُصْطَفىٰ   تِلْكَ النَّوادِرِ مِنْكَ والأَمْثالِ ١٥ س

---

(١) ديوانه والتبريزى : « مالم تضمّن » .

(٢) « كائن » بمعنى « كم » وفى ديوانه والتبريزى « فكائن » .

(٣) فى س : « وكم كشفت » ولا يستقيم معها الوزن والتصحيح من ديوانه والتبريزى .

(٤) فى س : « فياشبعى » .

(٥) ديوانه والتبريزى : « لقد جُلِيَتْ على » .

(٦) « الحِسْىُ » : الماء القليل . « البكىّ » : البئر قليلة الماء .

(٧) ديوانه ٢ : ٢٨٨ والتبريزى : ٣ : ٦١ ، وفى حاشية التبريزى : « وقال – وكتب بها إلى الحسن ابن وهب بجرجان –: » ، وفى ديوانه والتبريزى : « بال بالى » .

واحْثُثْ أنامِلَكَ السَّوابغَ كُلَّها حتَى يَجولَ هُناكَ كلَّ مجَالِ[1]
فى بطنِ قِرْطاسٍ رَخيصٍ ضُمِّنَتْ أحشاؤُهُ غُرَرَ الكــلامِ الغَالِــى[2]

وهذا البيت الأخيرُ جيدٌ ، والباقى صالحٌ .

وقال فى ابن الصَّالِح الهاشمىِّ[3] :

لُقْمانُ صمتًا وحِكْمةً فإذا قالَ لَقطْنَا الجُمانَ من خُطَبِهْ

وللهِ درُّ أبى مُعاذٍ بَشارِ بن بُردٍ إذْ يقولُ علىٰ هذا الروِىِّ[4] :

للهِ ما قدْ حواهُ مَنْطِقُــهُ من لؤْلُـؤٍ لا يُنـامُ عن طَلَبِـهْ[5]
يُخْرِجُ من فيهِ فى النَّدى كما يَخْـرُجُ ضوءُ السِّراجِ فى لَهَبِـهْ[6]

وما أحسنَ ما قالَ أبو عُبَادةَ البحترىُّ فى الحسنِ بن وَهبٍ[7] أيضا :

وإذا استهلَّ « أبو علىٍّ » فى النَّدىٰ جاءَ الغمـامُ المُسْتَهِــلُّ بِسَكْبِــهِ[8]
وإذا احتبىٰ فى عُقْدةٍ من حِلْمِهِ يوماً رأيت [مُتالِعاً[9]] فى هَضْبِهِ
وإذا تألَّقَ فى النَّدِىِّ كلامُهُ الـ ـمَصْقولُ « خِلْتَ لِسانَه من » عَضْبِهِ[10]
وإذا دجتْ أقلامُهُ ثمّ انتحَتْ بَرَقَتْ مصابيحُ الدُّجىٰ من كُتْبِهِ[11]

---

(١) ديوانه والتبريزى « السوابغُ بينها » ، « حتى تجول » .
(٢) ديوانه والتبريزى « درر الكلام » .
(٣) يعنى محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى ، ديوانه ١ : ٣٢٤ والتبريزى ١ : ٢٧٣ .
(٤) ديوان بشار ١ : ١٨٤ ، وفى س : « بشار بن المبرد » .
(٥) صدره فى الديوان « لله ما راح فى جوانحه » .
(٦) ديوانه « يخرجن من فيه للندى كما » ، « من لهبه » .
(٧) ديوانه ١ : ١٦٤ .
(٨) ديوانه « للنَّدى » .
(٩) متالع : جبل فى نجد .
(١٠) رسم حروف هذه الكلمات غير واضح فى س ، والتصحيح من الديوان ، النَّدىُّ : مجتمع القوم وناديهم .
(١١) ديوانه : « فى كتبه » .

باللَّفظِ يَقْرُبُ [فَهمهُ] فى بُعْدِهِ   مِنَّا ، ويَبْعُدُ نَيْلُـهُ فى قُرْبِـهِ[1]
حِكَمٌ فَسائِحُها خِلَال بَنَانِهِ   مُتدَفِّقٌ ، وقَلِيبُها فى قَلْبِهِ
كالرَّوْض مُؤْتَلِقاً بحُمْرَةِ نَوْرِهِ   وبياضِ زَهْرته ، وخُضْرَةِ عُشْبِهِ[2]
أو كالبرُودِ تُخُيِّرتْ [لِمُتَوَّجٍ]   مِن خالِهِ ، أو وَشْيِهِ أو عَصْبِهِ[3]
وكأنَّها ، والسمعُ معقودٌ بِها   شَخْصُ الحَبيبِ بدا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ[4]

قولُهُ : « دجتْ أقلامُهُ » يريدُ إذا أخذت المداد .

قولُهُ : « باللَّفظ يَقْرُبُ فهمُه فى بُعْدِهِ مِنَّا » أى : يقربُ فَهمُه مِنَّا لِحُسْنِ بَيانِه وتَلْخيصِه ، « فى بُعْدِهِ » أى : فى دِقَّةِ معَانيهِ .

« ويَبْعُدُ نَيْلُهُ فى قُرْبِهِ » أىْ : ويَبْعُدُ أن يَنالَه أحدٌ ، أىْ : يأتِىَ بِمِثْلِهِ ، « فى قُرْبِهِ » يريدُ أنَّه مُطْمِعٌ مُمْتَنِعٌ ، إذا سَمِعَهُ سَامِعٌ ظَنَّ أنَّه قريبٌ علَيْهِ ، وأنَّهُ يأتى بمثلِهِ ، وهوَ مِنْهُ بعيدٌ .

وقولُهُ : « فسائِحُها » أى ما يسيحُ منها فيَجْرِى ، أى يتدفقُ ذلك خلالَ بنانِه .

وقولُهُ : « كالرَّوْضِ مؤتلقا بحُمْرَةِ نَوْرِهِ وبياضِ زَهْرَتِه » . قد أُنْكِرَ ذلكَ على البُحْترىِّ بعضُ أَهلِ اللُّغَةِ وذكرَ أَنَّ النَّوْرِ هَو الأبيضُ خاصةً ، وأَنَّ الزَّهْرَ هو الأَصْفَرُ لا محالة ، وإِنَّما يَضُمُّهُما إذا قُلْتَ : أنوارٌ وأَزهارٌ ، فيدخُلُ فى هذا اللَّفظِ سَائرُ الأَلوانِ .

وقد قال – لَعَمرِى – قومٌ من أَهلِ اللُّغَةِ – منهم ابنُ الأعرابىِّ وغيرُهُ – إنَّ النَّوْرَ هو الأبيض والزَّهْرُ هو الأَصفرُ ، فما يُصْنَعُ إذاً بقولِ حُمَيْدِ بن ثَوْرٍ :

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقطة من س ، والتصحيح من الديوان .
(٢) ديوانه « مؤتلفا » ، وقد سبق فى ١ : ٣٩٧ .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقطة من س .
(٤) س : « شخص المُحِبِّ بدا لعين حبيبه » .

كَأنَّ على أشْداقِهِ نَوْرُ حَنْوَةٍ ... إذا هو مَدَّ الجِيدَ منه لِيَطْعَمَا[1]

/ يَصِفُ فَرْخَ الحمامةِ ، وصُفْرَةَ أشْداقِها ، ويُشبِّهُهَا بِزَهْرِ الحَنْوةِ ، وهُوَ أصْفَرُ شَديدُ الصُّفْرَةِ ، فقالَ : « نَوْرُ حَنْوَةٍ » ، ولَمْ يَقُلْ : « زَهْرُ حَنْوَةٍ » . ١٦ س

وقال الأعْشَى[2] :

وشَمُولٌ تَحْسَبُ العَيْنُ [إذا] ... صُفِّقَتْ [وَرْدَتَها] نَوْرَ الذُّبَحْ

« والذُّبَحُ » نَبْتٌ ، ونَوْرُهُ أحمرُ شَديدُ الحُمْرَةِ ، ويُرْوَى « الذِّبَحْ »[3] .

وقالَ أبو النَّجْمِ[4] :

فالرَّوْضُ قد نَوَّرَ فى حَوَّائِهِ ... نَوْراً تحارُ[5] الشَّمْسُ فى حَمْرائِهِ

مُكَلَّلاً بالنَّوْرِ من صَفْرائِهِ

فجَعلَ الأحمرَ والأصفرَ نَوْراً ، وقد ذكرتُ هذا مشروحاً فى الجزءِ الذى بَيَّنْتُ فيه معايبَ البحترىِّ[6] ، وذكرتُ ما عيبَ عليه مِمَّا هوَ عَيْبٌ صحيحٌ وما ادُّعِىَ عليهِ مِمَّا لَيْس بعيبٍ .

وقالَ البحترىُّ فى محمدِ بن عبدِ الملكِ الزَّيَّاتِ[7] :

---

(١) سبق فى ١ : ٣٩٧ وانظر تخريجه هناك ، والشاعر هو : حُمَيْدُ بن ثور بن حَزْن الهلالى ، أبو المثنى شاعر مخضرم ، عاش زمنا فى الجاهلية وشهد حُنَيْنا مع المشركين ، ووفد على النبى ﷺ . ومات فى خلافة عثمان ، وهو شاعر مجيد ، عده ابن سلام فى الطبقة الرابعة من الإسلاميين « الشعر والشعراء ١ : ٣٩٠ ، والإصابة الترجمة ١ : ١٨٣٦ والأغانى دار الكتب ٤ : ٣٥٦ » .

(٢) ديوانه ٢٩١ وقد سبق فى ١ : ٤٠٠ ، وما بين الحاصرتين سقط من س ، والشمول هى الخمر التى بردت بريح الشمال ، وروى البيت فى الجزء الأول بفتح « وردتها » على أنها مفعول أول لتحسب ، أما هنا فالكلمة ساقطة ، وفى الديوان جاءت مرفوعة ، واخترت رواية الموازنة .

(٣) بكسر ففتح ، وانظر اللسان مادة : « ذبح » .

(٤) أبو النجم هو : الفضل بن قدامة بن عجل ، كان ينزل سواد الكوفة وهو من أكابر الرجاز ، راجز العجاج ، ومن أحسن الناس إنشادا للشعر « الشعر والشعراء ٦٠٣ ، الأغانى ١٠ : ١٥٠ الدار » . والأبيات فى ديوانه ص ٦٢ . وفيه « فى عزائه » ، « تخال الشمس » .

(٥) ديوانه : « مكللا بالورد » .

(٦) انظر ١ : ٣٧٥ - ٤٠٧ .

(٧) ديوانه ١ : ٦٣٦ .

لَتَفَنَّنْتَ فى الكِتَابَةِ حتَّى | عَطَّل النَّاسُ فنَّ عبدِ الحَميدِ[١]
فى نظامٍ من البلاغةِ ماشَكَّ | آمرؤٌ أَنَّــهُ نظــامُ فَريــدِ[٢]
وبَديعٍ كأنَّهُ الزَّهَرُ الضَّا | حِكُ فى رَوْنَقِ الرَّبيعِ الجَديدِ
مُشْرِقٌ فى جَوانبِ السَّمْعِ ما يُخْـ | ـلِقُهُ عَوْدُهُ علىٰ المُسْتَعيدِ
ما أُعيرَتْ منهُ بطُونُ القَراطيـ | ـسِ ، وما حُمِّلَتْ ظُهورُ البَريدِ
حُجَجٌ تُخرِسُ الألَدَّ بألفا | ظٍ فُرادَىٰ كالجَوْهَرِ المَعْدُودِ
ومعانٍ لَوْ فَصَّلَتْها القَوافى | هَجَّنَتْ شِعْرَ جرول ولَبيـدِ[٣]
حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكلامِ اختياراً | وَتَجنَّبْـنَ ظُلْمَـةَ التَّعقيـدِ
ورَكِبْنَ اللَّفْظَ القَريبَ فأدْرَكْـ | ـنَ بهِ غايةَ المُرادِ البَعيدِ
كالعَذَارَىٰ غَدَوْنَ فى الحللِ الصُّفْـ | ـرِ أوْ رُحْنَ فى الخُطوطِ السُّودِ[٤]

وَقَد وصفَ أبو تَمامٍ القلمَ فقالَ فى مديحِ مُحمدِ بن عبدِ الملكِ[٥] :

لكَ القَلَمُ الأعلىٰ الذى بِشَبَاتِهِ | تُصابُ من الأَمْرِ الكُلَىٰ والمَفاصِلُ
لَه الخَلَوَاتُ اللَّاءِ لَوْلَا نَجيُّها | لما احْتَفلتْ لِلْمُلْكِ تِلْكَ المَحافِلُ
لُعابُ الأفاعِى القَاتِلاتِ لُعَابُهُ | وأَرْىُ الجَنىٰ اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَواسِلُ
لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ ولكنَّ وَقْعَهَـا | بآثارِهِ فى الشَّرْقِ والغَرْبِ وابِلُ
فَصيحٌ إذا استَنْطَقْتَهُ وَهْوَ رَاكِبٌ | وأعجَمُ إنْ خاطَبْتَهُ وهْوَ رَاجِلُ
إذا ما امْتَطىٰ الخَمْسَ اللِّطَافَ وأُفْرِغَتْ | عَلَيْهِ شِعَابُ الفِكْرِ وَهْىَ حَوافِلُ[٦]
أطاعَتْهُ أَطْرافُ القنا وتَقَوَّضَتْ | لِنَجْوَاهُ تَقْويضَ الخِيامِ الجَحافِلُ[٧]

---

(١) هو عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامرى ، كان يكتب لمروان بن محمد الجعدى أحد خلفاء بنى أمية ، وقد قتل معه سنة ١٣٢ « الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٧٢ وما بعدها » .
(٢) ديوانه : « مَريد » .
(٣) جرول هو الحطيئة .
(٤) فى س : « حلل الصفراء » والتصحيح من ديوانه .
(٥) ديوانه ٢ : ٣٣٢ والتبريزى : ٣ : ١٢٣ .
(٦) فى س : « شعاب » عسيرة القراءة .
(٧) شرح التبريزى « أطراف لها » .

وقَدْ رَفَدَتْهُ الخِنْصَرانِ وشَدَّدَتْ ... ثَلاثَ نَواحِيهِ الثَّلاثُ الأَنامِلُ
رَأَيتَ جَليلاً شأْنُهُ وهْوَ مُرْهَفٌ ... ضَناً وسَمِينا خَطْبُهُ وهْوَ ناحِلُ

/ وما وصفَ النّاسُ القلمَ بأجودَ ولا أبرعَ ، ولا أصحَّ معانٍ وألطفَ من هذا الوَصْفِ . ١٧ س

وقدْ كانَ النَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ قولَ المُقَنَّعِ الكِنْديِّ[1] :

قَلَمٌ كَخُرطُومِ الحَمامَةِ مَائِلٌ ... مُسْتَحْفِظٌ للعلمِ منْ عُلَّامِهِ[2]
يَسِمُ الحُرُوفَ إذا تَشابَهَ أَيُّها ... لِبَيانِها بالنَّقْطِ من إعْجامِهِ[3]
يَخْفَىٰ فَيُقْضَمُ من شُعَيْرَةِ أَنْفِهِ ... كَقُلامَةِ الأُظْفُورِ من مِقلامِهِ[4]
وبأَنْفِهِ شَقٌّ تَلَاءَمَ فاسْتَوَىٰ ... سُقِيَ المِدَادَ ، فزادَ فى تَلآمِهِ
مُسْتَعْجِمٌ وهوَ الفَصِيحُ بِكُلِّ مَا ... نَطَقَ الرِّجالُ بهِ على استعجامِهِ[5]
وهِجَاهُ قافٌ ثُمَّ لامٌ بعدهَا ... مِيمٌ مُعَلَّقَةٌ بأسْفَلِ لَامِهِ[6]

وهذهِ الأبياتُ فى قصيدةٍ يمدحُ فيها الوليدَ بن يزيدَ ، ولا تبلغُ فى الجودةِ أبياتَ أبى تمام ، ولا تَعْشُرُهَا[7] .

وما سمعتُ فيه وصفاً أردأَ ولا أقبحَ من أبياتٍ منسوبَةٍ إلى البحتريِّ وهى لوَهْبِ ابن شاذانَ الهمدانى ، رواها أبو عبد الله مُحَمد بن داودَ بن الجَّراحِ فى كتاب

---

(١) المقنع الكندى : هو محمد بن عميرة بن أبى شَمر بن فرعان الكندى ، شاعر من أهل حضرموت مولده بها ، اشتهر فى العصر الأموى ، وكان هو وأبو زبير الطائى ووضّاح اليمن يردون مواسم العرب مقنعين يسترون وجوههم خوفا من العين ، وحذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم « البيان والتبيين ٣ : ١٠٢ – الشعر والشعراء ٧٤٣ والأغانى – الدار – ٦ : ٢١١ » ، والأبيات فى الحيوان ١/ ٦٥ ، وبعضها فى التشبيهات ص ٣٠٤ .

(٢) الحيوان والتشبيهات « مائل » .

(٣) الحيوان : « إذا يشاء بباءها » ، « من أرسامه » .

(٤) التشبيهات ، وفى الحيوان « قلآمه » .

(٥) الحيوان : « نطق اللسان » .

(٦) الحيوان : « هجاؤه قاف ثم لام بعدها » . ولا يصح معها الوزن .

(٧) يقال : عشر : أخذ واحدا من عشرة .

« الورقة » ووصفَ وهباً هذا بشدّةِ التّكلفِ[1] وقال :

وعُريانُ من خلفه مُكْتَسٍ يسيرُ من الوَشْيِ فى يَلْمَقِ[2]
يُحَذَّفُ فى الرأسِ شَابورةً تسيلُ على ذِروةِ المَفْـرِقِ[3]
فَعمَّرَ فى البحرِ مُسْتأنساً فلـم يَرَ يُبْساً[4] ولم يَغْـرَقِ
وناصَبَ فى البَرِّ شمسَ الهَجِير فما لَوَّحَتْهُ ولـمْ يَفْـرَقِ
إذا أنتَ مَشَّيْتَـهُ راكبـاً تَسمَّعَ منكَ ولمْ يَخْرُقِ
يُقيِمُ بِغَرْبَيْهِ غَرْبَ البِلادِ وَينهىٰ ويأمُرُ فى الـمَشْرِقِ[5]
إذا ما استقامَ سقىٰ غَيْرَهُ من الثَّمَـد[6] الآجِنِ الأوْرَقِ
وأطرَقَ ثُمَّ جرىٰ ماضياً على فِكرَةِ السَّاكِنِ المُطْرِقِ
فكمْ من طليقٍ لَهُ مُوثَقٍ وكَم من وَثيـقٍ له مُطْلَـقِ[7]
يسوقُ إلى المُطْبِقِ النَّاكِثيـنَ ومثواهُ فى مُطْبِقِ الخَنْدَقِ

* * *

(١) محمد بن داود بن الجراح كان كاتبا عارفا بأيام الناس وأخبارهم ، وكان مع ابن المعتز فلما انحل أمره وقتل اختفى ابن الجراح ثم اعتقل وقتل سنة ٢٩٦ « تاريخ بغداد ٥ : ٢٥٥ ، الفهرست ص ١٤٢ ، وقال فيه « كتب بخطه مالا يحصى كثره » » ، ولم أجد ذكرا لوهب هذا فى الجزء المطبوع من كتاب الورقة « وانظر ص ١٦ من المقدمة » ، كما لم أقف له على ترجمة فى الكتب التى بين يدى ، وقد وجدت له بعض الأبيات فى عيار الشعر : ١٩٣ ، وورد بعض هذه الأبيات منسوبًا إلى العلوى فى العقد الفريد ٤ : ١٩١ .

(٢) فى العقد : « خلعة مكتس يميس » .

(٣) العقد الفريد « تحدر من رأسه ريقه » .

(٤) فى س : « يابسا » ولا يستقيم الوزن بها ، ويَبْسا ويُبسا بضم وفتح المثناة .

(٥) فى العقد : « يقيم ويوطن » ، « بالمشرق » .

(٦) الثمد : الماء القليل ، الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، الأورق : لا مطر فيه .

(٧) فى العقد الفريد :

فكم من أسير له مطلق وكم من طليق له موثق

العفوُ والحِلْمُ

ويُوصَفُ الخليفةُ بالعفوِ والحِلْمِ ، وذلك مَوجودٌ فى سائرِ النَّاس ، وينبغى أن يُتوصَّلَ إلى لفظٍ تكونُ للخليفةِ فيه مَزِيَّةٌ على غيرِه .

[قال أبو تمّام](1) :

وكم ناكثٍ للعهدِ قد نَكَثَتْ بِهِ ... أَمَانيهِ واسْتَخْذَى لِحَقِّكَ بَاطِلُهْ(2)

فأَمْكَنْتَهُ من رُمَّةِ العفوِ رأفةً ... ومغفرةً إذْ أَمْكَنَتْكَ مقَاتِلُهْ

وحاطَ له الإقرارُ بالذَنبِ رُوحَهُ ... وجُثْمَانَهُ إذْ لَمْ تُحِطْ[ـهُ](3) قَنَابِلُهْ

وهَذا لَعمرى حَسَنٌ ، ولكنَّهُ يصلحُ أنْ يُوصَفَ بِهِ غيرُ خَليفَةٍ .

وقال / البحترىُّ فى المتوكِّلِ(4) : ١٨ س

وله وراءَ المُذْنبينَ ودونَهم ... عفوٌ كظلِّ المُزْنَةِ المَمْدُودِ

قولهُ : « كظِلِّ المُزْنَةِ المَمْدودِ » لفظٌ ومعنى ما لحُسنهِ نهايةٌ ، وكأنَّهُ أليقُ بالخلفاءِ من غيرِهم ، من أجْلِ جَعْلِهِ عفواً يَعْلوهم ويُظِلُّهم ، كما تعلو المُزْنةُ وتُظِلُّ .

وقال بَعدَه فى الأناةِ والحِلمِ :

وأَناةُ مُقْتَدِرٍ تُكَفْكِفُ بأسَهُ ... وقَفَاتُ حِلْمٍ كالجِبَالِ عَتيدِ(5)

---

(١) ساقطة من س .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٠١ والتبريزى : ٣ : ٢٧ وفى ديوانه « بالعهد » .

(٣) فى س : « بخط » وفى ديوانه وشرح التبريزى « قبائله » ، و« قنابله » : أى جيوشه وكتائبه .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٠١ .

(٥) فى س : « كالجهال » ، وفى ديوانه « عنده موجود » .

وقالَ فى المُعْتزِّ[1]:

بحِلْمٍ كأنَّ الأرضَ مِنْهُ تَوقَّرتْ   وجُودٍ كأنَّ البَحْرَ منهُ تَفجَّرَا

وهذا حِلمٌ عظيمٌ فى البيتينِ ، وجودٌ فى هذا البيتِ هو أعظمُ .

وقالَ أيضًا فى المتوكلِ[2]:

أكرمُ النّاسِ شيمةً ، وأتمُّ النّـ   ـاسِ حِلْماً ، وأكثرُ النّاسِ رِفْدا

فَفضَّل حِلْمَه على حلومِ النّاسِ .

ولم يرضَ أبو تَمامٍ أن يجعل الحلمَ رزيناً ثقيلاً على مذاهبِ النَّاسِ كلِّهم عربِهم وعَجَمِهم ، ولكن جعله رَقيقاً ، قالَ[3]:

رقيقُ حواشى الحِلْمِ لَوْ أنّ حِلْمَهُ   بكفّيْكَ ما ماريتَ فى أنّه بُرْدُ

فجعله كالبُرْدِ ، والبُرْدُ لا يُوصَفُ بالرِّقَّةِ ، وكان ينبغى أنْ يجعلَه كالهواءِ!![4] .

وقالَ البحترىُّ فى المُعْتزِّ[5]:

وعفوتَ عفواً عمَّ أُمَّةَ « أحمدٍ »   فى الغَرْب مِن أوطانِهم والمَشْرِق

ولقد رددْتَ على الأنامِ عُقولَهم   بِهَلاكِ سُلطانِ الرَّقيقِ الأَحْمقِ[6]

وقال فى المعتزِّ[7]:

وأبيضُ من « آلِ النّبيِّ » إذا احتبىْ   لِساعةِ عَفْوٍ فالنُّفوسُ مواهبُهْ

تَغمَّدَ بالصَّفحِ الذُّنوبَ وأسْمحتْ   سَجاياهُ فى أعدائِـهِ وضَرائِبُـهْ

---

(١) ديوانه ٢ : ٩٣٣ .

(٢) ديوانه ٢ : ٧١٢ ، وفيه « وأتم الناس خلقا » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٧١ وشرح التبريزى : ٢ : ٨٨ .

(٤) سبق للآمدى أن اعترض على هذا البيت فى الباب الذى أفرده لذكر معايب أبى تمام « ١ : ١٤٣ وما بعدها ، انظر النظام لابن المستوفى جـ ١ لوحة ٣٦٦ ، وهوامش شرح التبريزى » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٤٧٨ .

(٦) ديوانه « الركيك » ويعنى به المستعين .

(٧) ديوانه ١ : ٢١٧ .

قوله : « فالنُّفوسُ مواهبُه » لفظٌ ومعنى فى غايةِ الحُسْنِ والحَلاوةِ ، ولكنَّهُ يَصلُحُ أن يُقالَ لخليفةٍ [وَ] غَيْرِ خَليفة إذا كان عظيماً مُسلَّطاً .

وينبغى للشاعرِ أن ينظرَ أغلبَ خِلالِ الخيرِ على الممدوحِ فيمدحَهُ ، ويُكرِّرَهُ فى أوصافِهِ ويُرَدِّدَهُ .

ومن أشهرِ فضائلِ المأمونِ وأحبِّها إليهِ أن يُذْكَر بها الحِلْمُ والعَفْوُ ، ومِمَّا يُؤثَرُ عنه أنه قالَ :

« أنا أَلَذُّ العفوَ حتى أخافُ أَلَّا أُوْجَر عليهِ ، ولو عَلِمَ النَّاسُ مِقدارَ مَحبَّتِى للعفْوِ لتقرَّبُوا إلىَّ بالذُّنُوبِ »(1) .

وقد مدحَهُ أبو تمّام بقصيدتين فما وصفه فيهما بعفوٍ ولا حلم ، إلا ماذكرهُ من مَنِّهِ على أسرىٰ الرومِ ، لمّا أَتوْهُ بهم ، فى غَزَاتِهِ ، وذلك قولُهُ(2) :

/ لما رأيتَهُمْ تُساقُ ملوكُهمْ ... حِزَقاً إليْكَ كأنهُمْ أنعامُ ١٩ س
جرحٰى إلى جرحى كأنَّ جلودَهُمْ ... يُطلىٰ بها الشَّيَّانُ والعُلَّامُ(3)
مُتساقطِى وَرَقِ الثِّيابِ كأنَّهُمْ ... دَانُوا فأُحْدِثَ فيهِمُ الإحْرامُ
أُكرِمْتَ سيفَكَ غَربَهُ وذُبابَهُ ... عَنْهُمْ وحُقَّ لِسيفِكَ الإكْرامُ
فرددتَ حدَّ الموتِ وهو مُركَّبٌ ... فى حَدِّهِ فارتدَّ وهو زُؤامُ

والمنُّ على هؤلاءِ الأسرى المُثْخَنينَ منَ الرُّومِ يلزمُ المأمونَ ، ولا يُسوِّغُ لَهُ الدِّينُ تَجاوُزَهُ إلى غَيْرِهِ ، لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قالَ :

---

(1) انظر : « بغداد » لابن طيفور ص ٥٠ ، ١٠٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٢٢ ، ونهاية الأرب ٦ : ٦١ ، والفرج بعد الشدة ٣ : ٣٤٢ .

(2) ديوانه ٢ : ٣٧٨ وشرح التبريزى : ٣ : ١٥٦ ، والحِزَق : الجماعات .

(3) الشيّان : صبغ ، العلام : الحِنّاءُ .

« فإذا لقيتُم الذين كَفروا فضَرْبَ الرِّقابِ حتىٰ إذا أثْخَنْتُموهُم فشُدُّوا الوَثاقَ فإمَّا منًّا بعدُ وإمّا فداءً حتَّى تَضعَ الحَربُ أوزارَها » (١) .

وقولهُ فى القصيدةِ الأُخرى (٢) :

فانتاشَ مصرَ من اللّتَيَّا والَّتِى ... بَتجاوُزٍ وَتَعَطُّفٍ وَتَغَمُّدِ

وهذا كان منهُ على سبيلِ السّياسةِ والإصلاحِ والضَّرورةِ ، وليس هذا مِمَّا يعتدُّ به المأمونُ فى فضائلِ الحِلْمِ ، ولا لأبى تمّامٍ فى مَدْحهِ بهِ ، وإنما يَعْتَدُّ [بِهِ] المأمونُ فى سياستِه وحسنِ تدبيرهِ ، وما أحسنَ ما قالَ فيه مُحمد بنُ عبد الملك الفَقْعَسِيُّ (٣) :

أمِيَر المؤمنينَ عفوتَ حتّىٰ ... كأنَّ النّاسَ ليس لهم ذُنوبُ

وقالَ فيه عبدُ الله بنُ [أبى] السِّمْطِ (٤) :

عفوَت حتى تمنينا الذنوبَ كما ... أعطيتَ حتى لقلنا إنَّهُ سَرَفُ

أخذَ هذا من قولِ أبى دَهْبَلَ (٥) :

مازِلتَ فى العفوِ للذُّنوبِ وإطـ ... ـلاقِ لعانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ
حتى تمنّىٰ البُراةُ أنَّهُمُ ... عندكَ أمْسَوْا فى القِدِّ والحَلَقِ

---

(١) سورة محمد « ﷺ » آية ٤ .

(٢) ديوانه ١ : ٤٥١ وشرح التبريزى ٢ : ٤٨ ، « واللتيا والتى » كناية عن المصاعب .

(٣) محمد بن عبد الملك الفقعسى كوفى شاعر قديم أدرك المنصور ومن بعده ، وله مدائح وأبيات فى الرشيد والمأمون ، كان راوية بنى أسد وصاحب مآثرها وأخبارها ، وعنه أخذ العلماء مآثر بنى أسد « الورقة لابن الجراح ص ١٣ ، الفهرست ص ٥٥ » ، وفى س : عفاو حتى ، والتصحيح من الورقة ص ١٣ .

(٤) هو عبد الله بن أبى السمط بن مروان بن أبى حفصة . شاعر كان فى بغداد فى أيام المأمون يجيد قول الشعر وله مدائح فى عدة من الأكابر « تاريخ بغداد ٩ : ٤٧٠ وأشعار أولاد الخلفاء ص ١١٧ » ، ولم أجد هذا البيت فى ما بين يدىّ من مراجع .

(٥) أبو دهبل الجمحىّ : هو وهب بن زمعة من أشراف بنى جمح كان رجلا جميلا شاعرا وكان عفيفا ، قال الشعر فى أواخر خلافة على بن أبى طالب (رض) ، له مدائح فى معاوية وعبد الله بن الزبير الذى ولاه بعض أعمال اليمن ، ودَهْبَلَ : إذا كَبّر اللقمَ ليسابق فى الأكل « المؤتلف والمختلف ص ١٦٨ ، والشعر والشعراء ٦١٤ » ، والبيتان فى ديوانه ص ٤٧ .

ونحوُهُ قولُ الآخرِ فى المأمونِ (١) :

صَفُوحٌ عن الإجْرامِ حتَّى كأنهُ من العفوِ لم يعرفْ من الناسِ مُجْرِمَا

وقالَ البحترىُّ فى المتوكِّلِ (٢) :

مَلِكٌ إذا عاذَ المُسىءُ بعفوِهِ غفرَ الإساءَةَ قادرٌ لا يَعْجَلُ

وعفَا كما صَفَحَ السَّحابُ ورعْدُهُ (٣) قَصِفٌ وبَارِقُهُ حريـقٌ مُشْعَـلُ

وهذا نسجٌ فى غايةِ الحُسنِ وتمثيلٌ يروقُ سامِعَهُ ، ولكنَّه غيرُ معروفٍ ، ولا مُعتادٍ أن يُشَبَّهَ عفوَ القادرِ عن إساءةِ المُسىءِ بإمساكِ السَّحابِ عن المَطرِ ، وهذا إنما يصلحُ أن يكونَ تمثيلاً لصفحهِ عن ذَنْبِ المذنبِ ، والإمساك عن عقوبتِه ، فإن قيلَ إنَّ الوعيدَ والتهددَ قد يوضعان فى معنى الرَّعدِ والبرقِ (٤) وذلك جائزٌ فى كلامِ العرب ، وكثيـرٌ / فى أشعارِها ، ومنه قولُ الشاعرِ (٥) : ٢٠ س

فابرق بأرضك مابدالك وارعد

---

(١) البيت للحسن بن رجاء بن أبى الضحاك الكاتب ، من كتاب الدولة العباسية كان ذكيا أديبا شاعرا « الأغانى الدار ٧ : ٢٠٠ - ٢٠١ وقطب السرور ٥٠ ، ٦٠ ، ٧٣ وأخبار أبى تمام ص ١٦٧ ومابعدها » ، وقد ورد البيت فى « بغداد ص ٥٣ ، وغرر الخصائص ص ٣٧١ ، والفرج بعد الشدة ١ : ٣٨٧ » ، وهو أحد بيتين فى مدح المأمون ، والثانى قوله :

وليسَ يُبالى أن يكونَ بهِ الأذَى إذا ما الأذى لم يَغْشَ بالكُرْهِ مُسْلما

(٢) ديوانه ٣ : ١٥٩٦ .

(٣) ديوانه : « وعفا كما يعفو السحاب » .

(٤) فى س : « البرد » .

(٥) البيت لابن أحمر ، وهو فى ديوانه : ٥٤ ، وعجزه :

« ياجُلَّ مابعدت عليك بلادنا »

وهو عمرو بن أحمر بن فرّاص الباهلى وكان أعور ، وهو من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازى الروم ونزل الشام وتوفى بعد أن عمر طويلا ، وهو كثير الغريب ، فصيحُ الكلام « طبقات فحول الشعراء ص ٥٨٠ ، الشعر والشعراء ٣٥٦ » .

وقولُ الكُميتِ[١] :

أَرْعِــدْ وأَبْــرِقْ يايزيــ ـدُ فما وَعيدُكَ لِى بِضَائِرْ[٢]

فإلى هذا ذهبَ البحترىُّ فى أنْ جعلَ البرقَ والرَّعدَ بإزاءِ الوعيدِ والتهددِ ، قيلَ : ليس فى البيت الأوّلِ إفصاحٌ بذكر تهددٍ ولا وعيدٍ ، ولا كُلُّ من أرادَ العقوبةَ يُفْصِحُ بالتهدّدِ ، وخاصةً الملوكَ والعظماءَ ، ألا ترى إلى قولِهِ :

« قادرٌ لا يَعجلُ »

وَبَعْدُ ، فإنَّ صَفْحَ الممدوحِ إنما هو عن إيقاعِ المكروهِ ، وصَفحُ السَّحابِ إنما هو عن إسبالِ المَطرِ ، وهذا تشبيهُ الشَّىءِ بِضِدّهِ ، فإنْ قِيلَ : فإنَّ الغيثَ قد يَضُرُّ ضرراً عظيما ، إذا جاءَ فى غيرِ حِينهِ ، وقد يكونُ معه الصَّواعِقُ والغَرَقُ وذهابُ النُّفوسِ ، قيلَ : الأشياءُ إنما تُحْمَلُ على الأعمّ الأغلبِ الأكثرِ ، دونَ الأخصّ الأقلّ ، الذى إنما يقعُ فى الفَرْطِ .

والغيثُ إذا أتىٰ فإنّهُ حياةُ الأرضِ على كلٍّ ، وفى أكثرِ الأمر ، وإن ضرَّ ، فإنَّ ضررَه لا يبينُ فى عِظَمِ منفعتِه والمصلحةِ بمكانِهِ ، وخاصّةً مواطنَ العرب ، ومحاضِرَهم ومباديها ، التى عليهِ فيها يُعَوِّلونَ ، وبه يحيونَ ، وبه يُخْصِبونَ ، فإساءةُ البحترىِّ عندى فى هذا ظاهرةٌ ، ألا ترى أنهُ لو كان فى وصفِ الحرمانِ فقال :

مَلكٌ رأيتُ البشر منه مُبَشِّراً بنوالِ كَفٍّ تستهلُّ وتَمْطُلُ
فأبىٰ كما امتنَع السَّحابُ ورعدهُ قَصِفٌ وبارِقُهُ حريقٌ يُشْعَلُ

لكانت هذه الألفاظُ من أليقِ شىءٍ بهذا المعنى ، وأصحِّها فيهِ ؟

---

(١) هو الكميت بن زيد ، كوفى شاعر مقدم عالم بلغات العرب وأيامها ، مذهبه فى التشيع ، وله فى أهل البيت مدائح مشهورة هى أجود شعره ، لم يحتج الأصمعى بشعره لأنه مولّد وسكن الكوفة وتعلم النحو ، وكان أصم ولد سنة ٦٠ وتوفى سنة ١٢٦ فى خلافة مروان بن محمد « المؤتلف والمختلف ص ٢٥٧ ، الموشح ص ٣١٢ ، الشعر والشعراء ص ٥٨١ » .

(٢) ديوانه ٢٢٥ .

وقالَ فى المعتزِّ (١):

إذا استَعْرضْتَهُ بَخِفِىٍّ لَحْظٍ رَضِيتَ مَهَزَّةَ السَّيفِ الحُسَامِ
غفورٌ بعدَ مقدرةٍ إذا ما تَرَجَّحَ بين عفوٍ وانتقامِ

وقالَ مروانُ الأصغرُ فى المتوكِّل (٢):

مَلِكٌ يَسبِقُ العقوبةَ بالعفـ ـو ويعطى الجزيل قبل السُّؤالِ

وقال مروانُ الأكبرُ (٣):

للهِ يغضبُ رغبةً ومخافةً وله يكونُ إذا رضيتَ رضاكا (٤)
يَضحىٰ عدوُّكَ خائفاً فإذا رأى أنْ قد قدرتَ على العِقابِ رجَاكا

وقال البحترىُّ فى المُعتمِدِ (٥):

يَعْفُو بعفوِ اللهِ عَنْهُ تَحَرِّيًا والعفوُ خيرُ خلائقِ الأمْجادِ

وقال فى المتوكِّل لمّا عفا عن أهل حمص (٦):

/ أرَيْتَهُمُ إذْ ذاكَ قُدرةَ قادرٍ وعفوَ مُحبٍّ للسَّلامةِ مُسْتَبْقِ ٢١ س

---

(١) ديوانه ٣ : ١٩٣١ .

(٢) مروان بن أبى الجنوب واسمه يحيى بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة . يكنى أبا السمط ويلقب غبار العسكر ببيت قاله ، حسنت حاله عند المتوكل وقلده اليمامة والبحرين وطريق مكة « معجم الشعراء ص ٣٢١ وطبقات ابن المعتز ص ٣٩١ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٥٣ » ، ولم أقف على البيت .

(٣) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة شاعر مفلق ، مدح معن بن زائدة فى أيام المنصور ، ووفد على المهدى وولديه ومدحهم توفى سنة ١٨٢ . « طبقات الشعراء : ٢٤٦ ، الشعر والشعراء : ٧٦٣ » .

(٤) كذا فى س والأوجه أن يكون « تغضب » بالمثناة من فوق للمخاطب .

(٥) ديوانه ٢ : ٧٣٤ وفيه « لعفو الله عنك » .

(٦) ديوانه ٣ : ١٥٤٣ .

وَلَوْ شِئْتَ طاحُوا بالسُّيوفِ وبالقَنَا ... وباللَّهْذَمِيَّاتِ المُذَرَّبَـةِ الـزُّرْقِ[1]
وإنَّ ولاءَ المُعْتَقِينَ من الرَّدى ... يفوقُ ولاءَ المُعْتَقِينَ من الرِّقِ

وقالَ بشارُ فى المهدىّ[2]:

إذا ما أساءوا مرَّةً عادَ حلمُهُ ... عليهم وإنْ عادوا له كان أحْلَما

وهذا أيضًا جيد .

فهذا ماوجدتُه مما قالاهُ فى الخلفاءِ ، وقد أساءا فى هذا البابِ وأحسنا ، فأجعلُهُما متكافِئَيْنِ .

ومن قَوْلِهِما فى الوُزراءِ والأمراءِ والكُتَّابِ وغيرِهم ، قالَ البحترىُّ فى الحسن بن مَخْلَدٍ[3]:

عَفْوٌ بِهِ كُبِتَ العدوُّ ولَمْ أجِـدْ ... كالعَفْوِ غِيظَ بِهِ العدوُّ الحاسِدُ
حتَّى لَكَانَ الصَّفْحُ أثقلَ مَحْمَلاً ... مِمَّا تَخَوَّفَهُ المُسىءُ العَامِدُ

وهذا حسنٌ جداً ، ولكنّه أخذَه من قولِ أبى تمّامٍ يفخرُ بقومِهِ[4]:

إذا أسَرُوا لم يأْسِرِ البَغْىُ عَفْوَهُـمْ ... وَلَمْ يُمْسِ عَانٍ فِيهِمُ وَهْوَ كَانِعُ[5]
إذا أطلقوا عنه جوامِعَ غُلِّهِ ... تَيَقَّـن أنَّ المَنَّ أيضاً جَوامِـعُ

« كانع » محتاج خاضع .

(١) اللهذميات : القاطعة من السيوف والأسنة .

(٢) لم أجد البيت فى ديوانه .

(٣) فى س : « خالد » ديوانه ١ : ٦٠٣ ، وفيه : « عَفْوٌ كَبَتَّ به العدوَّ » .

(٤) ديوانه ٣ : ٦٣٥ وشرح التبريزى ٤ : ٥٨٩ ، وفيه « لم يأسر اليأس » .

(٥) سبق البيت فى ١ : ٣٤٣ ، وانظر تعليق الأستاذ السيد صقر على شرح الشيخ محيى الدين عبد الحميد لمعنى كلمة « جوامع » ، وانظر أيضا النظام لابن المستوفى جـ ٢ لوحة ١٥٠ .

وقالَ البحتريُّ في معناه[1] :

وثَنَى العُداةَ إليهِ عَفْوٌ لو دَنَى ... لَثَنَتْهُمُ غَضَبًا إليه سُيوفُهُ[2]
نِعَمٌ إذا ابْتَلَّ الحسودُ بِسَيْبِها ... أَحْيَتْهُ بالإفْضَالِ وهِيَ حُتُوفُهُ

ومثلُه قولُ البحتريِّ في أبي سعيد[3] :

أسَالَ لكمْ عَفْوًا رأيتُمْ ذُنُوبَكُمْ ... غُثَاءً عليهِ وهْو مِلْءُ المَذَانبِ
وفي عَفْوِه – لو تَعْلَمونَ – عُقُوبَةٌ ... تُقَعْقِعُ في الأَعْنَاقِ إنْ لمْ يُعَاقِبِ[4]

قوله : « أسالَ لكم عفوًا » إلى آخرِ البيت ، استعارةٌ وتجنيسٌ في غايةِ الحُسْنِ والصّحةِ والحلاوةِ ، وهذا كلُّهُ من قولِ الشاعرِ[5] :

و لَلْكَفُّ عن شتمِ اللَّئيمِ تَكَرُّمًا ... أَضَرُّ لَهُ من شَتْمِهِ حينَ يُشْتَمُ[6]

وقالَ أبو تمّامٍ في مالكِ بن طَوْق[7] :

لم يَأْلُكُمْ مالِكٌ صَفْحاً ومَغْفِرةً ... لو كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحيِّ في فَحَمِ[8]
أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْهٍ من سَجِيَّتِهِ ... والنَّارُ قدْ تُنْتَضَى من نَاضِرِ السَّلَمِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٤٢١ .
(٢) س : غُضُباً ، ولا تصح .
(٣) ديوانه ١ : ١٨٢ .
(٤) ديوانه : « في الأعراض » وقد سبق البيت في ١ : ٣٤٣ .
(٥) البيت للمؤمل بن أميل المحاربي كما في حماسة أبي تمام ، وهو شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين ، كانت شهرته في العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتزقة وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه المنصور ، كف بصره ببيت قاله كما يروى ، وكان شاعرا مُجيدا ، توفي سنة ١٩٠ « الأغاني ١٩ : ١٤٧ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٠٠ » .
(٦) في س : « والكفّ » والتصحيح من الحماسة ٣ : ١١٤٤ .
(٧) ديوانه ٢ : ٣٥٠ وشرح التبريزي ٣ : ١٨٩ .
(٨) في س : « لم يألكم مالكم » والتصحيح من الديوان وشرح التبريزي .

هذا ما لِحُسْنِهِ وجَوْدَتِه وصِحَّتِهِ نِهَايَةٌ ، وهوَ من مشهورِ إحسانِهِ ، لأنَّهُ « ؟ » [(١)] بينَ الشجر شديد ولا يقدح منه نارٌ ، ويُقال : لا نارَ فيه ، وكأنَّ هذا البيتَ ليسَ من البابِ .

وقالَ فى عبد اللهِ بن طاهرٍ [(٢)] :

لَيَالِيَ لَمْ يَقْعُدْ لِسَيْفِكَ أَنْ يُرَىٰ ‏ ‏ ‏ هُوَ المَوْتُ إِلَّا أَنَّ عَفْوكَ غَالِبُهْ

/ وقالَ أبو تمّامٍ أيْضًا فى ابن أبى دُؤاد يَصِفُ رِجالَ قَوْمِهِ [(٣)] : ٢٢ س

إذا سَيْفُهُ أَضحىٰ علىٰ الهَامِ حَاكماً ‏ ‏ ‏ غدَا العفوُ منه وهْوَ فى السيفِ حَاكِمُ

وقالَ البحتريُّ فى علىّ بن مُرٍّ [(٤)] :

نَهَيْتُ حُسَّادَهُ عنهُ ، وقُلتُ لَهُمْ ‏ ‏ ‏ السَّيْلُ باللَّيْلِ لا يُبْقِى ولا يَذَرُ
كُفُّوا ، وإلاّ كَفَفْتُمْ مُضْمِرِى أَسَفٍ ‏ ‏ ‏ إذا تَنَمَّرَ فى إقْدَامِهِ النَّمِرُ
واللُّؤْمُ أَنْ تَدْخُلُوا فى حَدِّ سَخْطَتِهِ ‏ ‏ ‏ عِلْمًا بأَنْ سَوْفَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ

وهذا من إحسانِ أبى عبادة المشهور .

وقالَ فى مُحمدِ بن عبد اللهِ بنِ طَاهرٍ :

[ولم يُرَ يوماً قادِراً غَيْرَ صافحٍ ‏ ‏ ‏ ولا صافحاً عن زَلَّةٍ وهوَ قَادِرُ] [(٥)]

---

(١) الكلام غير متصل هنا ، والوصف بعد ذلك « للسّلم » . وإلى أن أعثرَ على نسخة تجبر هذا النقص أحسب أن أقرب عبارة إلى المعنى هى : « لأنه قال إنكم أخرجتموه من سجيته وهى صلة الرحم كرها كما تقدح النار من السّلم ، والسلم من بين الشجر ... الخ » .

(٢) ديوانه ١ : ٢٩٦ وشرح التبريزى ١ : ٢٣٢ ، وفيهما « بسيفك » .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٨٩ وشرح التبريزى ٣ : ١٨١ وسبق فى ١ : ١٢٩ .

(٤) ديوانه ١ : ٩٥٧ .

(٥) سقط هذا البيت من س ، وقد استخرجته مما قال فى محمد بن عبد الله بن طاهر ، انظر ديوانه ٢ : ٩٦٣ .

وهذا تقسيمٌ حَسنٌ لَطيفٌ ، منه قولُ ابنِ هَرْمَةَ[1] :

وليسَ بِمُعْطِى العَفْوِ من غَيرِ قُدْرَةٍ ... ويَعْفُو إذا ما أمكَنَتْهُ المَقاتِلُ

وأجودُ من هذا قولُ زُهَيْرٍ[2] :

وَذِى خَطَلٍ فى القَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ ... مُصيبٌ ، فما يُلْمِمْ بِهِ فَهْوَ قَائِلُهْ

عَبَأْتُ لَهُ حِلْمى وأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ ... وأعرضتُ عَنهُ وَهْوَ بَادٍ مَقاتِلُهْ

وقالَ البحترىُّ[3] :

لَا يَكْفَهِرُّ إذا انْحازَ الوَقَارُ بِهِ ... ولا تَطِيشُ نَوَاحِيهِ إذَا مَزَحَا

خَفَّتْ إلى السُّؤْدُدِ المَجْفُوِّ نَهْضَتُهُ ... ولو يُوازِنُ « رَضوى » حِلْمُهُ رَجَحَا[4]

وقالَ فى عبد اللهِ بن يَحْيى بنِ خَاقانَ[5] :

مقَاماتُ حِلْمٍ ما يُوازَنُ قَدْرُها ... وساعاتُ جُودٍ ما يُطَاعُ عَذُولُها

وقالَ فى الحسنِ بنِ وَهْبٍ[6] :

وإذا احتَبى فى عُقْدةٍ من حِلْمِهِ ... يوماً رأيتَ « مُتَالِعاً » فى هَضْبِهِ

وهذا كلُّهُ جَيِّدٌ .

---

(١) ديوانه ١٦٤ .

(٢) ديوانه ١١١ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٤١ .

(٤) سبق البيت فى ١ : ١٤٧ وفيه : « السُّودَد » بفتح الدال ، ورواية الديوان الضم وهى لغة طيىء .

(٥) ديوانه ٣ : ١٧٧٣ وفيه « قال يمدح الحسين بن محمد الطائى ، وروى فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر » ، وقد سبق أن أورد الآمدى فى ص ١١ من هذا الجزء ثلاثة أبيات من القصيدة نَفْسها ، وقال : « وقال فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين قدم بغداد » وفى ديوانه : « موازين حلمه » .

(٦) ديوانه ١ : ١٦٥ ، و « متالع » : جبل بناحية البحرين بين السُّؤْدَةِ والإحساء ، وفى سفحه عين يسيل ماؤها يقال لها « عين متالع » .

وقالَ فى ابْنِ بسطامٍ[(١)]:

لَهُ نَبْعةٌ فى العِزِّ طالَتْ فُرُوعُها وطابَ ثَراها ، واطْمأنَّتْ أُصُولُها
فَلَو وُزِنَتْ أَرْكانُ رَضوىٰ ويَذْبُلٍ وقُدْسٍ بها فى الحِلْمِ خَفَّ ثَقِيلُهَا[(٢)]

وقال[(٣)]:

وسَواءٌ مَقَاوِمُ الحِلْمِ مِنْهُ ورِعَانُ « الرَّيانِ » أَرْسَتْ هِضَابُهْ

لَوْ كَان قولُ أبى تمَّامٍ :

« اخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْهٍ من سَجِيَّتِهِ »

من هذا البابِ ، لَفَضَّلْتُهُ علىٰ البُحترىّ ، ولكنى أجعَلُهُما متكافِئَيْنِ ؛ لأنَّ قولَ أبى تمام :

« تَيقَّن أنّ المنَّ أَيْضًا جَوامِعُ »

ليس من اختراعاتِهِ كما ذَكَرْتُ[(٤)].

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٧٧٧ .

(٢) سبق فى ١ : ١٤٧ ، وفى ديوانه « ... وقدس به فى الحلم » ، ورضوى ويذبل وقدس أسماء جبال ، الأول : جبل بالمدينة ، والثانى فى نجد ، والثالث فى تهامة .

(٣) ديوانه ١ : ١١٥ ، و « الريان » : جبل بين بلاد طيىء وبنى أسد « معجم ما استعجم ١ : ٦٩٠ » .

(٤) لم أجد ما ذكره الآمدى .

كرمُ الأخلاقِ ولينُها[1]

ومن ذلكَ قولُ أبى تَمَّامٍ فى أبى سعيد[2]:

لقد آسفَ الأعداءَ مَجدُ ابنِ يوسُفٍ وَذُو النَّقْصِ فى الدُّنْيا بِذِى الفضْلِ مُولَعُ
أخذْتُ بحَبْلٍ مِنْهُ لَمَّا لَوَيْتُهُ عَلى مِرَرِ الأيَّامِ ظَلَّتْ تَقطَّعُ
/ هُوَ السَّيْلُ إنْ واجَهْتَهُ انْقَدْتَ طَوْعَهُ[3] وتقتاده مِنْ جَانِبَيْهِ فيَتْبَعُ ٢٣ س

ومثلُهُ قولُ البحتريِّ فى الفَتْحِ بن خَاقانَ[4]:

حَرونٌ إذا عازَزْتَهُ فى مُلِمَّةٍ فإنْ جِئْتَهُ من جَانِبِ الذُّلِّ أَصْحَبا

وهذا من المعانى المُشْتَرَكة، وليسَ من المَخْصُوصَةِ التى لا يقَعُ فيها اتِّفاقٌ.

وقد أحسنَ أبو تَمَّامٍ كُلَّ الإحْسانِ فى قَوْلِهِ فِى الأَفْشِين[5]:

لَانَتْ مَهَزَّتُهُ فَعَزَّ، وإنَّما يَشْتَدُّ بَأْسُ الرُّمحِ حينَ يَلِينُ
وترىْ الكريمَ يَعِزُّ حِينَ يهونُ وترىَ اللَّئِيمَ يَهونُ حينَ يَهُونُ

---

(١) انظر ٢ : ٣٣١ .
(٢) ديوانه ٢ : ١٠ والتبريزى : ٢ : ٣٢٥ .
(٣) فى س : « إن واجهت » والتصحيح من الديوان وشرح التبريزى .
(٤) ديوانه ١ : ١٩٨ .
(٥) ديوانه ٣ : ٣٢ وشرح التبريزى : ٣ : ٣١٧ .

وقالَ فى أبى سعيدٍ[1]:

قَطَبَ الخُشُونةَ واللِّيانَ بنَفْسِهِ فغدا جَليلاً فى القُلوبِ لَطِيفَا

وقد أحسَنَ أبو الشيص فى قَوْلِهِ[2]:

كريمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فضْلُ حَيائِهِ ويَدْنُو وأطْرافُ الرِّماحِ دَوانِ
وكالسَّيْفِ إنْ لايَنْتَهُ لانَ مسُّهُ وحَدَّاهُ – إن خاشَنْتَهُ – خَشِنَانِ

وقال آخَرُ[3]:

إذَا قِيلَتِ العَوْراءُ أغْضَى كأنَّهُ ذَليلٌ بلا ذُلٍّ ولَوْ شاءَ لانْتَصرْ

وقالَ أبو تمّامٍ أيضا فى عُمَر بن طَوْقٍ[4]:

الجِدُّ شِيمَتُهُ وفيهِ فَكاهةٌ سُجُحٌ ولا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ
شَرِسٌ ويُتْبِعُ ذاكَ لِينُ خَلِيقَةٍ لا خَيرَ فى الصَّهْباءِ ما لَمْ تُقْطَبِ[5]

وهذا معنىً فى غايةِ الحُسْنِ ، وتمثيلٌ فى غايةِ الصِّحَّةِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٧٥ وفيه « باللبان معاقبا » ، وشرح التبريزى : ٣ : ٣٨١ .

(٢) أبو الشيص هو : محمد بن عبد الله بن رزين الشاعر المشهور وهو ابن عم دعبل الخزاعى ، انقطع إلى عُقبة بن جعفر الخزاعى ، وكان أميرًا على الرَّقة ، فمدحه بأكثر شعره ، توفى سنة ١٩٦ وقد كفَّ بصرُه « فوات الوفيات ٢ : ٤٤٨ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٣٨ والأغانى ١٥ : ١٠٤ » والبيتان فى ديوانه : ٦٧ .

(٣) البيت لأسيد بن عنقاء الفزارى يمدح ابن عمه عميلة الفزارى الذى قاسمه ماله وجبره من فقره ، « انظر القصة مع الأبيات فى شرح حماسة أبى تمّام ص ١٥٨٦ ، والأمالى ١ : ٢٣٧ واللسان مادة سوم – عور » ، وفى معجم الشعراء ص ١٩٩ « ابن عنقاء الفزارى وهى أمه واسمه : قيس بن بجرة وقيل عبد قيس » .

(٤) فى س « عمرو » ، والتصحيح من الديوان ، وهو عمر بن مالك بن طوق التغلبى ، وإليهم تنسب رحبة مالك بن طوق وابناءُ مالك بن طوق : طوق ، وأحمد « جمهرة الأنساب ص ٣٠٤ » ، والبيتان فى ديوانه : ١ : ٢١٨ ، وشرح التبريزى ١ : ١٠٢ .

(٥) فى س : « إذا لم تقطب » ولا يستقيم بها الوزن .

وقال أبو تمّامٍ فى أبى دُلَفٍ[1] :

جَمُّ التَّواضُعِ والدُّنيا بِسُؤْدَدِهِ　　تَكادُ تَهتَزُّ مِنْ أَطْرافِهَا صَلَفَا

جَعَلَ « الصَّلَف » ها هنا بمعنىٰ : التِّيهِ ، وهذا مَذهبُ العَوامِّ ، وقد غَرِىَ به الشعراءُ المُحَدثُونَ ، فأمَّا العربُ فإنَّ « الصَّلَف » فى كلامِهَا : « البُغْضُ » من الرَّجلِ والمَرْأةِ ، يُقالُ : قد صَلِفَت المَرأةُ عِندَ زَوْجِها ، إذا لَمْ يُحْبِبْها ، وصَلِفَتْ هِىَ ، إذا لَمْ تُحْبِبْهُ[2] ، فَهوَ صَلِفٌ ، وهِىَ صَلِفَةٌ ، كما قالَ جَريرٌ[3] :

إنِّى أُواصِلُ من أردتُ وِصالَهُ　　بِحِبَالِ لَاصَلِفٍ ولَا لَوَّامِ

وقالَ البُحْتُرِىُّ فى التَّواضُعِ ، يخاطِبُ ابن المُدَبِّرِ[4] :

دَنَوْتَ تواضُعاً وعلوتَ قَدْراً　　فشأْنَاكَ : انْحِدارٌ وارْتِفَاعُ

كذاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أنْ تُسامىٰ　　ويدنُو الضَّوءُ مِنها والشُّعَاعُ

وهذا لا شىءَ يفوقُهُ حسناً وصحةً ومُبالغةً ، وهو بتواضُعِ الخُلفاءِ أشبَهُ منهُ بتواضُعِ مَنْ سِواهُمْ ، وأَظُنُّه أخذَ المعنىٰ من قولِ بَشَّارٍ[5] :

أَوْ كَبَدْرِ السَّماءِ غيرَ قَريبٍ　　حينَ يُوفِى والضَّوءُ فيهِ اقْتِرَابُ

/ وبَيتُ البحترىِّ أجودُ . ٢٤ س

وقالَ فى حُسْنِ الأَخْلاقِ[6] :

صَفَتْ ، مِثْلَما تَصفُو المُدامُ ، خِلالُهُ　　ورَقَّتْ ، كما رَقَّ النَّسيمُ ، شَمائِلُهْ

---

(١) ديوانه ٢ : ٥٣ وفيه « من أعطافه صلفا » ، وشرح التبريزى : ٢ : ٣٦٤ .

(٢) انظر شرح التبريزى ، والنظام لابن المستوفى حـ ٢ لوحة ١٧٠ .

(٣) ديوانه ٩٩٩ .

(٤) ديوانه ٢ : ١٢٤٧ ، وقد سبقا فى ٢ : ٣٥٠ .

(٥) ديوانه ١ : ٣٤٩ ، وفيه « حين أوفى » .

(٦) ديوانه ٣ : ١٦١٠ وقد سبق فى ٢ : ٣٧٠ .

وقالَ فى أبى سَعيد:[1]

واستَمْطَرُوا فى المَحْلِ منكَ خَلائِقاً ... أَصْفَىٰ وأَعذبَ من زُلالِ المَاءِ

وقال البحتريُّ فى أبى نَهْشَل بن حُمَيْد:[2]

إلى «أبى نَهْشَلٍ» ظَلَّتْ رَكائِبُنا ... يَخِدْنَ من بَلَدٍ نَاءٍ إلىٰ بَلَدِ[3]

إلى فَتىً مُشْرِقِ الأَخلاقِ لو سُبكَتْ ... أخلاقُهُ من شُعاعِ الشَّمْسِ لَمْ تَزِدِ

وقالَ أبو تمّامٍ فى الحَسَنِ بن وَهْبٍ:[4]

ضَمَّ الفَتَاءَ إلى الفُتُوَّةِ بُرْدُهُ ... وسَقَاهُ وَسْمِىُّ الشَّبابِ الصَّيِّبُ

وصَفَا كما اعْتَدَلَ الشَّبابُ وإنَّهُ ... فى ذَاكَ من صِبْغِ الحياءِ لَمُشْرَبُ[5]

تَلْقىٰ السُّعودَ بِوَجْهِهِ وتُحِبُّهُ ... وعليكَ مَسْحَةُ بُغْضَةٍ فَتَحبَّبُ[6]

وقالَ البحتريُّ فى مُحمدِ بن يحيىٰ:[7]

كلُّ يومٍ تَسُنُّ مجداً جَديداً ... بِفَعَالٍ فى المَكْرُماتِ بَديعِ

أَدَبٌ لم تُصِبْهُ ظُلْمَةُ جَهْلٍ ... فَهْوَ كالشَّمْسِ عندَوقتِ الطُّلُوعِ

---

(١) ديوانه ١ : ٨ .

(٢) فى س : «فى نهشل بن حميد» ، وأبو نهشل هو محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسى الطائى ، ديوان البحترى ١ : ٥٧٤ ، والبيتان قد سبقا فى ٢ : ٣٠٦ .

(٣) ديوانه «يخدين» ، «يَخدن» من الوخد ، وهذه من «الخدى» ، لغتان فى سعة الخطو فى المشى .

(٤) ديوانه ١ : ٢٣٢ وشرح التبريزى ١ : ١٣٢ .

(٥) ديوانه : «وصفا كما يصفو الشباب» . وشرح التبريزى «وصفا كما يصفو الشهاب» .

(٦) ديوانه : «تلقى السعود بوجهه وتجيئه» .

(٧) ديوانه ٢ : ١٢٨١ ، والممدوح هو محمد بن يحيى الواثقى ، ذكره الطبرى فى أحداث سنة ٢٥٢ عند وقوع الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن طاهر ، وقال : إنه من قواد بغداد ، وفى أحداث سنة ٢٥٦ عند الحديث عن خلع المهتدى ثم موته ذكر أنه من قواد خراسان «الطبرى ٩ : ٣٥٧ ، ٤٦٤» .

ورِجَالٌ جَارَوْا خَلائِقَكَ الغُرَّ (م) ولَيستْ يَلامِقُ من دُرُوعِ
ولَيَالِى الخَرِيفِ خُضرٌ ، ولكِنْ رَغَّبَتْنا عَنْها لَيالى الرَّبِيعِ

وإنَّ كُلَّ هذا جَيِّدٌ إلاَّ قَولَهُ :

« ولَيستْ يَلامِقُ من دُروعِ »

فإنَّهُ تَمثيلُ مَنْ قَلَّتْ حِيلَتُهُ.(1)

وقالَ فى إبراهيمَ بنِ الحَسَنِ بنَ سَهْلٍ(2) :

خُلُقٌ أُتِيتَ بفضلِهِ وسَنَائِهِ طَبْعاً فجاءَ كأنَّهُ مَصْنُوعُ
وحديثُ مَجْدٍ عَنْكَ أفْرَطَ حُسْنُهُ حَتى ظَنَنَّا أنَّه مَوْضُوعُ

وقَالَ أبو تَمّامٍ فى أبى الحُسَيْنِ مُحمدِ بنِ الهَيْثَمِ(3) :

فلا يُغْبِبْ مَحَلَّكَ كلَّ يومٍ من الأيَّامِ ألْطَافُ السَّحابِ
فَثَمَّ الجودُ مشدودُ الأواخى وثَمَّ المَجدُ مَضْروبُ القِبَابِ
وأخلاقٌ كأنَّ المِسْكَ فِيها بِصَفْوِ الرَّاحِ ، بالنُّطَفِ العِذابِ(4)

وقال فى الحَسنِ بن وَهْبٍ(5) :

لَمَكاسِرُ الحَسنِ بن وَهْبٍ أَطْيَبُ وأَمَرُّ فى حَنَكِ الحَسودِ وأَعْذَبُ
ولَهُ إذا خَلُقَ التَّخَلُّقُ أو نَبَا خُلُقٌ كَرَوْضِ الحَزْنِ أوْهُوَأطْيَبُ(6)

---

(١) سيأتى البيت فى باب الجود ص ٢٦٠ ، وقد أوضح الآمدى هناك وجه اعتراضه على هذه الصورة .
(٢) ديوانه ٢ : ١٣١٦ .
(٣) ديوانه ١ : ٣٣٠ والتبريزى : ١ : ٢٨٢ ، وفيهما « وقال يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة من أهل مرو ، ويهجو أبا صالح بن يزداد ويعرض به » ، وفيهما : « من الأنواء » .
(٤) ديوانه : « وصفو الراح بالنطف العذاب » ، وشرح التبريزى « بصفو الراح والنطف العذاب » .
(٥) ديوانه ١ : ٢٣٢ وشرح التبريزى : ١ : ١٣٢ .
(٦) فى س : « الحسن » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى وستأتى فى تعليق الآمدى على الأبيات .

ضَرَبَتْ بِهِ أُفُقَ الثَّناءِ ضَرائبٌ كالمِسْكِ يُفْتَقُ بالنَّدىٰ ويُطَيَّبُ
يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُها أَرَجًا وتُوُكَلُ بالضَّمِيرِ وتُشْرَبُ

ويُقَالُ : فلانٌ طَيِّبُ المَكْسِرِ ، وطَيِّبُ المَكاسِرِ ، إذا كَانَ كَرِيمَ الأَخْلاقِ / ٢٥ س
سَهْلَهَا .

ورياض الحَزْنِ ، إنَّما يُوصَفُ بالحُسْنُ ، ورياضُ الخفض والأَغْواطِ أَخْصَبُ.(١)
وقولُهُ :

« يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُها »

مَثَلٌ يؤَكِّدُ(٢) به ذكاءَ طِيبِ أَخْلاقِهِ ، وهى ضَرائِبُهُ وأَنَّ يَسيرَ الرُّوحِ ولَطِيفَهُ يَهِيجُ نَسيمَ أَرَجها .

وقال أبو تمّام فى الحسن بن وهب :(٣)

واجِدٌ بالخَليلِ من بُرَحاءِ الشـ ـوقِ وُجدانَ غَيْرِه بالحَبيبِ
آمِنُ الجَيْبِ والضُّلوعِ إذا ما أُصْبِحَ الغِشُّ وهو دِرعُ القُلوبِ
لا كَمُصْفِيهمُ إذا حضَرُوا الودَّ ولاحِ قُضْبانهـم بالمَغيبِ
يَتغَطَّى عَنهمْ ولكنَّه تَنْـ ـصُلُ أخلاقُه نُصولَ المَشيبِ

وقال أبو تمّام فى مُحمد بن حَسَّانٍ الضَّبِّىِّ :(٤)

بِمُحَمَّدٍ صارَ الزَّمانُ مُحمدًا عِنْدى وأَعْتَبَ بعد سُوءِ فَعَالِهِ

---

(١) نقل ابن المستوفى كلام الآمدى ثم قال : « وإنما أراد أبو تمام أن روض الحزن حسن زاه ، وإذا كان كذلك فهو أيضا خصيب » « النظام لابن المستوفى جـ ١ لوحة ٧١ » .

(٢) انظر الموضع السابق فى النظام .

(٣) ديوانه ١ : ٢٢٩ ، وشرح التبريزى : ١ : ١٢٣ .

(٤) ديوانه ٢ : ٢٤٢ ، وشرح التبريزى : ٣ : ٣١ ، ومحمد بن حسان الضبى أبو عبد الله النحوى ، أدب أولاد المأمون ، وولاه مظالم الجزيرة وقِنَّسْرين والعواصم والثغور سنة ٢١٥ ، ثم زاده بعد ذلك ، مظالم الموصل وأرمينية ، وولاه المعتصم مظالم الرقة سنة ٢٢٤ ، وأقره الواثق عليها ، وقد مدحه أبو تمام بعدة قصائد . « بغية الوعاة ١/٧٥ ومعجم الأدباء ١٨/١١٩ » .

قلت : وتحديد السيوطى لولاية ابن حسان على الرقة سنة ٢٢٤ قد لا يتفق مع ما أراد د. نجيب البهبيتى من تأريخ بعض جوانب حياة أبى تمام ، انظر « أبو تمام حياته وحياة شعره ص ٩٥ » .

لَرأيتَ وجهَكَ فى جميع خِصَالِهِ بمُرَوَّقِ الأَخْلاقِ لو عَاشَرْتَهُ [(١)]

ورَغَائِبًا من جُودِهِ ونَوالِهِ أَبَدًا يُفيدُ خلائِقًا من ظَرْفِهِ [(٢)]

وقال البحترىُّ فى أبى أيوبَ بن أختِ أَبى الوَزيرِ [(٣)]:

نَفسٌ تُضىءُ وهِمَّةٌ تَتَوقَّدُ سِرٌّ وإعلانٌ تُسَوِّى منهما

وكأَنَّ خَلْوَتَهُ الخَفِيَّةَ مَشْهَدُ فكأَنَّ مجلِسَهُ المُحجَّبَ مَحْفِلٌ [(٤)]

عنهُ علوٌّ لم يَنلْهُ الفرقَدُ وتواضُعٌ لولا التَّكرُّمُ عاقَهُ

لذوى التَّوسُّمِ فهى شَيْبٌ أسودُ وشبيبةٌ فيها النُّهىٰ [(٥)] فإذا بَدتْ

قولُه :

« فكأنَّ مَجلسهُ المحجّبَ مَحْفِلٌ ... »

مثلُ قولِ ابنِ مُطَيرٍ [(٦)]:

كما كَان لو أضحىٰ عليهِ رَقيبُ يَعِفُّ ويستحيى إذا كانَ خَالياً

وهذا معنًى متداولٌ .

وقال [(٧)]:

تَعتَرِفْ فَضْلَهُ علىٰ مَنْ تُصافِى صافِ أمثالَ أحمدَ بنِ علىٍّ

ـوىٰ وإمّا يكفيكَ حَرْبَ الخِلافِ أرْيَحِىٌّ إمّا يُوافِقُ [(٨)] من تَهْـ

---

(١) ديوانه وشرح التبريزى : « نجحك » .

(٢) شرح التبريزى : « غرائبا من ظرفه » وهى أشبه بمذهب أبى تمام .

(٣) ديوانه ١ : ٦٢٩ .

(٤) ديوانه « مجلسه المحجب » ، وقد سبق فى ١ : ٣٩٣ برواية الديوان .

(٥) فى س : « فيها النوى » تحريف .

(٦) هو الحسين بن مطير انظر ترجمته : ص ٢٠٩ . والبيت فى الأغانى ١٤ : ١١٢ من قصيدة يمدح بها المهدى ، وروى الشطر الثانى هناك « كما عف واستحيا بحيث رقيب » .

(٧) ديوانه ٣ : ١٣٨٣ ، يمدح أحمد بن علىّ الإسكافى ، ولم أجد له ترجمة وافية إلا أنه من بنى عبد الأعلى ، والإسكافى نسبة إلى إسكاف بنى الجنيد بين بغداد وواسط ، « انظر معجم البلدان ١ : ١٨١ » .

(٨) ديوانه : « أما يوافق ما تهوى » .

وفى نحو هذا يقول فى أبى العبّاس عبد الله بن المعتز بالله وفى مدح المعتزّ (١) :

ورأيتُ « عبدَ اللهِ » فى السّنّ التى	تَعِدُ الكبير بدهرِه المُتطاولِ
قَمَرٌ تُؤمِّلُهُ « الموالى » لِلتّى	يقضى بها المأمولُ حقَّ الآمِلِ (٢)
يرجونَ فيهِ نجابةً شهدتْ بها	فيه عدولُ شواهِدٍ ودلائلِ
ومذاهِبٌ فى المكرُماتِ بمثلها	يَتَبيَّنُ المفضولُ سبقَ الفاضِلِ
حَدَثٌ يوقِّرُهُ الحجى ، فكأنّما	أخَذ الوقارَ من المشيبِ الشّامِلِ (٣)

وقال فى المعتزّ (٤) :

ضَرْبٌ كنصلِ السّيفِ أُرْهِفَ حَدُّهُ	وأضاءَ لامِـعُ مائِــه المُتَرقْــرِقِ
/ ومهذّبُ الأخلاقِ يَعْطِفُهُ النّدى ٢٦ س	عَطفَ الجَنوبِ من القَضيبِ المُورِقِ
طَلْقٌ فإن أبدى العبوسَ تطأْطأتْ	شُوسُ الرِّجالِ وخُفِّضَتْ فى المَنْطِقِ

وقال فى الفتح (٥):

غرائبُ أخلاقٍ هى الروضُ جادَهُ	مُلِثُّ العَزالى ذو رَبابٍ وَهيْدَبِ
فكم عجِّبَتْ من ناظرٍ مُتأمِّلٍ	وكم خبَّرتْ من سامعٍ مُتعجِّبِ (٦)
وقد زادَها إفراطَ حُسنٍ جِوارُها	خلائقَ أصفارٍ من المَجْدِ خُيَّبِ (٧)
وحُسْنُ دَرَارِيِّ الكواكِبِ أن تُرى	طوالِعَ فى داجٍ من اللّيْلِ غَيْهَبِ

(١) ديوانه ٣ : ١٦٤٦ ، وفيه : « تعد الكثير بدهرها » .

(٢) فى س : سقط الشطر الثانى لهذا البيت وتكرر شطر البيت الأول مكانه .

(٣) فى س « الوقارُ » بالرفع ، والتصحيح من ديوانه .

(٤) ديوانه ٣ : ١٤٧٧ .

(٥) ديوانه ١ : ١٩٢ .

(٦) ديوانه : « وكم حيّرت » .

(٧) ديوانه : « لأخلاق » ، وقد سبق البيت فى ١ : ٣٣٦ .

وهذا حسَنٌ جدا .

وقال[1] :

رضيتُ منكَ بأخلاقٍ قد امْتَزَجتْ ... بالمَكرُماتِ امتزاجَ الرُّوحِ بِالبَدنِ
وزدتَني رغبةً في عَقْدِ وُدّكِ إذْ ... شَفَعْتَ ذاكَ النَّدىٰ بالفَهْمِ والفِطَنِ
من يُصْبِهِ سَكَنٌ ممَّنْ يُحِبُّ ومَنْ ... يهوىٰ فمالَكَ غَيرُ المَجْدِ من سَكَنِ

هذا بابٌ فضلُ أبي تمّام فيه على البحتريّ ظاهر ومعلوم .

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٦٢٥ .

بابُ

ما ينبغى أن يُمدح فيه الخلفاءُ من الجودِ والكرمِ

وقد أفردت لذلك كتابا مفردا يتلو هذا الكتاب ، ولكن لما كان هذا الكتاب قد اشتمل على أكثر أنواع مدائح الخلفاء ، وجب أن أذكر معها ما مدحاهم به من الجود والكرم ، ثمّ إنىّ أقدّم قبل ذلك مقدّمة فأقول :

إنّ هذه خَلَّةٌ من أدونِ الخِلَالِ التى يُمدح بها الخلفاء ، لأنّ من ملك الدّنيا لم يكُ منكرا منه العطاءُ والبذلُ ، إذ كانت رغبات النّاس جميعا إليه ، وكان إخراجُ المال واجبا عليه ، ثمّ إنّ الجود ، وإن كانت خَلَّةً شريفةً ، فليست كسائر الخِلالِ الشريفةِ التى قد تقدمت فى هذا الجزء ، لأنّ تلك لا تكون إلاّ فى الأعيانِ من النّاسِ ، والجودُ قد يشارك الخلفاءَ وعظماءَ الملوكِ فيه أدونُ النّاسِ طبقة ، حتى الحائكُ والحجّامُ .

فينبغى للشاعر أن يتأتى لمدح الخليفة بالجود ، بما يُخرجُه عن أن يكون [له][1] فيه مُشْبِهٌ أو نظيرٌ ، فإنّ قول أبى تمّام فى المعتصم :[2]

تعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتى لَوَ انّهُ ... ثَناها لِقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أنامِلُهْ

---

(١) لازمة للسياق .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٠٣ وشرح التبريزى ٣ : ٢٩ وفى س : « ثناها لجود » ولا يصح بها المعنى ، وفى التبريزى « لم تجبه » . وانظر ص ٧٤ .

وهو أبرع بيت له فى وصف الجود ، يصلُحُ أن يُمدَح به بعضُ السوقةِ ، إذا كان مُتخرّقا فى البذل ، مُسرفا فى إتلاف المال .

وسبيلُ مدح الخليفة أن يكون دالًّا على الخليفةِ بمعناهُ نحوَ قولِ البحتريِّ[١] :

إذا غِبتَ عن أرضٍ ويمَّمتَ غيرَها فقد غَاب عنها شَمسُها وهِلالُها
غدتْ بكَ آفاقُ البلادِ خَصيبَةً وهلْ تَمحلُ الدُّنيَا وأنتَ ثِمالُها ؟

٢٧ س / فجعله ثِمالَ الدنيا ، والثِّمالُ : الغياثُ .

وقوله فيه أيضا[٢] :

قد قلتُ للغيثِ الرُّكامِ – ولجَّ فى إبراقِه وألَحَّ فى إرعادِه –:
لا تعرِضنَّ « لجَعفرٍ » مُتَشبِّهًا بنَدى يَديهِ ، فلستَ من أنْدادِه
اللهُ شَرَّفهُ ، وأعلىٰ ذِكْرَه ورآه غيثَ عبادِهِ وبِلادِه

فجعَله غيثَ العبادِ والبلاد .

وقوله فى المعتزِّ[٣] :

ياجمالَ الدُّنيا سناءً ومجدا وثِمَالَ الدُّنيا عطاءً وبذلا

ثمّ جعل صدر هذا البيتِ عَجُزَه فى قصيدةٍ أُخرى فقال[٤] :

يا ثِمالَ الدُّنيا عطاءً وبذلا وجمالَ الدُّنيا سناءً ومجدَا

وهذا لا يقالُ إلاّ لخليفةٍ .

وكذلك قولُه[٥] :

---

(١) ديوانه ٣ : ١٦٢٥ والبيتان فى مدح المتوكل .
(٢) أى فى المتوكل ، ديوانه ٢ : ٧٠٣ ، وفيه : « للغيم » وهى أصح للمعنى .
(٣) ديوانه ٣ : ١٦٥٢ .
(٤) ديوانه ٢ : ٧١٣ .
(٥) ديوانه ٢ : ٧١٢ .

أكرمُ النّاسِ شيمةً ، وأتَمُّ النـ ـاسِ خلْقاً ، وأكثرُ النّاسِ رِفْدَا
وحكى القطرَ ، بل أبرَّ على القَطْـ ـرِ بكَفٍّ على البريّةِ تَنْدىٰ

وقوله[1] :

بثتَ فينا عطاءً زاد فى عدِد الـ ـعليا ، ونَوَّه بِاسْمِ الجودِ تَنويها
مازالَ بحراً لِعافينا فكيفَ وقَدْ قابَلْتَنا ولكَ الدُّنيا وما فِيها
أعطاكَها اللهُ عن حقٍّ رآكَ لهُ أهلاً وأنتَ بحقِّ اللهِ تُعْطِيها

وقولُه فى المعتزِّ[2] :

وما حَسُنَتْ نواحي الأرضِ حَتّى ملكتَ السّهلَ مِنها والجِبَالا
بوجهٍ يملأُ الدُّنيا ضيَاءً وكفٍّ تَملأُ الدّنْيا نَوالا

وقالَ فى المتوكل[4] :

يا بن عمِّ النبىِّ لا زالَ للدّنْـ ـيَا ثِمالٌ من رَاحتيكَ غَزِير
أىُّ مَحْلٍ عَرا فكَفُّكَ غيثٌ أو ظَلامٌ دجَا فَوجهُكَ نُورُ

وللهِ درُّ أبى مُعاذٍ إذ يقولُ[5] :

إذا جلس المهدىُّ عمّتْ فضولُه علينا كما عمَّ الضّياءُ من البَدرِ

فهذا هو المدحُ الذى لا يليقُ إلّا بخليفة ، فإن مدَح مادحٌ بِمثلِ هذا غيرَ خليفة ، فما تركَ للخليفةِ شيئاً .

---

(١) ديوانه ٤ : ١٤٢١ ، وفيه « ونوَّهْتَ » .
(٢) ديوانه : « مازالت » ، « ولك الدنيا بما فيها » .
(٣) ديوانه ٣ : ١٧٢٥ .
(٤) ديوانه ٢ : ٩٠١ .
(٥) ديوان بشار : ٣ : ٢٥٩ .

فأمّا قولُ أبى تمّامٍ فى المعتصم:(١)

مدىٰ العُفاةِ فلم تَحلُلْ بهِ قَدَمٌ   إلا تَرحَّل عنها العَثْرُ والزَّلَلُ

وقولُه فيه:(٢)

هو البحرُ من أىِّ النَّواحي أتيتَهُ   فلُجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحِلُهْ
تعوَّد بسطَ الكفِّ حتى لَوَ انَّهُ   ثناها لِقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أنامِلُهْ

٢٨ س فهى فى غايةِ الحُسن والصِّحَّةِ والحلاوة والبراعة، وليس بمدح يخصّ / الخلفاء دون غيرهم، ولا أقول إنّ ذلك عيب فى المدح، ولكن ما يخصّ أجودُ وأليَقُ.

فأما قولُه فى المأمون:(٣)

من شَرَّدَ الإعدامَ عنْ أوطاننا   بالبَذلِ حتى استُطْرِفَ الإعدامُ
وتكفلَ الأيتامَ عن آبائِهم   حتى وَدِدْنا أنّنا أيتامُ

وقوله:(٤)

سَخِطَتْ لُهاهُ على جَدَاهُ سَخطَةً   فاسترفَدَتْ أقصى رضا المُستَرفِدِ

وقوله:(٥)

لو يعلمُ العافونَ كم لكَ فى النَّدى   من لَذَّةٍ وقريحةٍ لم تُحمَدِ

---

(١) ديوانه ٢ : ١٨٠ وشرح التبريزى : ٣ : ١١ .
(٢) ديوانه ٢ : ٢٠٣ وشرح التبريزى : ٣ : ٢٩ ، وفى شرح التبريزى : « هو اليم » ، « لم تجبه » .
(٣) ديوانه ٢ : ٣٧٥ وشرح التبريزى : ٣ : ١٥٣ ، وفيهما « عَن أوطانه » .
(٤) ديوانه ١ : ٤٥٢ وفيه : « المترفد » وشرح التبريزى ٢ : ٥١ ، وقال ابن المستوفى فى النظام جـ ١ لوحة ٣٣١ : « قال الآمدى : « اللهَى » جمع لهوة ، وأراد العطايا و « الجدَىٰ » هو الغنى والثروة ، أراد : سخطت عطاياه على غناه وثروته فاسترفدت : أى طلبت رضاه فكأنها استرفدته ، أى : جعلته رفدا ، وهذا من هوسه ، والمعنى بهذه الاستعارة صحيح » .
(٥) ديوانه ١ : ٤٥٤ وشرح التبريزى ٢ : ٥٢ .

فليس[1] ذلك بجيّد ، ولا محمود من الوصف ، وقد ذكرت ما فيه فى كتاب « الجود والكرم » فى مواضعه .

والبحتريُّ فى هذا أشعرُ من أبى تمّام .

* * *

(١) انظر ص ١٢٢ وما بعدها .

الشجاعة والبأس

فأمّا الشجاعة فليس ذلك من الخِلال التى تُعتَمد فى مدح الخلفاء ، إلّا أن يكون خليفةً قد عرف بها وشُهِرَ به[1] ، وكانت له مواقفُ فيه ، لأنّ الملوك والعظماء تُرفَعُ أقدارُهم عن أن يجعل الشاعرُ غرضَه بالبأس[2] والجودِ ، فإن اعتمد ذلك شاعرٌ ، فسبيلُه أن يجعلَه فى تضاعيف الخِلال التى هى بالمُلْكِ أخصُّ ، ألا ترى إلى قول البحتريِّ[3] فى أبى الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشميّ :

وكأنّك « العبّاسُ » نُبْل خَليقةٍ   وعلوَّ هَمٍّ فى « بنى العبّاسِ »
لو جلَّ خلقٌ قطُّ عن أُكرومةٍ   تُثنىٰ جللتَ عن النَّدى والبَاسِ

وإنما قالَ هذا ، لأنَّ النّدىٰ والبأسَ موجودٌ فى ساسةِ دوابٍّ عبيدِهم ، فَضْلاً عنهم .

فمن حُكْمِ الشّاعرِ إن ذَكرَ البأسَ أن يَتأتّى لَهُ كما تأتّى البحترى فى الجود ، بما أبان به الخليفة من غيره .

---

(١) أى عرف بالشجاعة وشهر بالبأس .

(٢) كذا ، ولعله « ... غرضه المدح بالبأس والجود » .

(٣) ديوانه ٢ : ١١٣٦ .

وكاد أبو تَمّامٍ يظفرُ بهذا المعنىٰ فى مدحِ المعتصمِ لولا أنّه أفْسَدَهُ فقال :(١)

من البأسِ والمعروفِ والجودِ والتُّقَى　　عِيالٌ عليه رِزقُهنّ شمائِلُهْ

فجعل البأس مَع هذه الحالِ عيالاً عليه ، وجعلَ شمائلَهُ – وهى أخلاقُهُ – رزقاً لها ، وهذه استعارةٌ فى غايةِ القُبْحِ والشناعةِ ، وإنما سَمِع قول جريرٍ فى يزيدَ بنِ معاويةَ :(٢)

الحزمُ والجودُ والإيمانُ قد نَزَلُوا　　على يزيدَ أمينِ اللهِ فاحْتَلفُوا

فحذا حَذْوَهُ ، وما أظنُّ لجريرٍ بيتاً فى المَدحِ أردأَ من هذا البَيتِ ، وهوَ خيرٌ من [بيت](٣) أبى تمام .

وإنمّا أراد جرير أن يجعل ليزيد فى وصفه بالحزم والإيمان مَزِيّةً على غيره من أجل الخلافة(٤) فكان المعنى جيدا واللفظ / رديئا(٥) لأنّه قال : « نَزلُوا واحتلفوا » ، وهذا فعل ما يعقل ، ولو كان استوى له أن يقول « نزلت واحتلفتْ » ، كان ذلك أليَق وأحسن(٦) ، ولكن لمَّا كان الاحتلافُ لا يكُون إلّا لما يعقل ، حمل الفعلَ عليه . ٢٩ س

---

(١) ديوانه ٢ : ١٩٩ ، شرح التبريزى ٣ : ٢٥ ، وقد سبق فى ١ : ١٠٩ .

(٢) لم أجده فى ديوانه ، وهو فى الكامل للمبرد ٣ : ٥٥ فى مدح يزيد بن عبد الملك .

(٣) لازمة للسياق .

(٤) فى س : « من أجل الخليفة » وأثبتُّ ما يتطلبه السياق

(٥) فى س : « ردئ » بالرفع .

(٦) نقل ابن المستوفى فى النظام « جـ ٢ لوحة ٢٤٨ » تعليقا للآمدى حول بيت أبى تمّام السابق يختلف فى نصه عن ماورد هنا ، وربما نقله من كتاب الآمدى « معانى أبيات أبى تمّام » الذى ينقل منه كثيرا قال : قال الآمدى : « أى ليس قوام هذه الأشياء إلا به ، ولولا هو لكانت قد درست ، وذهبت ، لأنها مجتمعة فيه ، فجعل شمائل الممدوح التى هى أخلاقه المشتملة على هذه الخلال كأنها رزق لها ، ولما لم تذكر إلا به ولم تك لها مادة إلا من أخلاقه جعلها كالعيال عليه ، وجعل ما فيه منها ينبوعا لها يمدها ، فهو كالرزق لها ، فالغرض فيه صحيح على بعده ، وأظنه سمع قول جرير فى يزيد بن معاوية فاحتذى عليه « وذكر البيت » ، ثم قال : وهذا أيضا ليس بالجيد وقد كان ينبغى أن يجعل هذه الخلال طبائع له ، وغرائز فيه ، فأما أن يجعلها نازلة عليه مختلفة ، ويجعلها لذلك عيالا عليه ، فإن هذا من بعيد الاستعارات وقبيحها ورديء المدح » .

وأجودُ من هذا وذاكَ قولُ دعبل، ومن جريرٍ[١] أخذ إلا أنه أورده على أحسن وجهٍ وألطفِهِ، فقالَ:

تنافسَ فيه الحزمُ والبأسُ والتقىٰ ... وبذلُ النّدىٰ حتى اصطَحَبْنَ ضَرائِرا

وقد أساءَ أيضا سَلْمٌ الخاسِرُ[٢] فى قولِه:

جمع الخِلافَةَ والشجا ... عةَ والسّماحَةَ فى نِظامِ

وما ذِكْرُ السّماحةِ مع الخِلافةِ؟ وأظنُّه قال ذلك من شُحِّ المَنصورِ[٤].

والجيِّدُ قولُه[٥]:

إمامُ هدىً فى راحتيه مع الهُدىٰ ... مقاديرُ تَجرى من نحوسٍ وأَسْعُدِ

وقال سَلْمٌ أيضا[٦]:

أقامَ النّدىٰ والبأسُ فى كلِّ منزلٍ ... أقامَ به فضلُ بن يحيى بن خالدِ

وقال مسكين الدارِمىُّ[٧] فى يزيدَ بن معاويةَ:

فتىً مالَه فى البأس والمجد والنّدى ... وبذل اللّهى فى العالمين نظيرُ

---

(١) سبق البيت فى ١ : ١٠٩ .

(٢) هو سلم بن عمرو بن حماد مولى أبى بكر الصديق، بصرى شاعر مطبوع . متصرف فى فنون الشعر توفى سنة ١٨٦ « طبقات ابن المعتز ص ٩٩ ، الأغانى ٢١ / ٧٣ ، وفيات الأعيان ٢ : ص ٣٥٢ » والبيت من قصيدة فى مدح المهدى « انظر طبقات الشعراء المحدثين ص ١٠٣ » وفيه :

جمع الخلافة والسما ... حة والشجاعة فى نظام

(٤) كان المنصور غاية فى الحرص والبخل ، فلقب « أبا الدوانيق » لمحاسبته العمال على الدوانيق والحبات ، وقد ذكرت آنفا أن ابن المعتز فى طبقاته قال إن القصيدة فى مدح المهدى .

(٥) لم أجد البيت فيما بين يدىّ من مراجع .

(٦) البيت فى الوافى بالوفيات ١٥ : ٣٠٤ ، وفيه « الفضل » .

(٧) هو ربيعة بن عامر بن أنيف من بنى دارم ومسكين لقب غلب عليه ، شاعر شريف من سادات قومه هاجى الفرزدق ثم كافه توفى سنة ٨٩ « الشعر والشعراء ص ٥٤٤ ، الأغانى ١٨ : ٦٨ » وفى س : « نذير » وصوابه ما أثبتُّ .

ففضله بهذه الخلال على العالمين (١) .

وقال أبو تمّامٍ فى مدح المعتصم (٢) :

وَمَشْهَدٍ بين حُكمِ الذلّ منقطعٌ صاليه أو بحبالِ الموتِ مُتَّصِلُ
جَلَّيْتَ والموتُ مُبدٍ حُرَّ صفْحَتِهِ وقد تَفرْعَنَ فى أفعالِهِ الأَجَلُ

وهذا مدحٌ يصلُح أن يكونَ لكلِّ بادى بأسٍ (٣) ونجدةٍ ، كائناً من كان من النّاسِ ، والبيتان جميعا رديئان ، فالأوّل ردىء من جهة الإعراب ، والثانى من جهة المعنى ، فقولُه : « بين حكم الذلّ » ، لو كان لحكم الذُّلّ أشياءُ متفرّقةٌ لصلُحَتْ فيها « بَين » ، غير أنّ حُكمَ الذلِّ والذلُّ بمنزلةٍ واحدة ، وكذلك حكمُ الْعزِّ والعزُّ ، فكما لا يقالُ : « بين العزِّ » فكذلك لا يقالُ : « بين حكم العزِّ » حتى يقال [هذا] (٤) ، وكذلك لأنَّ « بين » إنّما هى وسطٌ بين شيئين ، وقد بينّتُ هذا فيما (٥) قدمت ذكره من أغاليطه واستقصيته .

وقوله :

وقد تفرعَن فى أفعالِهِ الأَجَلُ

معنى فى غايةِ الركاكةِ والسُّخف (٦) ، وهو من ألفاظِ العامّةِ ، ومازالَ النّاسُ يعيبونَهُ به ، ويقولونَ : اشتقَّ للأجلِ الذى هو مُطِلٌّ على كلِّ النّفوسِ فعلا (٧) من (٨) اسم فرعون وقد أتى الأجل على نفس فرعون ، وعلى نفس كلّ فرعون كان فى الدنيا .

---

(١) فى س : « الخلافة » ولا يستقيم بها معنى العبارة .
(٢) ديوانه ٢ : ١٨٥ وشرح التبريزى : ٣ : ١٦ وقد سبقا فى ١ : ٢٣٨ .
(٣) فى النظام جـ ٢ لوحة ٢٤٤ نقل ابن المستوفى نص تعليق الآمدى وفيه « لكل ذى بأس » .
(٤) ساقطة من س ، وهى فى ١ : ٢٣٨ .
(٥) انظر الموضع السابق .
(٦) فى س : « اشتق الأجل » .
(٧) فى س : « من اسم فعل فرعون » .
(٨) اعتمدت فى تصحيح نص التعليق على ما سبق فى ١ : ٢٣٨ ، وعلى ما نقله ابن المستوفى فى كتابه النظام جـ ٢ لوحة ٢٤٤ .

وقال فى مدح الواثق[١] :

ليثٌ إذا خَفَقَ اللواءُ رأيتَه   يعلو قَرا الهَيجاءِ وهى زَبونُ
لحياضِها مُتورِّدٌ ، ولخَطْبِها   مُتعمِّدٌ ولِثَديِهَا مَلبونُ[٢]

/ وهذا يصلُح أن يُمدَح [به] كلُّ أحدٍ . ٣٠ س

وقوله : « ولخطبها متعمّد » لفظ ومعنى سخيفان ، وإنما جاء به من أجل قوله : « لحياضها متورد » .

وقال البحتريّ فى المتوكّل[٣] :

وإذا ما تَشَنَّعتْ حَومةُ الحر   بِ ، وكان المقامُ بالقومِ دَحْضا
غشى الدَّارعين ضرباً هذاذَيْـ[٤]   ـكَ ، وطعناً يُوزِّعُ الخَيلَ وخْضا

وقد يكذِبُ الشاعرُ للممدوح ، ولا مثلَ هذا الكَذِبِ للمتوكِّلِ .

وقد أحسَنَ – لَعَمْرى – سَلْمٌ الخاسرُ كلَّ الإحسان فى قوله يمدح المهدىّ[٥] :

أعذَرْتَ إذ أنذَرْتَ كلَّ مخالِفٍ   نارَ الخليفة أن يَكونَ رَمادَها

فإنّ هذا ما وراءَ حسنه وصحّته شىءٌ .

وممّا عيبِ على أبى تمّام فى مدح المعتصم قوله[٦] :

---

(١) ديوانه ٣ : ٤٠ ، وشرح التبريزى ٣ : ٣٢٦ ، و « القرا » : الظهر .

(٢) فى شرح التبريزى وديوانه : « متودد » ، « بثديها » .

(٣) ديوانه ٢ : ١٢١٥ ، و « الدحض » : المكان الزَّلِق .

(٤) هذاذيك أى : هذاً بعد هذٍ أى : قطعا بعد قطع ، والوخض : الطعنة غير النافذة .

(٥) لم أقف عليه بعد .

(٦) ديوانه ١ : ٥٧١ وشرح التبريزى ٢ : ٢٤٩ ، وفيهما أنها فى أحمد بن المعتصم ، وفى ديوانه « إقدامُ » بالرفع ، وشرح التبريزى بالنصب ، وقال ابن المستوفى فى النظام جـ ٢ لوحة ١٠٧ : « ويروى « إقدامَ عمرو » بالنصبِ وهو أولى من الرفع بدلا من « أبعدَ غاية » فى البيت الذى قبله » .

إقدامُ عمرٍو فى سماحةِ حاتِمٍ ... فى حِلْمِ أحنفَ فى ذكاء إياسِ

وقالوا[١] كان ينبغى أن يُفضِّله على جميع هؤلاء . فقالوا : قال أبو تمّام لمّا أُنْكِرَ ذلك عليه[٢] :

لا تُنْكرى ضَرْبِى لَه من دونَه ... مثلاً شروداً فى النّدى والباس

فاللّهُ قد ضَرَبَ الأقلَّ لِنُورِهِ ... مثلاً من المِشْكاةِ والنِّبْراس

« المِشكاةُ » : الكُوَّةُ ، يقالُ بلِسانِ الحَبشَةِ ، و « النبراس » : المصباح .

وقد اعْتُرِضَ عليه أيضاً فى هذينِ البيتَينِ ، وقيلَ إنه قَصَّرَ فى البيتِ الأوَّلِ ، بأن ذَكَر النّدى والبأسَ ، وترك الحلمَ والذكاءَ ، وكان يجبُ أن يذكرَها أجمع[٣] ، ولا يُسَمِّيَها ، فقيلَ لمن أنكَر هذَا : فلو كُنت أنتَ مكانَه ، كيف كنتَ تقولُ ؟ فقالَ : كنتُ أقولُ :

لا تُنكِروُا ضَرْبِى لَه من دونَه ... غاياتِ أمثالٍ جَرَتْ لِأُناسِ

أو : « مَضَتْ لِأُناس » .

وهذا - لَعمرى - مستقيمٌ أنْ لو قيلَ . ولكن لَم يستقمْ لأبى تمّام أنَ يجمع الوجوهَ الأربعةَ فى هذا البيتِ كما جَمعها فى البيتِ الأوّلِ ، فاقتصر على اثنين منهما ، وقد علم أن المعنى يضمّهما جميعا .

والقبيحُ قولُ جريرٍ[٤] :

كانت حنيفةُ أثلاثاً : فثُلثُهُمُ ... من العبيدِ وثُلْثٌ من مواليها

---

(١) قال ذلك يعقوب بن إسحاق الكندى ، انظر شرح التبريزى والنظام لابن المستوفى .

(٢) ديوانه وشرح التبريزى : « لا تنكروا » .

(٣) فى س : « أجمع أجمع » .

(٤) ديوان جرير ٥٤٥ .

فقيل لِرَجُلٍ من بنى حنيفةَ : فمن أىِّ الأثْلاثِ أنْتَ ؟ فقالَ : من الثُّلُثِ المَلغىِّ .

وقد يكونُ من الضروراتِ فى الشِّعر ما يكون بعضُه أحسنَ من بعض .

وقيل فى البيت الثانى فى قولِهِ :

« فاللهُ قد ضرَبَ الأقلَّ لنورِهِ »

إنَّ نورَه إنما هو نورُ هُداهُ ، الذى يهدى بِهِ من فى السَّماواتِ والأرضِ ، ولذلك قالَ : « يهدى اللهُ لنوره من يشاء » أى : بنورِ هُداه ، وليس يُحيطُ الخَلقُ بهذا النُّورِ ولا بِقَدْرِهِ معرِفَةً ، ولا بالمَثَلِ الذى ضربَه عزّ وجلَّ له[1] ، فمن أين عَلِمَ أبو تمّام أنّ أحَدهما أقلُّ من الآخرِ ؟ ، وذلك أنَّه جلَّ اسمُهُ قالَ :

٣١ س « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكَاةٍ / فيها مِصباحٌ المِصْباحُ فى زُجَاجةٍ الزُّجَاجَةُ كأنَّها كَوكَبٌ دُرِىٌّ » .

ثم قال :

« يوقَدُ[2] من شَجَرةٍ مبارَكةٍ زَيْتُونَةٍ ، لَاشَرْقِيَّةٍ » .

أى : لَيستْ بِضَاحِيةٍ بَارِزَةٍ للشَّمسِ ، تُشْرِقُ علَيها ولا تَكادُ تَغيبُ عَنها .

« ولا غَربيَّةٍ » .

أى : ولا مَقْنُوءَةٍ ، والمقنوءةُ : الأرضُ المُنْحرِفَةُ عن الشَّمس بساترٍ يَستُرها ، فتغيبُ عنها بسرعة ، ولا تأخذ بحظها منها ، يريدُ اعتدالَ موضع الشَجرة لِيَخْلُصَ الزَّيتُ من ثَمرتِها ويَصفُو ، وهذا كلُّهُ قد يوجدُ فى الشَّجَرِ .

---

(١) الآية ٣٥ من سورة النور .

(٢) فى الأصل : « تُوقَد » ، وهى قراءة أبى بكر وحمزة والكسائى وخلف « إتحاف فضلاء البشر ٢٩٨/٢ » .

ثم قالَ :

« يكَادُ زَيتُها يُضِيءُ ولَو لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ » .

ولم يعرفِ الخلقُ ولا شاهدوا زُجاجةً كأنَّها كوكبٌ دُرِّىٌ ولا زيتًا يَكادُ يُضِيءُ وإن لَم تَمْسَسْهُ نَارٌ .

ثمّ قالَ : « نورٌ على نُور »

وهذا الوصفُ كلُّهُ إنما أرادَ عزَّ وجل [به][1] تعظيمَ أمرِ نورِ المِصباحِ ، الذى جعلَهُ مثلاً لِنُورِ هُداهُ ، فإنّا وإنْ لم نعرفْ حقيقَتَه ، فقد دَلّنَا تباركَ اسمُه على أنّه نورٌ عظيمِ القَدْرِ ، فكيف يجوز أن يجعلَه أقلَّ من نور الهُدَى ، واللهُ تبارك اسمُهُ قد جَعَله مِثلَهُ ؟

فإن قيل : قَدْ يُشَبَّهُ الشيءُ من بعضِ جهاتِه لا من جِهاتِه كُلِّها ، قيل : ليس النّورُ[2] إلا جهةً واحدةً ، وهى الضّياءُ فقط .

وأظنُّ أبا تمّام ذهبَ إلى أنَّ « مثَلُ نُورِهِ » إلى نُور وَجهِهِ ، فإن كان ذهبَ إلى هذا فهو غَلطٌ منه ، ولا أعرف له عُذراً يَتوجَّهُ ، فإن قيل : بلِ الْعُذْرُ لَه مُتَوجِّهٌ ، وهو أنَّ نوراً يملأُ السّماواتِ والأرضَ أكثرُ وأعظمُ من نورٍ تَضمُّه مِشكاةٌ ، وهي الكُوَّةُ غيرُ النَّافِذةِ ، قيلَ : لم يُرِدْ جلَّ جلالُهُ بِذِكرِ المشكاةِ تقليلَ أمرِ الضَّوءِ ، وأنَّهُ[3] على قدر المشكاة ، وإنما أراد جَلّ اسمُهُ أن يؤكد شدّةَ النورِ وعِظمَه ، لأنه إذا كانَ فى شيء يَضُمُّهُ كانَ أغلبَ وأشدَّ لِضيائِه مِنه إذا كانَ ضَاحِياً منتشرا ، وهذا مَعلومٌ ، ومعرِفَتُهُ قَائِمَةٌ فى النُّفوسِ .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) كذا فى س ولعله « ليس للنور إلا جهة واحدة » .

(٣) فى س : « وإلا أنه » .

وقالَ بعضُ المفسِّرِينَ : أراد جلَّ وعزَّ : مثلُ نُورِهِ فى قَلبِ المؤمِن كمشكاةٍ فيها مِصْباحٌ ، وهو أثْبَتُ فى العُقولِ وأولَى بالصَّوابِ ، وأبعدُ من أنْ يُحيطَ العِلمُ بأنَّ أحدَ النورَيْنِ أقل من الآخر ، لأنَّه تشبيهٌ صحيحٌ ، وقد نطقتْ بذلِكَ العَربُ ، قال الطَّحْنُ (١) الجِرْمازِىُّ يَصِفُ عَيْنَى الأسَدِ (٢) :

قَالِبُ جِمْلاقَينِ مِثْلَ الوَقْبَيْنْ
أو مِثْلَ مِصْباحَينِ فى مِشْكَاتَيْنْ

« الجِمْلاقُ » جَوانِبُ العينِ من دَاخِل ، و « الوَقْبُ » النُّقْرَةُ فى الحَجَرِ

وقالَ أبو زُبَيدِ الطَّائىُّ (٣) :

كأنَّ عينيهِ مِشْكاتَينِ فى حَجَرٍ ... قيضا اقْتياضًا بأطرافِ المَناقيرِ

* * *

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدىّ من مراجع .

(٢) البيتان فى شرح الصولى لديوان أبى تمّام وقد وردا هناك مضطربى المعنى والوزن دون نسبة « شرح ديوان أبى تمّام للصولى ١ : ٥٧٢ » .

(٣) هو المنذر بن حرملة كان جاهليا قديما ، وأدرك الإسلام ، إلا أنه لم يسلم ومات نصرانيا وكان نديم الوليد بن عقبة ، عاش مائة وخمسين سنة ، وكان مغرّى بوصف الأسد ، وكان أعور آدم طوالا استعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه ولم يستعمل نصرانيا غيره « طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢ : ٥٩٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٣٠١ » . والبيت فى « ديوانه ٨٠ » وفيه : فى وقبين من حجر .

تمامُ بابِ السُّؤددِ والشَّرفِ

/ وهذا ما قلتُ إنى أذكُرُه من تمامِ بابِ السؤدد والشَّرفِ ، بعدما ذَكَرْتُهُ من ذَلِكَ فى مدائِح الخُلفَاءِ.[1] ٣٢ س

قال أبو تمّام فى مالك بن طَوقٍ[2]:

لِتَغلِبٍ سُؤْدَدٌ طالَتْ منَابِتُهُ ... فى مُنْتَهىٰ قُلَلٍ منها وفى قِمَمِ

مَجدٌ رعىٰ تَلَعاتِ الدَّهرِ وهوَ فتىً ... حتى غدا الدَّهرُ يَمْشى مِشيَةَ الهَرِمِ

التَّلاعُ : مجارى الماءِ من ارتفاع إلى انخفاض ، والخَفْضُ منها كثيرُ العُشْبِ ، وقُلَل : جَمعُ قُلَّة ، وقِمَم : جمعُ قِمَّةٍ ، وهُما رأسُ الجَبلِ .

ولو قالَ : « حتى هَرِمَ الدَّهُر » ، كانت استعارةً مُحْتَمَلةً ، كما قالَ البحتريُّ[3]:

هَرِمَ الزَّمانُ وعِزُّهمْ لَم يَهْرَمِ

---

(١) قال الآمدى فى ٢ : ٣٥٤ : « ولهما فى باب السؤدد والمجد والشرف فى مدح سائر الناس ما أذكره من بعد » غير أن شيخنا السيد صقر – عفا الله عنه وأمد فى عمره – أدخل على تلك العبارة عنوان باب مستقل هو « فى تأييد الدين وتقوية أمره » فاختلط البابان ، وجاءت عبارة الآمدى فى هذه الصفحة لتوثق وتصحح .

(٢) ديوانه ٢ : ٣٤٩ وشرح التبريزى ٣ : ١٨٧ .

(٣) ديوانه ٤ : ٢٠٨٤ وصدره : « صحبوا الزمان الفرط إلا أنه » ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٩ وانظر الموشح : ٥٢٣٠ .

وكما قال الأخطل[١] :

عَمِرْتَ شبابَ الدَّهرِ ، لا يَستَطِيعُهُمْ   أفالآن لمَّا أصبَح الدَّهرُ فانيا ؟

فما وجهُ قولِه : « يَمشِي » ؟ كأنّه لا يَجوزُ أن يُعْلَمَ أنّه هَرِمَ ، حتى يُرىٰ ماشِياً مُرْتَعِشاً .

وقال مَعْنُ بن أوسٍ المُزَنِى[٢] :

تَعَلَّلْتُ إذ دَهرى فتىً بِوصالِهَا   فَقَدْ عَصَلَتْ أنيابُ دَهْرٍ وعَرّدا

فإنما[٣] أرادَ نَفْسَه[٤] لا الدَّهر ، كما قال :

نهارُك يقظانٌ وليلُكَ نائمُ

والاستعارة الحسنة فى هذا قول النابغة[٥] :

عَلَوْتَ مَعدًّا نائِلاً ونِكايَةً   فأنتَ ، لِغَيْثِ الحَمْدِ ، أوَّلُ زائِدِ

وقال فى أبى سعيد[٦] :

طَلَبُ المَجْدِ يُورِثُ المَرْءَ خَبْلًا   وهُموماً تُقَضْقِضُ الحَيْزُوما

فتراهُ وهْو الخَلِىُّ شَجيًّا   وتراهُ وهو الصَّحيحُ سَقيمَا

---

(١) ديوانه ص ٣٥٢ ، وفيه « سَعيْتَ .... لم تَستَطِعْهُمْ » .

(٢) هو مَعْن بن أوس بن نصر بن زياد المزنى ، شاعر فحل مجيد ومن مخضرمى الجاهلية والإسلام ، له مدائح فى جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ، والبيت فى ديوانه ص ٢٨ ، وعصل الناب : إعوجاجه .

(٣) كذا فى س ولعلّ العبارة السابقة « فأما قول معن » .

(٤) لم أقف عليه بعد .

(٥) ديوان النابغة ص ٤١ ، وفيه « أول رائد » بالمهملة .

(٦) هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغرى والأبيات فى ديوانه : ٢ : ٤٠٢ والتبريزى ٣ : ٢٢٧ ، وقد سبقت الأبيات فى ١ : ١٠٤ ، وتقضقض الحيزوما : تكسر الصدر .

تَجِدُ المَجْدَ فى البَرِيَّةِ مَنْشُو ... راً وتَلْقاهُ عنـدَهُ مَنْظُومـا

وَلَّهتْهُ العُلىٰ فَلَيْسَ تَعدّ الـ ... ـبُؤْسَ بُؤْساً ولا النعيمَ نعيما (١)

وتَشديدُ « الشَجِى » (٢) خطأ .

وهذه الأبيات من صحيح المعانى ، ومُتْقِنِها (٣) ، وإنما احتذى فيه حَذْوَ لَقيطٍ الإيادىّ فى قصيدتِه المشهورةِ ، وقد ذكرتها فى سرقاته .

---

(١) ديوانه وشرح التبريزى : « تيمته » ، وفى س : « البأس بأساً » .

(٢) قال ابن السِّيد البطليوسى فى الاقتضاب : وقال « يعنى ابن قتيبة » فى هذا الباب : « رجل شج وامرأة شجيّة ، وويل للشجى من الخلىّ ، ياء الشجى مخففة ، وياء الخلى مشددة » انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣٧٩ .

« قال المفسر » : قد أكثر اللغويون من إنكار التشديد فى هذه اللفظة ، وذلك عَجَبٌ منهم ، لأنه لا خلاف بينهم أن يقال : شجوت الرحل أشجوه : إذا حزّنته وشجى يشجى شجا : إذا حزن ، فإذا قيل : شج بالتخفيف كان اسم فاعل من شجى يشجى فهو شج ، كقولك : عمى يعمى فهو عم ، وإذا قيل : شجىّ بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته أشجوه فهو مشجوّ وشجىّ ، كقولك مقتول ، وقتيل ، ومجروح ، وجريح ، وقد روى أن ابن قتيبة قال لأبى تمّام الطائى : يا أبا تمّام أخطأت فى قولك :

أَلا ويلَ الشَّجِىِّ من الخَلِىِّ ... وَوَيْلَ الربع من إحدىَ بكِىِّ

فقال له أبو تمّام : ولم قلت دلك ؟ قال : لأن يعقوبَ قال : شج بالتخفيف ولا يُشدّد ، فقال له أبو تمّام : من أفصح عندك ؟ ابن الجرمقانية يعقوبُ ، أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويلَ الشجىّ من الخَلىّ فإنَّهُ ... نَصِبُ الفُؤادِ بِشَجْوِهِ مَغْمُومُ

والذى قاله أبو تمّام صحيح ، وقد طابق فيه السماعُ القياسَ ، وقد قال أبو دؤاد الأيادى – وناهيك به حجة –:

مَنْ لِعَيْنٍ بِدَمْعِها مُوَلِيَّهْ ... ولِنَفْسٍ مِمَّا عناهَا شَجِيَّهْ

« الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ٢ : ١٨٥ » .

قلت : وفى لقاء ابن قتيبة أبا تمام نظر ، فالأول ولد سنة ٢١٣ وأبو تمام توفى فيما بين ٢٢٨ إلى ٢٣٢ على خلاف . (المحقق) .

« وانظر التبريزى ٣ : ٣٥١ ، واللسان : شجا » .

(٣) انظر ١ : ١٠٤ ، وقصيدة لقيط المشهورة أولها :

يادارَ عمرةَ من مُحْتلِّها الجَرعَا ... هاجت لِىَ الهمَّ والأحزانَ والوَجَعا

« مختارات الشجرى ص ٢ » ولقيط بن يعمر الأيادى : شاعر جاهلى قديم مقل فحل ، من أهل الحيرة كان يحسن الفارسية ، وكان كاتبا فى ديوان كسرى ، فلما رآه مجمعا على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر . فوقع الكتاب بيد كسرى ، فقطع لسانه وغزا إيادا « الأغانى ٢٠ : ٢٣ والشعر والشعراء ١٩٩ » .

وقال [فى] محمد بن الهيثم :(١)

خَدَم العُلىٰ فخدمْنَهُ وهى التى   لا تَخْدِمُ الأقوامَ مالَمْ تُخْدَمِ
وإذا انتمى فى قُلَّةٍ من سُؤْدَدٍ   قالت لَهُ الأُخرىٰ : بلَغْتَ تَقَدَّمِ
ماضَرَّ أروعَ يَرْتَقِى فى هِمَّةٍ(٢)   رَوعاءَ أَلَّا يَرتَقِى فى سُلَّمِ

قوله : « قالت له الأخرى : بلغتَ » أى : بلغتَ تلك ، فتقدّمْ إلىَّ ، ولولا هذا لكانت مناقضةً ، لأنّه إذا بَلغ ، فإلى أينَ يتقدَّمُ ؟ ، ويجوز أن يكونَ : قد بلغتَ ، فما تَنتظِرُ ؟ .

٣٣ س وقولُه : « أَلَّا يَرتَقِى فى سُلَّمِ » ، ليس بمبالغة / إذ لا قَدْرَ لِعُلوّ السُّلَّمِ ، ولو كانَ قالَ : أَلَّا يَرتَقِى فى طَودٍ أو جبَلٍ كان أبلغَ ، ولكنَّه إنمّا ذَكرِ السُّلَّم ، لأنَّه آلَةُ الصُّعودِ المُسْتَعملةِ ، وقد قال تعالَى : ﴿ أم لهم سلّم يستمعون فيه ﴾(٣) .

وقال زهير :(٤)

ولوْ نَال أسبابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ

وقد ذكر البحتريُّ « السُّلَّمَ » فوضَعه فى مَوْضِعِه ، فقال فى خضرِ بن أحمَدَ التَّغلِبِيِّ :(٥)

والعُلَا سُلَّمٌ مَراقِيهِ « خَطَّا   بُ أَبى عامرٍ » إلى « مَسعودِهْ »

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٢٨ والتبريزى : ٣ : ٢٥٣ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « همّة علياء » .

(٣) سورة الطور ٣٨ ، وبقية الآية الكريمة « فليأت مستمعهم بسلطان مبين » .

(٤) ديوانه : ص ٣٥ وصدره : ومن هاب أسباب المنايا ينلنه .

(٥) ديوانه ١ : ٥٩٦ والممدوح هو : الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب التغلبى استعمله المعتمد على الموصل سنة ٢٦١ ، وهو من أسرة لها الإمارة على ديار ربيعة « ابن الأثير حوادث ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ » .

يعنى حُدُودَهُ ، فهذا هو الوجه الحسن فى معنى « السُّلَّمِ »[1] .

وقال كُثَيِّر[2] فى عبد العزيز بن مروان :

إلى حَسبٍ عالٍ بنَى المرءُ قَبلَه ... أبُوهُ لَه فِيه معَارِيجُ سُلَّمِ

وهذا أيضا معنى صحيح حسن .

والجيد فى هذا المعنى قولُ أبى تمّام[3] فى أبى دلف :

مَحاسِنَ من مَجْدٍ متى تَقْرِنُوا بهِا ... محاسِنَ أقوامٍ تَكُن كالمعـايبِ
معالٍ تمادَت فى العُلُوِّ كأنَّها ... تُطالِبُ ثَأرًا عند بَعْضِ الكَواكِبِ[4]

وقال[5] فى خَالدِ بنِ يزيدَ بن مَزْيدٍ :

وما زالَ يَقْرَعُ[6] تلكَ العُلىٰ ... مع النَّجمِ مُرْتَديًا بالعَمـاءِ
ويَصعدُ حتّى لظَنَّ الجَهو ... لُ أنَّ لهَ مَنزِلاً فى السَّماءِ

« العماء » السّحابُ الرّقيق ، وأين هو من النجم ؟ ، إنَّ بينهما لَبْوناً بعيداً ، ولفظُ « العماء » قبيحٌ أيضا .

---

(١) اعتراض الآمدى على أبى تمام لا محل له فى ضوء المعنى الصحيح للبيت كما شرحه التبريزى فقال : « يقول : مايصر فتى ماضيا عزمه إذا كانت له همّة سامية إلى معالى الأمور ألا يرتقى إليها سلم ، أى همته العالية تغنيه عن السلم » .

(٢) تفسير الطبرى ١٤ : ٩ الأميرية ، ولم أجده فى ديوانه .

(٣) ديوانه ١ : ٢٨٣ وشرح التبريزى : ١ : ٢١٠ .

(٤) شرح التبريزى :

« معال تمادت فى العلو كأنما ... تطالب .... » .

وديوانـه :

مكارم لجّت فى علوّ كأنها ... تحاول .... » .

(٥) ديوانه ٣ : ٢٤٢ وشرح التبريزى : ٤ : ٣٤ .

(٦) ديوانه وشرح التبريزى « فمازال » . وديوانه فقط : « يفرع » بالفاء .

وقد أتى البحتريُّ بما هو أبلغُ من هذا فقال[1] :

لِمُحمدِ بنِ عليٍّ الشَّرفُ الذي لا يَلْحَظُ الجَوزاءَ إلاّ من عَلِ

ثمّ أفسدَ المعنىٰ ، بِأَنْ حَطّ المَمدوحَ عن هذهِ الرُّتْبَةِ إلى ماهو دونها فقالَ :

عالٍ على نَظَرِ الحسودِ كأنَّما جذبته أفرادُ النجومِ بأَحْبُلِ

فبين أن[2] ينظر إلى الجوزاءِ من عل ، وبين أن تُكَلَّفَ النُّجومُ أن تَمُدَّه بالحِبَالِ ، فرقٌ كبيرٌ .

والعُذْرُ له فى هذا أن يقال : إنّ البيت الأول أراد به شرفه ، والبيت الثانى أراد به نفسه .

ثم جاء بعده ببيت فى غاية الجودة ، ولكنّه أساء من حيث أجاد ، لأنّه عرَّض نفسَه لِغَضبِ كلِّ سيِّدٍ شريفٍ ماجدٍ ، من خليفةٍ إلى ما هو دُونَه ، وهو قوله[3] :

أوَ ما رأيتَ المَجْدَ ألقىٰ رَحْلَه فى آل طَلحَة ثُمَّ لَم يتحوّلِ

فلما سمع هذا البيت بعض من له فهم من الخلفاء والملوك وكبار الأمراء – وهو فى القصيدة المعشوقة[4] ، التى يصف فيها الفرس والسَّيف ، وهى من أشهر شعره ، والنّاس أكثر لها رواية ، وقد ذكر دعبل منها فى / كتاب « الشعراء » الذى ألفه عِدّة ٣٤ س
أبيات – كان بِودِّه أن يقولَ لَهُ : اذهبْ فالتَمسِ الجَدوى من الموضِع الذى ألقىٰ المجدُ فيهِ رَحْلَهَ ، ولم يتحوّلْ عنه .

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٤٤ والممدوح هو محمد بن على بن عيسى القمى الكاتب ، وفى س : « من عُلوٍّ » وهو بيِّن الفساد .

(٢) فى س : « فبينها » ، سبق قلم .

(٣) المصدر السابق .

(٤) التى أحبها الناس وعشقوها .

وقال البحتريُّ (١) :

لبنى مَخْلَدٍ على كُلِّ حَيٍّ أثَرٌ من عطائِهم لَيس يَعفُو
مجدُهُمْ فوقَ مجدِ من يَتعاطَى سَعْيَهم ، والسَّماءُ للأرضِ سقفُ

وهذا - لَعمرى - حسَنٌ جِداً ، ومِثْله قول عُمَارةَ بن عَقيلٍ (٢) :

همُ الأُفقِ فوقَ النَّاسِ والنَّاسُ تَحتَهمْ وآلُ عُبيدِ اللهِ فيه كَواكِبُهْ

وأجودُ من هذَا قول التَّياج بن مالك البَجَلِيِّ (٣) :

لكلِّ أُناسٍ بلْدَةٌ يسكنُونَها وأنتمْ سَماءٌ فوقَها ونجُومُها

وقال فى ابن ثوابة (٤) :

يفوتُ احتفالَ القومِ أوَّلُ عَفْوِهِ وقدْ بلَغُوا أو جاوَزُوا آخِرَ الجُهْدِ
مُخَفَّضةً أقْدارُهم تحتَ قَدْرِهِ كما انخَفَضتْ سُفْلَى تِهامَةَ عن نَجْدِ

ومثلُ قولِ أبى تمَّام :

.... قالتْ له الأُخرَى : بَلَغْتَ تَقَدَّمِ

قولُه أيضًا فى أبى دلف (٥) :

إذا ارتقَى طودَ مَجدٍ ظَلَّ فى نَصَبٍ أو يَرتَقِى من سِوَاه ذِرْوةً شعفا
جَمٌّ التَّواضُعِ والدنيا بسُؤْدَدِهِ تكاد تَهتَزُّ من أطرافِها صَلَفا

---

(١) ديوانه ٣ : ١٣٧٣ .

(٢) لم أقف على البيت .

(٣) حماسة ابن الشجرى ص ٣٧٠ ، وفيها : « النباج » بالموحدة الفوقية فالموحدة التحتية فألف فجيم .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٥٠ ، وابن ثوابة هو : أحمد بن محمد بن ثوابه بن خالد الكاتب ، أبو العباس ، كان من جلّة الكتاب وأعيانهم ، له الرسائل الحسنة والنظم الجيد ، روى عنه أحمد بن أبى طاهر والمبرد وغيرهما ، ويقال إن أصلهم نصارى ، وكانت بينه وبين أبى الصقر إسماعيل بن بلبل عداوة وشحناء ، وتقلد فى أيام وزارته بابل وسورا وتوفى سنة ٢٧٣ « معجم الأدباء ٤ : ١٤٤ والفهرست ص ١٤٣ والوافى بالوفيات ٧ : ٣٦٨ » .

(٥) ديوانه ٢ : ٥٢ والتبريزى ٢ : ٣٦٣ وفيهما « علا طود » ، « يعتلى »

وهذا أحسنُ جِدا ، وقد ذكرتُه فيما قَبلَ هذا الباب ، وذكرتُ معنَى « الصَّلِف »[١] .

ثمّ قال بعد هذا وأساءَ وقبّح[٢] :

لو لم تُفتْ مُسِنَّ المَجد من زَمَنٍ بالبَأسِ والجودِ كانَ المَجدُ قدْ خَرِفَا

وهذا ممّا عابَه به النّاسُ كُلهُمْ[٣] .

وأقبَحُ من هذا ما قاله فى مُحمدِ بن المُستَهِلّ[٤] :

أبوكَ شقيقٌ لم يَزلْ وهْوَ للنّدىٰ شقيقٌ وللملْهوفِ حِرزٌ ومَعْقِلُ
أفادَ من العليا كُنوزاً لو انّها صوامِتُ مالٍ مادرَى أينَ تُجْعَلُ

كان يَجعلُها حيثُ تُجْعلُ كنوزُ الأموال تحتَ الأرضِ ، وسُقَّاطُ الشُّعراءِ لا يَرضَونَ لأنفسهم[٥] بمثل هذا ، وأظنّه سَمِع قولَ كُثيِّرٍ[٦] :

ولو أنَّ حُبّى أمَّ ذى الودعِ كُلَّهُ لأهلِك مَالٌ لم تَسَعْهُ المسَارِحُ

أرادُ : لو أنّ حبّى يا أُمَّ ذى الودع كُلّه مالٌ ، أى : إبِلٌ ، « لم تَسعْهُ المسارِح » ، أى : المواضِعُ التى تسرحُ فيها ، وهذا معنى لا حلاوة فيه ، فنقله أبو تمّام إلى المعالى والمجد ، وجاء به على أقبح لفظ وأهجنه وأسخفه ، ثمّ أتى بعد ذلك بيت جيّد ، إلا أن فيه لفظة هى حشو ، وليست حشوا على مذهبه وذلك قولُه :

فحسب امرىءٍ أنت امرؤٌ آخِرٌ له وحَسْبُكَ فخراً أنّهُ لكَ أوّلُ

/ فقال : « أنت امرؤٌ » ، و « امرؤٌ » مستَغنىً عنها . ٣٥ س

وقال البحترىُّ فى وصف مُحمد بن يوسف[٧] :

---

(١) انظر : ص ٦٣ وفى ديوانه : « تهتز من أعطافه » .
(٢) ديوانه ٢ : ٦٨ وشرح التبريزى : ٢ : ٣٧٥ .
(٣) انظر الموشح ص ٤٧١ .
(٤) ديوانه ٢ : ٢٩٩ وشرح التبريزى : ٣ : ٧٤ وفيهما « قال يمدح أبا المستهل محمد بن شقيق الطائى » .
(٥) فى س : « لا يرضون أنفسهم » .
(٦) ديوانه : ص ١٨٤ .
(٧) ديوانه ٣ : ١٧٣١ .

أغرُّ إذا عُدَّتْ مَناقِبُ فِعْلِهِ　　توهّمت أنَّ الحقَّ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
وإن جاءَنا يَحكى أباهُ فَلَم تَزَلْ　　لَه من أبيهِ شيمةٌ وشَمائِلُ
هما شَرَعٌ فى المَكْرُماتِ ، فهذِه　　أواخِرُ أخلاقٍ ، وتلكَ أوائِلُ

وقال البحتريُّ فى الفتح بنِ خاقانَ[1] ، يذكر ابنَهُ :

ومُلِّيتَ عَيْشًا من « أبى الفتح » إنّهُ　　سليلُ العُلا والسُّؤْدَدِ المُتَرافِدِ[2]
متى ما تَشِدْ مَجدًا تَجِدْهُ بِهِمةٍ　　تَقَيَّلَ فيها ماجداً بعد ماجدِ
وإن يَطَّلِبْ مسعاةَ مَجدٍ بَعيدةً　　يَنَلْهَا بِجدِّ أَرْيَحِيِّ ووَالِدِ
كما مُدَّتِ الكفُّ المُضافُ بَنانُها　　إلى عَضُدٍ فى المَكْرُماتِ وسَاعِدِ
يَسُرُّكَ فى هَدْيٍ إلى الرُّشْدِ ذَاهبٍ　　وَيُرْضِيكَ فى هَمٍّ إلى النَّجْمِ صَاعِدِ

وقالَ البحتريُّ[3] :

يَبِين بالفَضلِ أقوامٌ فَيَفضُلُهُمْ　　مُوَحَّدٌ بغَريبِ الذِّكْرِ مُنْفَرِدُ[4]
تَوحَّدَ القَمَرُ السَّارى بِشُهْرَتِهِ　　وأَنْجُمُ اللَّيلِ نَثْرٌ حَولَه بِدَدُ[5]
أحْيَتْ خِلالُ « أبى ليلى » « أبا دُلَفٍ »　　ومِثلُهُ أوجَدَ الأقوامَ ما افْتَقَدُوا

وقولُه : « أوْجَدَ الأقوامَ ما افْتَقَدُوا » فى غاية الحُسن والحلاوةِ .

وقولُ أبى تَمّام فى أبى سعيد[6] :

وبالهَضْبِ من أَبْرَشْتَويمَ ودَرْوَذٍ　　عَلَتْ بِكَ أطرافُ القَنا فاعْلُ وآزْدَدِ
أفادتْك فيها المُرْهَفاتُ مآثِراً　　تُعَمَّرُ عُمْرَ الدَّهْرِ إنْ لَم تُخَلَّدِ

---

(١) ديوانه ١ : ٦٢٦ ، وأبو الفتح هو محمد بن الفتح بن خاقان ، ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ص ٤٠١ ، وقال « فتى أديب » وكنيته فيه « أبو الفتوح » .
(٢) ديوانه : « متى ما يشد مجدا يشده بهمة » .
(٣) ديوانه ١ : ٦٤٦ .
(٤) البيتان سبقا فى ٢ : ٣٥١ .
(٥) « أبو ليلى » : هو الحارث بن عبد العزيز بن دلف ، « وأبو دلف » : جد الممدوح .
(٦) ديوانه ١ : ٤٣٣ ، وشرح التبريزى ٢ : ٢٨ ، وأبرشتويم : جبل بالبذ فى أذربيجان ، ودروذ : وادٍ لبنى سليم ، أو ثغر لأذربيجان .

وهذا هو المَدحُ الشَريفُ ، الذى لا يُدفَعُ حُسنُه وجودتُه .

وقالَ فيه[(١)] :

فأفْخَرْ فمَا من سماءٍ للعُلىٰ رُفِعَتْ ‌ ‌ ‌ إلاّ وأفعالُكَ الحُسنىٰ لهَا عَمَدُ

وقالَ فى محُمَّدِ بنِ حسَّان الضَّبِّىِّ[(٢)] :

إذا نوى الدَّهْرُ أن يودِى بتَالِدِه ‌ ‌ ‌ لم يَسْتَعِنْ غيرَ كَفَّيْهِ بأعْوانِ
لو أنَّ إجماعنَا فى فَضْلِ سُؤدَدِه ‌ ‌ ‌ فى الدِّين لم يَخْتَلِفْ فى الأُمَّةِ اثْنَانِ

وقالَ فى خالد بن يزيد بن مزيد[(٣)] :

طَلَبَتْ ربِيعَ ربيعةَ المُمْهِى لَهَا ‌ ‌ ‌ ووَرَدْنَ ظِلَّ ربيعةَ المَمْدُودَا[(٤)]
ذُهْلِيَّها مُرِّيَّها مَطَرِيَّهَا ‌ ‌ ‌ يُمنَىٰ يدَيْها خالدَ بنَ يَزِيدَا
بَكْرِيَّها عَلَوِيَّها صَعْبِيَّها الـ ‌ ‌ ‌ ـحِصْنِىَّ شَيْبَانِيَّها الصِّنْدِيدَا
نَسَبٌ كأنَّ عليه من شَمْسِ الضُحىٰ ‌ ‌ ‌ نُوراً ومن فَلَقِ الصَّباحِ عَمودا
عُريانُ لا يَخْبوُ دلَيلٌ من عمَىً ‌ ‌ ‌ فيهِ ولا يَبْغِى عَليهِ شُهُودا[(٥)]
٣٦ ب / شَرفٌ على أُولَى الزَّمانِ وإنَّما ‌ ‌ ‌ خَلَقُ المَناسِبِ ما يكونُ جَديدا[(٦)]
لو لَمْ تَكُنْ من نَبْعَةٍ نَجْدِيَّةٍ ‌ ‌ ‌ عُلْوِيَـةٍ لَظَنَنْتُ عُودَك عُودَا[(٧)]

قولُهُ : « المُمْهِى لها » أى : الذى هو غِياثُها ، يقال : قَدْ أماهَ وأمْهَى ، إذا أكثر من سَقْيِ المَاءِ ، وقولُه : « عُريانُ » يعنى النَّسبَ مكشوفاً لا سِتْرَ عليه ،

---

(١) ديوانه ١ : ٤٢٩ وشرح التبريزى : ٢ : ٢١ ، وفيهما « للندى » .
(٢) ديوانه ٣ : ٢٧ وشرح التبريزى : ٣ : ٣١١ .
(٣) ديوانه ١ : ٤٠٥ وشرح التبريزى : ١ : ٤٠٥ .
(٤) ديوانه : « فتفيّأت ظلّا لها ممدودا » .
(٥) ديوانه وشرح التبريزى « لايكبوا » .
(٦) شرح التبريزى : « أن يكون جديدا » .
(٧) فى التبريزى : عَلويّة : وقال : يعنى من علىّ بن بكر بن وائل ، وروى الصولى « عُلْويّة » وقال : عُلْويّة : مرتفعة .

وقولُه : « لا يَخْبُو » أى : لا يخبو نورُه « دَلِيلاً »(١) ، أى : لا يخْبُو فى حالِ دلالَتِه على نَفْسِه .

« من عَمَىً فِيهِ » أى : من ظُلْمَةٍ أو شَكٍّ « ولا تَبغِى عَلَيهِ شهُودَاً » .

وهذا بيت ردىء ، وما كانت به إليه حاجة مع قوله : « نَسبٌ كَأنَّ عليه من شمس الضُّحى نُورا » ، وهذا أجود بيت فيها ، وأجود ما وصف به النَّسبُ الشريفُ ، وسائرُ الأبيات ردىء ، ولا طائلَ فيه(٢) .

وقولُه : « لظننتُ عودَك عودًا » من عِثَارَاتِهِ .

وقالَ فى عبد الله بنِ طاهر(٣) :

سما لِلْعُلىٰ من جَانِبيهَا كِلَيْهما   سُموَّ عُبَابِ المَاءِ جَاشَتْ غَوارِبُه

قولُهُ : « من جانبيها كِلَيْهمَا » لَمْ يُفدنا « بكليهما » فائدة ، لأنَّ أحدًا لم يكن يَظُنُّ أنَّه سما لها من جانبٍ واحدٍ .

والتَّوكيدُ – لَعمرى – غَيرُ مُنْكَر ولكنَّه يكون فى موضعٍ أحسنَ منه فى غيرِه ولو قالَ :

سما للعُلىٰ حتَّى علا ذُرْوَةَ العُلىٰ

لكان هذا أشْبَه بمذْهَبِه ، وأظنّ أنَّه أخذ هذا من قولِ امرىءِ القيس :

سمُوَّ حبابِ المَاءِ حَالاً على حالِ(٤)

---

(١) فى س : « لاتخبو عليه نيلا » .

(٢) فى س : « والطائل فيه » تحريف .

(٣) ديوانه ١ : ٢٩٤ وشرح التبريزى : ١ : ٢٢٧ .

(٤) ديوانه ص ١٢٤ وصدره : « سموت إليها بعدما نام أهلها »

ولكنّ الجيّدَ النّادِرَ قولُه فى خالد بن يزيدَ أبياتا جيّدة[1] :

هَصورُ المَعالى لا يَزيدُ أذالَهُ   ولا مَزيدٌ ولا شريكٌ ولا الصُّلْبُ
ولا مُرَّتا ذُهْلٍ ولا الحِصْنُ غاله   ولا كَفُّ شأويه عَلِيٌّ ولا صَعْبُ
مَضَوْا وهُمْ أوْتادُ نَجْدٍ وأرْضُها   يُرَوْنَ عِظَاما كُلمَّا عَظُمَ الخَطْبُ
وما كانَ بين الهَضْبِ فَرْقٌ وبيْنَهم   سِوَى أنَّهُمْ زَالُوا ولَمْ يَزُلِ الهَضْبُ
لهم نَسَبٌ كالفَجْرِ ما فيهِ مَسْلَكٌ   خَفِىٌّ ولا وادٍ عَنُودٌ ولا شِعْبُ
هو الإضحِيانُ الطَّلْقُ رَفَّت فُروعُهُ   وطالَ الثَّرىٰ من أُصْلِه وزَكا التُّرَبُ[2]
فَياوَشْلَ الدُّنيا بِشَيْبَانَ لا تَغضْ   ويا كَوْكَبَ الدُّنيا بِشَيْبَانَ لا تَخْبُو[3]
فما دَبَّ إلاّ فى بُيوتِهمُ النَّدىٰ   ولم تَرْبُ إلّا فى حُجُورِهِمُ الحَرْبُ
أُولاك بَنُو الأَحْسَابِ لَولا فَعالُهُمْ   درجن فَلَمْ يُوجَد لِمَكْرُمَةٍ عَقْبُ
جُعِلْتَ نظامَ المَكْرُمَاتِ فَلَمْ تَدُرْ   رَحى سُؤْدَدٍ إلّا وأنْتَ لها قُطْبُ
إذا افتخرتْ يوماً ربيعةُ أقْبلتْ   مُجَنَّبَتَىْ مَجْدٍ وأنْتَ لهَا قَلْبُ
يَجِفُّ الثَّرىٰ مِنْها وتُرْبُكَ لَيِّنٌ   ويَنْبو بِهَا مَاءُ الغَمامِ وما تَنْبو

لَوْ لم يقلْ أبو تمّام غيرَ هذه القصيدةِ لكانَ بها شاعِراً مُحْسِناً مُقدَّما .

/ قوله : « وادٍ عَنودٌ » ، فالعَنُودُ هَاهُنا : المُعوجُّ ، العادِلُ عن الوضُوحِ ، وقدْ ٣٧ س

---

(١) ديوانه ١ : ٢٦٨ ، وشرح التبريزى ١ : ١٨٢ ، وفيهما « مصون » .

(٢) فى س : رقت بالقاف ، وانظر الشرح بعد الأبيات ، قال ابن المستوفى : وأنشد أبو القاسم الحسن ابن بشر الأبيات وقال : « قوله : « له نسب كالفجر » أى معروف مشهور مضئ ، وقوله ما فيه مسلك خفىّ أى : ليس فيه شئ يدق ويخفى حتى يحتاج إلى سؤال وتعرف ، والإضحيان يقال : يوم إضحيان ، وليلة إضحيانة إذا لم يكن فيهما غيم وكانا مشرقين مضيئين ، ويروى : « رفت فروعه » من الرفيف أى نعمت وبرقت من الندى والطل » النظام جـ ١ لوحة ٩١ ، وفى ديوانه وشرح التبريزى « من تحته » ورواية الموازنة ذكرها ابن المستوفى فى المصدر السابق .

(٣) فى ديوانه وشرح التبريزى « لاتخب » ، وانظر رأى المرزوقى فى إثبات الواو ورد ابن المستوفى فى النظام جـ ٢ لوحة ٩٢ .

عَنَدَ فُلانٌ عن الحَقِّ : عدلَ ، والمُعانَدَةُ : أن تَعدِلَ عنه ، ويَعْدِلَ عَنْك ، والعَنُودُ مِنَ الإِبِلِ : الذى لا يُخَالِطُها ، إنما هو أبدا فى ناحيةٍ منها .

و « الشِّعْبُ » : كُلُّ فُرْجةٍ بين جَبلين ، يريدُ أنه نَسبٌ عالٍ على كلِّ شيءٍ ، وظاهرٌ غيرُ بَاطنٍ .

و « الإضحِيَانُ » : المُضيءُ الشديدُ البَياضِ .

و « الطَّلْقُ »[1] : يقالُ : لَيلَةٌ طَلقةٌ إذا كانَت مُقْمِرة ، عن يعقوبَ ، وقالَ غيرُه إذا لم يكن فيها ريحٌ ولا شيءٌ مُؤذٍ .

و « رَفَّتْ[2] فُرُوعُهُ » لمَعت من غَضَاضَتِها وحُسْنِها .

قولُهُ : « فياوَشَلَ الدّنيا » فالوشَلُ الماءُ القليلُ ، وما قَطر من شَيءٍ فهو وَشَلٌ ، وقد عِيبَ بهذا ، وقيلَ : ما كان ينبغى أن يجعلَه وشَلاً ، بل كان يجبُ أن يجعله بَحْرا .

وما ذهبَ عندى فى هذا إلّا إلى مذهب صحيح ، لأنّ العربَ تجعلُ النُّطفةَ الماءَ الكثيرَ ، والماءَ القليلَ ، ويقولونَ : وصلنا إلى هذه النُّطفةِ ، يعنونَ البحرَ ، وإنما ذلك تقليلٌ على وجه التكثيرِ والتّعظيمِ ، ومثلُ هذا كثيرٌ شائعٌ فى كَلامِهم ، فأخرجَ أبو تمّام الوشَلَ هاهُنا مخرَجَ التّعظيمِ ، والله أعلم ، لأنّه يعلمُ أنّ الوشَلَ الماءُ القليلُ ، وذلك قولُهُ فى بابك[3] :

بَحْرٌ من المكروهِ عَبَّ عُبَابُهُ ولَقد يُرَى وشَلاً من الأَوْشَالِ[4]

(١) هو أبو يوسف بن إسحاق المعروف بابن السكيت وفى كتابه « تهذيب الألفاظ » ص ٤٠٢ : « ليال طوالق إذا كنّ مقمرات » .

(٢) فى س : « رقت » بالقاف والشرح على « رفّت » بالفاء فأثبته .

(٣) بابك الخرمى الذى ادعى أن روح جاويدان حلت فيه وكان ابتداء أمره سنة ٢٠١ ، وخرج فى « البذ » وأباح المحرمات من النكاح وغيره ، واعتقد بالتناسخ ، حاربه المأمون ولم يظفر به ، ثم وجه المعتصم إليه الأفشين « حيدر بن كاوس » سنة ٢٢٠ ومعه محمد بن يوسف فحاربه ، واقتتلوا قتالا شديدا وعظيما حتى هزمه سنة ٢٢٢ ، وفتح مدينته « البذ » وخربها واستباحها المسلمون ، وصُلب بابك فى سامراء ، وأرسل أخوه عبد الله إلى بغداد فصلب فيها ، « الكامل والطبرى حوادث سنة ٢٠١ – ٢٢٢ » .

(٤) ديوانه ٢ : ٢٠٧ وشرح التبريزى ٣ : ١٣٣ وفيهما « ولقد بدا » .

وقد أساءَ عندى فى قَوْله :

فما دبَّ إلا فى بيوتِهِمُ النَّدى

كإساءةِ البحتريِّ فى قولِهِ :

أو ما رأيتَ المجدَ أَلقى رَحلَهُ فى آلِ طَلْحَةَ ثُم لم يَتحوَّلِ

وأعظمُ إساءةً منه أبو تمّام ، لأنّه إنما ذكر النّدىٰ وهو طائِىٌّ ، فأىُّ شَىءٍ تَركَ لحاتِمٍ ، ودعْ ما سِواه ، وفى المدح مُتَّسع لمن يريد المبالغةَ والإغراق ، ولا يَخصُّ واحداً بفضيلةٍ دون الناس جميعا .

وقال فى عُمر بن طَوْقٍ[1] :

لَكِنْ بَنُو طَوْقٍ وطَوْقٌ قَبْلَهُمْ شَادوا المَعالى بالبِنَاءِ الأَغلَبِ
فَستَخْرَبُ الدُّنيا وأبنيةُ العُلىٰ وقِبابُهمْ جُدُدٌ بها لَم تَخْرَبِ[2]
رُفِعَتْ بأيّام الطِّعانِ وغُشِّيَتْ رَقْرَاقَ لَوْنٍ للسَّماحَةِ مُذْهَبِ
يا طالبًا مسعاتَهم لينالَها هَيْهاتَ مِنكَ غُبارُ ذاكَ المَوكِبِ
أنتَ المُعنَّى بالغَوانى تَبْتَغِى أقصى مَودَّتِها برَأسٍ أَشْيَبِ
وَطِىَء الخطوبَ وكَفَّ من غُلَوائِها عُمَرُ بنُ طَوْقٍ نَجْمُ أَهْلِ المَغْرِبِ
مُلْتَفُّ أعْراقِ الوَشيج إذا انْتَمىٰ يومَ الفخَارِ ، ثَرِىُّ تُرْبِ المَنْصِبِ[3]
فى مَعْدِنِ الشَّرَفِ الذى من حَلْيِهِ سُبِكَتْ مَكارِمُ تَغْلِبَ ابنة تغْلِبِ

قال : « تَغْلِبَ » لأنَها اسمُ القبيلةِ ، وهى ابنة تَغْلِب ، الذى نسُبَتْ إليه .

٣٨ س /وقال البحترىُّ فى أبى الخَطّابِ الطّائىِّ[4]:

---

(١) ديوانه ١ : ٢١٧ وشرح التبريزى ١ : ٩٧ ، وفيها : « بالثناء الأغلب » .

(٢) ديوانه وشرح التبريزى « وقبابها » ، ديوانه فقط « جدد بهم » .

(٣) فى س : « تراب » تحريف ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى .

(٤) ديوانه ١ : ٢٩٦ ، والممدوح هو الحسن بن محمد الطائى « انظر هامش الديوان » .

وُصِلَتْ « بنو عُمْرَان » يومَ فخَارِهِ ... بَمنـاقِبٍ طائِيَّـةِ الأنْسَابِ
قَومٌ يَضيمُونَ الجبالَ وقد رَسَتْ ... أعلامُها بِرَجَاحـةِ الألبـابِ
سَحَبوا حَواشِيَ الأتْحَمِيِّ ، وإنّمَا ... وَشْيُ البُرُودِ على أُسودِ الغَابِ
نَزلُوا من الجبلينِ(١) حيثُ تعلَّقَتْ ... غُرُّ السَّحائِبِ من رُبىً وهِضَابِ
مُستمسكينَ بأوَّليَّـةِ سُؤْدَدٍ ... وبِمَنْصِبٍ فى « أُسْودانَ » لُبَابِ
يَستحدِثُونَ مكَارِمًا قد أحْسَرُوا ... فيها نُفُوسَهُمُ مِنَ الإتعابِ
فكأنّما سَبَقُوا إلى قِدَمِ العلا(٢) ... فى الغَوثِ أو غلبُوا على الأحْسَابِ

« أُسَودانُ » هو : نبهانُ بنُ عمرٍو بن غَوثِ بن طيىءٍ(٣).

وقال البحترىُّ فى أبى الحسن بن عبد الملك بن صالح(٤) :

أخذوا النبوّةَ والخِلافَةَ فانْثَنَوْا ... بالمَكْرمات ، كَثيرِها وقَليلِها
لو سارتِ الأيَّامُ فى مَسْعاتِهِم ... لتنالَها ، لَتَعطَّفَتْ(٥) فى طُولِها

وقال فى ابن بِسْطَام(٦) :

أخٌ لى متى استَعْطَفْتُهُ أو جَفَوْتُهُ ... فنفسى إلى نفسى أظَلُّ أُمورُها
إذا ما بَدا أُخلىٰ المعالى دَخيلُها ... وأنسىٰ صغيرَ المَكْرُماتِ كَبيرُها
إذا ذُكِرَتْ أسلافُهُ وتُشُوهِرَتْ ... أمَاكِنُها قُلتَ النَّجومُ قبورُها

---

(١) الجبلين : جبلا طيئ ، أجا وسلمى .
(٢) ديوانه : « وكأنما » ، « فى القرب » .
(٣) انظر جمهرة النسب ص ٤٠٣ .
(٤) ديوانه ٣ : ١٧٦٧ .
(٥) ديوانه : « لتقضّت » .
(٦) ديوانه ٢ : ١٠٠٠ ، وفيه : « أو حنوته » ، « أظل أصورها » ، أى أميلها .

وما المَجْدُ فى أَبْناءِ «جُرْدانَ» إذ رسَا (١) بعاريةٍ ينوى ارْتجاعاً مُعِيرُها
إذا ماتَتِ الأرضُ ابْتلوْهَا كأنَّما إليهِمْ حَيَاها ، أو عَليهِمْ نُشُورُها
ودونَ عُلاهُمْ للمُسامِينَ بَرْزَخٌ إذا كَلَّفَتْهُ العِيرُ (٢) طالَ مَسيرُها

«البرزخُ» ها هنا : ما بين السّماء والأرض ، وكلُّ ما حجزَ بين الشيئين فهو برزخٌ ، وناهيك بهذا مَدحا ، وحسبُك بهذا الشرفِ شَرَفاً .

والبحترىُ أحذقُ النّاس بمدحِ أشْرافِ العَجمِ ، وذِكْرِ مناقِبِهم ، ومن ذلك ما قال [حين] مدح أحْمدَ بنَ عليّ (٣) :

صَافِ أمثالَ أحمَدَ بنِ عَليّ تَعْتَرِفْ فَضْلَهُ عَلى مَنْ تُصافِى
أرْيَحِىٌّ إمَّا يوافِقُ ما تَهْـ ـوىٰ ، وإمّا يكفيكَ شرَّ الخِلافِ
همَّةٌ تَرذُلُ الدّنايا ، ونفسٌ شَرُفَتْ أن تَهُمَّ بالإشرافِ
وعُلاً فى الصَّبْهَبذِينَ (٤) وَدِدْنَا أنّها فى الزُّيودِ والأعْوافِ
قَدَّمتْهُ قوادِمُ الرِّيشِ مِنْهُمْ حينَ خاسَتْ بآخرينَ الخَوافِى
رَهْطُ سابورَ ذِى الجُنودِ وطُلاّ بُ مَساعى سابور ذِى الأكْتَافِ (٥)
عَمِرُوا يُخْلِفُونَ بَاطِلَ ما ظَنَّ (م) العِدَى بالثّقافِ قبلَ الوِقَافِ (٦)
٣٩ س /إن بلوناك كنتَ واحِدَ آحا دٍ لهم كَثرةٌ على الآلافِ

---

(١) «جردان» بلد قرب كابلستان بين غزنة وكابُل ، وفى ديوانه «جرزان» وهو اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس «معجم البلدان ٢ : ١٢٤ — ١٢٥» .

(٢) ديوانه : «العيس» .

(٣) ديوانه : ١٣٨٣ .

(٤) الصَّبْهَبذِينَ : أى أمراء الأعاجم ، الزيود والأعواف عنى بهم العرب .

(٥) سابور ذو الجنود : سابور بن أردشير بن بابك ، أول الملوك الساسانية «٢٤١ — ٢٧٩ م» .
سابور ذو الأكتاف : سابور بن هرمز بن سرى بن سابور بن أردشير وهو سابور الثانى ، قاتل العرب ونزع أكتاف رؤوسائهم فسمى ذا الأكتاف ، «انظر الطبرى ٢ : ٤٤ وما بعدها» .

(٦) ديوانه : «بالوِقاف قبل الثّقاف» ، الوقاف فى الحرب : أن يقف كل محارب مع الآخر ، الثقاف : الملاعبة بالسيف .

وهذا حَسَنٌ جِدّا .

وقال فى بنى الفيّاضِ[1] :

يَرْذُلُ البَحْرُ فى بحورِ بنى الفَيَّـ (م) ـاضِ إذ جُشْنَ بالنَّوالِ فَفُضْنا
واسِطُو سُؤْدَدٍ فليسَ يُنَادَوْ (م) نَ إلَى المجدِ من هُنَاك وهُنّا[2]
نزلوا رَبوةَ العِراقِ ارْتيـاداً — أَىُّ أرضٍ أشفُّ ذِكراً وأسْنَى
بين دَيْرِ العَاقولِ مُرْتَبَعٌ يُشْـ — ـرِفُ مُحْتَلـهُ إلى دَيْـرِ قُنَّـى[3]
حيثُ باتَ الزيتونُ من فوقِهِ النَّخْـ — ـلُ عليهِ وُرْقُ الحَمامِ تَغنَّى
ما المساعِى إلا المكارِمُ تُرْتَا — دُ ، وإلّا مَصانعُ المجدِ تُبْنَى

وقالَ فى بنى الجَرّاحِ[4] :

لأُخْبِرَنَّكَ عن « بنى الجراحِ » — وعَتادِهِم من سُؤْددٍ وسَماحِ
ومكانِهِمْ من « فارسٍ » حيثُ الْتَقَتْ — غُرَرُ الجِيَـادِ تُعَـــانُ بالأَوْضَاحِ[5]
من بَيتِ مَكْرُمةٍ وعزٍّ أُرُومَةٍ — بَسْلٍ عَلـى المُتَغَلِّبِيـنَ لَقَـاحِ[6]
وَرِثُوا الكِتَابَةَ والفُروسَةَ قَبْلَها — عَنْ كُلِّ أبيضَ مِنْهُمُ وَضَّاحِ
بِصُدورِ أقْلامٍ تُرَدُّ إليهِـمُ — شَرَفَ الرِّياسَةِ ، أو صُدورِ رِماحِ

وقالَ فِى أحمد بن محمّد[7] :

أعدَدتُ وُدَّ « أبى نصر » ونُصرَتَهُ — لِشَكَّةِ الدَّهرِ من نَابٍ وأُظْفُورِ

---

(١) ديوانه ٤ : ٢١٤٧ ، والممدوح هو على بن محمد بن الحسين بن الفياض .
(٢) هنّا : أى هاهنا .
(٣) دَيْر العاقول ، ودَيْر قنّى : ديران على دجلة بينهما بريد ، وبين دير قنى ودجلة ميل ونصف ؛ « الديارات للشابشتى ص ٢٦٥ » .
(٤) ديوانه ١ : ٤٧٦ والجراح هو جدّ الحسن بن مخلد .
(٥) فى س : « عور » والتصحيح من الديوان .
(٦) فى س : « المتاح » والتصحيح من الديوان ، بسل : حرام ، لقاح : الذين لم يلحقهم سبى ولم يدينوا للملوك .
(٧) ديوانه ٢ : ١٠٢٧ ، وفيه : يمدح حَمْدَ بن محمد بن أبى نصر الكاتب .

تَنازَعَتْهُ ملوكُ العُجْمِ وارِثَــةً   عن « شِمْرَ يَرْعَش » فخراً جِدَّ مَذْكُورِ (١)
مُرَدَّدٌ من قديمٍ فى نَبَاهَتِهِـمْ   كالمشترى لم يكن مستحدث النّور

وقال : (٢)

لِيَهْنِىءْ « بنى يزداد » أَنَّ أَكُفَّهُمْ   خَلائِفُ أَنْواءِ السَّحابِ الرَّواجِسِ (٣)
ذَوِى الحَسبِ الزَّاكى المُنِيفِ عُلُوُّه   على النَّاسِ ، والبيتِ القديمِ القُدامِسِ (٤)
إذا رَكِبوا زَادوا المواكِبَ بهجةً   وإن جلَسوا كانُوا صدورَ المَجالِسِ (٥)
بنو الأبْحُرِ المَسْجورةِ الفَيْضِ والظُّبا الْـ   ـقَواضِبِ عِتْقاً والأُسُودِ العنَابِسِ
لَهم مُنْتَمىً فى « هاشِمٍ » بَولائِهمْ   يُوازى عُلاهُمْ فى أُرُومَةِ « فَارِسِ » (٦)
وأَقلامُ كُتّابٍ إذا ما نَضَضْتَها   إلى نَسَبٍ كانت رماحَ فَوارِسِ (٧)
يَرَوْنَ لِعَبْدِ اللهِ فَضْلَ مَهابَةٍ   تُطَأْطِىءُ لحَظَ الأَبْلَجِ المُتَشَاوِسِ (٨)
يُخَلِّى الرجالُ مجْدَه لا تَرومُهُ   وهُمْ نَابِهو الأخطارِ شُمُّ المَعاطِسِ (٩)
ولم أَرَ مثلَ الفَضْلِ ضَنَّتْ بِغَيْرِه   وعَادَت بِهِ نَفْسُ الحَسودِ المُنافِسِ
ولا كالْعَطايَا يَشْرُفُ النَّجمُ ما بنَتْ   وهُـنَّ منـالٌ لِلأَكُفِّ اللَّوامِسِ (١٠)
« أَبا صَالِحٍ » إنَّ المَحامِدَ تلتقي   بسَاحةِ رَحْبٍ من فِنائِكَ آنِسِ

---

(١) ديوانه : « ملوك السّعد » ، وشمر يرعش هو : هو شمّر يهرعش بن مالك الحميرى القحطانى وقال ابن قتيبة : هو شمّر بن أفريقش ، وسمى شمر يرعش لارتعاش كان به ، وغزا فارس ودخل مدينة « الصعد » فهدمها ، فسميت « شمركند » ، أى شمر خربها ، وكان ملكه مائة وسبعة وثلاثين سنة ، « جمهرة النسب ص ٤٣٩ والمعارف لابن قتيبة ص ٦٢٩ » .

(٢) ديوانه ٢ : ١١٢٤ .

(٣) فى س : « القرامس » تحريف ، والقدامس : العظيم .

(٤) ديوانه : « بلوز » .

(٥) فى س : « العبايس » ، والتصحيح من الديوان .

(٦) ديوانه : « نصصتها » بالصاد المهملة ، ونض الشيء : حركة .

(٧) ديوانه : « الأبلج » أى المتكبر .

(٨) ديوانه : « يخلى الرجال مجدكم » .

(٩) ديوانه : « مثل المجد » ، « جادت به » .

(١٠) هو أبو صالح بن يزداد .

/ بحيثُ الثَّرىٰ رَطْبٌ يَرِفُّ نَباتُهُ رَفِيفاً ، وعهدُ الدَّهرِ لَيس بِخَائِسِ ٤٠ س
فِدَاؤُكَ أبناءُ الخُمولِ إذا هُمُ أَلاموا ، وأربابُ الخِلالِ الخَسائِسِ
وإن كنتَ قد أَخَّرْتَ ذِكرَ معونَتِى وألغيتَ رَسْمِى فى الرُّسومِ الدَّوارِسِ

وقال:(١)

يُنَوِّلُنَا « حَمُولةُ » من بَعيدٍ ويَحْرِمُنـــا رِجـــالٌ من قَرِيبِ
سحابُ الجُـودِ منهلّ العزالَى ورِيـحٌ مِنْـهُ صادِقَـةُ الهُبُـوبِ
لَهُ فى مارِجِ النَّـارِ انْتِسابٌ بأُمَّـــاتٍ نَقِيَّـــاتِ الجُيــوبِ
سَرَاةُ الإنْسِ والجِنَّـــانِ أَدَّتْ إلى « جُوذَرْزَ » نَجْدتَها و « بِيبِ »(٢)
تَطولُ لهَا الأعاجِمُ حين يُثْنَى وتَعْرِفُهـا القَبائِــلُ للشُّعـــوبِ

وقال البحتريّ فى مدح العَجمِ:(٣)

ما لِلْمكارِمِ ما تُرِيدُ سِوى « أَبِى يعقوبَ إسحاقَ بنِ إسماعيلِ »
وإلى « أبِى سَهلِ بنِ نوْبخْتَ » انْتَهىٰ ما كانَ من غُرَرٍ لهَا وحجُولِ
نَسَبٌ كمَا اطَّرَدَتْ كعوبُ مُثَقَّفٍ لَدْنٍ يَزِيدُكَ بَسْطَةً فى الطُّولِ
يُفْضِى إلىٰ « بِيبَ بنِ جُوذَرْزَ » الذى شَهَرَ المَكارِمَ بعد طولِ خمُولِ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٦٢ ، وحمولة هو: أبو العباس حمولة وزير آل أبى دلف. تغلب على قرية بروجرد منزلا، عظم أمره واستبد بالجبال «معجم البلدان بروجرد».

(٢) جوذرز وبيب من آباء الممدوح.

(٣) ديوانه ٣ : ١٨٣٥ وإسحاق بن إسماعيل بن نوبخت فارسى الأصل، كان جده الأعلى «نوبخت» منجماً عند المنصور، وهو الذى بشره بمقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن سنة ١٤٥ ، فأقطعه ألفى جريب بنهر جوبر «الطبرى ٦ : ٢٦٤٨»، وجده الأدنى «الفضل بن نوبخت» أبو سهل، وكان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد، وله نقل من الفارسى إلى العربى، ومعوله فى علومه على كتب الفرس، وكان من أئمة المتكلمين «الفهرست ص ٣٣٣، أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ١٦٨»، وكان أبوه إسماعيل ممن يجالسون المأمون «انظر: بغداد ص ١٦٤، الطبرى ٩ : ١٥١»، وانظر هامش ديوان البحترى ٣ : ١٨٣٥، ويبدو أن إسحاق هذا قد تقلد عملا فى الثغور، إذ أن البحترى قال له مادحاً فى هذه القصيدة:

«أن العواصم قد عُصِمْنَ بأبيضٍ ماضٍ كحدِّ الأبيضِ المسْلولِ»

الوارثِينَ من السَّرِيرِ سَرَاتَهُ   عن رَبٍّ كلِّ تَحيَّةٍ مَأْمُولِ (١)
والضارِبينَ بسُهْمَةٍ معروفَةٍ   فى التَّاجِ ذى الشُّرُفاتِ والإكليلِ (٢)

وهذا حَسنٌ جدًّا .

وقال فى بنى نُوبَخْتَ (٣) :

وإذا أبو الفَضْلِ استعارَ سَجِيَّةً   لِلْمَكْرماتِ فَمِنْ « أبِى يَعْقُوبِ »
لا يَحْتَذِى خُلُقَ القَصِىِّ ولا يُرَىٰ   مُتَشَبِّهًا فى سُؤْدَدٍ بِغَرِيبِ (٤)
يُمْضِى عَزِيمَتَهُ ، ويُوقِدُ رأيَهُ   عَزَمَاتُ « جُوذَرْزٍ » وسَوْرَةُ « بيبِ » (٥)
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِراً عن كابِرٍ   كالرُّمحِ أُنْبُوباً على أُنْبُوبِ

وقد قَالَ بشارٌ نحوَ هذَا :

خُلِقُوا قادةً فكانُوا سواءً   كَكُعوبِ القَنَاةِ تَحت السِّنَانِ (٦)
فَهُمُ خَمْسَةٌ كَخَمْسٍ من الدِّيـ   ـنِ كَفَلْنَا بِهِنَّ للدَّيَّانِ (٧)

وهذا هُوَ المعنى الحلوُ ، لا قولُ أبى تمَّام :

« كثلاثَةِ القِدْرِ » (٨)

---

(١) ديوانه : « الوارثون » ، و « عن كل رب » .
(٢) ديوانه : « والضاربون » .
(٣) ديوانه ١ : ٢٤٧ .
(٤) فى س : « ترى » بالمثناة من فوق ، والتصحيح من ديوانه .
(٥) ديوانه : « تمضى صريمته » ، « وتوقد » بالمثناة من فوق .
(٦) هذا البيت فى ملحقات ديوانه ٤ : ٢٣٤ ، وقد سبق فى ١ : ٣١٣ .
(٧) كذا فى س ، ولم أجد هذا البيت فيما بين يدىّ من مراجع .
(٨) يعنى قول أبى تمّام :

وثلاثة القدر اللواتى أشكلت   آخيرها ذو العبء أم قيدومها

« ديوانه ٢ : ٤٩٠ ، وشرح التبريزى : ٣ : ٢٧٤ » .

و :

« ثَلاثَةٌ كثلاثَةٍ »(١)

وأظنُّ البحتريَّ(٢) على هذا حذا قوله :

فى فتيةٍ طَلَبُوا غُبارَك إنّهُ رَهَجٌ تَرَفَّع عن طَرِيقِ السُّؤْدَدِ
كالرُّمحِ فيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً مُنْقَادَةً تحتَ السِّنانِ الأَصْيَدِ

وقد أتَى بَشَّارٌ بهذا المعنى فى أوصافِ النِّساءِ فقالَ :

ويلَكَ إنَّ النِّساءَ بيضًا وأُدْماً صِبْغَةٌ مِثلُ صِبغَةِ الأتْرابِ(٣)
/ ككُعوبِ القَناةِ مُشْتَبِهاتٍ وكأنَّ الرَّبابَ أختُ الرَّبابِ(٤) ٤١ س

وقال البحتريُّ(٥) فى نحو هذا :

وإذا رأيتَ شمائِلَ ابنَىْ صاعِدٍ أَدَّتْ إليكَ شمائِلَ ابنَىْ مَخْلَدِ
كالفَرْقَدينِ إذا تأمَّلَ نَاظِرٌ لم يَعْلُ مَوْضِعُ فَرْقَدٍ عن فَرْقَدِ

وقالَ(٦) فى صاعِدِ بن مَخْلَدِ :

---

(١) يعنى قوله :
ثلاثة كثلاثة الراح استوى نت لونها ومذاقها وشميمها
« المصدران السابقان » .

(٢) ديوانه ١ : ٥٤٨ ، وفيه : « نهج ترفع » ، « حلف السنان » وقد سبق البيت الثانى فى ١ : ٣١٣ .

(٣) ديوانه :
ويكنَّ النّساء بيضا وأدما صيغة بعد صيغة الأتراب
« ديوانه ١ : ٣٦٨ » وانظر تعليق محقق الديوان .

(٤) ديوانه : « أم الكتاب » ، وانظر تعليق محققه .

(٥) ديوانه ١ : ٥٤١ ، وابنا صاعد هما : أبو عيسى العلاء بن صاعد ، وأبو صالح ، وابنا مخلد : هما صاعد والحسن .

(٦) ديوانه ١ : ٢٣٥ .

عقيدُ المَعالِى ، ماونت فى طِلَابِهِ　　لِتَعْلَقَهُ ، ولا ونى فى طِلَابِها
إذا طَمِعَ السّاعُونَ أنْ يَلْحَقُوا بِهِ　　تمهَّل قابَ العَيْنِ أو فَوْتَ قَابِها
إذا ما تَراءَتْه العَشِيرَةُ طَالعًا　　عَلَيها ، جَلَتْ ظَلماءَها بِشِهَابِها
وإن أَنْهضَتْهُ كَافِناً فى مُلِمَّةٍ　　من الدَّهرِ ، سَلَّت نَصْلَهَا من قِرَابِهَا(١)
إذَا اصْطَحَبَتْ آلاؤُهُ غَطَّتِ الرُّبىٰ　　وحُسْنُ الّلآلِي زَائِدٌ فى اصْطِحابِها

جاءَ بِهذَا على القَلْبِ ، وإنَّما هو : واصطحاب الّلآلى زَائِدٌ فى حسْنِها .

وقال فى إسماعيل بن بلبل:(٢)

صَغُرَتْ مقاديرُ الرِّجالِ ، وقارَبُوا　　فى السَّعْيِ حتَى ماتَرى لَكَ حَاسِدا
لو نَافَسوكَ لخَالَسوكَ من النَّدىٰ　　ما يُصْلِحونَ بِهِ الزَّمانَ الفَاسِدَا
تأبىٰ الأُلوفُ علىٰ الأُلوفِ تُرىٰ لها　　تَبَعًا ، وتَتَّبِعُ الأُلوفُ الواحِدا(٣)
[فَعَلُوا وأينَ قِيامُ من قَدْ طُلْنَهُ　　شُرُفاتُ ما تَبْنِى ذُرىً وقوَاعِدَا]
ولَقد بَرَعْتَ علىٰ المُلوكِ : مَحلّةً　　عُلُوًّا ، وأفْنِيةً يرُقْـنَ الرَّائِـدَا
ومَددْتَ تَطَّلِبُ الذى لم يَطّلُبوا　　كفَاً تُناوِلُكَ السّماءَ وساعِدَا

وهذا – لَعَمرِى – مَدحٌ يَعلُو كُلَّ مَدْحٍ ، قوله « شرفات ما تبنى » أى : طالته الشُّرْفةُ ، وطالته القواعدُ أيضا .

وقال فى إسماعيل أيضا:(٤)

ومَكْرُمَةٍ جَلَّى « أبو الصَّقرِ » طَامِحاً　　إليها كما جلَّى طريدَته الصَّقْرُ

---

(١) ديوانه « سيفها » .
(٢) ديوانه ٢ : ٨٢٥ .
(٣) ساقط من س . وانظر التعليق على الأبيات .
(٤) ديوانه ٢ : ٨٧٤ ، وفيه « وأكرومة » .

تَجاوَزَها المغمورُ لا يَنْثَنِى لهَا ... بِعِطْفٍ ، ويَنْحُو نَحوها النَّابهُ الغَمْر[١]

وقال فى ابن المُدَبِّـرِ[٢] :

ومازالتِ العِيسُ المَراسِيلُ تَنْتَحِى ... فيُقَضَى إلى « آلِ المُدبِّرِ » حَاجُها
أُناسٌ قَديمُ المَكْرُماتِ وجَدْتُها ... لَهُم ، وسَريرُ « العُجْمِ » فيهم وتاجُها
إذا خَيَّمُوا فى الدَّارِ ضاقَتْ رِبَاعُها ... وإن رَكِبُوا فى الأرضِ ثَارَ عَجَاجُها
مَلِيُّونَ أن تُسْقَى الدِّيارُ غِياثُها ... بأوْجُهِهِمْ حتى تَسيلَ فِجَاجُها

ثمّ اعْتَدَّ لإبراهيمَ[٣] بما لاشَىءَ أحسنُ مِنْه فقالَ – ليس من الباب[٤] – :

يَدٌ لَكَ عِنْدِى قد أبَرَّ ضِياؤُهَا ... عَلى الشَّمْسِ حتَّى كَادَ يَخْبُو سِراجُها
فإن تُتْبِعِ النُّعمىٰ بنُعْمَى ، فإنَّهُ ... يَزِينُ اللآلِى فى النِّظامِ ازْدِوَاجُها

ولِلْبُحترِىِّ افتِنَانٌ فى ذِكرِ السُّؤْدِدِ[٥] والمجد والشرف ، ومُلَحٌ كثيرةٌ ، مُعْجِبَةٌ ، ص ٤٢
فمن ذلك قوله فى أبى جعفر الطّائى[٦] :

مُعْطًى من المَجْدِ ، مُزْدادٌ برغبَتِهِ ... يَجرى على سَنَنٍ مِنْهُ وأُسلوبِ
كالعَيْنِ مَنْهومَةٌ فى الحُسْنِ تَتْبَعُهُ ... والأنْفُ يَطْلُبُ أقصَى غَايَةِ الطِّيبِ[٧]

وقال فى إسحاق بن كنداج[٨] :

---

(١) ديوانه « يجاورها » بالمثناة من تحت .
(٢) ديوانه ١ : ٤٢٧ ، وفيه « تسرى » .
(٣) يعنى الممدوح وهو إبراهيم بن المدبّر .
(٤) أى ليس من باب السؤدد والشرف .
(٥) سبق فى ٢ : ٨٥ .
(٦) ديوانه ١ : ٩٣ .
(٧) ديوانه « يطلب أعلى مُنتهى الطيب » .
(٨) ديوانه ٢ : ٩٧٩ والممدوح : هو إسحاق بن كنداج ، أو كنداجيق ، من أشهر قواد الترك فى عهد المعتمد ، « الطبرى حوادث سنة ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، وابن الأثير ٦ : ٦٣ » .

شَرَفٌ تَزَيَّدَ بالعراقِ إلى الذى ... عَهِدُوهُ « بالبَيْضاءِ » أو « بِبَلَنْجَرا »[1]
مِثْلُ الهِلالِ بدا فلَمْ يَبْرح به ... صوغُ اللّيالى فيهِ حَتَّى أَقْمَرا

قوله : « صَوغُ اللَّيالِى » من أَحْسَنِ لَفْظَةٍ ، وأَوْقَعِهَا فى أحسنِ مَوْضِعٍ يَليقُ بِهَا .

وقال فى مُحمَّد بن حُمَيْدٍ[2] :

« أبَنِى حُمَيْدٍ » طالَ مَجْدُ مُحمَّدٍ ... لمَّا تَطَاوَلتُمْ لِبُعْدِ مَنالِـهِ
ولكم ، وإن لا تَلحقونَ بشأوِهِ[3] ... شَرَفٌ تَظَلُّ الشَّمسُ تحتَ ظِلَالِهِ
لا تَحْسُدوه فَضْلَ رُتْبَتِهِ التى ... أَعْيَتْ عَلَيكُمْ ، وافْعلوا[4] كَفعَالِهِ
مُتَنَقِّلٌ من سُؤْدَدٍ فى سُؤْدَدٍ ... مِثْلَ الهِلالِ جَرَىٰ إلى استِكْمَالِهِ

وقالَ فى أَبى عامرٍ الخضرِ بنِ أَحمدَ التَّغْلبىّ[5] :

وَأَغرُّ يَرفَعُهُ أبوه وكَمْ ... لِكريمِ قَومٍ من أَبٍ يَضَعُهْ
إن سَرَّك استيفاءُ سُؤْدَدِهِ ... بالرَّأْيِ تَبْحثُـهُ وتَنْتزِعُـهْ
فانظرْ بعَيْنِكَ[6] أيَّةً لَحِقَتْ ... ضَوءَ الغزالَـة أيـنَ مُنقَطَعُـهْ

وحَسْبُكَ بهذا حُسناً وحلاوةً .

ومن أعجبِ ما أتىٰ به فى هذا البابِ قَوْلُهُ فى علىِّ بنِ مُرٍّ[7] :

---

(١) « البيضاء » مدينة مشهورة بفارس ، سميت البيضاء لأن لها قلعة تبيّن من بعد ويرى بياضها ، بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ ، تامة العمارة ، خصبة جدا « معجم البلدان ، ١ . ٥٢٩ » ، « بلنجر » : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب فتحها عبد الرحمن بن ربيعة ، أو سلمان بن ربيعة الباهلى ، « معجم البلدان ١ : ٤٨٩ » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧٨٥ .

(٣) ديوانه « ولستم لاحقين بشأوه » .

(٤) فى س : « فافعلوا » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٥٠ .

(٦) ديوانه « فاطلب بعينك » .

(٧) ديوانه ٢ : ٩٥٧ .

وَمُصْعِدٍ فى هِضَابِ المَجْدِ طَالِعُها   كأنَّـهُ لسِكُونُ الجَـأْشِ مُنْحَـدِرُ[١]

مازالَ يَسْبِقُ حتى قالَ حَاسِدُهُ   لَهُ طَرِيقٌ إلى العلياءِ مُخْتَصَرُ

وقالَ أبو تمّامٍ فى عُمَر بنِ عبد العزيزِ الطّائى[٢] :

لله درُّ بنى عبدِ العَزيزِ فكَمْ   أَرْدَوْا عَزِيزَ عِدًى فى خَدِّهِ صَعَرُ

تُتْلى وصَايَا المَعالى بين أَظْهُرِهِمْ   حَتَّى لَقَدْ ظَنَّ قومٌ أنَّها سُوَرُ

بل لَيْتَ شِعْرِىَ من هاتّا مَآثِرُهُ   ماذَا الذَى بِبُلوغِ القَومِ يَنْتَظِرُ[٣]

وهذا أيضًا جَيِّدٌ حسن .

وقال البُحْتُرِىُّ[٤] :

لا تَنْظُرنَّ إلى « الفَيَّاضِ » من صِغَرٍ   فى السِّنِّ ، وانْظُرْ إلى المجدِ الذى شَادَا

إنَّ النّجومَ – نجومَ اللَّيلِ – أصْغَرُها   [فى العين] أذْهَبُها فى الجوِّ إصعادا

وقال فى الطّائىّ أبى جعفر[٥] :

بَلَغَ السيادَةَ فى بُدوِّ شَبابِهِ   إنّ السَّوادَ مَظَنَّـةٌ للسُّؤْدَدِ

فى كلِّ يومٍ رُتبةٌ يَزْدَادُها   ومُشارِفُ النُّقصانِ مَنْ لَمْ يَزْدَدِ[٦]

/ وقالَ[٧] :   ٤٣ س

---

(١) ديوانه « يطلعها » .

(٢) ديوانه ١ : ١٤٩ وشرح التبريزى : ٢ : ١٨٩ ، والممدوح عم أبى الخطاب الحسن بن محمد بن عبد العزيز الطائى ممدوح البحترى .

(٣) ديوانه وشرح التبريزى : « ياليت » ، و « ببلوغ النجم » .

(٤) ديوانه ١ : ٦١٠ ، والفياض هو أبو الحسن على بن محمد بن الفياض ، من أصل فارسى ، من أهل ديرقى ، كاتب إسحاق بن كنداج ، ولى بعض الأعمال للسلطان فى الأنبار « الديارات ص ٣٩٦ وأخبار البحترى ص ١١٧ ، والطبرى ١٠ : ٢٠ » . وما بين الحاصرتين سقط من س .

(٥) ديوانه ٢ : ٦٩٠ والممدوح هو أبو جعفر أحمد بن محمد الطائى ، وفيه : « إن الشباب مطية » ، وقال محققه فى الهامش بعد أن ذكر الرواية الأخرى : « وهذا تحريف » .

(٦) ديوانه « ويشارف » .

(٧) ديوانه ٣ : ١٦٩٤ .

فتىً لَمْ يُنَكِّبْهُ الشَّبابُ عن الحِجَى ولم يَنْسَ عَهْدَ اللَّهوِ والشَّيْبُ شَاغِلُهْ (١)
إذا سُؤْدَدٌ دانٍ لَهُ مَدَّ هَمَّهُ إلى سُؤْدَدٍ نَائِى المَحلِّ يُزاوِلُهْ
تَوَقَّعُ أن يَحْتَلَّها دَرَجُ العُلا كَما انْتَظَرتْ أوبَ الهلالِ مِنَازِلُهْ (٢)
وكَمْ عِدَّةٍ للمَجدِ بادَرَ فَوْتَها وعَاثِرِ حَمْدٍ أَعْلَقَتْهُ حَبائِلُهْ (٣)

وقال فى إبراهيمَ بن الحسنِ بن سهلٍ : (٤)

يفديك قومٌ ليسَ يوجَدُ مِنْهُمُ فى الحَمدِ مَرْئِىٌّ ولا مَسْمُوعُ
خُدِعُوا عن الشَّرَفِ المُقيمِ تَظَنِّياً مِنهمْ بأَنَّ الواهِبَ المخْدُوعُ
باتَتْ خَلائِقُهمْ علىٰ أمْوالِهِمْ وكأنَّهُنَّ جَواشِنٌ ودُروعُ
قَنِعوُا بمَيْسورِ الفَعالِ وأُوهِمُوا أنَّ المَكارِمَ عِفَّةٌ وقُنُوعُ
كلاَّ ، وكُلُّ مُقصِّرٍ مُتَجَهْوِرٍ عِنْدَ الحَطيمِ طَوافُهُ أسْبُوعُ
لا يَبْلغُ العَلْياءَ غيرُ مُتَيَّمٍ بِبلُوغِها يَعْصِى لهَا ويُطِيعُ

وقال : (٥)

أَوَ مَاتَرونَ الشامِتِينَ أمَامَكُمْ ووراءَكُمْ من مُضْمِرٍ أو مُظْهِرِ
من غَيرِ ذَنْبٍ جِئْتُموهُ سِوَى عُلاً زُهْرٍ لِجَدِّكُمُ الأغَرِّ الأزْهَرِ
فَكأنَّمَا شَرَفُ الشريفِ إذا انْتَمى جُرمٌ جناهُ إلى الوضيعِ الأصْغَرِ

وقال البحتريُّ فى إسماعيل بن بلبل ، وهو من بنى شيبان : (٦)

---

(١) ديوانه « شامله » .
(٢) فى ديوانه « درج » بالنصب والصحيح ما أثبتُ .
(٣) ديوانه « وكم عزة » .
(٤) ديوانه ٢ : ١٣١٥ ، وفيه : « فى المجد » ، وفى س : « مرائى » .
(٥) ديوانه ٢ : ١٠٣٢ .
(٦) ديوانه ٢ : ٨٧٢ .

سَيَجْبُرُ كَسْرِى « المَصْقَلِيُّونَ » إنَّهُمْ ... بِهِمْ تُدْفَعُ الجُلَّى ويُجْتَبَرُ الكَسْرُ [١]

فما تَتَعاطَى ما ينالونَهُ يَدٌ ... ولا يَتَقَضَّى ما يُنِيلُونَهُ شُكْرُ [٢]

إذا اتَّجَرُوا فى سُؤْدَدٍ وتَزَايَدُوا ... فأَنْفَقُ ما أَبْضَعْتَ عندهُمُ الشِّعْرُ [٣]

يُجازِى القَوافِى بالأَيادِى مُبِرَّةً ... تَضاعِيفُها عن كُلِّ وَاحدةٍ عَشْرُ [٤]

وما سَوَّدَ الأَقوامُ مِثلَ « عُمَارَةٍ » ... إذا نُسِىَ الأَقوامُ شَاعَ لهمْ ذِكْرُ [٥]

تَجَنَّبْ سواهم لِلْعُلَا واتِّبَاعِها ... بِسَعْيٍ، وعَرِّسْ حيثُ أَدرَكَكَ الفَجْرُ [٦]

وقال فى الهَيْثَمِ بن عثمانَ الغَنَوِىِّ [٧] :

لا يَقْتُلِ الحُسَّادُ أَنْفُسَهمْ فَقَدْ ... هَتَكَ الصَّباحُ دُجى الهَزِيعِ المُظْلِمِ

غَنِيَتْ « غَنِيٌّ » بالذُّرَى من مَجْدِهَا ... وقبائلٌ بيـنَ الحصَى والمَـنْسِمِ [٨]

فَقِفُوا على أَحْسَابِكُمْ وهُبوطِهَا ... ودَعُوا العُلُوَّ فإنَّهُ فى الأَنْجُمِ [٩]

وقال فيها :

ولَقَدْ جَرَيْتَ إلى المعالى سَابِقاً ... وأَخَذْتَ حظَّ الأَوَّلِ المُتَقَدِّمِ [١٠]

وكَبَا عَدُوُّكَ حين رَامَكَ لِلَّتى ... تُخْشَى فَقُلْنا : لِلْيَدَيْنِ ولِلْفَمِ [١١]

---

(١) المصقليون : نسبة إلى مصقلة بن هبيرة الشيبانى ، كان عاملا لعلى ، ابتاع بنى سامة بن لؤى وأعتقهم وفرّ إلى معاوية ، وولاه معاوية « طبرستان » فسار إليها بجيش كبير ، وتوغل فيها دون أن يؤمن خطوطه الخلفية ، فأخذها عليه العدو بعد عوره المضايق ، ورموه بالحجارة فقتلوه ، وهلك أكثر جيشه . ويقال فى المثل : « حتى يرجع مصقلة من طبرستان » ، « المعارف ص ٤٠٣ ، ومعجم الشعراء ٤٤٧ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٢١ ، مروج الذهب ٢ : ٤١٩ ، ومعجم البلدان ٤ : ١٥ » .

(٢) فى الديوان « يتقصى » بالصاد المهملة .

(٣) ديوانه « إذ تجروا » .

(٤) ديوانه « فى كل .... » .

(٥) ديوانه « شاع له » .

(٦) ديوانه « تجنب سراهم للعلا وابتغائها » .

(٧) ديوانه ٤ : ٢٠٨٤ .

(٨) « غنى » قبيلة الممدوح ، وغنى : هو عمرو بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان « الجمهرة ص ٢٤٧ » .

(٩) ديوانه « فقعوا » ، و « فإنه للأنجم » .

(١٠) ديوانه « فأخذت » .

(١١) ديوانه « حين رام بك التى » .

٤٤ س / كَذَا واللهِ يكونُ المَدحُ ، فَلْيَقُلِ الشَّاعِرُ ، أو فَلْيُمْسِكْ .

وقالَ أبو تمّام فى بنى حُمَيْدٍ[١] :

عَهدِى بهِمْ تَستَنِيرُ الأرضُ إنْ نَزَلُوا ... فيها وتَجْتَمِعُ الدُّنيا إذا اجْتَمعُوا
وَيَضْحَكُ الدَّهرُ مِنهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ ... كأنَّ أيَّامَهُمْ من حُسْنِها جُمَعُ[٢]

وقالَ أبو تمّام[٣] :

إذا أُكْدَتْ سَوامُ الشِّعْرِ أَضْحَتْ ... عَطَايَاهُ وهُنَّ لَها مَرَاعِى[٤]
سَعَى فاستَنْزَلَ الشَّرفَ اقْتِسَاراً ... وَلَوْلا السَّعْىُ لم تَكُنِ المَسَاعِى[٥]
وما فى الأَرْضِ أَنْصَحُ للمَعَالِى ... إذا دُوجِينَ من جُودٍ مُطَاعِ

قَولُهُ :

« سَعى فاستَنزَلَ الشَّرفَ اقْتِسَاراً »

ليسَ بالمعنى الجيِّدِ ، بل هو عندى هِجاءٌ مُصرَّحٌ ، لأنَّه إذا استنزل الشرف فقد صار غير شريفٍ[٦] ، لأنَّك إذا ذممت رجلا شريف الآباء ، كان أبلغ ما تذمُّهُ بِهِ أن تقولَ : قد حُطَّ شَرَفُهُ ، وَوُضِعَ من قَدْرِهِ وشَرَفِهِ ، وقد بَيَّنْتُ هذا فى أغاليطه مشروحًا مُستَقْصىً .

---

(١) ديوانه ٣ : ٣١١ وشرح التبريزى : ٤ : ٩١ ، وفيه « يرثى بنى حُمَيد بن قحطبة » ، وهو حُمَيد ابن قحطبة بن شبيب الطائى ، من قواد الدولة العباسية الشجعان ، « الطبرى حوادث ١٤٣ - ١٦٠ - النجوم الزاهرة ٢ : ١ - ٣٥ » .

(٢) شرح التبريزى : « من أنسها جمع » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٥ والتبريزى ٢ : ٣٣٨ .

(٤) فى س : « أكلأ » « وهى له » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .

(٥) ديوانه والتبريزى : « أعصى لامتناع » ، وفيها « بسوق الذم » ، وفى س : « جودين » تحريف والتصحيح من النظام ٢ : ١٤١ « رواية الصولى » ، وديوانه مخطوط « فاتح استانبول رقم ٣٧٧٢ » لوحة ١١٢ ، وانظر التعليق الذى سيأتى بعد قليل .

(٦) فى س : « غير شرف » والتصحيح من ١ : ٢٤٠ فعبارات التعليق واحدة .

وقوله :

وما فى الأرض أنْصحُ لِلْمَعَالى إذا دُوجينَ من جُودٍ مُطَاعِ[(١)]

فياوَيْحَهُ ، بلَغَ بهِ عِشْقُ الاستعارةِ إلى نُصْحِ المَعالى ومُداجَاتِها ، سوْأَةً لَهُ[(٢)] .

وقد غَضِبَ ديكُ الجِنّ على الدَّهرِ ، وذَكر أنَّه لا يَنْصَحُهُ ، ولست أدرى أيُّهُمَا تَبعَ صاحِبَه فى هذا الجُنونِ المَحْضِ فقَالَ[(٣)] :

لا جرَّدَ الدَّهْرُ لِى كفًّا تُعاقِدُنِي عقداً من النُصْحِ إلا وَهْوَ مَنْقُوضُ
ولا بَسَطْتُ يدًا للدَّهْرِ أنْصَحُهُ ما عِشْتُ إلاّ بِنُصحٍ فيهِ تَمْرِيضُ
قد سَوَّدَ الدَّهْرُ ما كانت تُبَيِّضُهُ من الأَيادِى لَدَىَّ السُّودُ والبِيضُ

وقال أبو تَمّامٍ – ويُكْتَبُ فى أوَّلِ البَابِ[(٤)] –:

لآلِ وهْبٍ أكُفٌّ كُلَّما اجْتُدِيَتْ فَعَلْنَ فى المَحْلِ مالا تَفعَلُ الدِّيَمُ[(٥)]
قومٌ تَراهُمْ غَيارىٰ دُونَ مَجْدِهِمُ حتى كأنَّ المَعالى عندهُمْ حُرَمُ[(٦)]

وهذا من مُخْتارِ مَعانيهِ .

---

(١) فى س : « جُودِنَ » ، وهذه رواية أخرى ، والشرح على ما أثبتُّ .

(٢) هذا يدل على أن رواية الموازنة « دوجين » ، والمداجاة : المحاملة ، يقال : داجيت فلانا إذا ماسحته على ما فى قلبه وحاملته .

(٣) ديك الجن هو : أبو محمد عبد السلام بن رغبان ، ولد بحمص سنة ١٧١ ، وهو من شعراء الدولة العباسية ، ومن معاصرى أبى تمام ، توفى سنة ٢٣٦ ، « وفيات الأعيان ٣ : ١٨٤ والأغانى ١٢ : ١٣٦ » .

أما الأبيات فلم أجدها فى ديوانه كما لم أقف عليها فيما بين يدى من مراجع .

(٤) ديوانه ٣ : ٥٤٠ وشرح التبريزى ٤ : ٤٩٠ .

(٥) فى ديوانه وشرح التبريزى : « لآل سهل » وفيهما « وقال يعاتب محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل » ، وفى س : « فعلن فى الحمد » تصحيف .

(٦) فى الأصل : « حَرَم » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى . وفى ديوانه فقط : « غيارى عند مجدهم » .

وقال :[1]

يكادُ نَداهُ يتركُـهُ عَديماً إذا هَطَلتْ يدَاهُ على عَديمِ
تَراهُ يَذبُّ عن حَرَمِ المَعالى فتَحْسَبُهُ يُدافِعُ عنَ حَريمِ

وهذا أيضًا مثلُ الأوّلِ فى الجَودةِ[2] أو قَريبٌ مِنْهُ .

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٣٩٢ وشرح التبريزى ٣ : ١٦١
(٢) فى س : « الجود » .

بابٌ فى الحَسَدِ [1]

قالَ أبو تمّام [2] :

مُخَامِرى حَسَدٍ مَاضَرَّ غَيرَهُمُ كأنَّما هُوَ فى أبْدَانِهِمْ مَرَضُ

وقال [3] :

هُمُ حَسَدوهُ – لَامَلُومِينَ – مَجْدَهُ وما حَاسدٌ فى المَكْرُماتِ بِحَاسِدِ

/ وقال [4] : ٤٥ س

وآعذُرْ حَسودَكَ فيما قَدْ خُصِصْتَ بِهِ إنَّ العُلىٰ حَسَنٌ فى مِثْلِها الحَسَدُ

وقال [5] :

مُمْتَلِيءُ الصَّدْرِ والجَوانِحِ من رَحْمَةِ مَمْلُوئِهِنَّ من حَسَدِه

وقال [6] :

وإذا سَرَحْتَ الطَّرفَ حَولَ قِبابِهِ لم تَلْقَ إلَّا نِعْمَـــةً وحَسُودَا

---

(١) لم يذكر الآمدى هذا الباب مع أبواب المديح التى وردت فى الجزء الثانى ص ٣٣١ .

(٢) ديوانه ١ : ٥٩٣ وشرح التبريزى ٢ : ٢٨٤ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٦١ وشرح التبريزى ٢ : ٧٣ ، وفى ديوانه : « بالمكرمات » .

(٤) ديوانه ١ : ٤٢٩ وشرح التبريزى ٢ : ٢١ .

(٥) ديوانه ١ : ٤١٦ وشرح التبريزى ١ : ٤٣٧ يقول : هو ممتلئ الصدر والحشا من رحمة مملوئهنّ من حسده « النظام حـ ١ لوحة ٣١٢ » .

(٦) ديوانه ١ : ٤٠٨ وشرح التبريزى ١ : ٤١٩ .

وقال :[١]

وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ   طُوِيَتْ أتاحَ لها لِسانَ حَسُودِ
لولا اشتِعالُ النَّارِ فيما جاوَرَتْ   ما كانَ يُعرفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ
لولا التَّخوُّفُ للعَواقِبِ لَمْ تَزَلْ   للحاسِدِ النُّعمَى علىَ المَحْسودِ

وهذا غايةٌ فى حُسْنِه وحلاوتِهِ وصِحَّةِ تَمْثِيلِهِ ، وهو إحسانُهُ المشهورُ .

وقال :[٢]

مُشمِّرٌ ما يكِلُّ فى طَلَبِ الْـ   ـعلياءِ والحَاسِدُونَ فى طَلَبِهْ
أعلاهُـمُ دُونَـه وأسبَقُهُـــمْ   إلىٰ العُلَىٰ واطِىءٌ على عَقِبهْ

وقال :[٣]

أحَبُّ مُدانِيهِ إلَيْهِ مُكَاشِحٌ   يُنَـافِسُهُ فى سُؤْدَدٍ ويُماجِــدُه[٤]
مَحَا حِقْدَهُ عندَ التَّيقُّنِ أنَّـهُ   علَى المَجْدِ يوماً لا عَلَى المالِ حَاسِدُهْ[٥]

وقالَ البحتريُّ :[٦]

نِعَمُ اللهِ عِنْدَهُ ، وعلَيْهِ   عِلَلٌ مايُبِلُّ مِنهـا حَسُودُهْ

---

(١) ديوانه ١ : ٣٩٥ ، وشرح التبريزى ١ : ٣٩٧ .

(٢) ديوانه ١ : ٣٢٢ وشرح التبريزى ١ : ٢٧٢ .

(٣) ديوانه بشرح الصولى ١ : ٥٠٨ ووجدتهما ضمن قصيدة فى القسم المحول الملحق بشرح التبريزى ، وبيّن محققه أن هذه القصيدة أثبتها ابن المستوفى فى كتابه « النظام » ، ونقل شرح الصولى والآمدى والخارزنجى عليها ولم يجدها فى النسخ الأخرى التى بين يديه ، ثم قال : « ولانجد مايمنع من صحة نسبتها إليه » « التبريزى ٤ : ٦٢٥ » . وقلت : وجدت هذه القصيدة فى نسخة لديوان أبى تمام « مخطوطة » وبرواية الصولى وبخط محمد بن مظفر بن أبى نصر بن سرح الوزيرى وكتبت سنة ٥٨٠ هـ فى مكتبة أيا صوفيا برقم ٣٨٧٣ لوحة ٦٧ .

(٤) شرح التبريزى والنسخة المخطوطة من ديوانه « أدانيه » .

(٥) شرح التبريزى والمخطوطة : « مما حقده عنه » .

(٦) ديوانه ٢ : ٧٥٣ ، وفيه « علل . مايُبلُّ » والعلل : الشرب الثانى ، ورواية الموازنة أجود ، وبَلَّ من مرضه أى شُفِى .

وقال :[1]

مَكارِمُ هُنَّ الغيظُ باتَ غَليلُهُ يُضَرِّمُ فى صَدْرِ الحَسُودِ المُكَايِد[2]
ولنْ تَستَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ[3] إذا أنْتَ لم تُدْلِلْ عَلَيهْا بِحَاسِدِ

وهذا من قول أبى تمّام .[4]

[وقال] :[5]

حادَ عن مجدِكَ المُسامِى وأمْعَنْـ ـتَ عُلُوًّا ، فصَدَّ عنْك الحَسودُ

وقال :[6]

يَئِسَ الحاسدونَ مِنكَ ، وما مَجْـ ـدُكَ مِمَّا يرجُوهُ ظَنُّ الحَسُودِ

وقال :[7]

ويَرُدُّ غَرْبَ مُساجِلِيكَ إذَا غَلَوْا سَعْىٌ أطَلْتَ بِهِ عَنَاءَ الحَاسِدِ
جَهِدُوا على أنْ يَلْحَقُوكَ وأفْحَشُ الـ ـحِرْمانِ يُقْدَرُ للحَرِيصِ الجَاهِدِ

وهذا حَسنٌ جِدّاً

وقال :[8]

/ نِعَمٌ إذا ابْتَلَّ الحسودُ بِسَيْبِهَا أحْيَتْهُ بالإفْضالِ وهىَ حُتُوفُهُ ٤٦ س

---

(١) ديوانه ١ : ٦٢٥ .
(٢) ديوانه : « المكايد » بالمثناة التحتية .
(٣) سبق هذا البيت فى ١ : ٣٢٥ ، وفى س : « يستبين الدهرُ » .
(٤) يشير هنا إلى ما ذكره فى الجزء الأول من أن البحترى أخذ معنى بيته السابق من قول أبى تمام :
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
(٥) ديوان البحترى ٢ : ٧٢٢ .
(٦) ديوانه ١ : ٦٣٨ .
(٧) ديوانه ١ : ٥٥٢ .
(٨) ديوانه ٣ : ١٤٢١ وفى الأصل : « بعيبها » تحريف .

وقال[١] :

ومَلأْتَ أحشاءَ الحَسُودِ بَلابِلاً   فارْتَدَّ يَحْسُدُ فيكَ من لَمْ يَحْسُد

وقال فى البَيْعَةِ التى أَخذها المُتَوكلُ لِوُلاةِ عُهُودِهِ[٢] :

فَبَيَتْ أحاديثُ النُّفوسِ بِذِكْرِهَا   وأفاقَ كلُّ مُنافِسٍ وحَسُودِ

واليأْسُ إحدى الرَّاحَتَيْنِ ولن تَرَى   تَعباً كَظَنِّ الخَائِبِ المَكْدُودِ

وقال فى مدح ابن طَاهر[٣] :

ومَرْضَىْ من الحُسَّادِ قد كَانَ شَفَّهُمْ   تَوقُّعُ هَذَا الأمْرِ قَبلَ وقُوعِهِ

وما عُذْرُهُمْ فى أَنْ تَغِلَّ صُدورُهُمْ   على نَاشِرِ الإِحْسانِ فِيهِمْ مُشيعِهِ ؟

لئن شَهَر السُّلطانُ أَمضَىْ سُيوفِهِ   ورَشَّح عُودُ المُلْكِ أَزْكَىْ فُروعِهِ

فلا عَجَبٌ أن يَطْلُبَ السَّيْلُ نَهْجَهُ   وأنْ يَستَقِيمَ المُشْتَرِى من رُجُوعِهِ

وهذا لَاشَىءَ أحسنُ مِنْهُ .

وقال[٤] :

وكَم لَكَ فى النَّاسِ من حَاسِدٍ   وفى الحَسدِ النَّزْرِ حَظُّ الحَسُودِ

وقال[٥] :

وكم أنافَتْ من الأبْناءِ مَأْثُرةٌ   مَشهورةٌ تَدعُ الآباءَ حُسَّادَا

وقال[٦] :

---

(١) ديوانه ١ : ٥٤٩ . وفيه : « أحشاء العدو » .
(٢) ديوانه ٢ : ٧٠١ ، وقد عقد المتوكل لأبنائه الثلاثة سنة ٢٣٥ بولاية العهد وهم : محمد المنتصر ، والمعتز بن قبيحة ، وإبراهيم المؤيد « الطبرى أحداث سنة ٢٣٥ » .
(٣) ديوانه ٢ : ١٢٧٨ .
(٤) ديوانه ٢ : ٧٦٦ .
(٥) ديوانه ١ : ٦١١ ، وفيه « مكرمة مشهودة » .
(٦) ديوانه ٣ : ١٨٤٠ .

شَغَل الحَاسدينَ أنْ لَمْ يَبيتُوا ... قَطُّ من هَمِّهِ ولا أشْغالِهْ
فاضِحاً سَعْيَهُمْ إذا مَا تَعاطَوْا ... سَعْيَهُ فُحْشُ نَقْصِهِم عن كَمَالِهْ

وقال :[1]

صَغُرَتْ مقاديرُ الرِّجالِ ، وقارَبُوا ... فى السَّعْى حَتَى ما تَرَى لَكَ حَاسِدَا[2]
لو نافَسُوكَ لخَالَسُوكَ من النَّدىٰ ... ما يُصْلِحُونَ به الزَّمانَ الفَاسِدَا

وقال :[3]

« أبَنِى حُمَيْدٍ » طَالَ مَجْدُ « مُحمَّدٍ » ... لمَّا تَطاوَلْتُم لِبُعْدِ مَنَالِـــهِ
ولَكُمْ ، وإنْ لا تَلحَقُونَ بِشأْوِهِ ... شَرَفٌ تَظَلُّ الشَّمْسُ تَحْتَ ظِلَالِهِ[4]
لا تَحْسُدُوه فَضْلَ رُتْبَتِهِ الّتى ... أعْيَتْ عليكُمْ ، وافْعَلُوا كَفَعَالِهِ

وقال :[5]

لاَ يقْتُلِ الحُسَّادُ أنْفسَهُمْ فَقَدْ ... هَتَكَ الصَّباحُ دُجَى الهَزِيعِ المُظْلِمِ
وكَبَا عَدوُّكَ حينَ رامَ بكَ الّتى ... تُخْشَىٰ فَقُلْنَا : لِلْيَدَيْن ولِلفَمِ

وقال :[6]

مُحَسَّدٌ بخِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٍ ... ولَيْسَ تَفْتَرِقُ النَّعْماءُ والحَسَدُ

/ وقال :[7] ٤٧ س

مُحَسَّدٌ ، وكأنَّ المَكرُماتِ أبَتْ ... أنْ تُوجَدَ الدَّهْرَ إلا عِنْدَ مَحْسُودِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٢٤ ، وقد سبقا ص ١٠٦ .
(٢) س : « الحاسدا » تصحيف ، انظر ما سبق ص ١٠٦ .
(٣) ديوانه ٣ : ١٧٨٥ .
(٤) ديوانه « ولستم لاحقين بشأوه » .
(٥) ديوانه ٤ : ٢٠٨٥ .
(٦) ديوانه ١ : ٤٩٦ .
(٧) ديوانه ١ : ٥٥٦ .

وقال :(١)

خلائِقُ ما تَنْفَكُّ تُوقِفُ حَاسِداً　　لَهُ نَفَسٌ فى إثْرِها مُتَراجِعُ
ولن يَنْقلَ الحُسَّادُ مَجْدكَ بَعْدَما　　تَمكَّن رَضْوىٰ واطمأنَّ مُتالِعُ(٢)

وقال :(٣)

بِفَضيلةٍ فى النَّفسِ تُوجَدُ عِندَه　　بفضَائِـــلِ الآبَاءِ والأُجْدَادِ(٤)
ومَحلَّةٍ تَعْلُو فَتَسْقُطُ دُونَها　　هِمَمُ العِدىٰ ونَفاسَةُ الحُسَّادِ

وقال :(٥)

هُبِلَ الحَسودُ لَقَدْ تَكلَّفَ خُطَّةً　　تُبْدِى الخِزَايَةَ فى وُجُوهِ الحُسَّدِ
لَؤُمَتْ خَلائِقُهمْ فكَذَّبَ سَعْيُهُمْ　　عن سَعْيِ فَرْدٍ فى المَكارِمِ أوْحَدِ

وقال :(٦)

يَئِسَ الحاسِدونَ مِنكَ ، وكانُوا　　أسَفاً يَنظُرونَ نَحْوكَ حُولَا
ورأوْا أنَّهُـمْ إذا وَصَلُـوا تلِـْ　　ـكَ المَساعِى بالفِكْرِ ذَابُوا نُحولَا
فَثنَوْا عَنْكَ أعْيُنـاً وقُلوبـاً　　لم يَرُدُّوا إلاَّ حَسيراً كَليلا
وكَفَانى على الذى يُوجَدُ الفَضْـ　　ـلُ لَديهِ بالحَاسِدينَ دَليلا

---

(١) ديوانه ٢ : ١٣٠٥ .
(٢) سبق ق ١ : ٣٥٣ ، ورضوى ومتالع : جبلان « معجم ما استعجم ص ٦٥٥ ، ١١٨١ » .
(٣) ديوانه ٢ : ٧٣٣ .
(٤) ديوانه « توصل عنده » .
(٥) ديوانه ٢ : ٦٩٠ .
(٦) ديوانه ٣ : ١٧٦٦ .

قد تَصرَّفا فى هذا الباب تَصرُّفاً حسنا ، غير أنى أفضل أبا تمّام لقوله :

« وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ »

لأنَّهُ مَعنىً مُتناهٍ فى حُسْنِه وحَلاوةِ لَفْظِهِ.(١)

* * *

(١) هنا ينتهى باب المديح الذى بدأ فى الجزء الثانى ووقف فيه عند وصف البهاء والهيبة والجلال والجمال

الجُودِ والكَرَمِ

هذا بابٌ يُعوَّلُ عليهِ الشعراءُ فى المديح ، لأنَّ الجودَ قد يكونُ فى المَلِكِ والسُّوقَةِ ، والشريفِ والدُّونِ .

وأنا الآن أُمَيِّزُ فى هذا الكتابِ أنواعَ الجودِ والكرمِ ، وأنتزِعُ من القصائِدِ الأبياتَ المتجانسةَ ، وأُبَوِّبُها أبواباً ، وأُوازِنُ بَينَها ، لِيَصِحَّ القولُ ، ويلوحَ التَّفْضِيلُ ، فأبْتَدِئُ بما قالاه :

- فى الرَّجاء والتَّأميل ،
- وفى الوعد وإنجازه ،
- وفى الابتداء بالعطاء ،
- وفى البشر عند السُّؤال ،
- وفى الإكثار من العطاء ،
- والقصد والإسراف ،
- وتعجيل العطاء ،
- ومتابعة العطاء ،
- وتشبيه جود الجواد بالسَّحاب والغيث والأنواء ،
- وبالبحر ،

– وفى خبط الجواد بنائله من غير تمييز ،
– وفى عذل الجواد على الجود ،
– وفى تعجرف الجواد على ماله حتى يتلفه ،
– ودفع جود الجواد وعطاياه لنوائب الدّهر ،
– وإعطاء الجواد حتّى لا يجد من يعطيه ،
– وفى التذاذ الجواد بالجود ،
– وإغناء الجواد للسائلين حتّى يكونوا مسئولين ،
٤٨ س – / واكتساب الشرف(١) بعطاء الجواد ،
– وفى اعتذار الجواد بعد العطاء والاعتذار له ،
– وفى إخفاء الجواد لنائله ،
– وفى شفاعة الجواد إلى غيره مع ما يجود به ،
– وفى ما استنّه الكريم للنّاس(٢) من الكرم حتى اقتدوا به ،
– وفى نوادر من باب الجود ،
– وفى الاعتداد بنعم الممدوحين ،
– وفى الشكر والثناء .

* * *

(١) فى س : « بالعطاء بعطاء الجواد » .
(٢) فى س : « المجد » .

الرجاء والتأميل [1]

قال أبو تمّام [2] :

رَجاؤُكَ للباغِى الغِنَى عاجِلُ الغِنَى ... وأوَّلُ يومٍ من لِقائِكَ آجِلُهْ

هذا بيت فى غاية الحُسْن والحلاوةِ ، يقول :

عاجِلُ الغنى لمن يبتغيه عندك هو رَجاؤُهُ إيّاكَ ، وآجِلُ الغنى هو أن يلقَاكَ ، أى ليس يتأخرُ الغِنى عنه بعد لِقائِكَ .

ونحو صَدرِ هذا البيت قولُ البحترىّ [3] :

ما فقَدنا الإعدامَ حتَّى مَددْنَا ... أملاً نحو سَيْبِكَ المَوجُودِ

صدر [بيت] أبى تمّامٍ أجودُ وأبلَغُ وأجمعُ من بيتِ البحترِىّ بأسْرِه .

وقال أبو تَمّام [4] :

رأيتُ رَجائِى فِيكَ وحدك هِمَّةً ... ولكنَّه فى سَائِرِ النَّاس مَطْمَعُ

---

(١) فى س : « التأمّل » .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٠٥ وشرح التبريزى ٣ : ٣٠ .

(٣) ديوانه ١ : ٦٣٦ وفيه : سببا نحو سيبك الممدود .

(٤) ديوانه ٢ : ١٩ وشرح التبريزى ٢ : ٣٣٣ وقد سبق فى ١ : ٣٢٥ .

أخَذهُ البحتريُّ فقال :[١]

ثَنى أمَلى فاخْتارَهُ عن مَعاشِرٍ   يَبِيتُونَ والآمالُ فِيهِمْ مَطامِعُ

وقال أبو تمّامٍ :[٢]

مَلِكٌ إذا خاضَ المسامِعَ ذِكْرُهُ   خَفَّ الرَّجاءُ إليه وهو رَكِينُ

وقال :[٣]

أمَلٌ من الآمالِ أُحْكِمَ فَتْلُهُ   فكأنَّهُ مَرَسٌ من الأمْراسِ

وقال أبو تَمّامٍ أيْضاً :[٤]

ترِدُ الظُّنونُ بهِ على تَصدِيقها   ويُحكِّمُ الآمالَ فى الأمْوالِ

وقال البحتريّ :[٥]

غَمْرُ النوَّالِ إذا الآمالُ أكذَبَها   مِثالُ نَيْلٍ من الأقْوامِ ضَحْضَاح

بيتُ أبى تمّامٍ ألْطَفُ مَعنى فى[٦] تحكيمه الآمالَ فى الأموالِ ، وبيت البحتريِّ أكثرُ ماءً ورَوْنقاً .

وقال أبو تمّام :[٧]

إذا أخَذتْهُ هِزَّةُ المَجْدِ غَيَّرتْ[٨]   عطاياهُ أسماءَ الأمانِى الكواذِبِ

---

(١) ديوانه ٢ : ١٣٠٣ ، وفيه « فاحتازه » .
(٢) ديوانه ٣ : ٤٠ وشرح التبريزى ٣ : ٢٢٦ .
(٣) ديوانه ١ : ٥٧٣ ولم أجده فى شرح التبريزى ، بينما أورده ابن المستوفى فى النظام : جـ ٢ لوحة ١٠٦ ، ووجدته فى نسخة من ديوانه المخطوط فى دار الكتب ، ترتيب على بن حمزة الأصفهانى رقم ١٠٦ أدب لوحة ١٠٣ ، وفى نسخة أخرى فى مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٣٧٧٢ لوحة ٩٥ .
(٤) ديوانه ٢ : ٣٠٥ وشرح التبريزى ٣ : ٧٧ .
(٥) ديوانه ١ : ٤٤٤ وفيه : « ثماد » ، وفى س : « بمثال » .
(٦) فى س : « من » وصححتها من مقتضى السياق .
(٧) ديوانه ١ : ٢٨١ وشرح التبريزى ١ : ٢٠٤ .
(٨) ديوانه شرح التبريزى « حرّكته هزّة » .

يرى أقبح الأشياءِ أوبةَ آمِلٍ كَسَتْهُ يدُ المأمولِ حُلَّةَ خائِبِ[1]
وأحسنُ من نَوْرٍ يُفَتِّحُه النَّدىٰ بَياضُ العَطايَا فى سَوادِ المَطالِبِ[2]

« بيَاضُ العطَايا فى سَوادِ المَطالِب » ، إنما نَقلَهُ من قولِ الأُخطَلِ :

رأين بياضًا فى سوادٍ كأنَّهُ بَياضُ العطايَا فى سَوادِ المَطالِبِ[3]

٤٩ س / ذَكَرَهُ ابنُ أبى طَاهرٍ فى سَرقاتِه ، إلَّا أنَّ قولَ أبى تمّامٍ :

« .... من نَوْرٍ يُفَتِّحُهُ النَّدىٰ » فى غايةِ الحَلاوةِ .

وقولُه :

...... غيـــــــــــرَّتْ عطَايَاهُ أسماءَ الأمانى الكواذِبِ

فالأمانيُّ هى الأكاذيبُ ، أى أعطَى أصحابَ الأمانى ما يتَمَنَّوْنَهُ من الأبَاطِيل فصارتْ حقائِق وزالَ عَنْها اسمُ الأمَانى.[4]

وقال البحتريُّ[5] :

جَلا أَوْجُهَ الآمالِ حتَّى أضاءَها هِلَالٌ عليهِ بَهْجَةٌ وقَبُول

وهذا فى غايةِ الحُسْنِ .

وقال البحتريُّ أيضاً فى صحّة الأملِ[6] :

حيث لا تُتْلىٰ المعاذيرُ، ولا يطأُ اليأسُ على عَقْبِ الأمَلْ

---

(١) شرح التبريزى : « أوبة آيب » .
(٢) ديوانه وشرح التبريزى : « يفتّحه الصّبا » ، وقد سبق البيت فى ١ : ١١٨ .
(٣) سبق فى ١ : ١١٨ ولم أجده فى ديوان الأخطل ولم أقف عليه فيما بين يدىّ من مراجع « وانظر الهامش التالى » .
(٤) نقل ابن المستوفى تعليق الآمدى السابق فى « النظام » ثم قال : ولم أجد ما نسبوه إلى الأخطل فى ديوانه . ولا يشبه نمطه لرقته . ولعلّه موضوع ليدفع أبو تمّام عن محاسنه « النظام جـ ١ لوحة ١٠١ » .
(٥) ديوانه ٣ : ١٨٢٣ .
(٦) ديوانه ٣ : ١٧١٥ . وفيه « لاتُبْلىٰ » .

وهذا « نمط »[1] من مشهور إحسانه .

وقال[2] :

مُوسِرٌ من خلائقٍ تَتَراءى   من ضروبِ الرَّبيعِ أو أشكالِهْ
يتصرَّعْنَ للرجاءِ دنُوَّ الـ   ـغيمِ والوَدْقُ خارِجٌ من خلالِهْ[3]

« يتصرَّعْنَ للرَّجاءِ » أى : ينحططن إليه ، ويدنون منه ، وهذا تمثيلٌ حسن جدًّا ، ومعنى غريبٌ لطيف .

وقال أبو تمّام[4] :

رَدَدْتَ المُنى خُضْراً تَثَنَّى غُصونُها   علينا وأطْلَقْتَ الرَّجاءَ المُكبَّلا

وهذا البيتُ فى غَايةِ الجَوْدَةِ لَفظاً ومعنىً ، وإطْلاقُهُ للرَّجاءِ المُكَبَّلِ فى غَاية الحُسْنِ .

وقال أبو تمّام[5] :

أَهْبَبْتَ لِى رِيحَ الرَّجاءِ فأَقْدَمَتْ   هِمَمِى بِهَا حتَّى استَبَحْنَ هُمُومِى

فقوله : « أَقْدَمَتْ هِمَمى » من الإقْدام بها ، أى : بِريحِ الرَّجَاءِ ، أى : تجاسرتْ هِمَمى بها ، فأَقْدَمَتْ حتى استباحت همومى ، وهذا بيتٌ ليس بِجَيِّدِ السَّبْكِ .

(١) هذه الكلمة عسيرة القراءة ، وأثبتُّ ما أحسبه أقرب إلى الرسم فى المخطوطة .

(٢) ديوانه ٣ : ١٨٣٨

(٣) روى فى الموازنة ١ : ٤٠٦ « دنو المزن » وسبق فى ١ : ٤٠٦ ، وانظر تعليق الآمدى على لفظة : « اصطراع ، ويتصرعن ، يتصرع » . ورد محقق ديوان البحترى عليه ، الذى يرى أن معنى الكلمات الثلاث : يتوضع ، وأن الشاعر لم يوقع لفظة « يتصرع » موقع الذم فى قوله :

من يتصرع فى إثر مكرمة   فدأبه فى اتباعها دأبهُ

وأقول : إن قول البحترى :

أمّا أن تصرّع عن سماح   وللآمال فى يدك اصطراع

ردىء التجنيس فيه واضح ، كما أن المعنى الذى شرح به الآمدى البيت أقرب إلى الصحة ، ولو جعلنا كلمة « تصرّع » بمعنى تتواضع ، لما استطاعت أن تنهض بالمعنى المقصود « وانظر كذلك مقدمة الطبعة الثانية من ديوان البحترى » ، كما أن لفظة « يتصرع » جاءت فعلا فى موضع الذم ، « راجع المعنى فى ١ : ٤٠٦ الموازنة » .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٠٧ والتبريزى ٣ : ٩٩ وفيه « رجعت » .

(٥) ديوانه ٢ : ٤٤٦ والتبريزى ٣ : ٢٦٧ ، وفى س « أهملت » .

وقال أبو تمّامٍ فى ابنِ أبى دُؤاد[1] :

أَنْتَ جُبْتَ الظَّلَامَ عن سُبُلِ الآ　　مَالِ إذ ضَلَّ كُلُّ هَادٍ وحَادِ
فكانَّ المُغِذَّ فِيهَا مُقِيمٌ　　وكأنَّ السَّارِى عَلَيْهِنَّ غَادِ[2]
وضِياءُ الآمالِ أَفْسَحُ فى الطَّرْ　　فِ وفى القَلْبِ من ضِياءِ البلادِ

وهذا جَيِّدٌ بَالِغٌ .

وقال البحترىُّ[3] :

وإنى لَأَرْجُو ، والرَّجاءُ وَسِيلَةٌ　　عَلِىَّ بنَ يَحْيَى لِلَّتِى هِىَ أعْظَمُ

فأحسَنَ فى قولِهِ : « والرَّجاءُ وسَيلَةٌ » والَّطَف ، وأَظُنُّهُ سَمِعَ قَوْلَ أبِى الشِّيصِ[4] :

بِحَسْبِ الذَى يَرْجُو نَداكَ ذَرِيعَةٌ　　إذَا لَمْ يَكُنْ إلَّا الرَّجاء لَهُ سَبَبْ

وقال أبو نُواسٍ فى مثلِهِ[5] :

رَجَوْكَ فى قَصْدِهِمُ وأَمَّلوُا　　ولِلرَّجاءِ حُرْمَةٌ لا تُجْهَلُ

وبيت البحترىّ أُجْوَدُ من هذين البَيْتَينِ ، وهذا بابٌ الفضلُ فيه لأبى تمّامٍ على البحترىِ ، لأنَّه تصرَّفَ فى معانى الرَّجاءِ[6] أكْثر من تَصرُّفِ البحترىّ / وفى كُلِّ ذاك ٥٠ س
أحسَنَ وأجَادَ .

* * *

---

(١) ديوانه ١ : ٣٧٥ وشرح التبريزى ١ : ٣٦٠ ، وديوانه فقط : « حاد وهاد » .

(٢) جاء فى النظام : « وقال الآمدى : أى : أوضحت سبل الآمال بجودك وكرمك حتى أضاءت طرقها إليك ، وسلكها مؤملوك ، واثقين بك ، قد زالت ظلمتها : أى شكوكها ، « فكأن المغذ فيها مقيم » أى : فكأن الحثيث السير فى سبل هذه الآمال مقيم ، أى : كأنه قد بلغ واطمأن ووصل إلى ما أراد ، « وكأن السارى عليها غاد » . أى : وكأن الذى يسرى ليلا قد قطع الليل بالسرى وصار غاديا ، أى واصلا إلى البغية » جـ ١ لوحة ٢٨٣ ، وفى ديوانه : « ... السارى عليها كغاد » .

(٣) ديوانه ٣ : ١٩٧٤ ، والمخاطب هو : على بن يحيى المنجم .

(٤) لم أجد البيت فيما بين يدّى من مراجع .

(٥) ديوان أبى نواس ٤٣٣ ، وفيه « رجوك فى تطفيلهم » .

(٦) فى س : « والرجاء » .

ما قالاه في الوعد وإنجازه

وقال :[1]

قَوْمٌ إذا وَعَدُوا أوْ أوْعَدُوا غَمَرُوا صِدْقًا ذَوائِبَ ما قَالُوا بِمَا فَعَلُوا[2]

قولُه : « ذَوائِبَ مَا قالُوا » ، فذوائبُ كلِّ شيءٍ أعلاهُ ، يُرِيدُ أنَّ أفْعَالَهم زَادَتْ على وَعْدِهم وَوَعِيدِهِم حتَّى غَمَرتْهَا .

وقال :[3]

فلوَيْتَ بالمْوعُودِ أعناقَ الورى وَحَطمْتَ بالإنْجازَ ظَهْرَ المَوْعِدِ

حَطْمُ ظَهْرِ المَوْعِدِ اسْتِعَارَةٌ قبيحةٌ جداً ، والمعنى أيضا ردىءٌ ، لأنَّ إنجاز الوعدِ هو تصحيحُه وتحقيقُهُ ، وبذلك جَرت العادةُ ، أن يُقالَ : قد صحَّ وعدُ فُلانٍ ، وتَحقَّقَ ما قالَ ، فجعَل أبو تمَّامٍ في موضع صِحَّةِ الوَعدِ حَطْمَ ظَهْرِهِ ، وهذا إنما يكونُ إذا أُخلِفَ الوعدُ وكُذِب ، ألا ترى أنهم يقولونَ : قد مَرَّضَ فلانٌ وَعدَهُ وعَلَّلَهُ ووعد وعْداً مريضًا ، فإذا أخْلَف وعَدَه فقد أماته ، فالإخلافُ هو الذى يَحْطِمُ

---

(١) كذا في س ، وقد يكون : « قال أبو تمّام » كما هي بداية كلّ باب ، ويجوز أن يكون هنا خرم .

(٢) في س : « قوم إذا وعدوا وعدو » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى ، والبيت في ديوانه ٢ : ١٨٧ . والتبريزى ٣ : ١٧ ، ونقل ابن المستوفى تعليقاً للآمدى يختلف نصه عن ماورد هنا فقال « قال الآمدى : ذؤابة كل شيء أعلاهُ ، أى عمروا قولهم حتى استغرقوه بأفعالهم ، كأنه يريد أنّ فعلهم يَفْضُلُ عن قولهم ويزيد عليه » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٥٣ والتبريزى ٢ : ٥٣ وقد سبق في ١ : ٢٣٠ ، وفي س : « فلويت بالموعد » .

ظَهْرَ الوَعْد لا الإنجازُ ، فلا خفاءَ بفسادِ ما ذهبَ إليه ، وكان ينبغى أن يقولَ : وحَطَمْت بالإنجازِ ظهرَ المَالِ ، لأنَّ الوعْد كان يَصِحُّ ويَسْلَمُ حينئذٍ ، والمالُ يَتْلَفُ .

وقال :(١)

إذا وَعَد انهلَّتْ يَداهُ فأهْدَتَا ... لَكَ النُّجْحَ مَحْمُولًا على كَاهِلِ الوَعْدِ

وكاهلُ الوَعْدِ إذا حَمَلَ النُّجحَ فمِنْ سَبيلهِ أن يكونَ صحيحاً مُسلَّمًا ، لا أن يكون مَحْطومًا كما قالَ فى البيت الأوّلِ ، وهذه استعارةٌ فى البيت صحيحةٌ ، وإن كان كاهلُ الوعدِ قبيحًا .

ومِثْلُ ذلك فى الفسادِ قولُهُ(٢) :

إذا ما رَحًى دارتْ أدَرْتَ سَمَاحَةً ... رَحىٰ كُلِّ إنْجازٍ على كُلِّ مَوْعِدِ

وهذا إتْلافُ الوعدِ وإبطالُهُ(٣) ، وإنما ذَهَب إلى أنَّ الإنجازَ إذا وقعَ بطَلَ الوعدُ ، وليسَ الأمرُ كذلك ، لأنَّ الوعدَ ليس بضدٍّ للإنْجازِ ، فإذا وقَع بطَل الوَعْدُ ، وليسَ هذا بضِدِّ(٤) ذَاكَ ، بلِ الوَعْدُ الصَّادِقُ طَرَفٌ للإنْجازِ ، وسَبَبٌ من أسْبابِهِ ، فإذا وَقَعَ الإنْجازُ فهو تَمامُ الوَعْد ، وتصَحيحٌ لَه ، وتحقيقٌ وتصديقٌ ، فهو بهذا غالِطٌ ، والمعنى الصَّحيح قولُهُ(٥) :

أبَلُّهمُ رِيقًا وكَفًّا لِسَائِلٍ ... وأنْضَرُهُمْ وَعْدًا إذا صَوَّحَ الوَعْدُ

---

(١) ديوانه ١ : ٤٨٦ وشرح التبريزى ٢ : ١١٣ ، وقد سبق فى ١ : ٢٢٩ ، وفى س : « على كل موعد » .

(٢) ديوانه ١ : ٤٣٤ وشرح التبريزى ٢ : ٣١ ، وقد سبق ١ : ٢٣٠ .

(٣) فى ١ : ٢٢٩ « لأنه جعله مطحوناً بالرّحى » والتعليق هنا هو بنصّه فى الجزء الأول .

(٤) فى س : « بطل » . تحريف .

(٥) ديوانه ١ : ٤٧٤ وشرح التبريزى ٢ : ٩١ وقد سبق فى ١ : ٢٣٢ ، وفى س : « ربعا » ، والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى .

فتصويحُ الوعدِ هو أن يُخْلِفَهُ الواعِدُ ، فيَبْطُلَ ، ولا يَصِحَّ ، و « صَوَّحَ النَّبتُ » إذا جَفَّ .

ومِثْلُهُ فى الصِّحَّةِ قَوْلُهُ:(١)

تَزْكُو مَواعِدُهُ إذا وَعْدُ امْرِئٍ ... أُنْسَاكَ أحلامَ الكَرَىٰ الأَضْغَاثَا

فهذا هو الصَّحِيحُ ، أن يكونَ الوعْدُ يَزْكُو ، لا أَنْ يَبْطُلَ ويذهَبَ ، ولله درُّ إبراهيمَ بنِ هَرْمَةَ ، إذْ يقولُ(٢) :

٥١ س أ / (٣) يَسْبِقُ بالفِعْلِ ظَنَّ سَائِلِهِ ... وَيَقْتُلُ الرَّيْثَ عِندَهُ العَجَلُ

فهذِه الاستعارةُ الصَّحيحةُ ، أن يقتُلَ العجَلُ الإبطاءَ ، لا أن يَقْتُلَ الإنجازُ الوعدَ ، فأمَّا قولُهُ(٤) :

نَؤُمُّ أبا الحسينِ وكان قِدْماً ... فتًى أعمارُ مَوْعِدِه قِصَارُ

وقولُ البحتريِّ(٥) :

وجَعَلْتَ فِعْلَكَ تِلْوَ قَوْلِكَ قاصِرًا ... عُمرَ العَدُوِّ بهِ وعُمْرَ المَوْعِدِ

فإنَّ عُمْرَ المَوعِدِ مَدَّةُ وَقْتِهِ ، فإذا أُنْجِزَ صارَ مالًا ، فنفَاذُ وَقْتِهِ لَيْسَ بِمُبْطِلٍ لَهُ ، بل ذلك نَقْلُهُ من حالٍ إلى حالٍ أُخْرى .

---

(١) ديوانه ١ : ٣٥٣ وفيه : « الورى الأضغاثا » ، وشرح التبريزى ١ : ٣٢٠ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٢ .

(٢) ديوان إبراهيم بن هرمة ص ١٧٢ ، وفيه « يسبق بالفضل » « يقتل الريث عرفه العجل » وقد سبق فى ١ : ٢٣٢ .

(٣) يبدو أن هناك نسختان لهذا الجزء من الموازنة بخط كاتب واحد ، فقد تكررت الورقة (٥٣) وبمقارنة الورقتين تبيّن أنهما ورقتان من نسختين مختلفتين من الكتاب ، فعلى الرغم من أن خطَّهما يدلّ على أن كاتبهما واحد إلا أنه بداية ونهاية كل منهما تختلف عن الأخرى ، وقد أثبت الورقة المتفقة والمتسقة مع باقى الأوراق ، ويلاحظ من الترقيم سقوط رقمى (٥٢ أ ، ٥٣ ب) وهى الورقة الزائدة .

(٤) ديوانه ١ : ٥١٣ ، وشرح التبريزى ٢ : ١٥٦ ، وسبق فى ١ : ٢٣٣ .

(٥) ديوانه ١ : ٥٤٩ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٢ ، ٢٤٤ .

ألا ترىٰ إلى البحتريّ كيف كَشفَ عن المَعنى ، وجاءَك بالأمر من فصّه(١) فقال(٢):

يوليك صدر اليومِ قَاصيةَ الغِنىٰ بمواهِبٍ قد كُنَّ أمسِ مَواعِدَا

فَبُطْلانُ المَوْعِدِ هو بُطلانٌ للشيءِ الذى المَوعِدُ واقعٌ عليهِ .

ثمَّ أَتْبَعَ هذا البيتَ بأن قالَ(٣):

سَوْمُ السحائِبِ ما بَدأْنَ بوارِقًا فى عارِضٍ إلا انْثَنَيْنَ رَواعِدَا

فالعارِضُ : السّحابُ ، وجعلَ البوارِقَ مثالاً للمواعيدِ وجعلَ الرَّواعِدَ ، التى
٥٢ س/ب هى البوارِقُ على الحقيقة وحالُهما واحدةٌ ، مثالاً للغَيْثِ ، الذى هو العَطايَا / فالرواعِدُ لَيْستِ بِمُبْطِلَةٍ للبوارِقِ ، بل هىَ هِىَ ، لأنَّ تلك نُورٌ يُحْدِثُهُ ازدحامُ السّحابِ واصْطِكَاكُهُ ، والرّعدُ صوتُ ذلِكَ الازدحامِ ، فالبرقُ يُرىٰ أوّلاً ، والرَّعْدُ يُسْمَعُ آخِراً ، وذلكَ لِأنَّ العينَ أَسْبَقُ إلى الإبْصارِ من الأُذُنِ إلى الاسْتِماعِ ، لأنَّ العَيْنَ ترى الشَّىءَ فى مَوقِعهِ ، والأُذُنَ لا تَسْمَعُ الصّوتَ إلا إذا وصَلَ إليها .

وقال البحتريُّ(٤):

والوَعْدُ كالوَرَقِ النَّضيرِ تأوَّدَتْ فيهِ الغصونُ ونُجْحُهُ أن يُثْمِرَا

فشبَّهها بالمَواعِدِ التى تَحولُ مَواهِبَ ، وهذا أحسنُ ما يكونُ من التَّمثيلِ وأصحُّهُ ، وأقامَ الرَّواعِدَ مقامَ المواهِبِ ، لأنَّهُ قد يكونُ بَرْقٌ لا مطَر فيهِ ، ولا يكادُ يكونُ رَعْدٌ إلا ومَعَه الغَيْثُ ، ثمّ إنّ التَّشْبيهَ إنّما صَحَّ بأنْ كانَ الرَّعْدُ بَعْدَ البَرْقِ .

---

(١) فصّ الأمر : أصله وحقيقته .
(٢) ديوانه ٢ : ٨٢٣ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٣ .
(٣) ديوانه ٢ : ٨٢٣ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٣ .
(٤) ديوانه ٢ : ٩٧٧ وفيه « ونجحها » ، وقد سبق البيت برواية أخرى ١ : ٣٣٨ .

وما أحسنَ ما قالَ خَلَفُ بنُ خَليفَةَ الأقطعُ[(١)]:

مَوَاعِيدُهم فِعْلٌ إذا ما تَكَلَّمُوا   بِتلْكَ التى إن سُمِّيَتْ وَجَبَ الفِعْلُ

يعنى قَولَهم « نَعَم » ، فجعلَ الوَعْدَ هو الفِعْلَ نَفْسَهُ لِصِحَّتِهِ وصِدْقِهِ ، وقد مَثَّلَ البحتريُّ المواعيدَ أيْضاً ، وكيف تَحولُ عطاءً تمثيلاً آخَرَ حسَنًا ، فقالَ[(٢)]:

وشَكَرْتُ مِنْكَ مواهِبًا مَشكُورَةً[(٣)]   لو سِرْنَ فى فلَكٍ لَكُنَّ نُجُومَا
ومواعِدًا لو كُنَّ شيئًا ظاهِرًا   تُفْضى إلَيهِ العَينُ كانَ غُيومَا[(٤)]

/ لأنَّ الغيمَ يصيرُ مطَراً ، كما أنَّ الوعدَ يصيرُ عطَاءً ، فأبو تمّامٍ فيما ذهَبَ إليهِ غَالِطٌ ، لأنَّه وضَعَ الاستعارةَ فى غَيرِ مَوْضِعِها . ٥٣ س

وقالَ[(٥)]:

لو كانَ فى عاجِلٍ من آجِلٍ بَدَلٌ   لكَان فى وَعْدِهِ من رِفْدِهِ بَدَلُ
له رِياضُ ندًى لم يُكْدِ زَهْرَتَها   خُلْفٌ ولم تَتَبَخْتَرْ بَيْنَها العِلَلُ

وهذا غَلَطٌ أيضا ؛ لأنَّ العاجِلَ أبداً أفضلُ من الآجِلِ ، فكيفَ لا يكونُ بدلًا مِنْهُ ، وقد قيلَ – وجرى مثلا[(٦)] –:

« والنفسُ مولعةٌ بِحُبِّ العاجِلِ »

---

(١) سمّى الأقطع ، لأنه كان أقطعَ اليدِ وله أصابع من جلود ، وكان شاعرا ظريفًا مطبوعا ومن معاصرى جرير والفرزدق « الشعر والشعراء ص ٤٧٤ ، ٧١٤ ، والبيان والتبين ١ : ٥٠ » والبيت من قصيدة له فى حماسة أبى تمّام للمرزوقى ص ١٧٧٤ ، وقد سبق فى ١ : ٢٣٤ .
(٢) ديوانه ٣ : ١٩٦٤ ، وقد سبقا فى ١ : ٢٣٤ .
(٣) ديوانه « مشهورة » .
(٤) ديوانه « كنّ » .
(٥) ديوانه ٢ : ١٧٧ وشرح التبريزى ٣ : ١٠ ، والبيت الأول سبق فى ١ : ١٩٣ .
(٦) سبق هذا الشطر فى ١ : ١٩٣ ، « انظر الهامش » وهو لجرير .

وكان يَنْبغى أن يقولَ :

« لو كانَ فى عاجِلِ قَولٍ بَدلٌ من آجلِ فِعْلِ »

وإلى هذا ذَهَبَ ، غيرَ أنَّ الصّواب لا يُقْبَلُ إذا كانَ مَطْوِيًّا فى القَلْبِ ، ومَخْبُوءًا تحت الإِضْمار ، حتى يَخْرُجَ إلى الوجودِ .

ألا ترَى إلى البحتريّ لمّا جاءَ بهذا المعنى كيف أوردَهُ على غايةِ الصّحّةِ والسّلامةِ فقال :[1]

لو قَلِيلٌ كفى امرأً من كثيرٍ لاكْتَفَيْنَا بِقَوْلِهِ من فَعَالِهْ

وحَسبُكَ بِقَولِهِ :

« لم تَتَبَخْتَرْ بينْهَا العِلَلُ »

قبحا .[2]

وقال أبو تمّام :[3]

تَحِنُّ عِدَاتُهُ إِثْرَ التّقاضى وتُنْتِجُ مِثْلمَا نُتِجَ العِشَارُ

وهذا بيتٌ رَدِيءُ المعنَى ، لأنّه جَعل الممدوحَ ممّن يُقْتَضَى ، وأنّ عِدَاتَهُ تَحِنُّ ، والحنينُ لا يكونُ إلاّ بعدَ حَبْسٍ ومَنْعٍ ، وقالَ :

« وتُنْتِجُ مِثْلمَا نُتِجَ العِشَارُ »

والعِشَارُ من الإبِلِ : الحَوامِلُ ، التى قد أتى لحملها عَشرةُ أشْهُر ، والواحِدَةُ عُشَراءُ ، فلا يزالُ ذلك اسْمَها إلى أن تَضَعَ ، وبعد ما تضَعُ ، فأرادَ أنّ عِداتَهُ تُنْتِجُ لا مَحالَة ، كما أنّ العِشَار تُنْتِجُ لا مَحالةَ .

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٤١ ، وقد سبق فى ١ : ١٩٦ .

(٢) هذا التعليق بنصّه نقله ابن المستوفى فى النظام جـ ٢ لوحة ٢٤٢ .

(٣) ديوانه ١ : ٥١٤ والتبريزى ٢ : ١٥٨ .

وإنما خصَّ العِشَارَ دونَ غَيْرِها من الحَوامِلِ لِعِظَمِ قَدْرِ الإِبِلِ عَندَهم ، وأنَّها مُعَوَّلُهُم فى الخِصْبِ والجَدْبِ ، وعلى كلِّ حالٍ فقَوْلُهُ :

« وتُنْتِجُ مِثْلمَا نُتِجَ العِشَارُ »

ليس بِجَيِّدٍ ، ولا حسَنٍ ، لأنَّه لم يُدَلِّلْ بهِ على سُرعةٍ ، بل هُو إلى الدلالةِ على إبطائِهِ أقْرَبُ .

والجيِّدُ لَهُ فى هذا البابِ قولُه فى أبى دلف (١) :

يقولُ قَولَ الذى ليسَ الوفاءُ لَهُ عَزْماً ويُنْجِزُ إنْجازَ الذى حَلَفا

وهذا فى غايةِ الحُسْنِ .

وقال البحترىّ (٢) :

يَحِنُّ إلى المعروفِ حتَّى يُنِيلَه كما حَنَّ إلْفٌ مُسْتَهامٌ إلى إلْفِ
ويَقْلَقُ حتَّى يُنْجِزَ الوعْدَ مِثْلَ ما يُجافِي الذى يَمْشى عَلى رَمَضِ الرَّضْفِ

وهذا جيّدٌ حسَنٌ لطيفٌ .

[وقال] (٣) :

مَواهِبُ أعدادُ الأمَانِى وخَلْفَها عِداتٌ يَكادُ العُودُ مِنْهنَّ يُورِقُ

فذكَر أنَّه إذا أعطَى وَعدَ ، والوَعْدُ بعدَ العَطيَّةِ أحسنُ من الوَعدِ قَبْلَ العطيَّةِ ، لأنَّ تِلْكَ عطيَّةٌ واحِدةٌ وهذه عَطِيتانِ ، وفَرْحَتَانِ ، وذلِكَ / دليلٌ على جُودِ الجَوادِ ورَبِّهِ (٤) لِعطَاياه ، ومُتَابَعتِهِ إيَّاهَا . ٥٤ ص

---

(١) ديوانه ٢ : ٥٤ والتبريزى ٢ : ٣٦٦ .
(٢) ديوانه ٣ : ١٣٦٦ .
(٣) ديوانه ٣ : ١٥٣١ .
(٤) رَبَّه ، يَرُبُّه : أى أصلحه ونمّاه .

ومثلُ هذا قولُ أبي النَّضْرِ[١] جَهْمِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ في الفَضْلِ بنِ يَحْيَى[٢] :

يَفْعَلُ النَّاسُ إذا ما وعَدُوا ... وإذا مَا فَعَلَ الفَضْلُ وعَدْ[٣]

- وقال البحتريّ[٤] :

يُمْضِي المنايَا دِرَاكًا ثُمَّ يُتْبِعُها ... بيضَ العطَايا ، ولم يُوعِدْ ولم يَعِدِ

وقد مدَح البحتريُّ الوَعْدَ ، وفضَّل العطاءَ بعدَه على ما يأتى من غير وَعْدٍ ، وشبَّهَهُ تشبيهاً يفوقُ كلَّ حُسْنٍ وصِحَّةٍ ، فقالَ[٥] :

أُحِبُّ انْتظاراتِ المواعِيدِ والتّى ... تجيءِ اخْتِلاسًا لا يدومُ سرورُها

وإنّ جِمامَ الماءِ يَزدادُ نَفْعُها ... إذا صَكَّ أسماعَ العطَاشِ خَريرُها

فسقط[٦] الآن الشكُّ فى أنَّ البحتريَّ – فى هذا الباب – أشعرُ من أبى تمّامٍ .

* * *

---

(١) كذا فى س ، وورد فى ص ٢٢٤ باسم « أبو البصير » ، والظاهر أن تصحيفا وقع فى اسمه ، فقد ترجم صاحب الأغانى لأبى النضير عمر بن عبد الملك وقال : « أنه مولى لبنى جمح ، شاعر من شعراء البصريين من أصحاب أبان اللاحقى ، مشهور بالظرف ، وكان يغنى بالبصرة على جوار له مولدات ، ويظهر المجون والخلاعة ثم انقطع إلى البرامكة ، فأغنوه إلى أن مات » « الأغانى الدار ١١ : ٨٥ ، وانظر : أخبار الشعراء المحدثين للصولى ص ٨ ، والوافى بالوفيات للصفدى ٢٢ : ٥٢٨ » .

(٢) الفضل بن يحيى البرمكى كان من أكثر البرامكة كرما وجودا ، تولى الوزارة قبل أخيه جعفر فى عهد الرشيد ، كما وَلّاه الشرق كله من شروان حتى آخر بلاد الترك ، ولما قتل الرشيد جعفرا فى نكبة البرامكة ، أُودِعَ الفضل وأبوه السجن ، وتوفى فيه سنة ١٩٣ « ابن خلكان ٤ : ٢٧ » .

(٣) البيت من جملة أبيات نسبت إلى أبى على البصير وأولها :

وُصِفَ الصدُّ لِمَنْ أهوىٰ فَصدْ ... وبدَا يَمْزَحُ بالهَجْرِ فَجَدْ

« زهر الآداب ص ٣٧٤ » ، وإدراكُ أبى علي الفضلَ بعيدٌ ، فقد دخل أبو علي سامرَّاءَ أوّلَ خِلافةِ المعتصم وتوفى سنة ٢٥١ ، والفضل – كما قدمت – كان فى زمن الرشيد . « انظر معجم الشعراء ١٨٥ ، ونكت الهميان ٢٢٥ » .

(٤) ديوانه ١ : ٥٧٤ .

(٥) ديوانه ٢ : ١٠٠٢ .

(٦) فى س : « فتسقط » وقد صوبته كما يقتضيه السياق .

وفى الابتداء بالعطاء من غير سؤال

قال أبو تمّام[1] :

يأخُذُ الزَّائرينَ قَسْرًا ولو كَفَّ (م) دَعاهُمْ إليْهِ وادٍ خَصيبُ[2]

وهذا معنًى جيِّدٌ بالِغٌ .

وقال[3] :

فأضْحَتْ عطاياهُ نوازِعَ شُرَّدًا   تُسائِلُ فى الآفَاقِ عن كُلِّ سَائِلِ

وهذا تَضعيفٌ[4] للمعنى شَديدٌ ، وكيف تَكونُ عطَاياهُ نوازِعَ شُرَّدًا خاليةً من مُعطًى ، وهل هذا شَىءٌ يُعْقَلُ ، وتقومُ فى النَّفسِ صحَّتُهُ ؟

فإن قيلَ : هذه استعارةٌ ومبالغةٌ ، قيل : الاستعارةُ التى فيها بعض الغلوّ لا تُنكَرُ ، ولكن لِكُلِّ جنسٍ من المعانى سبيلٌ فى الاستعارةِ ، وقد عُهِدَتْ وجرى بها

---

(١) ديوانه ١ : ٣٣٩ ، وفيه « يأخذ المعتفين » ، وشرح التبريزى ١ : ٢٩٤ .

(٢) فى س : أثبتت الياء فى « وادى » ووضع تحت الدال كسرتان ، وفعل هذا فى بعض المواضع ، وكذلك فى مخطوطة كمبردج ، وكأنهم يشيرون إلى جواز إجراء المنقوص مجرى الممنوع من الصرف وهو رأى يونس « انظر الكتاب ٣ : ٣٠٨ » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٢٠ ، وفيه « شُزَّباً » وشرح التبريزى ٣ : ٧٩ .

(٤) س : « تصنيف » تحريف وتصحيف

الاستعمالُ ، ولم تجر عادةُ الاستعارةِ فى مالِ الجوادِ أن يقولَ المالُ : هل من طالبٍ ؟ هل من سائلٍ ، ثمّ أن يُشَرَّدَ فى الآفاقِ يَلتمسُ من يَأْخُذُهُ ، وإنما العَادَةُ فيهِ أن يكونَ كارِهاً لأن يُبْذَلَ ، خائِفاً أن يُمْحَقَ ، لأنَّه يُقالُ : فلانٌ قد أتلَف مالَه ، وقد مَحَقَهُ ، فالإستعارةُ فيه أن يُجْعَلَ المالُ شاكياً من التَّمحيقِ ، وضاجًّا من كثرَةِ البَذْلِ ، كما قالَ هو فى بابٍ من بَعْدُ:[1]

قاسِي الضَّميرِ على التِّلادِ كأنَّما   يَغْلُو على تَفْرِيقِ مَالٍ مُذْنِبِ

وكما قالَ:[2]

يَلْقَى بها حُرُّ التِّلادِ وعَبْدُهُ   عِندَ السُّؤالِ مصَارِعاً وحُتوفَا

وكما قال:[3]

غادَرْتَ فيها ما ملكْتَ قَتيلا

وكما قال أبو نواس:[4]

بُحَّ صوتُ المالِ مِمَّا   منكَ يشكُو ويَصيحُ

٥٥ س فعيبَ بقولِهِ : « بُحَّ » لأنَّه إفراطٌ فى الاستعارة وغُلوٌّ ، وكذلك جَرتِ العادةُ / فى غيرِ المَالِ أن يُقال للرَّجُلِ الكثير الاستعمالِ للماء : قد ضجَّت منك دجلةُ ، والبحرُ على وَجَلٍ ، ونحوُ هذا ممّا هو على أفواهِ النّاسِ ، وذلك لأنَّ كُلمَّا وقعَ الثَّلْمُ والمَحْقُ لا تكونُ الاستعارة لَهُ إلاّ الخوفُ من ذَلِكَ ، والكرهُ لَهُ ، كما أنَّه لو كان سبباً يعقِلُ لما اختارَ أن يَتْلِفَ ويُستَهلَكَ .

---

(١) هذا وهم من الآمدى ، فالبيت للبحترى وهو فى ديوانه ١ : ٢٨٤ .

(٢) أى أبو تمّام ، والبيت فى ديوانه ٢ : ٧٨ والتبريزى ٢ : ٣٨٤ ، وفيه : « تكفى بها نهل البلاء وعَلَّهُ » ، وقال : والرواية الصحيحة « وذكر رواية الموازنة » .

(٣) ديوانه : ٢ : ٢٩٦ وشرح التبريزى ٣ : ٧١ وصدره :
« كم وقعة لك فى المكارم فخمة » وفى التبريزى : « فتيلا » بالفاء الموحّدة .

(٤) ديوانه : ص ٤٣٤ .

والاستعارة الصّحيحةُ فى هذا قوله[1]:

تكَادُ مغانيـهِ تَهِشُّ عِرَاصُهـا   فتركبُ من شَوْقٍ إلى كُلِّ رَاكِبِ

لأنّ مغانيه لو كانَتْ تعقِلُ لهشَّتْ لِسُؤَّالِهِ ، وعُفَاتِه ، كاهْتِشَاشِهِ هُوَ إذْ[2] فى احْتِشادِهم فِيها جمالٌ له ولهَا معَهُ .

وأصلحَ معنى هذا البيتِ أيضًا وجوّده قولُه : « تكادُ » ، فإنّما تُمَثَّلُ الجَماداتُ أبداً بما يَعْقِلُ ، فتُحْمَلُ الاستعارةُ على ما يَجوزُ فيهِ ، ويليقُ بِهِ ، ألا ترى إلى قولِهِ فى وَصْفِ سَحَابَةٍ[3]:

لو سعت بقعةٌ لإعظامِ نُعْمى   لَسَعى نحْوَهَا المَكانُ الجَدِيبُ

وذلك لِما لَهُ فيها من المصلحةِ ، وكذلك قولُ البحتريِّ[4]:

ولَوَ آنَّ مشتاقاً تكلّفَ فوقَ ما   فى وُسْعِهِ لمَشَى إليك المِنْبَرُ

وذلك لِما لَه فى أنْ يَرْقَاهُ من الجَمالِ .

فالمالُ ماوَجْهُ شَهوتِهِ لأنْ يُمْحَقَ ويُتْلَفَ حتى يَجعَلهُ شَارِداً فى البِلاد يلتمِسُ من يأخُذُهُ ؟ فإنْ قِيلَ :

---

(١) ديوانه ١ : ٢٨١ وشرح التبريزى ١ : ٢٠٤ وقد سبق ف ١ : ٣٢٩ ، وقد وجدت ابن المستوفى قد نقل تعليق الآمدى الذى سيأتى على هذا البيت ، وهو استطراد للتعليق على بيت أبى تمام السابق : فأضحت عطاياه نوازع شردا .. » ص ١٣٧ » ، غير أن الناسخ مخطوطة النظام أسقط اسم الآمدى سهوا ، فتداخلَ تعليقه مع تعليق الصولى ، وقد سقطت بعض عبارات هذا التعليق من نسخة الموازنة ، واعتمدتُ على مانقله ابن المستوفى لإكمال ما نقص ، والحمد لله على كل حال « النظام لوحة ١٠٠ جـ ١ » .

(٢) فى الأصل : « هوانّ » .

(٣) ديوانه ١ : ٣٣٧ والتبريزى ١ : ٢٩١ .

(٤) ديوانه ٢ : ١٠٧٣ ، وفيه « تكلف غير ما » ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٩ و ٢ : ٣٦٤ .

فما الذى يُنكَرُ من الشّاعِرِ أن يُغْرِبَ ويُبْدِعَ ، ويأتىَ بما لَم يُسبَقْ إليه ؟ ، قيل : ليس بِمُنْكَرٍ أن يفعلَ ذلك إذا سلَكَ الطُّرَقَ المعهودةَ فى ذلَك المعنىٰ ، وأن يتفرَّعَ فِيها ، ولا يَخرُجَ عنها ، ويأتِىَ فيها بِكلِّ ما يَسْنَحُ له من المبالَغةِ والإغْرابِ ، كما قال أبو نواس :

بُحَّ صوتُ المَالِ مِمَّا منكَ يَشْكُو ويَصيحُ

فلم يَقْتَصِرْ(١) على المعهودِ فى هذَا ، بأن يقولَ : قد شكَا المالُ ، وكَمْ يشكوكَ المالُ ، حتّى يجعلَ له صوتًا قد بُحَّ من كَثرةِ ما يصيحُ [فعلى هذا(٢) الوجهِ يكون الإغرابُ والإبداعُ ، ولو قَال أبو نُواس : قد بُحَّ صَوتُ المال مِمَّا يصيحُ] ، ويلتمسُ من يأخُذُه ، لقلنا له : قد هَجَوتَ ممدوحَكَ — أصلحكَ اللهُ — أقبحَ هِجاءٍ .

والسّليمُ الصَّحيحُ قولُ البحترىِّ(٣) :

أعطيتَ سائِلَك المُحسَّدَ سُؤْلَهُ وطَلَبْتَ بالمَعْروفِ غيرَ الطَّالِبِ

وأظنُّ أبا تمّام سَمِعَ قول أبى العَتاهِيةِ(٤) :

وإنّا إذا ما تركَنا النّوالَ فلم نَبْغِهِ فَبِهِ يَبْتَدينا
وإن نَحْنُ لم نَبْغِ مَعروفَه فمَعروفُهُ أبـدًا يَبْتَغينَا

وإنّما أرادَ أبو العَتاهِيَةَ : أنّه يَبْتَغينا لمَعْرُوفِهِ ، لا أنَّ المعروفَ يَنْفَصِلُ عَنْهُ ، ويَشْرُدُ فى طَلَبِنا والْتِماسِنا ، وقد أحْسَنَ أبو العتاهية .

---

(١) فى س : « ولم » والتصحيح من النظام .
(٢) الزيادة من النظام .
(٣) ديوانه ١ : ١٦٢ .
(٤) البيتان فى ديوانه ص ٤٥٢ ، فى مدح المهدى ، وفيه « فلم نبغ نائله يبتدينا » ، وفى س : « فيه » ، وقد سبقا فى ١ : ٩٥ ، ويجب تصحيح تشطير البيت هناك ، حيث ألحقت لام « النوال » بالشطر الثانى ، والواجب أن تبقى فى عَروض الشطر الأول لتصبح « فعول » .

وقالَ ابنُ أُذَينةَ[1] :

أَسْعَى لَهُ فَيُعَنِّينِي تَطَلُّبُه ... ولو قَعَدْتُ أتَانِى لم يُعَنِّينِى

/ وإنَّما أرادَ يَأتِينِى اللهُ بهِ ، وعلى هذا الوجه قال دِعْبِلٌ[2] : ٥٦ س

والرِّزْقُ أكثَرُ لِى مِنِّى لَهُ طَلَبَا

أى أنَّ اللهَ – جلّ وعزّ – يأتينى بهِ ، فكأنَّهُ يَطْلُبُنِى .

وقد حَذا هوَ[3] حَذْوَ قولِ ابن أُذَيْنَةَ ، فقالَ[4] :

الرِّزْقُ لا تَكْمَدْ عليه فإنَّهُ ... يأْتِى ولمْ تَبْعَثْ إلَيْه رَسُولا

فهذِه طَرِيقَةُ الاستعارةِ فى هذا المَعنَى .

وقال أبو تمّام أيضًا فى الابتداءِ بالعَطاءِ[5] :

ورأيتَنى فسألْتَ نفسكَ سَيْبَها ... لِى ثُمَّ جُدْتَ وما انتظرْتَ سُؤالِى

كالغَيْثِ ليسَ لهُ ، أُرِيدَ غَمامُهُ ... أو لَمْ يُرِدْ بُدٌّ من التَّهْطَالِ

---

(١) هو عروة بن أذينة بن الحارث بن مالك الكنانى ، وأذينة هو يحيى بن مالك ، ويكنى عروة أبا عامر ، وكان ناسكا شاعرا حاذقا غزلًا مُقدَّما من شعراء أهل المدينة وكان شريفا ثَبْتًا ، يُحْمَلُ عنه الحديث ، وهو معدود فى الفقهاء والمُحَدِّثين ، وفد على هشام بن عبد المَلِك فقالَ لَهُ : أنت القائلُ :

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلُقِى ... أنَّ الذى هو رزْقِى سوفَ يأتِينِى

أسعَى له فيُعَنِّينِى تَطَلُّبُه ... ولو قَعَدتُ أتانِى لمْ يُعَنِّينِى

قال : نعم ، قال له : فما أقدمك علينا ؟ قال : سأنظر فى أمرى ، وخرج من فوره ، وانصرف ، فأُخْبِر بذلك هشام ، فأتْبَعَهُ جائزَتَهُ « وفِيَات الأعيانِ ٢ : ٣٩٥ والأغانى ٢١ : ١٠٥ ، ابن خلكان ٢ : ٣٩٥ والشعر والشعراء ص ٥٧٩ و المؤتلف ص ٦٩ » والبيتان فى ديوانه : ٣٨٥ وروى فى كل المراجع « لايعنينى » .

(٢) ديوانه : ص ٥٧ وصدره :

أسعى لأطلبه والرزق يطلبنى

(٣) يعنى أبا تمّام .

(٤) ديوان أبى تمّام : ٢ : ٢٩١ وشرح التبريزى ٣ : ٦٨ .

(٥) ديوانه ٢ : ٣٠٥ والتبريزى ٣ : ٧٨ والبيت الأول سبق فى ١ : ٩٦ .

وهذا معنىً فى غاية الجودة ، إلا أنّه كان ينبغى أن يجعلَ الغيثَ فى موضِع الغمامِ ، والغَمامَ فى موضع الغيثِ ، لأنَّ الذى يُرادُ ليس هو الغَمامُ ، وإنَّما هو الغيثُ ، ولو قالَ :

كالغيمِ لَيْسَ له أُرِدْنَا غَيْثَه   أم لَمْ نُرِدْ بُدٌّ من التَّهطَالِ

أو « كالمُزْنِ » – فإنّها لَفظَةٌ أحسنُ من الغَيْمِ – كانَ عندى أصحَّ وأجودَ .

وقولُه :

ثُمَّ جدتَ وما انْتظَرتَ سُؤالِى

معنىً قد ابْتذَلَتْهُ الشُّعراءُ ، وتقَدَّمتْ فيهِ ، ألَا ترىَ إلى قولِ أبى العَتاهِيةِ :

فلم نَبْغِهِ فَبهِ يَبْتَدينَا

وقال مُسْلمُ بنُ الوليدِ :(١)

أخٌ لىَ يُعْطِينى إذا ما سَألْتُهُ   ولَو لَمْ أُعَرِّضْ بالسُّؤالِ ابْتدانِيَا

وأجودُ من كلِّ جيِّدٍ فى هذا قَوْلُ سَلْمٍ الخَاسِرِ :(٢)

أعْطاكَ قبلَ سُؤالِـهِ   فكَفاك مَكْروهَ السُّؤالِ

وقال أبو تمّامٍ أيضا :(٣)

أسائِلَ نَصْرٍ لاتَسلْهُ فإنَّهُ   أحنُّ إلى الإرفاد منك إلى الرِّفْدِ

وهذا جيِّدٌ بَالِغٌ ، وهو قريبٌ من قولِ مَروانَ بنِ أبى حَفْصةَ :(٤)

لَمُعْنٌ بما يُعْطِى أسرُّ مِنَ الذى   بما نَالَ من مَعْروفِهِ يتَموَّلُ

---

(١) البيت فى ملحق ديوانه ص ٣٤٦ .

(٢) البيت فى معجم الأدباء ١١ : ٢٤٠ من قصيدة يمدح فيها يحيى بن خالد بن برمك ، وقد سبق فى ١ : ٩٦ ونسب فى محاضرات الأدباء إلى مسلم ٢ : ٥٣٩ ، وورد فى لباب الآداب ص ٣٠٨ دون نسبة .

(٣) ديوانه ١ : ٤٥٧ والتبريزى ٢ : ٦٦ .

(٤) لم أجده فى شعره المجموع .

وبيتُ أبى تمّامٍ أجودُ ، وأجودُ مِنْهما قولُ البُحترىّ[١] :

يَحِنُّ إلى الإرْفادِ حتّى يُنِيلَهُ   كمَا حَنَّ إلْفٌ مُسْتَهامٌ إلى إلْفِ

وإنّما أخذهُ[٢] من قولِ أبى تَمّامٍ[٣] :

مازالَ بالمَعْروفِ وهو مُتَيَّمُ

وقال البحترىُّ على الوجهِ الأوّلِ المُبْتَذَلِ[٤] :

جادَ حتَّى أفنىٰ السُّؤالَ ، فلمَّا   بادَ مِنَّا السُّؤالُ جادَ ابْتِداءَ

ونحوُه قولُه[٥] :

حَليفُ ندًى إن سِيلَ فَاضَتْ جِمَامُهُ   وذُو كَرَمٍ إنْ لم يُسَلْ يَتَبَرَّعُ

/ وقالَ[٦] : ٥٧ س

رَطبُ الغَمامِ إذا ما استُمْطِرَتْ يَدُهُ   جاءَتْ مِواهِبُهُ قَبلَ المَواعِيدِ

وقالَ[٧] :

وَثِقْتُ بنُعماهُ ولمْ تَجْتَمِعْ بِهَا   يَدِى ، ورأيتُ النُّجْحَ قبلَ سُؤالِهِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٣٦٦ ، وفيه « يحن إلى المعروف » .
(٢) فى س : « أخذ » .
(٣) صدره :

قد تُيِّمتْ مِنهُ القَوافِى بامْرِئ

ديوانه ٢ : ٣٨٣ وشرح التبريزى ٣ : ٢١٤ .
(٤) ديوانه ١ : ١٥ .
(٥) ديوانه ٢ : ١٢٣٩ ، وفيه « فاضت حياضه » و « إلا يُسَلْ » ، و الجِمامُ : جَمعُ الجَمّ من الماء ، أى مُعْظمُهُ ، وجمعُ الجَمّة وهى البئرُ الكثيرة الماء أو مُجتمَعُ مائِها .
(٦) ديوانه ١ : ٥٥٧ .
(٧) ديوانه ٣ : ١٦٢١ .

وقوله : « لَمْ تَجْتَمِعْ بها يَدِى » أىْ : لَمْ أضمّ عليها يَدِى بعد ، ثمّ مَثَّله (١) أحسنَ تمثيلٍ فقال :

وتَعلمُ أنَّ السّيفَ يَكْفيكَ حَدُّه ... مُكاثرةَ الأقرانِ قبل اسْتِلالِهِ
(٢)

وقال :

كان ابتداؤكَ بالعطاءِ عَطِيَّةً ... أُخرى ، وبَذْلُكَ للجَسيمِ جَسيما
(٣)

وأجودُ من هذا كُلِّه قول مسلم :

أَعْطىٰ فما تَنْفَكُّ تُنْزَعُ هِمَّةٌ ... أملاً إليْه من المَحلِّ الأَبْعَدِ
(٤)
سَبَقَتْ مواهبُهُ مُنَى مُرْتادِها ... واستَحدَثَتْ هِمَمًا لمن لَمْ يَرْتَدِ
(٥)

وقال البحترىّ فى ابن بِسْطامٍ :

(٦)
وبديهةٍ من طَوْلِهِ لم تَرْتَقِبْ ... وافاكَ مُبْتَدِئًا بهَا إنْعامُـــهُ
(٧)
كالسَّيْلِ أصبَحَ فى ذَرَاكَ أتِيُّهُ ... والجوُّ مُصْحٍ ما يُحَسُّ غمَامُهُ

وهذا أيضا تمثيلٌ فى غاية الحُسْنِ والصِّحَّةِ والحَلاوةِ .

(٨)
ومثله قول السِّمْطِ بن مروانَ بن أبى حَفْصة :

لَعمرى لَنِعم الغَيثُ غَيثٌ أصابَنَا ... بِبَغْداد من أَرْضِ الجَزيرة وابِلُهْ
فَكُنَّا كَحىٍّ صَبَّح الغَيثُ أَهْلَهُ ... ولم تَنْتَجِعْ أظْعانُهُ وحمَائِلُهْ

---

(١) المصدر السابق . (٢) ديوانه ٣ : ١٩٦٤ .
(٣) ديوانه ص ٢٣٢ . (٤) ديوانه « عطيته » .
(٥) ديوانه ٣ : ٢٠٣٥ . (٦) فى س : « معتديا » .
(٧) فى ديوانه : « والصبح مصح » . والأتىُّ : السيل الذى يأتى من حيث لا يدرك .
(٨) قالها فى عبد الله بن طاهر وقد بعث إليه – وهو فى بغداد وعبد الله بن طاهر فى الجزيرة – بعشرين ألف درهم وكسوة ، « انظر الورقة لابن الجراح ص ٤٨ » ففيها شعر السمط وشعر بهشل ورواية ثعلب ، فكأن الآمدى قد نقل منه هذه الرواية ، وانظر هوامش تلك الصفحة فى الورقة ، وقد ذكره المرزبانى فى ترجمة « عياش بن حنيفة الخثعمى » ، وروى له بعض الأبيات « معجم الشعراء ص ١٢٩ » ، ولم يرد البيت الثانى فى الورقة ، ووردا فى ديوان المعانى : ١ / ٦٥ .

ذكَرَ ثَعْلَب عن ابنِ سَلّامٍ قَال : قال أبو الغَرّافِ[١] : سَرَقَ هذا المَعْنىٰ من قَولِ نَهْشَلِ بنِ حرِّىّ[٢] ، وقد بعَثَ إليه كَثِيرُ بن الصَّلْتِ الكِنْدىُّ[٣] – وهو قَاضى عُثْمانَ علىٰ المَدينةِ ، ونَهْشَلٌ بالبَصْرةِ – بِكسْوةٍ ومَالٍ ، فقالَ نَهْشَلٌ[٤] :

جَزىٰ اللهُ خيراً – والجزاءُ بِكَفِّهِ – ... بَنى الصَّلْتِ إخوانَ السَّماحةِ والمَجْدِ
أَتَانى وأَهْلِى بالعِراقِ نَداهُـمُ ... كما ارْفَضَّ غَيثٌ من تِهَامَةَ فى نَجْدِ
فمـا يَتَغَيَّـرْ من بِلادٍ وأَهْلِهـا ... فَما غَيَّرَ الإسلامُ مَجْدَكُمُ بَعْدِى

البحترىُّ فى هذا البابِ عندِى أَشعرُ من أبى تمّامٍ لكثرةِ تصرُّفِهِ فيهِ ، ولِمَا تضمَّنَهُ من إساءةِ أبى تمّام .

* * *

(١) هو عَمْرو بن مرثد قال المرزبانى : شاعِرٌ مَعْروف سعدى « معجم الشعراء ص ٣٠ » .

(٢) نَهْشَلُ بنُ حرِّىّ بن ضَمْرَة بن جابر بن قطن بن نهشل الدارمى شاعر شريف مشهور ، وأبوه حرِّىّ شاعر مذكور . وجده ضمرة بن ضمرة شريف فارس شاعر بعيد الذكر كبير الأمر . بَقِىَ نهشل إلى أيام معاوية ، وكان مع على فى حروبه ، وقتل أخوه مالك فى صِفِّين وهو يومئذ رئيس حنظلة فرثاه نهشل بمراث كثيرة « طبقات فحول الشعراء ٥٨٤ ، الاشتقاق ٢٤٤ والأغانى ١٥٣/٨ – ١٣٤/١١ » .

(٣) كثِيرُ بن الصلت بن معدى كرب الكندى : كاتب الرسائل فى ديوان عبد الملك بن مروان . أصله من اليمن ، ومنشؤه فى المدينة ، كان اسمه « قليلا » ، وسماه عمر بن الخطاب « كثيرا » ، ولما ولِىَ عثمان أجلسه للقضاء بين الناس فى المدينة ، ثم ولى كتابة الرسائل لعبد الملك بن مروان ، وكان وجيها فى قومه ، وروى أحاديث عن جمع من كبار الصحابة « رضوان الله عليهم » – ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعة أهل المدينة « الإصابة ت ٧٤٨٤ » .

(٤) الورقة ص ٤٩ وديوان المعانى : ٦٥/١ .

ما وصفا به البشر عند السؤال وحسن اللقاء

قال أبو تمّام[1]:

وَمُرَحِّبٌ بالزائرينَ وبِشْرُهُ ... يغُنيكَ عن أَهْلٍ لَديهِ ومَرْحَبِ

وقالَ[2]:

٥٨ س / إذا قالَ أَهْلاً مَرحبًا نَبعت لَهُم ... مياهُ النَّدىٰ من تَحْتِ أَهْلٍ ومَرْحَبِ

وقالَ[3]:

وجَدْنَاكَ أَنْدىٰ من رِجالٍ أَنامِلاً ... وأحسنَ فى الحَاجَاتِ وَجْهًا وأَجْمَلا

تُضِيءُ إذا اسودَّ الزَّمانُ وبَعضُهُمْ ... يرىَ الموتَ أن يَنْهلَّ أو يَتهلَّلا

أى : يرىٰ انْهِلَال الموتِ أو يَتهلَّلا ، أىْ : انصبابَ الموتِ أو أن يتَهلَّلَ ، يعنى الطلَاقَةَ والبِشْرَ .

---

(١) ديوانه ١ : ٢١٨ وشرح التبريزى ١ : ١٠١ ، وقال ابن المستوفى : « يروى « ومرحَّبٍ » بالجر كأنه عطف على قوله : « بضياء ذاك الكوكب » ، ومرحَّبٌ بالرفع على الاستئناف ، أى وهو مُرَحِّبٌ بالزائرين .

(٢) ديوانه ١ : ٢٤٧ وشرح التبريزى ١ : ١٥٢ ، وفى س : « إذا ما قال » .

(٣) ديوانه ٢ : ٣١٠ والتبريزى ٣ : ١٠٢ .

وقالَ[١] :

وإذا المواهِبُ أظْلَمَتْ أَلْبستَها بِشْراً كبَارِقَةِ الحُسام المِخْذَمِ
أعْطَيْتَ مَالَمْ تُعطِهِ ولَو انْقضى حُسْنُ اللّقاءِ حَرَمْتَ ما لم تَحْرِمِ[٢]

فقولُه : « أعطيتَ ما لم تُعْطِهِ » يعنى : البِشْرَ ، لأنَّه ليس بعطاءٍ على الحقيقةِ ، ولو لَمْ تَفعلْ لحَرَمْتَ ما لم تَحْرِمِ ، أى : لحَرمْتَ مِنْهُ ما لا يسمَّى حِرْماناً على الصِّحَةِ ، أو أن يكونَ أرادَ : ولو انقضى حُسنُ اللّقاءِ كنتَ قد حَرَمْتَ العَطَاءَ الذى لم يُحْرَمْهُ أى : كُنْتَ كأنَّكَ لم تُعْطِهِ لسوءِ لِقَائِكَ .

وما تركَ زهيرٌ فى البِشْرِ إحْساناً لقائلٍ مع قَولِهِ[٣] :

تراهُ إذا ماجئتَه مُتهلِّلاً كأنَّكَ مُعْطيهِ الذى أنتَ سَائِلُهْ

وقد قدحَ فيه مالا يضرُّه ، وهو أنْ قِيلَ : إنّه قد حَطَّ من هِمَّتهِ ، ووضَعَ مِنْهُ إذ[٤] جَعَلَهُ يفرَحُ بعطِيَّةٍ يُعْطَاها[٥] ، وكان يَجبُ أن يَجعَل الدُّنيا تَصْغُرُ عِنْدَهُ أَنْ لَوْ سِيقَتْ إليْهِ .

وما قالَهُ زُهيرٌ غيرُ مَانِعٍ أن يكونَ صَاحِبُه بهذَا الوَصْفِ ، بلَ ما قَالَهُ يُوجِبُ لصاحِبِهِ هذَا الوَصفَ ، أن يكون بِشْرهُ وطَلاقةُ وَجْهِهِ فى إعطاءِ ما يُعْطى ، وأَخْذِ ما يأخُذُ على حالٍ واحِدَةٍ ، وقد أخذه الكُمَيْتُ فقَالَ :

يَلْقى أبانًا على عُسْرٍ ومَيْسَرةٍ[٦] كأنَّ مُسْتَوْهِبِيهِ المالَ هُمْ وَهَبُوا

(١) ديوانه ٢ : ٤٢٩ وشرح التبريزى ٣ : ٢٥٤ .
(٢) ديوانه « حرمت من لم تحرم » .
(٣) ديوانه ص ١١٣ ، وفيه « كأنك تعطيه » .
(٤) فى س : « إذا » .
(٥) انظر ديوان المعانى : ١ : ٢٩ فيه هذا الاعتراض .
(٦) هو أبان بن الوليد البجلى ، ولم أجده فى ديوان الكميت المجموع .

وقد تصرَّفَ البُحترىّ فى وصفِ البِشْرِ تصرُّفاً كثيراً حَسناً ، فقالَ:[1]

أَرْيَحِيٌّ إذا تهَلَّلَ لِلْجُو دِ أضاءَتْ طلاقَةٌ وقَبولُ

وقال:[2]

لو أنَّ كَفَّكَ لَم تَجُدْ لِمُؤَمِّلٍ لكَفاهُ عَاجِلُ وَجْهِكَ المُتَهلِّلِ
وَلَوَ آنَّ مَجْدَكَ لم يَكُنْ مُتقادِماً أغناكَ آخِرُ سُؤْدَدٍ عن أوَّلِ

وقال:[3]

وتَبَسُّماتكَ لِلْعَطاءِ كأنَّها زَهْرُ الرَّبيعِ خِلالَ رَوْضٍ مُعْشِبِ

قولُهُ : « تَبسُّماتُكَ » جَمْعُ التَّبسُّمِ ، هُوَ مَصْدَرٌ ، والمَصادِرُ لا تُجْمَعُ فكما لا يُقالُ : تَعَجَّبْتُ تعجُّباتٍ ، وتَقدَّمْتُ تَقَدُّماتٍ ، فكذلكِ لَا يُقالُ تَبَسُّماتٍ .

وقال:[4]

وأبيَضُ وضَّاحٌ إذا ما تغيمت[5] يداهُ تَجلىٰ وَجْهُهُ فتَقَشَّعا
٥٩ س / تَرَى ولَعَ السُّؤَّالِ يَكْسو جبينَهُ إذا قَطَّبَ المَسئولُ بِشْرًا مُولَّعا

وهذا أحَسنُ من قولِ مُسلم بن الوليد:[6]

لا يَضْحَكُ الدَّهْرَ إلا حِينَ تَسألُهُ ولا يُعبِّسُ إلا حينَ لا يُسَلُ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٤٦ .
(٢) ديوانه ٣ : ١٧٩٧ .
(٣) ديوانه ١ : ٢٨٤ .
(٤) ديوانه ٢ : ١٢٦٦ .
(٥) فى س : « إذا همّت » والتصحيح من الديوان .
(٦) ديوانه ص ٢٥٠ ، وفيه « وليس يعبس » .

وقال البحتريّ (١) :

وَوَجْهٌ رقَّ ماءُ الجودِ فيهِ   على العِرْنِينِ والخَدِّ الأسيلِ
يُريكَ تألُّقَ المَعروفِ فيـهِ   شُعاعَ الشَّمْسِ فى السَّيفِ الصَّقيلِ

هَذا من قَولِ أبى تَمّامٍ (٢) :

بِشْراً (٣) كبارِقَةِ الحُسامِ المِخْذَمِ

فَوكَّدهُ بِذِكْرِ شُعاعِ الشَّمْسِ .

[وقال] (٤) :

مُشرِقٌ للنَّدىٰ ومِنْ حَسَبِ السَّيْـ   ـفِ لِمُستَلِّهِ ضِياءُ حَديدِهْ
ضَحِكاتٌ فى إثْرِهِنَّ العَطايَا   وبروقُ السَّحابِ قَبْلَ رُعودِهْ

وهذا مِثْلُ (٥) ما تَقَدَّمَ من قَوْلِهِ :

سَوْمُ السَّحائِبِ ما بَدأْنَ بَوارِقًا   فى عارِضٍ إلاّ انْثَنَيْنَ رَواعِدا

قوله : « ما بَدأنَ » : يُرِيدُ السَّحَائِبَ ، يقال : بَدأْتُ الشَّيءَ وأَبْدأْتُهُ وذَلِكَ عن أَكْثرِ أَهْلِ اللُّغَةِ غَيرِ الأَصَمعيّ ، فإنّهِ قالَ : لا يُقالُ : بَدأْتُ الشَّيءَ ، وإنّما يُقالُ : أَبْدَأْتُهُ .

وقال (٦) :

أَزْهَرُ ، والرَّوْضُ لا يَرُوقُكَ أَوْ   يَحْكِى مَصابِيحَ لَيْلِهِ زَهَرُهْ

---

(١) ديوانه ١ : ١٧٣٤ .
(٢) سبق فى : ص ١٤٧ وصدره :
« وإذا المواهب أظلمت ألبستها » .
(٣) فى س « بشرٌ » بالرفع ، وهو خطأ لأنه مفعول ثان « لألبستها » .
(٤) ديوانه ١ : ٥٩٩ .
(٥) انظر ص ١٣٢ .
(٦) ديوانه ٢ : ١٠٣٧ .

يُخِيلُ حَتىٰ ترىٰ النَّجاحَ عَلَىٰ ظَاهِــرِ بِشْرٍ مَتِينَــةٍ بُشَرُهْ (١)
والغَيـمُ مَحبُوكَـةٌ طرائِقُــهُ أَحْجىٰ من الصَّحْوِ يُبْتَغىٰ مَطَرُهْ

وما لَا نِهايَةَ لِحُسْنِه قَوْلُهُ (٢) :

شِيمةٌ حُرَّةٌ ، وظاهِرُ بِشْرٍ رَاحَ مِنْ خَلْفِهِ السَّماحُ يَشِفُّ

وأَعْجَبُ منْ هذَا والْطَفُ قَوْلُهُ (٣) :

يُشْرِقُ بِشْرًا ، وَهْوَ فِى مَغْرَمٍ لَوْ مُنِىَ البَدْرُ بِهِ رَبَّدَهْ
ضَوْءٌ لَوَ اَنَّ الفُلْكَ ازْدادَ فى أَنْجُمِهِ فِيـهِ لمَـا أَنْفَـدَهْ

وقالَ (٤) :

تُنْبِى طَلاقَةُ وَجْهِهِ عن جُودِهِ فتكَادُ تَلقَىٰ النُّجْحَ قبلَ لِقَائِهِ
وضِيَاءُ وَجْهٍ لوَ تَأَمَّلَهُ امْـرُؤٌ صَادِى الجَوانِحِ لارْتَوىٰ من مَائِهِ

وهذا مَعنًى حَسَنٌ لطِيفٌ ، والعَطْشَانُ لا يَرْوِيهِ النَّظَرُ إلى الماءِ ، وإنَّما يَروِيهِ أن يَكْرَع فيه ، فأَرَادَ البحتريُّ أنَّ تأَمُّلَ وَجهِهِ يَرْوِى العَطشانَ ، علَى المُبَالَغةِ ، من كَلامِ النَّاسِ أن يَقولُوا : هَذا وجْهٌ يُشْبِعُ الجَائِعَ ويَرْوِى الظَمْآنَ ، يُريدونَ من حُسنِهِ .

وقالَ (٥) :

٦٠ س / كانتْ بَشَاشَتُكَ الأولىٰ التى ابْتَدأَتْ بالبِشْرِ ، ثُمَّ اقْتَبلْنَا بَعْدَها النِّعَما
كالمُزْنةِ استُؤْنِفَتْ أولىٰ مَخِيلَتِهَا ثُمَّ استَهلَّتْ بِغُزْرٍ تَابَعَ الدِّيَما

---

(١) ديوانه « تخيل حتى نرى » ، و « مُبِينةٍ » .
(٢) ديوانه ٣ : ١٣٧٤ .
(٣) ديوانه ٢ : ٦٦٥ .
(٤) ديوانه ١ : ٢٤ .
(٥) ديوانه ٣ : ٢٠٤٦ .

وهذا أيضاً تمثيلٌ جيِّدٌ بالغٌ مصيبٌ .

وقال فى إسماعيل بن بلبل:(١)

مُضيءٌ ينوبُ البِشْرُ عن ضَحكَاتِهِ ولا رَيْبَ فى أنَّ العُبُوسَ هو العُسْرُ(٢)
ولو ضُمِّنَ المعروفُ طَيَّ صَحيفَةٍ يُطانُ عَليه كانَ عِنْوانَها البِشْرُ

وهذا بابٌ فَضْلُ البحترِيِّ فِيهِ على أبي تمّامٍ ظاهرٌ لِصِحَّةِ تَمثِيلَاتِهِ وكَثْرَةِ افْتِنَانِهِ .

* * *

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٧٤ ، وفيه « ينوب اليسر » تصحيف .
(٢) ديوانه : « تكاد عليه » وقال محققه : لعله أخذها من كود الشئ : جمعه ، لفظة يمانية . ويُطَانُ أى : يبنى ويسد عليه بالطين ، وضُبِطَ الشطر الأول فيه بنصب « المعروف » ورفع « طىّ » وهو خطأ .

وفى الإكثار من العطاء

قالَ أبو تمّامٍ[1] :

لَهِى تَسْتَثِيرُ القَلْبَ لَوْلا اتِّصالُهُ بِحُسْنِ دِفاعِ اللهِ وسوسَ قَائِلُهْ

وقالَ[2] :

كَمْ نفحةٍ لكَ لم يَحْفَظْ تَعَجْرُفُهَا لِصَامِتِ المَالِ لا إِلًّا ولاَ ذِمَمَا

مواهِبٌ لو تَوَلَّى عَدَّها هَرِمٌ لَمْ يُحْصِهَا هَرِمٌ حَتَّى يُرىٰ هَرِمَا

يعْنِي هَرِمَ بنَ سِنانٍ المُرِّي ، الذِى مَدَحَهُ [زُهير] ، وكان من الأَجوادِ .

وقال أبو تمّام[3] :

إذا شِئتَ أن تُحْصى فَواضِلَ كَفِّهِ فكُنْ كاتباً أو فاتَّخِذْ لكَ كَاتِبَا

وهذا من معانى العَوامّ ، وَضَعَفَةِ المُعَلِّمِينَ .

وقالَ فى أبى الغَرِيبِ يَحيىٰ بنِ عَبد اللهِ[4] :

لَولا تَنَاهِى كُلِّ مخلوق لَقَدْ خِلْنَا نوَالَكَ لَيسَ بالمُتنَاهِى

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٠٥ والتبريزى ٣ : ٣٠ ، وفيهما « لولا اتصالها » .

(٢) ديوانه : ٢ : ٤٣٧ والتبريزى ٣ : ١٧٤ ، وفيه « لم يُحْفَظْ تذممَها » بالبناء للمجهول وهو خطأ .

(٣) ديوانه ١ : ٢٤١ والتبريزى ١ : ١٤٣

(٤) ديوانه ٣ : ٥٧ وشرح التبريزى ٣ : ٣٥٠ .

وليسَ هذا الجِنسُ من الإغراقِ جَيِّداً ولا حَسَناً .[1]

وقالَ أبو تمّامٍ:[2]

وللهِ أنهارٌ من النَّاسِ شَقَّها ... لِيَشْرَعَ فِيها كلُّ مُقْوٍ ووَاجِدِ

المُقْوِى : الذى قد فَنِىَ زَادُهُ ، والواجِدُ : الغَنِىُّ .

ولا يُقَال : أنهارٌ مِنَ النَّاسِ شَقَّها إلا مَن لَمْ يَسْمَعْ بِمَدْحِ المَادحِ ، ولا بِكَلامِ العَربِ قَطُّ ، وإنَّما المُستعملُ فى هذا أن يُقَالَ : كالبَحْرِ ، وكالسَّيلِ ، وكالفُراتِ ، فأمَّا نَهْرٌ مَشْقُوقٌ فمن أقْبَحِ لَفظٍ وأوْضَعِهِ .

وإنَّما قَالَ كَعْبُ بنُ مَعْدانَ الأشْقَرِىُّ[3]:

بَرَاكَ اللهُ يومَ براكَ بحراً ... فَفَجَّرَ مِنْكَ أنهاراً غِزَارا

بَنِيكَ السَّابِقِين إلى المَعالى ... إذا ما أعظَمَ النَّاسُ الخِطَارَا[4]

لأنه جعلَ المهلَّبَ بحرًا ، وجعل بَنِيهِ أنهارًا مُفَجَّرةً مِنْهُ فَحَسُنَ ذلَك ولَمْ يَقْبُحْ .

وقال أبو تمّام[5]:

كأنَّ أموالَه والبَذْلُ يَمْحَقُها ... نَهْبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبذيرُ أو نَفَلُ

وهذا بيتٌ جَيِّدُ المَعْنى ، وأجودُ منه قَوْلُ البُحْتُرِىِّ[6]:

---

(١) فى س : جيدٌ ولا حسنٌ .

(٢) ديوانه ١ : ٤٦٣ ، والتبريزى ٢ : ٧٦ .

(٣) كعب بن معدان الأشقرى يكنى أبا مالك ، وأمه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان ، من أصحاب المهلب والمذكور فى حروبه للأزارقة « الأغانى . ١٣ : ٥٤ ، معجم الشعراء ص ٢٣٦ » .

(٤) فى معجم الشعراء والأغانى « بنوك السابقون » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٨١ والتبريزى ٣ : ١١ .

(٦) ديوانه : ١ : ٢٨٠ .

تُحْسَبُ فِى وَفْرِهِ يَداهُ يَدَىْ عَدوٍّهِ أو لِغَيْرِهِ نَشَبُهْ
مالٌ إذا الحَمْدُ مِنْهُ عِيضَ غَدَا مُنْهِبُهُ غَانِماً ومُنْتَهِبُهْ

/ قَولُهُ : ٦١ س

تُحْسَبُ فى وَفْرِهِ بدَاهُ يَدَىْ عَدوٍّهِ ....

يُشْبِهِ قَوْلَ أبى تمَّامٍ (١) :

وإن خَفرتْ أمَوالَ قَوْمٍ أكُفُّهُمْ من النَّيْلِ والجَدْوىٰ فَكَفَّاهُ مَقطَعُ

وهذا من قَبِيحِ المَعانى (٢) .

وقال أبو تمّام (٣) :

منَ رأى بَارِقًا سَرىٰ صَامِتِيًّا جَاد نَجْدَا سُهولَها والحُزُومَا
فسَقَى طَيِئًا وكَلْبًا وذُودا نَ وقيسًا ووائِلاً وتَمِيما
لن ينالَ العُلىٰ خُصُوصاً من الأقْـ ـوامِ مَنْ لم يَكُـنْ نَداهُ عمُومَـا (٤)

وهذا جَيِّدٌ بَالِغ فى العُمومِ والكَثْرَةِ .

وقال أيضاً فى كثرةِ العطَاءِ (٥) :

يقول الحَاسِدونَ إذا انْصَرفْنَا لَقَدْ قطَعُوا طَرِيقاً أو أغاروا

---

(١) ديوانه ٢ : ١٤ والتبريزى ٢ : ٣٣٠ .

(٢) وقال الصولى : هذا مثل حسن ! .

(٣) ديوانه ٢ : ٤٠٠ والتبريزى ٣ : ٢٢٤ .

(٤) ديوانه وشرح التبريزى : « من الفتيان » .

(٥) ديوانه ١ : ٥١٣ والتبريزى ٢ : ١٥٦ .

وَحسْبُكَ بهذا قُبحاً وركاكةً ، وكان يجب أن يُتْبعه ببيْتٍ آخرَ يَذكُرُ فيهِ أنَّهمْ هَربُوا لِئَلاّ يُؤْخَذُوا فيُعاقَبُوا عُقوبَةَ قُطّاعِ الطُّرُقِ ! .

ومن هذا البَابِ قَوْلُهُ[1]:

سَخِطَتْ لُهَاهُ على جَدَاهُ سَخْطَةً ... فاسْتَرْفَدَتْ أَقْصىٰ رِضَى المُسْتَرْفِدِ

« فاللُّهَا » جمعُ « لُهْوَةٍ » ، وهِيَ : العَطِيَّةُ ، وأَصلُهَا ما تُلْقِيهِ [فِى فَمِ][2] الرَّحا من الحَبِّ ، كأنَّكَ جعلْته طُعْمَةً للرَّحىٰ ، فَشُبِّهتْ العَطِيَّةُ بِهِ ، والجَدوىٰ هي العَطِيَّةُ أيْضًا ، فكيف يُسْخِطُ عطَايَاهُ ؟ ، هذا عَيْنُ الخَطَأِ ، ولو قَالَ : « سَخِطَتْ يدَاهُ على جَدَاهُ » كان قَولاً حَسَناً مُستَقِيماً .

وقد جاءَ بِهذَا المَعنىٰ فى مَوْضِعٍ آخَرَ وأتىٰ بِهِ على الصَّوابِ فقَالَ[3]:

ما التقىٰ وفرهُ ونائِلُه مُذْ ... كانَ إلَّا ووَفْرُهُ المَغلوبُ

قال[4]: والوفْرُ : هو المَالُ الكثيرُ ، والنَّائِلُ : هو المالُ الذى يُعْطِيهِ ، وَهُوَ قِطْعةٌ يَقْتَطِعُها من وَفْرِهِ ، وهو مُذْهِبٌ لِلْوَفْرِ ومفنيه ، كما قال زُهَيْرٌ[5]:

أخو ثِقَةٍ ، لا تُهْلِكُ الخَمْرُ مَالَهُ ... ولَكِنَّه قَدْ يُهْلِكُ المالَ نَائِلُهْ

وقد أحسَنَ البحتريُّ فى هذَا البَابِ كلَّ الإحسانِ وذلِكَ قَولُهُ فى الكَثْرةِ والعُمومِ[6]:

وأنْفَقَ فى العَلْياءِ حتَّى حَسِبْتَهُ ... من الدَّهْرِ يُعْطِى أَو مِنَ الدَّهْرِ يُنفِقُ

---

(١) ديوانه ١ : ٤٥٣ والتبريزى ٢ : ٥١ ، وفى ديوانه فقط : « المُتَرفِّد » .
(٢) فى س : « من الرحا » وما أثبته هو ما يوجبه شرح « لهوة » فى اللسان .
(٣) ديوانه ١ : ٣٣٩ والتبريزى ١ : ٢٩٥ .
(٤) كذا فى س ، ولا أدرى من القائل .
(٥) ديوانه ص ١١٣ وفيه « أخى » .
(٦) ديوانه ٣ : ١٤٩٢ .

عطاءٌ كَضوءِ الشَّمْسِ غَمْرٌ، فَمَغْرِبٌ يَكُـونُ سَواءً فى سَنَـاهُ ومَشْرِقُ [1]

وقالَ فى قصيدةٍ أُخْرى [2] :

مواهِبُ أعدادُ الأَمَانِى وخَلْقُها عِدَاتٌ يكادُ العُودُ مِنْهُنَّ يُورِقُ

قولُهُ : « أعدادُ [3] الأَمَانِى » فى غَايةِ الحُسْنِ والصِّحةِ .

وقال [4] :

لم يُحْصَ عِلَّةُ ما تُولِيهِ من حَسَنٍ وَسَيِّدُ النَّيلِ مالَمْ يُحْصِهِ العَدَدُ

وقال [5] :

مَواهِبٌ ضَرَبَتْ فى كُلِّ ذى عَدَمٍ بِثَرْوةٍ وأَمَاحَتْ كُلَّ مُمْتَاحِ

وقالَ [6] :

كُلمَّا جَاءتِ اللَّيالى بإحسا نٍ ، فَبَادِى إحسانِها إحْسَانُهْ

جُمَلٌ من لُهًى يُشَكِّكْنَ فى القَو مِ : أَهُمْ مُجْتَدوهُ أم خُزَّانُهْ ؟

وقال فى مثلِهِ [7] :

أَعْطَيْتَنِى حَتى حَسِبْتُ جزيلَ مَا أَعطَيْتَنِيهِ وَديعَـةً لَمْ تُوهَبِ

---

(١) ديوانه « عمّ » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٥٣١ .

(٣) س : « عداد » .

(٤) ديوانه ٢ : ٦٤٨ ، وفيه « مأولاه » .

(٥) ديوانه ١ : ٤٤٤ ، وفى س : « بثورة » والتصحيح من ديوانه .

(٦) ديوانه ٤ : ٢٢٩٨ .

(٧) ديوانه ١ : ٨٢ ، وقد سبق فى ١ : ٣١٤ .

/ وإنَّمَا أخذَ هذا المَعْنَى من قَولِ الفَرَزْدَقِ[1] [2] : ٧٢ ب

أعطانِيَ المَالَ حتَّى قُلْتُ : يُودِعُنِي   أو قُلْتُ : أَوْدَعَ مالاً قد رَآهُ لَنَا

وبَيْتُ البُحْتُرِيِّ أجْوَدُ من هذا[3] لَفْظًا وسَبْكًا[4] .

وقال[5] :

تَجاوَزَ غاياتِ العُقولِ رغَائِبٌ   يَكادُ بِهَا لَوْلَا العِيَانُ تُكَذَّبُ

وقال فى أبى نَهْشَلٍ[6] :

وعَطايَاكَ فى الفُضُولِ عِدَادُ الرَّ   (م) مْلِ من « عَالِجٍ » وكَيْفَ الحُقُوقِ[7]

ظَلَّ فيها البَعيدُ مِثْلَ القريبِ الـ   ـمُجْتَبَى والعدوُّ مثلَ الصَّدِيقِ[8]

كَحبِيِّ الغَمامِ جَادَ فَرَوَّى   كُلَّ وادٍ من البِلادِ وَنِيقِ

وهذهِ مَعانٍ مُخْتَلِفَةٌ ، وكلُّها فى غايةِ الجَودَةِ والصِّحَّةِ ، ولا خفَاءَ بِفَضْلِ البُحْتريِّ – فى هذا البابِ أيضا – على أبى تمّام .

---

(١) من هنا تبدأ نسخة « كمبردج » لتلتقى مع النسخة التونسية وتصاحبها وقد سدت النسخة التونسية خرما كبير فى نسخة كمبردج التى تبدأ من لوحة ٧٢/ب فلله الحمد والمنّة ، وسأشير إليها فى الهامش « بالأصل » .

(٢) الموشح ص ٥١٨ ، وفيه « قلت أودعنى » ، وقد سبق فى ١ : ٣١٤ ، وفيه « أو قلت أعطى » . وبها يكسر البيت .

(٣) س : « أجود منه » .

(٤) كذلك قال فى الجزء الأول ، وقال المرزبانى : « أخذ قوله : « البيت » وقصّر وأفحش ، وأسقط أحد القسمين » .

(٥) ديوانه ١ : ١٣٨ ، وفيه :

« ....   نكادُ لها لَوْلا العيانُ نُكَذِّبُ »

(٦) ديوانه ٣ : ١٤٨٤ .

(٧) « عالج » رملة بالبادية بين فَيْد والقُرَيَّات يَنْزِلُها بنو بُحْترٍ من طَيِّئ » معجم البلدان ٤ : ٧٠ » .

(٨) سبق فى ١ : ١٨٩ .

فى ذكر القَصْدِ والإسرافِ [1]

قال أبو تمّام: [2]

قَصْدُ الخَلائِقِ إلّا فى ندًى ووغًى ... كِلاهُمَا سُبَّةٌ ما لَمْ يَكُنْ سَرَفَا

وكان يَنْبَغِى أن يَقُولَ: ما لم يَكُونا سَرَفا، وكأنَّه تأوَّلَ ما لم يكُنْ ذاكَ، أو حَمَلَهُ على قَوْلِهِم «كلاهُما فَارِسٌ إذا رَكِبَ، وفارِسانِ إذا رَكِبا» [3] لأنَّ «كِلَا» تَصْلُحُ هَاهُنا للإفْرادِ والتَّثْنِيَةِ.

وقال البحترىّ: [4]

ولا إسرافَ غيرُ الجُودِ فيهِ ... وسائِرُهُ لِهَدْيٍ واقْتِصَادِ

فذَكَرَ السَّرَفَ فى الجُودِ وَحده، وأبو تَمّام جعلَ السَّرَفَ فى النَّدى والوَغىٰ

---

(١) فى س. «وقد ذكر».

(٢) ديوانه ٢ : ٥٣ والتبريزى ٢ : ٣٦٥، ديوانه : «كلاهما سُنّة» والتبريزى و س : «إلا فى وغى وندى».

(٣) فى الأصل : «وكلاهما فارس إذا ركبا». والتصحيح من س، وقد ورد الضمير مفردا حملا على اللفظ فى «كلا وكلتا» أكثر من الحمل على المعنى وقد جاء ذلك كثيرا، انظر «الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ٢٦٠» وهو رأى البصريين، ومن قوله : «لأن كلا ...» ساقط من س.

(٤) ديوانه ٢ : ٧٢٥.

جَميعاً ، وأرادَ بالسَّرفِ فى الوَغىٰ القَتلَ ، فبَيتُهُ أجمَعُ للمعانى ، وبيتُ البحترىِّ أَحَسَنُ سَبكًا وأجودُ لفظًا .

وقال البحترىّ[1] :

كَرَمٌ دَعَتْكَ بِهِ القَبائِلُ مُسْرِفًا   مامُسْرِفٌ فى المَكْرُماتِ بِمُسْرِفِ

فأما قَولُ أبى تمّامٍ[2] :

له خُلُقٌ نهىٰ القرآنُ عَنْهُ   وذَاكَ عطَاؤهُ السَّرفُ البِدارُ

ولم يَكُ ذاكَ إِصرْارًا ولكِنْ   تمَادَتْ فى سَجيَّتِها البِحَارُ

/ فمِمَّا لايفِى بَجَودَتِه وحُسْنه شَىءٌ ، ولكن جَاءَ بِهِ بعدَ بَيتٍ لَو خَرِسَ كان خيراً له مِنْ أنْ يأتِىَ بمِثْلِهِ[3] ، وهو قولُه : ٧٣

يقولُ الحاسِدونَ إذا انْصَرفْنَا   لَقَدْ قَطَعُوا طَرِيقًا أو أغارُوا

وقد مضى ذِكْرُه[4] . وأبو تمّامٍ فى هذا البابِ أشعَرُ .

(١) ديوانه ٣ : ١٤١٧ ، وفيه « كرما » .

(٢) ديوانه ١ : ٥١٣ . وفيه « البدار » ، وهى رواية « س » ، وانظر تعليق أبى العلاء على هذه الرواية فى شرح التبريزى ٢ : ١٥٦ .

(٣) قوله : « من أن يأتى بمثله » سقط من س .

(٤) انظر ص ١٥٤ .

ذِكر تعجيلِ العَطَاءِ[1]

لم أَرَ أبا تَمَّامٍ جَرَّدَ القولَ فى هذا الباب ، ولا أَتَىٰ فيهِ بشَىءٍ يُعْتَدُّ بِهِ ، ووجَدْتُهُ قالَ فى مُحمدِ بنِ عبد الملكِ الزيَّاتِ[2] :

فما يَلْحَظُ العافِى جَداكَ مُؤَمِّلاً ... سِوَى لَحْظَةٍ حتَى يَؤُوبَ مُؤَمَّلا

وقال البحترىُّ[3] :

عَجِلْ بالذى تُنيلُ يَداهُ ... إنَّ بُطءَ النَوالِ من تَنْكِيدِهْ

كادَ مُمْتَاحُهُ لسابِقِ جَدوا ... هُ يكونُ الإصْدارُ قبلَ وُرُودِهْ[4]

وهذا معنىً حسَنٌ لطيفٌ وإنّما ساغَ ذلِكَ لِقَوْلِهِ[5] « كاد » .

وقالَ[6] :

إذا قالَ وَعْدًا أو وعيدًا تَسَرَّعَتْ ... مكَارِمُ تَثنى آجِلَ الأمْرِ عَاجِلا

---

(١) س : « فى تعجيل العطاء » .

(٢) ديوانه ٢ : ٣٠٧ والتبريزى ٣ : ٩٩ ، وفيهما « ما يلحظ » .

(٣) ديوانه ١ : ٥٩٩ .

(٤) الأصل : « يسابق » ، والتصحيح من ديوانه وس .

(٥) ساقطة من س .

(٦) ديوانه : ٣ : ١٦٠٢ ، وفى الأصل : « تشرّعت » بالشين المعجمة .

ومن المَكارمِ تحقيقُ الوَعيدِ[1] وتَعجيلُهُ أيضاً كالوَعْدِ ، ولذلكَ[2] ضمَّهُما معا .

ومثلُهُ[3] قوله :

إنْ يَقُلْ واعِدًا تُوافِ إلى النُّجْـ ... ـحِ يَداهُ فى صَفْقَةٍ ولِسَانُهْ
ضامِنٌ لِلَّتِى تُرادُ لَدَيْـهِ ... قَلِقُ الفِكْرِ أو يَصِحُّ ضَمانُهْ

وقال[4] :

حَيثُ لا تَدْفَعُ الحقُوقَ المعاذِيـ ... ـرُ ، ولا يَسبِقُ العَطَاءَ السُّؤَالُ

وأَجْودُ من هذا قولُ ابنِ هَرْمَةَ[5] :

يسبق بالفعل ظنّ سائِله ... ويقتل الرّيثَ عنده العَجَلُ

وقال البحترىّ[6] :

وقد أعجزَ العذالَ أنْ يتَدارَكُوا ... لُهَى تَسْبِقُ الألْحاظَ قَبلَ ارْتدَادِها

وهذا نِهايةٌ فى السُّرعةِ والتَّعجيلِ .

وقال[7] :

كَم قد عَجِلْتَ إلى النَّعماءِ تَصْنَعُها ... مُبادِرًا وبَخِيلُ القَومِ مُتَّئِدُ

وقد أبرَّ البحترىُّ[8] فى هذا البابِ على أبى تمّام .

---

(١) س : « الوعد » .
(٢) زيادة من س .
(٣) من قوله : « ومثله قوله » إلى قول ابن هرمة « ويقتل الريث عنده العجل » أخرته « س » إلى نهاية الباب ، والبيتان : فى ديوانه ٤ : ٢٢٩٨ ، وفيه « للذى يراد لديه » .
(٤) ديوانه ١٨٠٩ .
(٥) ديوانه ١٧٢ .
(٦) ديوانه ٢ : ٦٧٥ .
(٧) ديوانه ٢ : ٦٤٨ ، وفى س : « كم عَجِلْتَ » .
(٨) من قوله : « وقد أبر ..... » ساقط من س .

ذكر متابعة العطاء[1]

قال أبو تمام[2] :

كلّما زُرْتَهُ وجدتَ لَديهِ نَشَبًا ظَاعِنًا ومَجْدًا مقيمًا[3]
وتُؤَامُ النَّدىٰ يُرِي الكَرَمَ الفَلْـ ـتَةَ فى أُكْثَرِ المواطِنِ لُومَا[4]

وهذا معنًى صحيحٌ حَسَنٌ .

وقال[5] :

إذا كانت النُّعمىٰ سَلوبًا من امرِئٍ غَدَتْ من خَلِيجىْ كَفِّهِ وهىَ مُتْبِعُ

السَّلوبُ : التى لاوَلَدَ لَها ، والمُتْبِعُ : التى يَتْبَعُها وَلَدُها[6].

---

(١) س : « فى متابعة العطاء » .

(٢) ديوانه ٢ : ٤٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٢٨ .

(٣) شرح التبريزى « وجدت لديه نسبا » بالسين المهملة « والنشب » المال ، « الظاعن » الرّاحل ، ورواية الموازنة والديوان أجود من رواية التبريزى .

(٤) ديوانه والتبريزى « الكرم الفارد » والفارد : هى الناقة المنفردة المنقطعة عن القطيع ، والفلتة : الأمر يقع فجأة دون تردد أو تدبر .

(٥) ديوانه ٣ : ١٤ والتبريزى ٢ : ٣٢٩ .

(٦) الأصل : « التى لها » ، والتصحيح من س ، قال أبو العلاء : « « السلوب » التى قد سُلِبَ ولدها منها بموتٍ أو غيرِه ، « والمُتْبِعُ » التى يَتْبَعُها ولدها ، و « الخليج » : ما ينقطع من بَحْرٍ أو نهرٍ ، كأنه يُخْلَجُ منه أى يُجْذَبُ وإنما أرادَ من خَلِيجَىْ كَفَّيْهِ ، فدلَّ عليهما بالكف الواحدةِ ومثل هذا كثيرٌ » .

وقالَ :[1]

وَلْتَعْلَمِ الأيَّامُ أنِّى فُتُّهَا بأبى الحسَين مُحمدِ بنِ الهَيْثَمِ
بأغرَّ ليسَ بتوأمٍ ويَمينُـهُ تَغدُو وتَطرُقُ بالفَعَالِ التَّوْأمِ[2]
كَلِفٍ بِرَبِّ الحَمْدِ يَزْعُمُ أنَّه لم يُبْتَدأْ عُرْفٌ إذا لَمْ يُتْمَمِ[3]

وقالَ أيْضاً :[4]

وصنيعةٍ لَكَ ثَيِّبٍ أهديْتَها وهى الكَعَابُ لِعائذٍ بكَ مُصْرَمِ
[حلت مَحَلَّ البكر من مُعْطىً وقد زُفَّتْ من المُعطِى زِفافَ الأيِّمِ][5]

قَولُهُ : « وصنيعةٍ لَكَ ثَيِّبٍ أهديتها »[6] يريد : أنك قد صنعت مثلها فلَيْسَتْ بِكْرَ صنائِعِكَ[7] ، أى لَيْسَت أوَّلَ ما صَنعتَ ، ولمَّا لَمْ تَكُنْ بِكْراً جعلَها ثَيِّباً ، وقالَ : « وهى الكَعابُ لعائِذٍ بِكَ » ، فأقامَ[8] الكَعَابَ هَاهُنا مقامَ البِكْرِ ، أى هى ثَيِّبٌ عِنْدَك وبِكْرٌ عندَ من تُعْطِيهِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٢٦ والتبريزى ٣ : ٢٥٠ – ٢٥١ ، يمدح ابن شُبانَةَ أبا الحسين محمد بن الهيثم ، من أهل مرو وصاحب (كتاب الدولة) « مروج الذهب للمسعودى » ١ : ١٣ » مدحه أبو تمّام بعدة قصائد « ديوانه ١ : ٢٨٧ – ٢٩٦ ، ٢ : ٦٨ ، ٨٠ ، ١٥٢ ، ٣٤١ ، ٣ : ٢٤٨ ، ٢٨٩ » ، وانظر « أخبار أبى تمّام ص ١٨٨ – ١٩٠ » .

(٢) التبريزى : قد كثر تردد هذا المعنى فى شعر العرب ، وذلك أنهم يذمون التوأم من الرجال ، لأنهم ينسبونه إلى نقص فى الخَلْقِ ، وضَعفٍ فى القُوَّةِ ويرون أن المُتْئِمَ من النِّساء قُسِمَ ولدُها اثنينِ ، وفى التبريزى : « بالنَّوالِ التَّوْأمِ » ، وعليها الرواية أيضا فى ديوانه .

(٣) التبريزى : « كلف برب المَجْدِ » .

(٤) « أيضًا » زيادة من س ، والبيت فى ديوانه ٢ : ٤٢٨ ، والتبريزى ٣ : ٢٥٥ ، وفى الأصل : « بل مصرم » .

(٥) ساقط من الأصل ، وانظر الشرح بعده .

(٦) « أهديتها » ساقطة من س ، وفيها « أنك صنعتها » .

(٧) س : « بكْرٌ لصنائعك » .

(٨) الأصل : « وأقام » ، والتصحيح من س .

والكَعابُ هى التى قد كَعَب ثَديُها ، وقد تكونُ بِكراً وتكون ثَيِّباً قد افْتُرِعَتْ ، فليستْ بِضِدٍ للثَّيِّبِ فى الحقيقةِ ، ولكنَّهُ أقامَها مُقامَها ، لقولِهِ : « حَلَّتْ محلَّ البِكْرِ من مُعْطىً » .

وقولُه : « وقد[1] زُفَّتْ مِنَ المُعْطِى زِفَافَ الأيِّمِ » يريد بالأيِّمِ الثَّيِّبَ ، والأيِّمُ هى التى لازَوْجَ لهَا ، بكراً كانتْ أو ثَيِّباً .

وقد بَيَّنْتُ هذا فى أغاليطِهِ[2] وأوْضَحْتُهُ .

وقال فى موضعٍ آخرَ يذكرُ الصَّنيعةَ[3] :

وليستْ بالعوانِ العَنْسِ عِنْدى ولا هِيَ مِنْكَ بالبِكْرِ الكَعَابِ

أ ٧٤ / قولُهُ : « لَيسَت بالعَوانِ العَنْسِ عِنْدِى » يُرِيدُ لِجَلالَتِها ، وأنَّهُ ما أُسْدِىَ إليه مِثْلُها ، وأرادَ أن يقولَ « العانِسَ » فقال[4] « العَنْسَ » ، و « العَنْسُ » إنَّما هى[5] النَّاقةُ التى قَد انْتَهتْ فى قُوَّتِها وشِدَّتِها وشَبابِها . وقد ذَكَرتُ هَذا فى أغالِيطِهِ أيْضاً .

وقال أبو تمّام فى الحَسَنِ بن وهبٍ[6] :

جُمعَتْ لنَا فِرَقُ الأمَانى مِنْكُمُ بأبَرَّ من رُوحِ الحَياةِ وأوْصَلِ
فصنيعةٌ فى يَوْمِها وصَنيعةٌ قد أُحْوِلَتْ وصنيعةٌ لم تُحْوِلِ
كالمزن من ماضِى الرَّبابِ ومُقْبِلٍ مُتَنَظِّرٍ[7] ومُخَيِّمٍ مُتهلِّلِ

---

(١) « قد » زيادة من س .
(٢) انظر ١ : ١٦٦ .
(٣) ديوانه ١ : ٣٣٣ والتبريزى ١ : ٢٨٦ .
(٤) ساقطة من س .
(٥) انظر الموازنة ١ : ٩٣ ، ١٧٠ وفى س : « وقد ذكرت هذا أيضا فى أغاليطه » .
(٦) ديوانه ٢ : ٢٧٠ والتبريزى ٣ : ٤٩ وفيهما « وقال يمدح أبا الوليد أحمد بن دؤاد الإيادى » وفى الأصل : « وقال فى الحسن بن وهب » والتصحيح من س .
وفى الديوان قصيدة يمدح أبو تمّام بها الحسن بن وهب من نفس الوزن والقافية وأوّلها :
ليس الوقوفُ بكُفْءِ شوقِكَ فانْزِلِ تَبْلُلْ غليلاً بالدُّموعِ فتُبْلِلِ
« ديوانه ٢ : ٢٤٤ ، والتبريزى ٣ : ٣٢ » .
(٧) فى الأصل : « مُنْتَظِرٍ » .

قولُهُ : « وصنيعةٍ قد أحْولَتْ ، وصنيعةٍ لم تُحْوِلِ » لا يُشْبِهُ أحوالَ الأمطارِ في قُرْبِ بَعْضها من بَعْضٍ ، ولكنَّ قَولَهُ[1] « بأبَرَّ من رُوحِ الحياةِ وأوْصَلِ » حَسَنٌ جِدا .

والصَّحِيحُ المَعنى في هذا قولُ البُحْتُرِيِّ[2] :

لِيَ مِنْهُ في كُلِّ يومٍ نَوالٌ لم تَنَلْهُ كُدُورَةُ التَّرْنِيـقِ[3]
عِندهُ أوَّلٌ ، وعِنْدِيَ ثَانٍ[4] من نَدَاهُ وثَالِثٌ في الطَّرِيقِ

وإن كنتُ لا أُحِبُّ لفظةَ[5] « الطَّرِيقِ » هَاهُنا ، فإنَّها من ألفاظِ العوامِّ .

وقد أحسَنَ البحتريُّ أيضًا في متابَعةِ العطَاءِ كلَّ الإحسانِ ، فمن ذلك قوله[6] :

إلى فتًى يُتْبِعُ النُّعمى نَظائِرَها كالبَحْرِ يُتْبِعُ أمواجًا بأمواجِ

وقولُهُ[7] :

فإن تُتْبِعِ النُّعْمىٰ بنُعمىٰ فإنَّه يَزِينُ اللآلِي في النِّظامِ ازْدواجُها

وقوله[8] :

إذا كرَّتِ الآمالُ فيه تَتَابَعَتْ مواهبُ مَكرورِ الأيادِي مُعادِها

(١) ساقطة من س .
(٢) ديوانه ٣ : ١٤٨٣ .
(٣) في الأصل : « التدنيق » تحريف « والترنيق » : اختلاط الماء بالطين .
(٤) في س : « ثاني » « انظر هامش ص ١٣٧ » .
(٥) الأصل : « لفظ » والتصحيح من س .
(٦) ديوانه ١ : ٤١٢ .
(٧) ديوانه ١ : ٤٢٧ ، وفيه « فإن تلحق » .
(٨) س : « وقال » ، وفيها تقدّم قوله : « وأحسن من كل حسن قوله : « البيت » على هذا البيت ، وفي ديوانه ٢ : ٦٧٥ ، وفيه « تلاحقت مواهب » .

وأحسَنُ من كلّ حَسَنٍ قَوْلُه (١) :

يَكُرُّ نَوالُهُ عَلَلاً عَلْينَا كُرورَ الكَأْسِ أَتْرعَهَا المُديرُ

وقال البحتريُّ أيضا فى أحمدَ بن محمد بن بِسْطام (٢) :

تَتَابَعُ منه كُلَّ يومٍ مَواهِبٌ تَفوتُ ارْتدادَ الطَّرفِ سَبْقاً عَجولُها (٣)

إذا كَرَّها بالبِرِّ منه أعادَها علىٰ النَّهْجِ محَمودُ السَّجايا جَميلُها

وقال (٤) :

بلَغَتْ يداهُ إلى التى لم أَحْتَسِبْ وثَنَى لأُخرىٰ فهْو بَادٍ عَائدُ

هُوَ واحِدٌ فى المَكْرُماتِ ، وإنَّمَا يكْفِيكَ عَادِيَةَ الزَّمانِ الوَاحِدُ

والبحتريُّ فى هذا كُلِّهُ أشعرُ من أبى تمّامٍ .

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٩١٥ .

(٢) س : وقال فى أحمد بن بسطام ، ديوانه ٣ : ١٧٧٧ .

(٣) س : « يفوت » ، ديوانه :

« تتابع منه كل يوم فضيلة يفوت .... »

(٤) ديوانه ١ : ٦٠٢ يمدح الحسن بن مخلد ، وفى س : وقال البحترى أيضا ، وفى الأصل : « إلى الذى لم أحتسب » ، والتصحيح من س .

وفي تشبيه جُودِ الجوادِ بالسّحابِ والغيثِ والأنواءِ

قال أبو تمّام[1] :

مواهبُ جُدنَ الأرضَ حتى كأنّما أَخَذْنَ بآدابِ السَّحابِ الهَواطِلِ

وهذا حَسَنٌ جِدًا .

وقال[2] :

نَشَأَتْ من يَمينِه نفحاتٌ ما عليها ألّا تكونَ غُيوما

والبيتُ الأوّلُ أجودُ .

وقال[3] :

جرى حَاتِمٌ فى حلْبَةٍ منه لَوْ جَرى بَها القَطْر شَأْوًا قِيلَ أيُّهما القَطْرُ

فهذا تشبيهٌ بالسَّحابِ .

وأَكثَرُ ماجَاءَ عَنهُ تفَضيلُ جُودِ الجَوادِ على السَّحابِ فمن ذلك قولُهُ[4] :

فى قُلِّهِ كُثْرُ السِّماكِ وإنْ غَدَا هَطِلاً وعفوُ يَدَيْهِ جُهْدُ المِرْزَمِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٢٠ والتبريزى ٣ : ٨٠ ، وفى الأصل : « حُزْنَ الأرض » .

(٢) ديوانه ٢ : ٤٠٠ والتبريزى ٣ : ٢٢٥ .

(٣) ديوانه ٣ : ٦١٧ والتبريزى ٤ : ٥٧٤ .

(٤) س : « وذلك قوله : » ، ديوانه ٢ : ٤٢٨ ، والتبريزى ٣ : ٢٥٢ .

السِّماكُ سِمَاكَانِ : الأعْزَلُ والرَّامِحُ ، وهُمَا كوكَبانِ من نجوم بُرجِ الأسَدِ (١) (٢) ونوء الأسَدِ من أغْزَرِ الأنواءِ ، والمِرْزَمُ أحدُ كَوكَبَى ذراعَىْ الأسَدِ وقالَ ابنُ هَرْمَةَ (٣) :

جوادٌ تُبارِى المِرْزَمَينِ شِمَالُهُ ‏ ‏ وتَحْقِرُ أنواءَ الرَّبيعِ يَمِينُها

فَقولُ أبى تَمّامٍ أبْلَغُ ، وهذا أحْسنُ لفظاً وأبْرَعُ .

وقولُهُ (٤) :

غَيثٌ حوَىٰ كَرَمَ الطَّبائعِ دَهْرَهُ ‏ ‏ والغَيثُ يَكْرُمُ مَرَّةً ويَلُومُ

وهذا غايةٌ فى الحُسْنِ والصِّحَّةِ .

وقال فى مِثْلِهِ (٥) :

كَرُمَتْ راحَتاهُ فى أزَماتٍ ‏ ‏ كانَ فِيها صَوْبُ الغَمامِ لَئِيمَا

وقال (٦) :

ولا أرىٰ دِيمَةً أنْفَىٰ لِنائبَةٍ ‏ ‏ مِنْهُ علىٰ أنَّ ذِكرًا طارَ للدِّيمِ

وقالَ (٧) :

لَهُ كَرَمٌ لو كَان فى المَاءِ لَم يَغِضْ ‏ ‏ وفى البَرقِ ما شَامَ امرؤٌ برقَ خُلَّبِ

---

(١) س : « الأعزل والرامح كوكبان » .

(٢) س : « من نجوم الأسد » ، وانظر العمدة لابن رشيق ٢ : ٢٥٢ قوله : « ونوء الأسد ..... ذراعى الأسد » سقط من س .

(٣) لم أجد البيت فى ديوانه المجموع .

(٤) ديوان أبى تمّام ٢ : ٤٢٠ والتبريزى ٣ : ٢٩١ ، وقال التبريزى : « عادة العرب إذا خَفَّفوا الهمزةَ فى مثل « يَلْؤمُ » أن يُلْقوا الحركةَ على اللام ، ويحذفوا الهمزةَ ، فيقولوا « يَلُمُ » وفى « يَسأمُ » « يَسِمُ » وفى « يَنْئِم » « يَنِمُ » وبعضهم يقول يَلُومُ ويَسامُ وينِيمَ الليثُ « أى يئِنّ » ، وذلك ردئ ، قليل فى كلامهم » .

(٥) ديوانه ٢ : ٤٠٠ والتبريزى ٣ : ٢٢٥ ، وفيه « كان صوب الغمام فيها لئيما » .

(٦) ديوانه ٢ : ٣٤٩ وشرح التبريزى ٣ : ١٨٧ ، وفى ديوانه : « أنْجىٰ لمسغبة » والتبريزى : « أحمى لمسغبة » وفى س : « أكفى ..... طاب للديم » .

(٧) ديوانه ١ : ٢٤٦ والتبريزى ١ : ١٥٢ .

٧٧ / وقالَ :[(١)]

إن غاضَ ماءُ المُزْنِ فِضْتَ وإن قَسَتْ كَبِدُ الزَّمانِ عَلَيَّ كُنتَ رؤوفَا

وقالَ :[(٢)]

يَفيضُ سماحةً والمُزْنُ مُكْدٍ ويَقْطَعُ والحُسامُ العَضْبُ نَابِ

وقالَ :[(٣)]

إذا وَعَد انْهلَّتْ يَداهُ فأهدَتَا لَكَ النُّجْحَ محمولاً على كَاهِلِ الوَعْدِ

دَلوحَانِ تَفْتَرُّ[(٤)] المكَارِمُ عَنْهُما كما الغَيثُ مُفْتَرٌّ عن البَرْقِ والرَّعْدِ

قولُهُ : « دَلوحانِ » من السَّحابِ الدَّوالِحِ ، وهي المُثْقَلَةُ بالمَاءِ.[(٥)]

« تَفْتَرُّ المَكارِمُ عَنهُما »[(٦)] تَبْدُو وتَظْهَرُ .

« كما الغيثُ مُفْتَرٌّ عن البَرْقِ والرَّعْدِ » أقامَ راحَتَيْهِ مقامَ البَرْقِ والرَّعْدِ ، وأنَّ الغَيْثَ يفتَرُّ عنهما .

هذا على ظاهرِ لَفظِ أبي تمّامٍ ، وهو عندي من المقلوبِ ، لأنَّ حقيقةَ الافترارِ الانكشافُ ، ومنه قولهُم : فَرَرْتُ الدَّابَّةَ ، أي : كَشفتُ جَحْفَلَتَه[(٧)] لأنْظُرَ إلى

---

(١) ديوانه ٢ : ٧٧ والتبريزي ٢ : ٣٨٣ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٣٢ والتبريزي ١ : ٢٨٤ وفيه : « تفيض » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٨٦ وشرح التبريزي ٢ : ١١٣ ، وانظر ١ : ٢٣١ .

(٤) الأصل : « منهل » ، والشرح على « مفتر » فأثبتها .

(٥) قال ابن المستوفى : « دلوحان يعني يديه أي : هما دلوحان . وأصل الدّلح أن يمشي الرحل مُثقلًا ، ثم استعير لغيره ، وقيل يعني به النُّجْحَ والوعدَ وقد تقدم ذكره في البيت الذي قبله » « النظام شرحي المتنبي وأبي تمّام ، مخطوط لوحة ٣٧٢ » .

(٦) س : أي تبدو وتظهر .

(٧) جحفلة الدابة : ما تتناول به العلف ، وهو من الخيل والحُمُرِ والبغال وذوات الحافِر بمنزلة الشفة من الإنسان والمِشْفَرِ للبعير ، واستعارهُ بعضهم لذوات الخُفّ .

سِنّهِ ، وقد فُرَّ فُلانٌ عن ذَكاءٍ ، وفُرَّ عن عَقْلٍ أى كُشِفَ ، فوجْهُ الكَلامِ : دَلُوحَانِ يفترَّانِ عن المَكارِمِ ، أى يَنْكَشِفانِ ويَنْفَتِحانِ عن الغَيثِ ، وهو عندِى من المَقلوبِ الحَسَنِ السَّائِغِ الجَائزِ مِثلُهُ للمُتَأَخّرِينَ ، لأن اليَدينِ إذا انْفَتَحَتا وانكَشَفَتَا عن المَكارِمِ ، فإنَّ المكارِمَ أيضًا قد انكشَفَتْ ، وكذلِكَ البرقُ والرَّعْدُ إذا انْفَتَحا وانكشَفا عن الغيثِ ، فإنَّ الغيثَ قد انكشَفَ واتَّضَحَ (١) .

وقال البُحْتُرىُّ فى هذَا المَعنَى (٢) :

لَعَمْرُكَ ما الدُّنيا بِنَاقِصةِ الجَدا إذا بَقِىَ الفَتْحُ بنُ خاقانَ والقَطْرُ

وقالَ (٣) :

وجرَى جودُه رَسيلاً لِجود الْـ ـغَيْثِ من غَايَةٍ فجاءا سوَاءَ

وقالَ (٤) :

فهْو غَيثٌ ، والغَيثُ مُحْتَفِلُ الوَدْ قِ ، وبَحْرٌ ، والبَحْرُ طامِى العُبابِ

فهذا شَرْطٌ فى غايةِ الجَوْدةِ والقُوَّةِ ، ولكنّ (٥) قولَ أبى تَمّامِ :

يَفِيضُ سماحةً والمُزْنُ مُكْدٍ ويَقْطَعُ والحُسامُ العَضبُ نَابِى

أَلْطَفُ مَعنىً (٦) .

وقد فَضَّلَ البحترىُّ (٧) جُودَ الجَوَادِ على السَّحابِ والغيثِ وتصرَّفَ فى ذَلِكَ وافتنَّ افْتِناناً

---

(١) ساقطة من س .

(٢) ديوانه ٢ : ٨٤٤ ، وقد سبق فى ٢ : ٢٩٣ وفى س : « فى هذا الباب » ، وفى الأصل : الجدّ .

(٣) ديوانه ١ : ١٥ ، وفى هامشه « الرسيلُ الفرس الذى يرسلُ مع آخر فى السباق » .

(٤) ديوانه ١ : ٨٥ .

(٥) فى الأصل : « ولأنّ » .

(٦) من قوله : « ولكن قول أبى تمّام ..... ألطف معنى » سقط من س .

(٧) ساقطة من س

عَجيباً فقالَ[(١)] :

ليس السَّحابُ ببالِغٍ فيه الرِّضىٰ ... فأقول إنَّ نَدَاهُ صَوْبُ سَحَابِ

[وقال[(٢)] :

إنْ أنَا شَبَّهْتُهُ بالغَيْثِ فى مِدَحِى ... غَضَضْتُ مِنْهُ وكُنْتُ المَادِحَ الهَاجِى]

وقال[(٣)] :

فلو ذَارَعَتْ أخلاقُهُ الغيثَ حافِلاً ... لحَاجَزَهَا بَاعٌ من الغَيْثِ ضَيِّقُ

وقالَ[(٤)] :

كَرُمْتَ وكانَ القَطْرُ أنأىَ مسَافَةً ... وأَضيقَ باعاً من نَداكَ وأقصَرا

وقالَ[(٥)] :

وأُكْبِرُ أن أُشَبِّهَ جُودَ « فَتْحٍ » ... بماءِ غمَامةٍ أو سَيْلِ وَادِ

وقالَ[(٦)] :

ويَحْمِلُ إسماعيلُ عنَّا ابنُ بُلبلٍ ... من المَحْلِ عِبْئًا لَيْسَ يَحمِلُهُ القَطْرُ[(٧)]

بِغُزْرِ يَدٍ منه تقولُ : تَعلَّمَتْ ... يَدُ الغَيْثِ مِنْها ، أم تَقَيَّلَها البَحْرُ[(٨)] ؟

---

(١) س : « افتنانا حسنا » ، ديوانه ١ : ٢٩٥ ، وفى الأصل : « وأقول » .

(٢) ديوانه ١ : ٤١٤ وفيه « فكنتُ المادح الهاجى » ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٣) ديوانه ٣ : ١٤٩٢ .

(٤) ديوانه ٢ : ٩٣٣ ، ديوانه : « أدنى » ، ورواية الموازنة أجود .

(٥) ديوانه ٢ : ٧٢٥ وفيه « بصوب غمامة » .

(٦) ديوانه ٢ : ٨٧٣ .

(٧) جاء فى الديوان أن هذه القصيدة قيلت فى إسماعيل بن بلبل أو فى أبى عامر الخضر بن أحمد فمن رواها فى الخضر روى البيت فى الخضر قال : « ويحمل عنا الخضر » خضر بن أحمد « .... » .

وفى الأصل : « ويحمل فينا » والتصحيح من ديوانه .

(٨) ديوانه : « أو تقيّلها » .

وقال[1] :

إن قَصَّرتْ هِمَمُ العَافِين جاشَ لَهُمْ ... جُحَافُ أغلبَ فى حافَاتِهِ الزَّبَدُ
عَفوٌ من الجُود لم تَكْذِبْ مَخيلَتُهُ ... يُقَصِّرُ القَطْرُ عنه وهو مُجْتَهِدُ

فقوله[2] : « يُقصِّرُ القَطرُ عَنْه وهو مُجْتَهِدُ » مثل قولِ أبى تَمَّام[3] :

فى قُلِّهِ كُثْرُ السِّمَاك وإن غدا ... هَطِلاً ، وعفوُ يَديه جُهْدُ المِرْزَمِ

وبيت أبى تمّام هذا[4] أجود .

وقال البحترىّ[5] :

قَدْ قُلتُ لِلْغَيْمِ الرُّكامِ – ولَجَّ فى ... إبْراقِهِ ، وألَحَّ فى إرعَادِهِ
لا تَعْرِضَنَّ « لجَعْفَرٍ » مُتَشَبِّها ... بندى يَدَيْهِ فَلسْتَ من أنْدَادِهِ !

وقال[6] :

أقولُ لِثَجَّاجِ الغَمام وقد سَرَى ... بمُحْتَفِلِ الشُّؤْبُوبِ صَابَ فعَمَّما
أقِلَّ وأكْثِرْ لستَ تَبْلُغُ غايةً ... تَبينُ بِهَا حَتَّى تُضَارِعَ « هَيْثَما »

وقال[7] :

تَرَاحُ الغَوادِى أن تُشَاهِدَ عِنْدَهُ ... شَبَائِهَهَا – من سَيْبِهِ – وشُكولَها

(١) ديوانه ٢ : ٦٤٨ .
(٢) س : « قوله » .
(٣) ديوانه : ٢ : ٤٢٨ والتبريزى ٣ : ٢٥٢ وقد سبق ١٦٧ .
(٤) « هذا » زيادة من س .
(٥) ديوانه ٢ : ٧٠٣ ، فى الأصل وس : « للغيث » .
(٦) ديوانه ٤ : ٢٠٨٨ يمدح الهيثم بن عثمان الغنوى وهو أحد قواد الأفشين من أهل الجزيرة ، أنزله فى رستاق يقال له « أرشق » فرَمّ حصنه وحفر حوله خندقا ، وذلك فى حربه مع بابك الخُرّمى سنة ٢٢٠ « الطبرى ٧ : ٢٢٧ » .
(٧) ديوانه ٣ : ١٧٩٤ ، وكلمة « وقال » ساقطة من س . وتراح : أى تُسَرُّ وتَفْرَحُ .

بَقِيتَ وكأين جِئتَ بادِيءَ نِعْمَةٍ [(١)] يَقِلُّ السَّحابُ أنْ يَجيءَ رَسيلَها

وقالَ [(٢)] :

/أعطيت حتّى تَرَكْتَ الرِّيحَ حَاسِرَةً وَجُدْتَ حتَّى كأنَّ الغَيْثَ لم يَجُدِ ٧٨

هذا من قَوْلِهم : فلانٌ يُبارِي الريحَ جُوداً [(٣)] ، فيقالُ : أىُّ جودٍ [(٤)] للرِّيحِ حَتَّى يُبارِيَها الجوادُ [(٥)] ، فإنَّما المعنىٰ أنَّه يبارِى هُبوبَها ، فيُعْطِى أبداً ما هَبَّتْ ، كما نَذر لَبيدُ أن يُطْعِمَ ما هَبَّتِ الصَّبا وخَبَرُهُ فى هذا مَشْهُورٌ [(٦)] .

ويَجُوزُ أن يكونَ ذَهَبَ إلى أنّ الأمطارَ لا تكونُ إلاّ بالرِّياحِ [(٧)] ، ولا يَجْمَعُ السَّحابَ ويأتِى بالغيثِ إلا الرِّيحُ [(٨)] ، والأوَّلُ أليَقُ وأشْبَهُ لِقولِهِ [(٩)] : « تركتَ الرِّيحَ حاسِرَةً » أى : مُعْيِيَةً .

وقال [(١٠)] :

ورأيتُ يومَ نداكَ أشرَقَ بهَجةً واهتزَّ أطرافاً ، ورقَّ نَسيما
ورأيتُ يومَ الغيثِ فى ظَلمائِهِ جَهْماً مُحَيَّاهُ أغَمَّ بَهيما [(١١)]

---

(١) س : « فكأين » وهى رواية الديوان .
(٢) ديوانه ١ : ٥٧٥ .
(٣) س : « سخاءً » .
(٤) س : « سخاء » .
(٥) الأصل : « الجودُ » والتصحيح من س .
(٦) كان لبيد من أجود العرب ، وكان آلىٰ فى الجاهلية ألّا تَهُبَّ صَباً إلّا أطعمَ ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروحُ فى كلِّ يومٍ على مسْجد قومه فيُطْعِمُهُم ، فهبَّتِ الصَّبَا يوما والوليدُ بنُ عُقْبَةَ على الكوفة ، فصعَد الوليدُ المِنْبَرَ وخطب الناسَ ثم قال : إنَّ أخاكم لبيدَ بنَ ربيعةَ قد نَذَر فى الجاهِلِيَّة ، ألّا تَهُبَّ صَبًا إلّا أطعمَ ، وهذا يومٌ من أيَّامِهِ ، وقد هبت صَبا ، فأعينُوهُ ، وأنا أوّلُ من فعَلَ ، فأرْسل إليه بمائةِ بكرةٍ « الأغانى ١٤/١ وما بعدها » .
(٧) فى س أورد هنا قوله : « والأولُ أليق » ، ثم كرَّرهُ بعد ذلِكَ .
(٨) س : « ولا يجمع السحاب ويأتى الغيث إلا بالريح » .
(٩) س : « كقوله » .
(١٠) ديوانه ٣ : ١٩٦٤ .
(١١) ديوانه : « وشهدت يومَ الغيثِ فى هَطَلانِهِ » .

وَيَخُصُّ أرضًا دونَ أَرْضٍ جَوْدُهُ [(١)] وسحابُ جُودِكَ فى العُفاةِ عُمومَا

فهذا كُلُّه تفضيلٌ لِجودِ الجَوادِ على الغَيْثِ .

وقد شَبَّهَهُ بالغَيثِ أحسَن تَشْبيهٍ فقَالَ [(٢)] :

يُعْطِى على الغَضَبِ المُتَعْتِعِ والرِّضَا وعلىَ التَهَلُّلِ والعُبوسِ الأَرْبَدِ
كالغَيْثِ يَسقِى الخَابطِينَ بأبيض من غَيْمِهِ وبأَحْمَرٍ وبأَسْوَدِ

وأحسنُ من هذَا وأجمعُ قولُهُ [(٣)] :

يجودُ على الطُّلاب : سحّاً وديِمَةً وهَطْلاً وإرْهاماً ووَبْلاً ورَيِّقَا

فجاءَ بستَّة أَنْواع من نُعوت الغَيْثِ فى بيتٍ وَاحِدٍ .

و « السَّحُّ » شِدَّةُ انْصِبابِ المَطَرِ ، و « الدِّيمَةُ » المَطَرُ الدَّائِمُ فى سُكونٍ و « الهَطْلُ » [(٤)] فوقَ ذلِك ، و « الإِرْهامُ » من أَرْهَمتِ السَّماءُ وهى الرِّهْمَةُ : المَطَرُ الضَّعيفُ الدَّائِمُ ، و « الوَبْلُ » [من الوابِل و] [(٥)] هو المطَرُ الشَّديدُ الضَّخْمُ القَطْرِ ، و « الرَّيِّقُ » من تَرَيُّق الماءِ وهو تَرَدُّدُهُ على وجهِ الأرضِ من الضَّحْضاحِ ونَحوِهِ ، وإذا انْصَبَّ الماءُ قُلْتَ راقَ يَريقُ ، ويُقالُ أَرقْتُهُ [(٦)] أنا إراقةً وهرَقْتُهُ ، ويُقالُ راقَ السَّرابُ [(٧)]

---

(١) الأصل : « جُودُهُ » والتصحيح من ديوانه و س .

(٢) ديوانه ١ : ٥٤٦ .

(٣) س : « وأجود من هذا » ديوانه ٣ : ١٥٠٣ ، وفيه : « تجود » وهى رواية س .

(٤) قال شارح الديوان : « الهطل : المطر الضعيف الدائم » . وجاء فى « فقه اللغة للثعالبى ١٧٩ » « إذا دَامَ المَطَرُ مع سكون فهو الدِّيمَة ، والضَّرْبُ فوقَ ذلك ، والهَطْلُ فوقه ، فإذا زادَ فهو الهَتَلانُ والتَّهتَانُ » وروى ذلك الأصمعى أيضا « اللسان : هطل » ، وهذا المعنى أَقْرَبُ إلى مراد الشاعر .

(٥) زيادة من س .

(٦) ساقطة من س .

(٧) الأصل : الشراب بالشين المعجمة وفى س « راقَ الماءُ يَرِيق رِيقاً » .

يُرِيقُ إذا تَضَحضَحَ فوقَ الأرْضِ ، والرَّيِّقُ من كلِّ شَىءٍ أفْضَلُهُ ، رَيِّقُ الشَّرابِ وَرَيِّقُ المَطَرِ .

فأقولُ الآن فى الموازنة بينَها : إنَّهُ لولا قولُ أبى تمّامٍ :

والغيثُ يَكْرُم مَرَّةً ويَلُومُ

وقولُهُ :

/ كان فِيها صوبُ الغَمامِ لئيمَا ٦٨ ب

لَفَضَّلْتُ البحترىَّ علَيه ، ولكنّى أجَعَلُهُما متكافِئَيْنِ .

* * *

وفي تشبيهِ جُودِ الجوادِ بالبحرِ

قال أبو تمّام[1]:

هو البَحْرُ من أيِّ النَواحِي أتَيتَه   فلُجَّتُهُ المعَروفُ والجودُ ساحِلُهْ

وهو مَعنىً فى غايةِ الجَوْدَةِ والصِّحة ، وإنما حَذاهُ على قولِ مُسْلِمٍ[2]:

هو البَحْرُ يغشىٰ سُرَّةَ الأرْضِ فَيْضُهُ   وتُدْرِكُ أطرافَ البِلادِ سَواحِلُهْ

وغَيَّرَ معَناهُ .

وقال[3]:

يَمينُ مُحَمَّدٍ بَحْرٌ خِضَمٌّ   طَموحُ المَوجِ مَجْنونُ العُبَابِ

وقال[4]:

بَحْرٌ يَطِمُّ علىَ العُفَاةِ فإن تَهِجْ   رِيحُ السُّؤالِ بِمَوْجِهِ يَغْلَوْلِبِ

والشَّوْلُ ما حُلِبَتْ تَدفَّقَ رِسْلُهَا   وتَجِفُّ دِرَّتُها إذا لم تُحْلَبِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٩ ، وفيه : « هواليم » .

(٢) س : « على بيت مسلم » ، ديوانه ١٤٦ ، وفيه « فيضه » .

(٣) ديوانه ١ : ٣٣١ وشرح التبريزى ١ : ٢٨٣ يمدح ابن شبانة « محمد بن الهيثم » ، ومن هنا إلى آخر البيت سقط من س .

(٤) ديوانه ١ : ٢١٩ وشرح التبريزى ١ : ١٠٤ ، ١٠٥ .

أرادَ أنَّ هذا المَمدوحَ يَجودُ ويُوسِعُ ، فإن سُئِلَ أعْطَى وأكثَرَ وزادَ ، وذكَرَ أنّ الشَّوْلَ لَيستْ هذِهِ حالها ، وأنّ ألْبانَها تَتدفَّقُ إذا حُلِبَتْ ، وتَنْقَطِعُ إذا لَمْ تُحْلَب ، فَفَضَّلَ جُودَهُ على لَبَنِ الشَّوْلِ ، وإنَّما كانَ يَنْبَغِي أن يُفَضِّلَ جُودَه على الغَيثِ كما قال :

والغَيثُ يَكرُمُ مَرَّةً(١) ويَلومُ

أو علىَ البَحْرِ حسبَ(٢)ما يأتى فى هذَا البَابِ ، ولكنَّهُ ذكر الشَّوْلَ ، لأنَّ ألْبانَها غِياثُ العَربِ وغِنَاها ومُعَوَّلُها ، ولِهذَا ماقَالَ فى المَواعِيدِ :

وتُنْتَجُ مِثْلَمَا نُتِجَ العِشَارُ(٣)

وإنَّما أخذَ قَوْلَهُ :

وتَجِفُّ دِرَّتُها إذا لَمْ تُحْلَبِ

من قولِ بَشَّارٍ :

والدَّرُّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الحَالِبِ(٤)

وهذَا كلُّهُ جَيِّدٌ بالِغٌ(٥).

---

(١) س : « تارة » .

(٢) ساقطة من س .

(٣) ديوانه ١ : ٥١٤ والتبريزى ٢ : ١٥٨ وصدره :

« تحِنّ عداته إثر التقاضى »

(٤) ديوان بشار بن برد ١ : ١٩٢ . وصدره :

« وإذا جفوتَ قطعتُ عَنكَ مَنافِعِى »

(٥) كلمة « بالغ » ساقطة من س ، وقد نقل ابن المستوفى كلام الآمدى السابق ثم قال معلقًا : وهذا التمثيلُ الذى ذكره أبو تمّام ، إذا حُمِلَ على ظاهره ، لا يطابِقُ الأولَ من كِلَا جانِبَيْه ، لأنَّ قولَهُ « والشَّوْلُ ما حُلِبَتْ تَدفُّقَ رَسْلُهَا » بإزاء قولِه : « وإن تَهِجْ رِيحُ السُّؤَالِ بِمَوجِهِ يَغْلَولِبِ » .

فأما قوله : « بَحْرٌ يَطمُّ على العُفاةِ » فليس بإزاءِ قَوْلِهِ : « وتَجِفُّ دِرَّتُها إذا لم تُحْلَبِ » .

ولعلى أعثرُ فى كتاب على جواب ماذكرته فآتى به ، والمعنى هو الذى ذكره الآمدى ، ولم يُرِدْ أبو تمام تشبيهَ الممدوح فى أحوالِه بالشَّوْلِ ، إنما نفىْ عنه أن يكونَ فى ابتدائِه بالعطاء وسؤالِه مثلَها ، وعليهِ المعنى =

ولم يَمُرَّ بي لَهُ تفضيلُ جُودِ الجَوادِ على البَحْرِ ، ولكِنَّ البحتريَّ يقولُ فى المُعْتَزِّ[1] :

مَلِكٌ تَدِينُ له الملوكُ وتَقْتَدِى   لُجَجُ البِحارِ بَسيْبِهِ المُتَدفِّقِ[2]

وقال [فيه][3] :

لم أرَ كالمُعْتَزِّ فى حِلْمِهِ الـ   ـوافِى وفى نَائِلِهِ الغَمْـرِ
يُسْتَصْغَرُ البَحرُ إذا اسْتُمْطِرَتْ   يَدٌ لهُ تُرْبِى عَلىٰ البَحْـرِ[4]

٦٩ / وأجودُ من هذا قَوْلُ قَعْنَبِ بنِ أُمِّ صاحِبٍ[5] :

قالوا الفراتُ ، وما أَرْضَى بِهِ شَبَهًا   ولن يَقومَ بِجَارِى سَيْبِكَ النَّهَـرُ[6]
يَسْقِى من الأرضِ جَنْباً لا يُجَاوِزُهُ   وسائِرُ الأَرْضِ منه يَابِسٌ صفِرُ

= فى كتاب أبى زكريا ، يقول : هو للعُفاةِ بَحْرٌ وإن يَهِيجُ بالسؤالِ كَثُرَ فَيْضُهُ ، ثم ضَرب مثلًا لكثرةِ عَطائِه ، وإن سُئِلَ شيئا بعد شئ فقالَ : إنَّ الناقةَ الشَّائلَ إن حُلِبَتْ تَدَفَّقَ رَسْلُها ، وإن لم تُحْلَبْ جَفَّتْ دَرَّتُها .

هذا كلامُه ، ولم يكشف المعنى .

وقال الخارزنجى : أى بَحْرٌ بِوالِه زاخرٌ فائضٌ على أهله ، فإذا صادف سؤالًا علا وغَرَّق العُفاةَ والزُّوارَ . وقال : الشُّوَّلُ الإبِلُ التى خَفَّتْ ألبانُها فإن حُلِبَتْ دَرَّتْ ورجعتِ الألبانُ التى فى ضُروعِها ، وإن تُرِكَتْ يَبِسَتْ ، أى يُعْطِى ما استُمِيحَ وسُئِلَ ، هذا كلامُهُ ، وجعَلَ النُّوقَ التى جَفَّتْ ألبانُها بإزاءِ قولِهِ « بحرٌ يَطُمُّ على العفاة » وهو تشبيهٌ وتمثيلٌ رديان . « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام لابن المستوفى ، مخطوط ، دار الكتب ، لوحة ٦٥ » .

(١) فى الأصل : « تدين به » . والتصحيح من ديوانه و س ، ديوانه ٣ : ١٤٧٦

(٢) ديوانه ٣ : ١٤٧٦ .

(٣) ساقطة من الأصل ، والبيتان فى ديوانه ٢ : ١٠١٠ وفى الأصل : روى البيت « يُسْتَمْطَرُ البَحْرُ » ونَصٌّ علىٰ رِوايةِ الدِّيوانِ بِخَطٍّ أَدَقَّ .

(٤) فى الأصل : « على البر » وما أثبتته رواية الديوان و س .

(٥) قَعْنَبُ بنُ أمِّ صَاحب الفزارى « بالصَّادِ المهملة » ، كما ورد فى كتاب « من نسب إلى أمه من الشعراء لابن حبيب » ، نوادِرُ المخطوطات ، عبد السلام هارون ١ : ٩٢ « وهو : قَعْنَب بن ضَمْرَةَ ، أحدُ بنى عبد الله بن غَطَفَان ، وكان فى أيّام الولَيِد بن عبد الملك » انظر : « شرح التبريزى للحماسة ٤ : ١٢ » .

(٦) « بجارى » ساقطة من س .

وقد تقدَّم الناسُ فى هذا وأكثروا ، وكلُّ هذا إفراطٌ حَسَنٌ مستحلًى لا يَنْفِرُ منه الطَّبْعُ ، ولكِنَّ الرَّدئَ المُطَّرَحَ المَرْذُولَ (١) عند أهلِ العِلْمِ بصناعةِ الشِّعْرِ ما أنشَدَهُ المُبرِّدُ لِبَعْضِهِمْ (٢) :

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبَارِها   وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ من الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لو أنَّ مِعْشَارَ جُودِها (٣)   على البَرِّ صارَ البَرُّ أندَى من البحرِ
ولو أنَّ خَلق اللهِ فى مَسْكِ فَارِسٍ (٤)   وبَارَزَهُ كانَ الخَلِىَّ من العُمْرِ

وقال البحترىُّ فى ذلك (٥) :

إذا قُرِنَ البَحْرُ الخِضَمُّ بأنْعُمِ الـ   ـخَليفَةِ كادَ البحرُ فيهِنَّ يَغْرَقُ

وقال (٦) :

فاتَ الرِّجالَ ، وفى الرِّجالِ تَفاوُتٌ   بخَصائِصِ الأَخْلاقِ ، والآدابِ
فكأنَّما البَحْرُ اسْتَجَاش يَمِينَه   فَقَضَى بِها أَرَبًا من الآرَابِ

وقال (٧) :

وَفَى جُودُهُ بالبَحْرِ والبَحْرُ لو رَمَى   إلى سَاعَةٍ من جُودِهِ ما وفَى بِهَا

وقالَ (٨) :

أَلَستَ تَرَى مَدَّ الفُراتِ كأَنَّهُ   جِبالُ شَرَوْرَى جِئْنَ فى البَحْرِ عُوَّمَا ؟

---

(١) « المرذول » ساقطة من س .
(٢) « لبعضهم » ساقطة من س ، وروى المبرد الأبيات فى الكامل ٣ : ١٢٨ كمثال على التشبيه المفرط المتجاوز ، والأبيات لبكر بن النطاح يقولها فى أبى دلف القاسم بن عيسى .
(٣) الأصل : « معشار عشرها » البيتان الأول والثانى فى ديوان المعانى ١ : ١٠٨ غير منسوبين .
(٤) المَسْكُ : الجلْدُ .
(٥) « فى ذلك » ساقطة من الأصل ، ديوانه « ٣ : ١٥٣ » ، وفى س : « إذا فرق » تحريف .
(٦) ديوانه ١ : ٢٩٧ .
(٧) ديوانه ١ : ٢٣٥ .
(٨) ديوانه ٤ : ٢٠٩٠ وشَرَوْرَى اسم جبل فى البادية ، بين العَمْق والمَعْدن ، فى طريق مكة =

وَلم يَكُ من عاداتِهِ ، غَيرَ أَنَّهُ   رَأى شِيمَةً من جَارِهِ فَتَعلَّمَا

وقال فى المعتزِّ[1] :

بِحِلْمٍ كَأَنَّ الأَرْضَ مِنْهُ تَوقَّرَتْ   وجُودٍ كأَنَّ البَحْرَ مِنْهُ تفَجَّرَا

ولا خفاءَ بِفَضلِ البحتريِّ فى هذا البابِ على أبِي تَمَّامٍ .

* * *

= إلى الكوفة وهى بين بنى أسد وبنى عامر » معجم ما استعجم ٧٤٩ » .

(١) ديوانه ٢ : ٩٣٣ ، وفى س : « توقدت » ، وفيها تقدّم الحكم فى الموازنة « ولا خفاء ..... » إلى آخر العبارة ، على قول البحترىّ فى المعتز ، وكأن الناسخ قد استدرك هذا البيت فجاء به آخر الباب .

ومن خَبْطِ الجوادِ بنائلِه من غَيْرِ تمييزٍ ولا تأمّلٍ لإيقاعِ الصنيعةِ في موقعها

قال أبو تمّام (1) :

إذا ما غدا أغْدىٰ كريمةَ مالِهِ   هَدِيًّا ولو زُفَّتْ لِألأمِ خاطِبِ

وهذا – وأبيكَ – الكرمُ المَحْضُ .

وقال (2) :

فتًى جُودُه طَبْعٌ فَلَيْسَ بِحَافِلٍ   أفي الجَوْرِ كانَ الجُودُ مِنْهُ أمِ القَصدِ

وهذا أيضا غايةُ الكَرمِ (3) .

وقال البحتريُّ (4) :

تَغَطْرُسُ جُودٍ لَمْ يُمَلِّكْهُ وقفةً   فيَخْتَارَ مِنها للصَّنِيعَةِ مَوْضِعَا

---

(1) ديوانه ١ : ٢٨١ وشرح التبريزى ١ : ٢٠٥ .

(2) ديوانه ١ : ٤٥٧ وفيه فى س : « أو القصد » وشرح التبريزى ٢ : ٦٦ ، وفى ديوانه فقط : « طبعه جود » ، وفى س والأصل : « أفى الجود » تحريف .

(3) نقل ابن المستوفى عبارة الآمدى فقال : « قال الآمدى : هذا وأبيك الكرم المحض ، وقال فى مثله بغير لفظه : فتى جوده ..... الخ » ، « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام الجزء الأول ، دار الكتب ، لوحة ١٠١ » .

(4) ديوانه ٢ : ١٢٦٦ ، وفيه « لم يكلفه » وفى س : « لو تملكه » .

وهذا أيضًا جيِّدٌ.[(١)]

وقال البحترىّ[(٢)]:

ماضٍ على عَزْمِه فى الجُودِ لو وَهب الـ (م) ـشبابَ يومَ لِقَاءِ البِيضِ ما نَدِمَا

وهذا أجوَدُ النَّاسِ وأجْهَلُهم.

وقال أبو تمَّام فى المعتصم[(٣)]:

عَطاءٌ لو اسْطَاعَ الذى يَسْتَمِيحُهُ لأصبَحَ من بينِ الوَرىٰ وهو عَاذِلُهْ

وقال فيه يَصِفُ مذَاهِبَهُ فى عَزائِمِهِ[(٤)]:

وعزائِمًا فى الرَّوْعِ مُعْتَصِمِيَّةً مَيمونَـةَ الإدْبـارِ والإقْبـــالِ
فَتَعَمُّقُ الوُزَرَاءِ يَطْفُو فَوْقَها طَفْوَ القَذىٰ وتَعقُّبُ العُذَّالِ

وهذا لَيْس بالجَيِّدِ، ومَنْ هذا[(٥)] الذى يَعذِلُ الخليفةَ على أمرٍ يعزِمُ عليه، إنَّما يُشير ويَذْكرُ صَوابًا إن كانَ عِنْدَهَ، فأمَّا أن يَعْذِلَ فلا.

[وقال البحترىُّ فى المُهْتَدِى[(٦)]:

وقد أعْجزَ العُذَّالَ أن يَتَدَاركُوا لُهىً تَسْبِقُ الألْحاظَ قَبلَ ارْتِدادِها]

والذى هُو فى غايةِ القُبْحِ[(٧)] قولُ البُحْتُرِىِّ فى المُعْتَزِّ:

لا العَـذْلُ يَرْدَعُـهُ ولا الـ (م) ـتَّعْنِيـفُ عن كَرَمٍ يَصُدُّهْ

---

(١) س: وهذا أيضا جواد.

(٢) ديوانه ٣ : ٢٠٤٦.

(٣) «فى المعتصم» زيادة من س، والبيت فى ديوانه ٢ : ٢٠٥، والتبريزى ٣ : ٢٩، وهنا أضاف المؤلف معنى آخر للباب وهو «عذل الجواد على الجود» وقد سبق فى ص ١٢٣ أن عدهُ باباً مستقلاً.

(٤) ديوانه ٢ : ٢١٨ والتبريزى ٣ : ١٤٥.

(٥) س: «ومن إذا».

(٦) ديوانه ٢ : ٦٧٥، وما بين المعقوفين زيادة من س.

(٧) س: «غاية فى القبح»، والبيت فى ديوانه ١ : ٦١٤، وقد سبق البيت فى ١ : ٣٧٦، وقال الآمدى هناك معلقا عليه «وهذا عندى من أهجى ما مُدِحَ به خليفةٌ وأقْبَحِهِ، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفةَ أو يَصُدُّهُ؟، إن هذا لبالهجو أولى منه بالمدح»، وانظر تعليق الشريف المرتضى فى أماليه ٢ : ٩٣.

فَجَعلَ الخَليفَة مِمَّنْ يُعْذَلُ ويُعَنَّفُ على الكَرَمِ.[1]

وقولُ أبى تمّامٍ[2]:

ميمونةَ الإدْبارِ والإقْبَالِ

لفظٌ غيرُ جيِّدٍ، من أجل لفظةِ «الإدْبَارِ». كأنَّه أرادَ أن يقولَ: ميمونةَ البَدْءِ والعَوْدِ، والكرِّ[3] والرُّجوعِ أو التَّصرُّفِ، فقالَ: «الإدبارَ» من أجل قوله: «الإقبالِ».

وقال [أبو تمّامٍ][4]:

أَمَهْدِيًّا لَحيتِ علىَ نَوالٍ   لقد حُكْتِ المَلَامَ لِغَيْرِ وَاعِ

وقال[5]:

لامُلْبِسٌ مَالَه من دونِ سَائِلِهِ   سِتْرًا ولا مُنْصِبُ المَعْروفِ لِلْعَذَلِ

قَوْلُهُ: «ولا مُنْصِبُ المَعْروفِ لِلَعذْلِ» أى لا يَجْعَلُهُ نَصِيبًا لِلْعَذْلِ[6]، ويَمْنَعُ من الإعْطَاءِ.[7]

---

(١) ساقطة من س.

(٢) س: «ومنه قول»، و«ميمونة الإقبال والأدبار».

(٣) س: أو المكر.

(٤) زيادة من س، وانظر ديوانه ٢: ٢٥، والتبريزى ٢: ٣٣٩، يمدح مهدى بن أصرم وفى ديوانه: «لقد أسمعت لومك غير واع».

(٥) ديوانه ٢: ٢٣٥ والتبريزى ٣: ٩٣ وفيهما: «ولا ناصبُ المعروفِ»، وفى ديوانه: «ماملبس».

(٦) دأب ناسخ الأصل على ضبط «العَذْل» بتسكين أوسطه، فى البيت وفى التعليق، ولا يصح الوزن بهذا الضبط.

(٧) وجاء فى النظام لابن المستوفى «وروى لآمدى «ولا مُنْصِبُ المعروف للعذلِ» وقال: «أى لا يجعل المعروف نصبا للعَذل ويدعه له»» النظام شرحى المتنبى وأبى تمام لوحة ٢٦٤»، وفى الأصل: «لا تجعله ... وتمنع»، والتصحيح من س.

[وقال البحتريُّ (١) :

له بِدَعٌ فى الجودِ تَدعو عَذُولَهُ عَليها إلى استِحْسَانِهَا فَيساعِدُهْ]

وقالَ أيضاً (٢) :

٧٠ أ / مَلُومٌ على بَذْلِ التِّلادِ مُفَنَّدٌ ولا مَجْدَ إلّا لِلْمَلومِ المُفَنَّدِ

وقالَ (٣) :

أَشْهَرْتَ لَيْلَ عَواذِلٍ لَوْلَا لُهىً تُصْفِى كَرَائِمَها لَبِتْنَ هَواجِدَا

يُسْقَيْنَ مِنكَ الغيظَ دون مَعَاشِرٍ يُسْقَونَ بالذَّمِّ الزُّلالَ البَارِدا (٤)

[وإذا وَسَمنكَ والبَخِيلَ بِنَبْزَةٍ كُنْتَ المُضَلَّلَ والبَخِيلَ الرَّاشِدَا] (٥)

وقال (٦) :

وإذا ما رياحُ جُودِكَ هَبَّتْ صارَ قَوْلُ العُذَّالِ فِيها هَبَاءَ

وقال (٧) :

إذا جادَ أغضىٰ العاذلونَ وكَفُّهُمْ قَدِيمُ مساعِيهِ التى تُتَقَيَّلُ

ومن ذا يلومُ البحرَ إن باتَ زَاخِرًا يَفِيضُ، وصَوبَ المُزْنِ إنْ راحَ يَهْطِلُ (٨)

وهذا غايةٌ (٩) فى الحُسْنِ والبَراعَةِ ، وإنّما أخَذَه من قولِ الشاعِرِ المَعْروفِ

---

(١) ديوانه ١ : ٥٨٦ وفيه « عليه » ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٢) الأصل : « وقال البحترى » والتصحيح من س ، ديوانه ٢ : ٧٧٢ التِّلادُ : المال الموروث ، والمُفَنَّدُ : المخطأ رأيه .

(٣) ديوانه ٢ : ٨٢٥ ، وفيه : « أسهدت » ، و « لولا اللهى » .

(٤) ديوانه : « يُشْفَيْنَ » ، وفى الأصل : مثل ، والتصحيح من س .

(٥) زيادة من س .

(٦) ديوانه ١ : ١٩ وفى س : « فيك هباء » .

(٧) ديوانه ٣ : ١٧٩٠ وفيه « يتقيّل » .

(٨) ديوانه : « أن بات يهطل » .

(٩) س : « وهذا فى غاية الحسن » .

بأبي الأسَدِ[1] في الفَيْضِ[2] :

ولائمةٌ لامَتْكَ « يافَيضُ » في النَّدىٰ فقلتُ لَها : لن يَقْدَحَ اللَّومُ في البَحْرِ
أرَادَتْ لِتَثْنِي الفَيْضَ عن عَادَةِ النَّدىٰ ومن ذَا الذي يَثْنِي السَّحابَ عن القَطْرِ

بيتُ البُحْتُرِيِّ الثَّاني أجْمَعُ ، وبيتُ أبي الأَسَدِ الثَّاني أَبْرَعُ[3] ، والبحتريُّ في هذا الباب ، أشْعَرُ[4] من أبي تَمَّامٍ .

* * *

(١) هو نُباتَةُ بن عبد الله الحِمَّاني « بكسر الحاء المهملة » من شيبانَ ، شاعرٌ مطبوعٌ متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيبا مليح النوادر مدّاحا خبيث الهجاء ، وكان صديقا لعلوية المُغَنّي الأعسر ، ينادمه ويواصل عشرته ويَصِلُهُ علوية بالأكابر ويعرضه للمنافع ، وكُنْيَتُهُ أبو الأسد ، وكان منقطعا إلى الفيضِ بن أبي صالح وزير المهدي ، كما انقطع قبله إلى أبي دلف « الأغاني ١٢ : ١٩٧ والوزراء والكتاب ص ١٦٤ » .

(٢) س : يمدح الفيض . وهو : الفَيْضُ بن أبي صالح ، واسم أبي صالح شِيرَويه ، وكان سَخيًّا سَرِيًّا ، وكثير الإفضال واسع الحال ، وكان مُتكبراً مُتجبراً مُترفِّعاً ، وكان الفيضُ قد وُصِف للمهدي لما عَزَم على يعقوبَ بن داودَ ، فلما قَبضَ عليه أحضرَ الفَيْضَ واستوزره سنة ١٦٦ هـ ومات المهديّ وهو وزيرُه ، ولم يستوزره الهادي ، وبقيَ الفيضُ إلى أيام الرشيد ثم مات سنة ١٧٣ « الوزراء والكتاب للجهشياري ١٦٤ وما بعدها ، الفخري في الأداب السلطانية لابن الطقطقي ١٣٥ وما بعدها » ، وقد أوردت الأصل بيتاً واحداً ملفقا من صدر الأول وعجز الثاني والتصحيح من س والبيتان : وردا من جملة أبيات في مدح « الفيض » هي :

ولائمة لامتك يا « فيض » في الندى فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
أرادت لتثني « الفيض » عن سنن الندى ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
مواقع جود « الفيض » في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر
كأن وفود « الفيض » لما تحملوا إلى « الفيض » وافوا عنده ليلة القدر

« الأغاني ١ : ١٩٨ ، والوزراء والكتاب ص ١٦٤ والفخري ص ١٢٦ وديوان المعاني ١ : ٣٠ ، ٦٣ » وانظر العمدة لابن رشيق ٢ : ٧٤ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ٥ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه « ونسب البيت لأبي الأسود الدؤلي » ٣ : ٥ ، وقراضة الذهب لابن رشيق ٨٧ ، وقد أورد البيت ملفقا كما ورد في الأصل ، ونسبه إلى حمزة بن بيض ، « ترجمته في الأغاني ١٥ : ١٤ » ، وفي مرآة الجنان لليافعي ١ : ٤٣٩ منسوباً إلى أعرابي في مدح الفضل بن يحيى البرمكي » .

(٣) زيادة من س .

(٤) زيادة من س .

تعجرف الجواد على ماله وإتلافه إيّاه[1]

قال أبو تمّام[2] :

كأنَّ أموالَهُ والبَذْلُ يَمحَقُها نَهْبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبْذِيرُ أوْ نَفَلُ

وقالَ[3] :

جَزىٰ اللهُ كفًّا مِلْؤُها من سَعَادَةٍ سَرَتْ فى هَلاكِ المَالِ والمَالُ نَائِمُ

قولُهُ : « مِلْؤُها من سَعَادَةٍ » من أحْسَنِ لَفْظَةٍ وأبْرَعِها .

وقالَ[4] :

كَمْ وَقْعَةٍ لَكَ فى المكارِمِ ضَخْمَةٍ غَادَرْتَ فِيها ما مَلَكْتَ قَتِيلا

« ضَخْمَةٍ » لَفْظَةٌ غيرُ جَيّدةٍ فى هذا المَوْضِعِ ولا لائقةٍ ، وإنَّما جَعَلَها فى مَوْضِعِ « عَظِيمةٍ » .

---

(١) سقط هذا الباب والباب الذى يليه من نسخة الأصل « ك » وأوردته « س » ، بينما جعلت « ك » هذا العنوان على باب « إعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه » ، وهو فى لوحة ٧١ تونسية إلى لوحة ٧٤ .

(٢) ديوانه ٢ : ١٨٠ والتبريزى ٣ : ١١ .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٨٧ والتبريزى ٣ : ١٧٨ .

(٤) ديوانه ٢ : ٢٩٦ والتبريزى ٣ : ٧١ . وفى ديوانه : « فخمة » .

وقَوْلُهُ : « فى المَكارم » أى فى سبيلِ المَكارمِ ، كما تقولُ : فى اللهِ ، أى فى سبيل الله .

وقالَ[(١)] :

وإن خَفَرتْ أموالَ قَومٍ أَكُفُّهُمْ ... من النَّيلِ والجَدوىٰ فكَفَّاهُ مَقْطَعُ

وهذا البَيْتُ مِمَّا عَهِدْتُ الشيوخَ يَضْحكُونَ مِنْه ، وقد أتىٰ البحتريُّ بِمثلِ قولِهِ : « فكفَّاه مَقْطَعُ » ، ولكنَّه جاءَ به حَسَنًا فقال[(٢)] :

تُحْسَبُ فى وَفْرةٍ يَدَاهُ يَدَى ... عَدوِّهِ أَو لِغَيْرِهِ نَشَبُهْ

وقالَ أبو تمّامٍ[(٣)] :

فالمالُ أنَّى مِلْتَ ليسَ بسَالِمٍ ... من بَطْشِ كَفِّكَ مُصْلِحاً أَوْ مُفْسِدَا

[وقال][(٤)] :

يَلْقَى بها حُرُّ التِّلادِ وعَبْدُهُ ... عِنْدَ السُّؤالِ مَصارِعًا وحُتُوفَا

وقالَ[(٥)] :

كم نَفْحةٍ لَكَ لم يَحْفَظْ تَعَجْرُفُهَا ... لِصَامِتِ المَالِ لا إِلًّا ولَا ذِمَمَا

---

(١) ديوانه ٢ : ١٤ والتبريزى ٢ : ٣٣٠ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٨٠ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٨٢ والتبريزى ٢ : ١٠٧ ، وفى ديوانه : « من بطش جودك » ، ومعنى هذا البيت متعلق بالبيت الذى قبله وهو :

لمّا زَهِدتَ زَهِدتَ فى جَمعِ الغِنىَ ... ولَقَدْ رَغِبْتَ فكنتَ فيه أَزْيَدا

وقال الخارزنجى : يقولُ : أنت فى حالَتَىْ زُهْدك ورغبتك لا يسلم منك مالُك ، فإنك تنفقه إذا زهدت فى الدنيا فى أعمال البر ، وتنفقه إذا رغبت فيها فى ابتناء المكارم ، « النظام حـ ١ لوحة ٣٧٠ » ، وفى س « أنى نلت » .

(٤) ساقطة من س ، وانظر ديوانه ٢ : ٧٨ والتبريزى ٢ : ٣٨٤ ، وفى الأصل « البلاد » تصحيف والتصحيح من شرح التبريزى ، وفى ديوانه : « تكفى بها سهل البلاء وعلّه » .

(٥) ديوانه ٢ : ٤٣٧ والتبريزى ٣ : ١٧٤ وفيهما « يُحْفَظْ » بالياء للمجهول وهو خطأ ، العَجْرفةُ : ركوبك الأمر لا تَرَوِّىَ فيه ، « والإل » : الحلف ، و « الذِّمةُ » : العهد ، من قوله تعالى : « كيف وإن –

وقالَ[(١)] :

مَلَكَتْ مَالَه المَعَالى فمَا تَلْـ ـقَاهُ إلا فَرِيسَةً لِلحقُوقِ
يَقِظٌ وهْوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إغْضا ءً على نَائِـلٍ لَهُ مَسْرُوقِ[(٢)]

فقولُهُ : « فَرِيسةً لِلحقُوقِ » كلامٌ حَسَنٌ حُلْوٌ .

وقوله : « على نائلٍ لَهُ مَسْروقِ[(٣)] » ، معنًى ليسَ بالجيِّد بل هو رديءٌ ؛ لأنّ نائلَه هو ما يُنيلهُ ، فكيف يكونُ مَسروقًا منه ؟ ، وهل يكونُ الهَجْوُ إلّا هكَذا : أن يجعَلَ نائِلَه مأخوذًا منه على وَجهِ السَّرِقَةِ ؟ .

وإنما اعتمَدَ المطابقةَ لمَّا وصَفَهُ بالتَّيقُّظِ جعَلَه مِمَّنْ يُسرَقُ مِنْهُ ، إذ كان من شأنِ المُتيَقِّظِ ألّا يغفل حتى يَستَمِرّ[(٤)] عليهِ السَّرَقُ ، وكان يَصِحُّ هذا المعنى لو[(٥)] قالَ : « على مالٍ لَه مَسروقِ » حتى يكونَ يُعْطِى مالَه اختيارًا لجُودِهِ ، ويُغْضى إذا سُرِقَ مِنْهُ لِكَرَمِهِ ، وقد ذَكَرْتُ هذَا فى أغَالِيطهِ[(٦)] على هَذا الشَّرحِ .

وقال البحتريُّ[(٧)] فى هذا البابِ :

فكَم لَكَ فى الأموال مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ طَوِيلٍ – من الأهوالِ – فيه عَوِيلُها

= يظهرُوا عليْكُم لا يرقبُوا فيكم إلّا ولا ذمةً » التوبة آية ٨ .

(١) ديوانه ٢ : ١٤٦ والتبريزى ٢ : ٤٤٥ .

(٢) سبق التعليق عليه فى ١ : ٢٤٠ .

(٣) قال ابن المستوفى بعد أن ذكر شروح بعض الشيوخ لهذا البيت : لم يُلِمَّ أحَدٌ منهم بتَفْسيرِ قَوْله : على نائلٍ لَهُ مَسروقِ ، وكيف يكونُ نائلٌ ينيلُهُ مَسْروقًا ، وهو مأخوذٌ بعِلْمِهِ ؟ « النظام ٢ لوحة ١٩٦ » .

(٤) فى الجزء الأول ص ٢٤٠ « استمَرّ عليه » وهو خطأ ، وذكر المحقق فى الهامش رواية هذا الجزء ، واستمر : يستمر : ذهب ، وفى س : « حتى استمرَّ » .

(٥) فى س : « ولو » .

(٦) انظر ١ : ٢٤١ .

(٧) ديوانه ٣ : ١٧٧٨ ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٢ ، وفى الأصل « من الأموال » تحريف ، والتصحيح من روايته التى سبقت فى الجزء الأول ومن ديوانه .

ومِثلُ هذَا قولُ أبى نُواسٍ[1]:

بُحَّ صوتُ المَالِ مِمَّا مِنكَ يَشْكُو ويَصيحُ

ومازالَ النّاسُ يعيبونَ قَولَه : « بُحَّ »[2].

وقال البحتريُّ أيضا[3]:

و يَحكُمُ فى ذَخائِرِه نَداهُ كمَا حَكَمَ العَزيزُ على الذَّليلِ

وأحسَنُ من كلِّ حَسَنٍ قَولُهُ[4]:

يَتفَادىٰ من نَداهُ تَالِدٌ لو تَرقَّى للثُّريا ما وَأَلْ

وهذا أَجْوَدُ من أبياتِ أبى تمَّامٍ كُلِّها .

وقالَ[5]:

غريبُ المَكْرُماتِ تَرى لديهِ رِقابَ المالِ تُهْتَضَمُ اهْتِضَاما

إذا وهبَ البدُورَ[6] رأيتَ وَجْهًا يُخالُ لِحُسْنِهِ البدرَ التَّمامَا

وقال فى محمّدِ بن عبد الملك[7]:

مافقَدْنا الإعدامَ حتَّى مَددْنَا أملًا نَحوَ سَيْبِكَ المَمْدُودِ

سُؤْدَدٌ يُصْطَفىٰ ، ونَيْلٌ يُرجَّىٰ وثَناءٌ يَحْيَا ، ومَالٌ يُودِى

* * *

---

(١) ديوانه ٤٣٤ ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٢ .
(٢) انظر الموشح ص ٤١٤ .
(٣) ديوانه ٣ : ١٧٣٤ .
(٤) ديوانه ٣ : ١٧١٥ و « وَأَلَ » : أى نجا .
(٥) ديوانه ٣ : ٢٠٠٥ .
(٦) ديوانه : « تَخالُ » بالبناء للمعلوم .
و « البدور » : جمع بَدْرَة ، كيس فيه ألف أو عشرة آلاف .
(٧) ديوانه ١ : ٦٣٦ .

دَفع جودِ الجوادِ وعطاياه لنوائبِ الدّهرْ

قالَ أبو تَمّام[1] :

مشَتِ الخُطوبُ القَهْقَرىٰ لمَّا رَأَتْ ... خَببى إليكَ مُؤَكَّدًا بِرسيمِ
فَزِعَتْ إلى التوْديعِ غيرَ لَوابِثٍ ... لمَّا فَزِعْتُ إليكَ بالتَّسْليمِ
والدَّهْرُ أَلْأَمُ من شَرِقْتَ بِلَوْمِهِ ... إلَّا إذا أشْرَقْتَهُ بكَريمِ

وهذا البيتُ الأخيرُ من الاستعارةِ القبيحَةِ .

وقوله[2] :

صَدَمتْ مواهِبُهُ النَّوائِبَ صَدْمَةً ... شَغَبَتْ علىٰ شَغَبِ الزَّمانِ الأَنْكَدِ

وحَسْبُكَ بـ « صَدَمَتْ » لفظةً هجينةً قبيحةً .

وقال[3] :

أيُّ مُدَاوٍ لِلْمَحْلِ نَائِلُهُ ... وهانِئٍ للزَّمانِ من جَرَبِهْ
إنْ جدَّ ردَّ الخطوبَ تَدْمَى وإنْ ... يَمْزَحْ فجِدُّ العَطَاءِ فى لَعِبِهْ[4]

(١) ديوانه ٢ : ٤٤٥ والتبريزى ٣ : ٢٦٧ .
(٢) ديوانه ١ : ٤٥٢ والتبريزى ٢ : ٥١ .
(٣) ديوانه ١ : ٣٢٣ والتبريزى ١ : ٢٧٢ والهانئ : الطالى الإبل بالقطران .
(٤) ديوانه وشرح التبريزى : « يلعب » .

قولُهُ :

« وهانِئٍ للزَّمانِ من جَرَبِهْ »

هى الاستعارةُ الجيِّدةُ الحسَنَةُ ، وكان ينبغى أن يقولَ :

« وإن يلعَبْ فجِدُّ العطَاءِ فى لَعِبِه »(١)

وأبلغُ وأجودُ من هذا قول البُحْتُرِيِّ(٢) :

وادعٌ يلعَبُ بالدَّهرِ ، إذا جَدَّ فى أُكْرومَةٍ قُلْتَ : هَزَلْ !

وقال أبو تمّام وأحسَنَ(٣) :

بَرقَتْ بوارِقُ من يمينِكَ غَادَرتْ وَضَحًا بِوَجْهِ الخَطْبِ وَهْوَ بَهِيمُ

ضَرَبتْ أُنوفَ المَحْلِ حَتَّى أَقْلعَتْ والعُدْمُ تحت غَمَامِها مَعْلُومُ

وقال(٤) :

أَوْطَأْتَ أرضَ البُخْلِ فيها غارةً تَرَكَتْ حُزُونَ الحادِثاتِ سُهولا

وهذا كلُّه جَيِّدٌ .

وقال(٥) :

أَلا لَا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّءٍ إلى مُجْتَدِى نَصرٍ فتُقْطَعَ من الزَّنْدِ

وهذا من مَضاحيكِ شعرِه التى تُشْبِهُ شِعْرَ أَبِى العِبَرِ(٦) .

---

(١) وهى الرواية التى عليها البيت فى ديوانه وشرح التبريزى .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧١٤ ، وقد سبق فى ١ : ٣٢٠ .

(٣) ديوانه ٢ : ٤٢١ والتبريزى ٣ : ٢٩١ ، وفى ديوانه : « بوجه الدّهر » .

(٤) ديوانه ٢ : ٢٩٦ والتبريزى ٣ : ٧٠ .

(٥) ديوانه ١ : ٤٥٧ والتبريزى ٢ : ٦٤ ، وفى ديوانه « فتقطع للزّند » .

(٦) قال عبد الله بن المعتز : تجاوز حدّ المدح ولم يجئ بشئ فى ذكر زند يد الدّهر ، « انظر النظام جـ ١ لوحة ٣٣٦ ، ونقل هذا أيضا المرزبانى فى الموشح ص ٤٧٧ دون أن يعزوه » ، وأبو العبر هو : أحمد بن محمد هاشمى من بنى العباس ، كان من آدب الناس ، إلا أنه لمّا نظر إلى الحماقة والهزل أنفق على أهل =

وقال البحتريّ[(١)] :

شَامَتْ بُرُوقَ سَحابَةٍ « قُرَشِيَّةٍ » غَرِقَتْ صُرُوفُ الدَّهر بَيْنَ سُيُولِها

وقَالَ[(٢)] :

كَرِيمٌ لا يَزالُ لَهُ عَطَاءٌ يغَيِّر سُنَّةَ السَّنَةِ الجَمَادِ

وقَالَ[(٣)] :

إنْ تَرْمِ آلاؤهُ فى الدَّهْرِ عَنْ وَتَرٍ تَكُن لها نُوَبُ الأَيَّامِ أَهْدافَا

وهذا بَيْتٌ حَسَنٌ جِدّا .

وقَالَ[(٤)] :

وَ دَعِ الخُطُوبَ فإنَّه يَكْفيكَها مِن حَيْثُ واجهَها « أبو الخطابِ »
خَرِقٌ إذا بَلَغ الزَّمانُ فِنَاءَه نَكَصَتْ عَوَاقِبُهُ عَلَى الأَعْقَابِ

وَقَال[(٥)] :

قَمَرٌ مِنَ الفِتيَان أبيضُ صَادِعٌ لِدُجَى الزَّمَانِ الفَاحِم الغِرْبِيبِ
أعيىْ خُطوبَ الدَّهْرِ حَتَّى كَفُّها والدَّهْرُ سِلْكُ حَوادِثٍ وخُطُوبِ[(٦)]

قوله : « سِلْكُ حوادِثٍ » من أحسن لفظٍ وأعذبه .

هُمَا عندى فى البَابِ متكَافِئَانِ ، على ما لأبى تمّام من الإساءَةِ[(٧)] .

= عصره ، أخذ بها وترك العقل ، فصار فى الرقاعة رأسا ، وكان يمدح الخلفاء ويهجو الملوك بشعر ركيك ، وكان يؤمر على الحمقى فيشاورونه فى أمورهم « طبقات ابن المعتز ٣٤٢ - ٣٤٣ » .

(١) ديوانه ٣ : ١٧٦٨ ، وقد سبق فى ١ : ٣٠٠ .

(٢) ديوانه ٢ : ٧٢٥ .

(٣) ديوانه ٣ : ١٣٧٨ .

(٤) ديوانه ١ : ٢٩٥ .

(٥) ديوانه ١ : ٢٤٨ .

(٦) فى الأصل « أغنى خطوب » تصحيف والتصحيح من ديوانه .

(٧) إلى هنا ساقط من الأصل .

وفي إعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه [1]

قال أبو تمّام [2] :

فَنَوَّلَ حتى لم يَجِدْ مَن يُنيلُهُ وحَارَب حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يحارِبُهْ

وقد قال أبو نواس [3] :

وأطعم حَتَّى ما بمكَّة آكِلُ

وقال عليّ بن جبلة [4] وأظنُّ أَبَا تَمَّام أَخذ مِنْه :

[أُعطيْتَ حَتَّى لَمْ تَجِدْ لَكَ سَائِلا وَبَدأْت إذْ قَطَعَ العُفَاةُ سؤَالَها] [5]

ومِثْلُه سواءً [6] قَوْلُ البحتريّ ومنه أخذ فيما أُظُنّ :

جَادَ حَتَّى أَفنَى السّؤَالَ فَلَمَّا بَادَ مِنَّا السّؤَالُ جَادَ ابتدَاءَ

---

(١) عنوان هذا الباب فى الأصل : تعجرف الجواد على ماله وإتلافه ، والتصحيح من س .

(٢) هنا ينتهى الخرم فى الأصل الذى أشرت إليه فى ص ١٨٦ ، والبيت فى ديوانه : ١ : ٢٩٤ ، وشرح التبريزى ١ : ٢٢٧ .

(٣) ديوان أبى نواس ٤٣٦ ، وعجزه : وأعطى عطايا لم تكن بضمار

وقد سبق فى ١ : ٩٤ ، وفى الأصل : « آجل » والتصحيح من ديوانه ومن س .

(٤) وهو الشاعر الضرير المعروف بالعَكَوَّكِ .

(٥) هذا البيت ساقط من الأصل والتكملة من س ، وقد سبق فى ١ : ١١٣ وهو فى ديوانه ٩٩ .

(٦) كلمة « سواء » ساقطة من الأصل ، والبيت فى ديوانه ١ : ١٥ .

وعَلَى أنَّ هَذا كُلَّه عندى من المعانى المشتركةِ ، التى لَيس بمنكَرٍ أن تتَّفِقَ الخواطرُ فيها(١) لأنَّها خلائقُ الأجوادِ مشاهَدة ، وما شُوهِدَ وصف واتُّفِقَ عليه(٢) .

وقال أبو تمّام أيضا(٣) :

٧٨ ب / تَلافَى نَداكَ المُجْتَدينَ فأصبَحُوا ولم يَبْقَ مَذْخُورٌ ولم يَبْقَ مُجْتَدِ

وَقَال البحترىّ(٤) :

إذا قيلَ قد فَنِيَ السّائِلو ن قالت عطاياه هل مِنْ مَزيدِ

صاحبُ أبى تمّامٍ أكرمُ ، لأنّه لم يُبْقِ مَذْخُورًا .

وقَوْلُهُ(٥) : « قَالَتْ عَطَايَاه هل مِن مَزِيدِ » ، فالعَطَايا هِيَ ما يعطيه فيخرُجُ عن يَدِه إلى المجتدين ، فكيفَ قالت : هل من مَزِيد ؟؟ ، وإنما وجه الكلام – لو ساغ له الوَزْنُ – أنْ يقول : قَالَت مَكَارِمُهُ هل مِن طَالِب ؟ هل من مُلْتَمِسٍ ؟ وهذا عندى فى الخَطَأ شبيه بقول أبى تمّام(٦) :

وأضْحَتْ عَطَايَاه نَوَازِعَ شُرَّدًا تُسَائِلُ فِى الآفَاقِ عَنْ كُلِّ سائِلِ

وقَالَ البحترىّ(٧) :

بَثَّ اللُّهَى فى المعتفِينَ فَلَمْ يَدَعْ فى الأَرضِ مُجْتَديًا ولا مُسترْفِدا

---

(١) س : « عليها » .

(٢) سبق أن عدّ الآمدى قول أبى تمّام « فنوّل حتى لم يجد من ينيله » مأخوذا من قول أبى نواس السابق ١ : ٩٤ ، كما اعتبره أيضا من السرق الصحيح الذى خرجه ابن أبى طاهر ١ : ١١٣ .. !! .

(٣) « أيضا » ساقطة من س ، ديوانه : ١ : ٤٣٤ ، والتبريزى ٢ : ٣١ ، وفى الأصل : « تلافى جداك » .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٦٦ ، وفيه « عطاياه » .

(٥) من هنا إلى قوله « عن كلّ سائل » سقط من س .

(٦) ديوانه ٢ : ٢٢٠ ، والتبريزى ٣ : ٧٩ ، وفى ديوانه : « شزّبا » .

(٧) لم أجده فى ديوانه .

المُجتدى هو المسترفِدُ ، وقد[1] وَكَّد الأوّلَ بالثّانى لاختِلاف اللّفظَيْن ، ولو كانَ بينهما خِلافٌ كَانَ أجودَ فى المعنَى ، ولا يجوز أن يكُونَ مُسترْفَدًا[2] بفتح الفَاء ، أى شيئا يُرْفَدُ ، لأنَّ ذلك فى الأَرْضِ كَثِيرٌ وليس يَمْلِكُهُ ، ويحسن أَنْ يُقَال على المُبالغة : لم يدع فى الأرض مسترفِدا إلّا أغناه ، يريد مسترفِدا له .

وقال البحترىّ[3] :

أعطَيْتَ حَتّى لم تَجِدْ لَكَ سَائِلًا ... وعَلَوْتَ حَتَّى لَمْ تَجِدْ لَكَ مَصْعَدَا

وَقَال أبو تمّامٍ فى نَحو هَذَا[4] :

وإذَا حَلَلْتَ بِهِ أَنَالَكَ جُهْدَه ... وَوَجَدْتَ فَوْقَ الجُهْدِ مِنْهُ مَزِيدَا

وقال البحترىّ[5] :

جَادَ حَتَّى لو استُزِيدَ مِنَ الجو ... دِ لما كَانَ عِنْدَه من مَزِيدِ

و[6] كِلَاهُما قَدْ ذَهَبَ مَذْهَباً جَيِّدًا مَحْمُوداً .

* * *

---

(١) ساقطة من س .

(٢) ساقطة من س .

(٣) لم أجد هذا البيت فى ديوانه « تحقيق الصيرفى » ، وقد أورد الآمدى فى الجزء الأول ص ٥٨ بضعة أبيات للبحترى لم ترد فى ديوانه على نفس الوزن والقافية ، وقد جعلها محقق ديوان البحترى فى ملحقات الديوان نقلا عن الموازنة ، واعتمد المحققان « محقق الموازنة ومحقق ديوان البحترى » على كتاب « القول الفائق » لابن الأثير لتخريج البيت ، ونسخة هذا الكتاب المزعوم موجودة فى معهد المخطوطات تحت رقم ١٤١٥ ، وهذا الكتاب فى حقيقته قطعة من الموازنة لفقت نسبته إلى ابن الأثير ، وهو منه براء ، فالأبيات بالطبع وردت تحت الباب نفسه « وصف الديار وساكنيها » فى الموازنة ، وفى الكتاب المدّعى لابن الأثير ؛ لأنه نسخة تكاد تلتزم بترتيب الأبواب نفسه الذى جاء فى الموازنة ، أما العبارات والألفاظ فإنها هى هى بنصها فى الموازنة ، وفوت مثل هذا على المحققين الكبيرين أمر يدعو إلى العجب . !!

(٤) ديوانه ١ : ٤٠٩ والتبريزى ١ : ٤٢٠ وفيهما : « ومتى حللت .... بعد الجهد » .

(٥) ديوانه ٢ : ٧٦٩ .

(٦) سقطت الواو من س .

فى التذاذ الجواد بالجود

قال أبو تمّام فى المأمونِ[1] :

لَوْ يَعْلَمُ العَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَىٰ مِن لَذَّةٍ وقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ

/ أى : مِن لَذَّة واقتراح ، أىْ : ابتِدَاع واستخراجٍ . ٧٩

وهَذَا عندى غَلَطٌ مِنهُ ، لأنَّ هذَا الوَصْفَ الذى وَصَفَهُ بِهِ ، داعيهِ[2] إلى أن يَتَنَاهى الحامِدُ لَهُ فى الحَمدِ ويجتهدَ[3] فى الثناء ، لا أن يَدَع حَمْدَه[4] ، وإنــما ذَهَــب إلى أنّ الإنســانَ[5] إنَّما يُحْمَدُ على الشيءِ الذى[6] [يَتَكَلَّفُهُ ويَتَجَشَّمُهُ ، ويَتَحمَّلُ المَشَقَّةَ فِيهِ ، لا على الشيءِ[7]] الذى له بواعثُ شهوةٍ وشِدَّةِ صَبَابَةٍ إليه وَمَيْلٍ إلى فِعْلِهِ ، ومَنْ كَانَ غَرَامُهُ بالجُودِ هَذَا الغَرَامِ ، فَعَلى قَدرِ[8] ذَلِكَ يَجِبُ أنْ يُحمَدَ ويُمْدَح ، وقد

---

(١) ديوانه ١ : ٤٥٣ والتبريزى ٢ : ٥٣ ، وقد سبق فى ١ : ١٢٤ ، ٢٤١ ، وقال ابن المستوفى : « قال الصولى : نقل كلام المأمون فى العفو فصيّره له فى الجود ، قال المأمون : إنى لأعشق العفو حتى أظنّ أنى لا أؤجر عليه » « النظام جـ ١ لوحة ٣٣١ » .

(٢) فى الأصل : « داعيا » والتصحيح من س .

(٣) س : « ولا يجتهد » .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) س : « الناس » .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٨) ساقطة من س .

ذَكَرتُ هذا فى أَغَالِيطِهِ[١] على هذا الشَّرحِ[٢] .

فأمّا قول البحترىّ[٣] :

وَلقد أبَدْتَ الحَمْدَ حَتَّى لَوْ بَنَتْ كَفَّاكَ مَجْدًا ثَانِيا لَمَ يُحْمَدِ

فَمَذهَبٌ صحيح ، يُرِيدُ أَنَّكَ قَدْ أَفْنَيْتَ أوصافَ المَحَامِدِ[٤] ، فإن جِئتَ بِنَوْعٍ مِنَ المَكَارِمِ تَبنِى بِها[٥] مَجْدًا آخَرَ لَمْ يَقْدِر من يَحْمَدُكَ أو يثنى عَلَيْكَ على أكثَرِ ممّا قَدَّمَ[٦].

وقال البحترىّ[٧] :

يَلَذُّ الأَرْيَحِيَّــةَ للعَطَايَــا كَمَا لَذَّت لِشَارِبِها الشَّمُولُ

وهَذَا حَسَنٌ حُلْوٌ .

وَوَجَدْتُ فِى التَّعليقاتِ أنَّ بشاراً أَخَذَ قَوْلَهُ فى عُقْبَةَ بن سَلْمٍ[٨] :

ليس يُعْطِيكَ للرجاءِ ولا الخَوْ فِ ولكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) انظر ١ : ٢٤١ .

(٣) فى الأصل : « وقال البحترىّ » ، والبيت فى ديوانه ١ : ٥٤٩ ، وفيه « ولقد بنيت » ، و فى ديوانه وفى س : « لم تحمد » ، وقد سبق فى ١ : ٢٤٢ .

(٤) س : « الأوصاف والمحامد » .

(٥) فى الأصل : « تبنى به » .

(٦) الأصل : « تقدم » .

(٧) فى الأصل : « قال البحترى » ، ديوانه ٣ : ١٨٢٠ .

(٨) عقبة بن سلم بن نافع الهنائى من الأزد ، قال ابن حزم فى الجمهرة : « ولاه المنصور البحرين والبصرة ، فأكثر القتل فى ربيعة ، حتى كان ذلك سبب انحلال الحلف بين ربيعة والأزد ، وقتله رجل من ربيعة . فتك به فى جامع البصرة بحضرة النّاس » « جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى ص ٣٨٠ » ، وانظر : تاريخ الطبرى ٧ / ٥١٩ ، ٨ / ١٦٥ ، ديوان بشار ١ : ١٣٦ .

مِن قَولِ القَائِلِ:[١]

يَلَذُّ عَطَاءَ الرَّاغِبِين إِذَا غَدَوا　　كما لَذَّ أنفاسَ العَرُوسِ مَشُوقُ

وَهَذا كُلُّه أَجْوَدُ من قولِ أبى تَمَّامٍ.[٢]

* * *

(١) لم أقف عليه بعد .

(٢) يعنى قوله :

لو يعلم العافون كم لك فى النّدى　　من لذة وقريحة لم تحمد

إغناء الجواد للسائلين حتى يكونوا مسئولين (١)

وقال (٢) أبو تمّام (٣) :

تَنْدَى عُفَاتُك للعُفَاةِ وَتَغْتَدِى رِفْقًا إلى زوّارِكَ الزُّوّارُ

وقال (٤) :

فَمَا يَلْحَظُ العَافِى جَدَاكَ مُؤمِّلاً سِوى لَحْظَةٍ حَتّى يَؤُوبَ مُؤمَّلا

وقال (٥) :

فَكَمْ لَحْظَةٍ أعْطَيتَها لابن نَكْبَةٍ فأصْبَح منها ذَا عِقَابٍ وَنَائِلِ

وَقَالَ (٦) :

وكُنْتُ أخَا الإعْدَام لسنا لِعَلَّةٍ فَكَمْ بِكَ بعْدَ العُدْمِ أغْنَيْتُ مُعْدِمَا

---

(١) سقط هذا العنوان من س فالتحق هذا الباب بالباب السابق ، أما فى الأصل فقد جاءت العبارة محرفة ، ثم اتصلت بالجملة التى انتهى بها الباب السابق فصارت هكذا « وهذا كله أجود من قول أبى تمام أغنى يعنى السائلين حتى يكونوا مسئولين » ، ولعل الصواب ما أثبتّه ، وانظر ص ١٢٢ من هذا الجزء .

(٢) كذا فى الأصل ، وربما يكون المعطوف عليه أبياتا سقطت من النسختين .

(٣) ديوانه ١ : ٥٢٨ والتبريزى ٢ : ١٨١ .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٠٧ والتبريزى ٣ : ٩٩ .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٢٠ والتبريزى ٣ : ٨٠ ، وقال المرزوقى « أى : فكم منكوب رفعته وأعرته لحظك ، فأصبح من بعد يعاقب من يشاء وينيل من يشاء » ، وقال ابن المستوفى : « المنكوب الذى نكبه الدهر واجتاحه » ، « النظام شرحى المتنبى وأبى تمّام لوحة ٢٦٢ » ، وفى س : « فكم لحظة أعطيتها » وهى رواية الديوان .

(٦) ديوانه : ص ٢٩٨ والتبريزى ٣ : ٢٤٤ ، وفيه « يقول كنت أنا والاعدام أخوين ، و « لسنا لعلة » أى : لضرّة ، والأحوان إذا كانا لأب وأم كانا أجدر بمودة وائتلاف » .

وإذ أنا مَمْنُونٌ عَلىَّ ومُنْعَمٌ ... فَأَصبَحْتُ مِنْ خَضْرَاءِ نُعمَاكَ مُنْعِمَا

وأَنشَدَ ابنُ أبى طَاهِرٍ لأَبِى تَمَّامٍ (١) :

وإنِّى لأَرجُو عَاجِلًا أَنْ تَرُدَّنِى ... مواهِبُهُ بَحْرًا تُرَجَّى مَوَاهِبِى

وذَكَرَ أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ دِعْبِل (٢) :

إنْ جَاءَه مُرْتَغِباً سَائِلٌ ... آلَتْ إليهِ رَغْبَةُ السَّائِلِ

فسائِرُ أبياتِه على هَذَا مَحْذُوَّةٌ (٣) .

وقال البحترىّ فى مثل ذلك (٤) :

أَلحَقْتَنِى بِرِجَالٍ كُنْتُ أَتْبَعُهُمْ ... وأَطْلُبُ الرِّفْدَ مِنهم إن هُمُ رَفَدُوا

فالآنَ أُجْدِى كَمَا كَانَتْ سَرَاتُهُمُ ... تُجْدِى ، وأُحْمَدُ إِفْضَالًا كَمَا حُمِدُوا (٥)

مَقسِّما نَشَبِى فِى عُصْبَتَىْ طَلَبٍ ... فَعُصبَةٌ صَدَرَتْ ، وعُصبَةٌ تَرِدُ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٨٨ والتبريزى ١ : ٢١٥ ، وروى التبريزى : « وإنى لأرجو أن تردّ ركائبى ... » .

(٢) سبق هذا فى ١ : ٩٤ ، ديوانُهُ ٢٢٨ .

(٣) ولكن الآمدى سبق أن قرر فى الجزء الأول أنه : « غير منكر لشاعرين مكثرين متناسبين ومن أهل بلدين متقاربين ، أن يتفقا فى كثير من المعانى ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد فى الأشعار ذكره ، وجرى فى الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله » ، ١ : ٥٦ ، قال هذا مدافعا عن من يدعى أن البحترى قد سرق من أبى تمّام بعض أبياته ، وقد طبق هذا المقياس أيضا على الادعاء القائل بأن أبا تمّام سرق بعض المعانى من ديك الجن ، « انظر ص ١١٣ » ، ونحن نعلم أن دعبلا معاصر لأبى تمّام فكيف يقبل أن يكون أبا تمّام سرق من دعبل بعض معانيه ، وقد قرر الصولى « أخبار أبى تمّام ص ١٠١ » قبله المبدأ الذى اتفق عليه العلماء الذين بحثوا فى السرقات قال : « حكم النقاد للشعر العلماء به قد مضى بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أو جمعاهما ، أن يجعل السبق لأقدمهما سنا ، وأولهما موتا ، وينسب الأخذ إلى المتأخر ، لأن الأكثر كذا يقع ، وإن كانا فى عصر واحد ألحق بأشبههما كلاما ، فإن أشكل ذلك تركوه لهما » .

(٤) ديوانه ١ : ٤٩٦ .

(٥) س : « فصرت » وهى رواية الديوان .

[وَقَالَ[1] :

كَرُمَ الأميرُ بنُ الأميرِ فَأَقْبَلَ الْـ ـمُجْدِى إِلَيْه وَهْوَ عَافٍ مُجْتَدِ]

وَقَالَ[2] :

أَمَّا أَيَادِيكَ عِنْدِى فَهِى واضِحَةٌ ما إنْ تَزَالُ يَدٌ مِنْهَا تَسُوقُ يَدَا
[أَلازِمِى الكُفْرُ إنْ لَمْ أجْزِها كَمَلًا أَمْ لَاحِقِى العَجْزُ إنْ لَمْ أُحْصِهَا عَدَدَا[3]]
أَصْبَحتُ أُجْدِى عَلَى العَافِينَ مبْتَدِئاً مِنها ، وما كُنْتُ إلا مُسْتَمِيحَ جَدَا
وَمَنْ يَبِتْ مِنْكَ مَطْوِيًّا عَلَى أَمَلٍ فَلَنْ يُلامَ[4] عَلى إعْطَاءِ مَا وَجَدَا

وهذا فى غَايَةِ الحُسْنِ .

وقال[5] :

مَنْ شَاكِرٌ عَنِّى الخَلِيفَةَ فى الَّذى أَوْلَاه مِن طَوْلٍ ومِنْ إحْسَانِ
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ أَفْضَالِهِ ورَأَيْتُ نَهجَ الجُودِ حِينَ أَرَانِى
مَلأَتْ يَدَاهُ يَدِى وشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِى فأَفْقَرَنِى كَمَا أَغْنَانِى
وَوَثِقْتُ بالخَلَفِ الجَمِيلِ مُعَجَّلاً مِنْهُ فَأَعطَيْتُ الذِى أَعْطَانِى

أَخَذَ هَذَا مِن قَوْلِ ابن الخَيَّاط[6] المكىّ :

---

(١) ديوانه ١ : ٥٤٥ ، وفيه : « فأصبح المجدى إليه » ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٢) ديوانه : ٢ / ٧١٩ .

(٣) زيادة من س .

(٤) الأصل : « فلن يلام باعطاء » ، والتصحيح من ديوانه ومن س .

(٥) ديوانه ٤ : ٢٢٢٧ و ٢٢٥٥ ، ديوانه : « أولى من الأفعال والإحسان » ، وذُكِرَتْ رواية الموازنة فى القصيدة الثانية ص ٢٢٥٥ .

(٦) فى الأصل « من ابن الخياط » والزيادة من س ، وابن الخياط هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس مولى لقريش أو لهذيل ، شاعر ظريف ماجن خليع هجّاء خبيث مخضرم من شعراء الدولة =

لَمسْتُ بِكَفِّى كَفَّهُ أَبْتَغِى الغِنَى ... ولَمْ أَدْرِ أَنَّ الجُودَ من كَفِّهِ يُعْدِى

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفاد ذَوُوا الغِنَى ... أَفَدْتُ وأَعْدَانى فَفَرَّقْتُ مَا عِنْدِى

هُمَا عِنْدِى فِى هَذَا البابِ مُتَكَافِئَانِ ، لأَنَّهُمَا أَخَذَا المعْنَى الذى رَكِبَاهُ من غَيْرِهِمَا . (١)

* * *

= الأموية والعباسية ، وكان منقطعا إلى آل الزبير بن العوام ، مداحا لهم ، وقدم على المهدى مع عبد الله بن مصعب فأوصله إليه ، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسن صلته ، « انظر أخباره فى الأغانى ١٨ : ٩٤ وما بعدها ، وفى زهر الآداب قال : « ابن الخياط المكى واسمه – عبد الله بن سالم » ١ : ١١٤ » ، وفى عيون الأخبار « ابن الخياط المدينىّ » ٢ : ٢٨٤ ، فلعله مكىّ مدينى كما قال محقق كتاب الحيوان : الأستاذ / عبد السلام هارون ٣ : ٤٩١ » وانظر أخبار أبى تمّام ص ١٥٩ » ، والبيتان فى الوساطة ص ٢٢٣ ، والصناعتين ص ٢٠٦ ، وفى الأغانى ١٨ : ٩٤ وفيه « أخذت بكفى » ، وقد سبق البيت الأول فى ١ : ٧٠ ، وهما وفى الأغانى ٣ : ٢٦ منسوبان لبشار ، وفى شرح الحماسة للمرزوقى ص ١٦٣٠ .

(١) من قوله : « هما ... » إلى آخر التعليق سقط من س .

ذكر الشَّرف في العطاء[1]

قال أبو تَمَّام فى أبى دُلَف[2] :

تُدْعَى عَطَايَاه وَفْرًا وهْىَ إن شُهِرَتْ ... كَانَتْ فَخَارًا لِمَن يعفوه مُؤْتَنَفَا[3]

مازِلْتُ مُنْتَظِرًا أعْجُوبَةً زَمَنًا ... حَتَّى رأيتُ سُؤالا يَجْتَنِى شَرَفَا[4]

وهذا معنى حسن جدا .

وإنما أخذه من قول أميّةَ بن أبى الصّلت[5] :

---

(١) ساقطة من س ، وفيها : « الشوف » بالواو تحريف .

(٢) ديوانه : ٢ : ٥٤ والتبريزى ٢ : ٣٦٥ .

(٣) جاء فى النظام « قال الصولى : يظن قوم عطاياه للغنى ، وإنما هى للشرف والفخر ، ويقال : عفاه يعفوه إذا سأله ... ، وقال أبو زكريا : وفرا أى غنى ؛ لأن كل من أعطاه فقد استغنى عن الناس كلهم ، وهو يعطى سرا وجهرا ، فعطاياه فى السر إن شهرت ، كانت فخرا مؤتنفا وشرفا مستطرفا لسائله ، لأنه شريف العطاء ، فمن أعطاه أكسبه إعطاؤه فخرا وغنى ، وقال الخارزنجى : يقول عطاياه تدعى مالا ، وهى فخار لمن حافظ عليها ؛ لأنه لا يسأله إلا شريف وجليل الخطر » ، النظام لابن المستوفى ٢ لوحة ١٧٠ - بنى جامع - ، « وقد سبق البيت فى ١ : ٣٣٣ » ، وفى الأصل : « كان » والتصحيح من الديوان ومن س .

(٤) ديوانه والتبريزى : « أعجوبة عننا » ، وفى النظام « قال ابن المستوفى : وفى طرة : « عننا » ، أى يعنّ أى يعرض ، وروى : زمنا » النظام جـ ٢ لوحة ١٧٠ » ، وفى الأصل : « يُجْتَنَى » بالبناء للمجهول ، والتصحيح من ديوانه .

(٥) فى الأصل : « بن الصلت » ، وهو أمية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة ، وكان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل ورغب عن عبادة الأوثان ، وكان يخبر بأن نبيا يبعث قد أظلّ زمانه ويؤمّل أن يكون ذلك النبى ، فلما بلغه خروج رسول الله « ﷺ » وقصته كفر حسدا له ، وقال عنه الرسول « ﷺ » لما سمع شعره : آمن لسانه وكفر قلبه ، وقد أتى بألفاظ كثيرة فى شعره لا تعرفها العرب ، وقال ابن قتيبة =

عطاؤُكَ زَيْنٌ لامرىءٍ إنْ حَبَوْتَهُ   بخيرٍ وما كُلُّ العطاءِ يَزِينُ [(١)]

وقال أبو تمّام [(٢)] :

لا يَكْرُمُ النَائِلُ المُعْطَى وإنْ أُخِذَتْ   بِهِ الرَّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ [(٣)]

وقال البحتريّ ومنه أُخَذَ [(٤)] :

عَلَّمْتَنى الطَّلَبَ الشَّرِيفَ ورُبَّما   كُنْتُ الوَضِيعَ من اتِّضاعِ مَطَالِبِى

وقال [(٥)] :

عَالِى النَّوَالِ أَنَالَنى بنوالِهِ   شَرَفًا أَطَلَّ عَلَى النُّجوم مُنِيفُهُ
أَىُّ اليَدَيْنِ أَجَلُّ عِنْدى نِعْمَةً   إغْنَاؤُه إيَّاىَ أَمْ تَشْرِيفُهُ ؟

= « وعلماؤنا لا يرون شعره حجة فى اللغة » « انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٢٦٢ ، وخزانة الأدب ١ : ٢٤٧ ، والشعراء والشعراء لابن قتيبة ١ : ٤٥٩ ، والأغانى ٣ : ١٧٩ » .

(١) البيت فى مدح عبد الله بن جدعان الجواد المشهور ، انظر « ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٨٠ » وقد سبق فى ١ : ١٠٣ .

(٢) ديوانه ١ : ٣٠٣ والتبريزى ١ : ٢٤٥ وفى س « وقال » .

(٣) ديوانه والتبريزى : « لايكرم الظّفر » وقد سبق البيت فى ١ : ٣٣٩ وهناك « وإن أخذت منه الرغائب » وقال ابن المستوفى « قال المرزوقى وروى : « لايكرم الظفر المعطى وإن كثرت به الرغائب » ، إنما العرف يكرم والنوال يشرف متى صين طلب العافى الزائر من المطل ، ولم يهن ، ولم يبتذل بالتسويف والدفاع . قال المبارك بن أحمد : وقد ذكرت معنى هذا البيت فى موضع آخر ، وهو أنه يجوز أن يريد بذلك أن الظفر لا يكون كريما وإن حصلت به الرغائب ، حتى يكون الطلب كريما ، يعنى أن الطالب يقصد بطلبه من يكون كريما ، قال الصولى : وروى

لن يكرم الظفر المعطى وإن أخذت   به الرغائب حتى يكرم الطلب

كذا يرويه الناس وقرأته على أبى مالك :

لن يكرم الظفر المعطى وإن أخذت   منه الرغائب حتى يكرم الطلب

يقول : لا يكون كريم الظفر حتى يكوم كريم الطلب ، وَاطّلب الرجل : طلب مطلبا كريما » « النظام لابن المستوفى ١ لوحة ١١٥ ، ١١٦ ، دار الكتب » .

(٤) ديوانه ١ : ١٦٢ ، وقد سبق فى ١ : ٣٣٩ .

(٥) ديوانه ٣ : ١٤٢٠ ، ديوانه و س : « عالى المحلّ » وفى س : « أناله » تحريف .

وقال :[١]

وَإِذَا اجْتَداهُ المجْتَدُونَ فإنَّه يَهَبُ العُلَا فى نَيْلِهِ الموْهُوب[٢]
شُهِرَتْ عطاياه فصِرْنَ قبائِلاً لقَبائِـــلٍ منْ زَوْرِهِ وَشُعُـــوبِ[٣]
كَمْ حُزْنَ مِنْ ذكْرٍ لِغُفْلٍ خَامِلٍ وَبَنَيْنَ من حَسَبٍ لِغَيْرِ حَسِيبِ

قولُ أبى تمّامٍ :

حَتَّى رأيْتُ سُؤَالاً يَجْتَنِي شَرَفا

خَيْرٌ منْ هَذَا كُلِّهِ ، وَإِنْ كان المعنى مسروقا .

وقال أبو تمّامٍ فى ضِدِّ ما تقدّم :[٤]

فإنْ كَانَ ذَنْبِى أنَّ أحسَنَ مَطْلَبِى أَسَاءَ فَفِى سُوءِ القَضَاءِ لِىَ العُذْرُ

حَذَا حذو قول عبّاس بن الأحنف :[٥]

وَما كَانَ مِثْلِى يُعتَرِيكَ رَجَاؤُهُ ولكِنْ أسَاءَتْ شِيمَةٌ مِنْ فَتىً مَحْضِ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٤٨ .
(٢) سبق فى ١ : ٣٣٣ وروه هناك « فى سيبه الموهوب » .
(٣) ديوانه : « نشرت عطاياه » .
(٤) ديوانه ٣ : ٦١٤ والتبريزى ٤ : ٥٧١ ، وقد سبق البيت ١ : ٩٦ .
(٥) نسبه فى الجزء الأول ، ص ٩٦ إلى مسلم بن الوليد ، وقد ورد البيت مع بيتين فى ديوان مسلم ابن الوليد ص ٢٨٦ . كذلك وردت تلك الأبيات فى زهر الآداب ٤ : ١٠٧١ منسوبة إلى مسلم ، وفيه « أساءت نعمة » ، ولم أجده فى ديوان العباس ، والبيتان الآخران :

وإنى لأستحيى السُّؤال ومذهبى عَرِيضٌ وآبى الشحَّ إلا على عِرْضى
وإنى وإشراق عَيث بهمّتى كَالمُبْتغِى زُبْدًا من الماءِ بالمَخْضِ

والعباس بن الأحنف بن الأسود الحنفى اليمامى ، أبو الفضل ، شاعر غزل رقيق ، قال عنه البحترى : أغزل الناس ، أصله من اليمامة « نجد » وكان أهله فى البصرة ، وبها مات أبوه ، ونشأ هو ببغداد ، وتوفى بها ، وقيل بالبصرة سنة ١٩٢ ، خالف الشعراء فى طريقتهم فلم يمدح ولم يهج ، بل كان شعره كله غزلا وتشبيبا ، وهو خال ابراهيم بن العباس الصولى « وفيات الأعيان ٣ : ٢٠ ومعاهد التنصيص ١ : ٥٤ والأغانى الدار ٨ : ٣٥٢ » .

وقال البحتريّ[١]:

لُمْتَنِي أن رَمَيْتُ فِي غَيْرِ مَرْمىً وعَزِيزٌ عَلَيَّ تَضْيِيعُ سَهْمِي .
٧٠ ب ـه / إنْ أكُنْ خِبْتُ فِي سُؤَالِ بَخِيلٍ فَبكُرْهِي – ذَاكَ السُّؤَالُ – وَرَغْمِي[٢]

وهذا جيّد بالغ .

وأبو تمّام أشعر فى قوله « يَجْتَنِى شرفاً »[٣] وإن كان المعنى مأخوذًا .

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٩٣٨ .

(٢) ديوانه « حبت » بالحاء المهملة .

(٣) من هنا إلى نهاية العبارة سقط من س ، وفى الأصل « ذلك » .

ماقالاه فى شفاعة الجواد

قال أبو تمّام[1] :

أَنْضَرتْ أَيْكتِى عَطَايَاكَ حتَّى صارَ ساقًا عُودِى وَكَانَ قَضِيبا
مُمْطِرٌ لى بالْجَاهِ والْمَالِ ما أَلْـ ـقَاكَ إِلّا مُسْتَوْهِبًا أَوْ وَهُوبا[2]
وإِذَا مَا أُرَدْتَ كُنْتَ رِشَاءً وإِذَا ما أَرَدْتَ كُنْتَ قَلِيبـاَ[3]

وهذا معنىً فى غايةِ الحُسْنِ وتمثيلٌ فى غايةِ الصِّحَّةِ .

وقال[4] :

فَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطائِهِ وَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَىْ مُرَّ سُؤَالِهِ
وَإِذَا امْرُؤٌ أَسْدَى إِلَيْكَ صنيعَةً[5] مِنْ جاهِهِ فَكَأَنَّها مِنْ مَالِـهِ

وهذا حسن جدّا .

ولِدعْبِلٍ مثل معنى البيت الأوّل[6] – وأظنّ أبا تمّام عليه حذا – وذلك قوله :

---

(١) ديوانه ١ : ٢٥٨ والتبريزى ١ : ١٧١ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « ممطرا » ، وقد سبق البيت الأول فى ١ : ٣٣٤ ، وفى التبريزى و س : « لا ألقاك » .

(٣) فى التبريزى : « فإذا ما أردتُ .... وإذا ما أردتُ » بالإسناد إلى ضمير المتكلم .

(٤) ديوانه ٢ : ٢٨٦ والتبريزى ٣ : ٦٠ ، وقد سبق البيتان فى ١ : ٧٠ ، ٣٦٩ .

(٥) فى س : « أسدى إلىّ » .

(٦) س : « مثل معنى بيت الأول » .

شَفيعَكَ فاشْكُرْ فِي الحَوائِجِ إنَّه يَصُونُك عن مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يُخْلِقُ[1]

فأمّا معنى البيت الثانى فمبتذل متداول ، يجرى فى العادات وفى كلام النّاس ، إلاّ أنّ أبا تمّام أحسن العبارة عنه فصار مثلا .

وقال البحترىّ[2] :

وَكَرِيمٍ غَدَا ، فَأَعْلَقَ كَفِّي مُسْتَميحًا في نِعْمَةٍ مِنْ كَرِيمِ

حاز حمدى[3] وللرّياح اللّواتى تَجْلُبُ الغيثَ مثلُ حَمْدِ الغُيومِ

وأصحاب السّرقات يقولون : هذا مأخوذ من قول أبى تمّام :

« وإذا امرؤٌ أسدىٰ إليك صنيعة[4] »

وليس الأمرُ كذلك ، لأنّ هذا المعنى مشتركٌ بين النّاسِ ، وليس باختراعٍ لأبى تمّام ، لأنّك أبدًا تسمعُ القائلَ[5] يقول لمن بلغ حاجتَه بشفاعَتهِ : ما أعتدُّ هذا إلّا من مَالِك ، أو من اللهِ ثم منك[6] ، فليس لأبى تمّام فيه أكثرَ من أن عبَّر عنه عبارةً حسنة مكشوفة / فصارت مثلا ، والمعنى جارٍ فى العادات فجاء به البحترىّ ومَثَّلَهُ بمثالٍ أبدَع فيه فأغرب[7] ، وهو قوله : ٧١

حازَ حمدِى وللرّياحِ اللّواتِى تَجلُبُ الغَيْثَ مثلُ حَمْدِ الغُيومِ

---

(١) ديوان دعبل بن على : ص ١٩٣ وانظر تخريجه هناك ، وقد سبق البيت فى ١ : ٧٠ ، وجاء فى أخبار أبى تمّام « أن دعبلًا قال : كان أبو تمّام يتتبع معانىّ فيأخذها ، » وذكر الأبيات « ، فقال له رجل فى المجلس : والله لئن كان أخذ المعنى وتبعته فما أحسنت ، وإن كان أخذه منك لقد أجاده ، فصار أولى به منك ، فغضب دعبل وقام » . « أخبار أبى تمّام للصولى ص ٦٤ » .

(٢) ديوانه ٤ : ٢٠٧٢ .

(٣) فى الأصل : « مدحى » ، والتصحيح من ديوانه ومن س .

(٤) س : « إلىّ صنيعة » .

(٥) س : « فسمع والقائل ... » .

(٦) س : « ومنك » .

(٧) تعليق الآمدى السابق سبق – بنصه تقريبا – فى ١ : ٣٧٠ ، وفى س : و « أغرب » .

فلو كانَ [أبو تمّام](١) أوردَ هذا المعنى ، كانَ البحتريُّ(٢) سارِقاً منه لا محالةَ .

وقال البحتريّ(٣) :

يُشَفِّعُنى(٤) فيما يَعِزُّ وجُودُه ... ويَمْهَدُ لِى عند الرِّجالِ ويَشْفَعُ

سُرَىٰ الغيثِ يُرْوِى غُزْرُهُ حيث يَنْبرى(٥) ... وتَتْبَعُــهُ أُكْــلاؤُهُ حيــنَ يُقْلِــعُ

وهذا أيضاً تمثيلٌ فى غاية الحسن والصّحة ، وهو نحوُ قولِ ابنِ مُطَيْرٍ(٦) :

فتًى عِيشَ فى معروفِهِ بعد مَوْتِهِ ... كما كانَ بعدَ السَّيلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا(٧)

وعلى هذا الحذو أيضا حذا البحترىّ فى وصف قصيدته فقال(٨) :

فقد أَتَتْكَ القوافى غِبَّ فائِدةٍ ... كما تَفَتَّحَ غِبَّ الوابِلِ الزَّهَرُ

وقال البحترىّ(٩) :

لَمْ يَأتِ جُودُكَ سَابِقًا فى سُؤْدَدٍ ... إلّا وجَاهُكَ للعُفـاةِ رَدِيفُـهْ

غَيْثَانِ إن جَدْبٌ تَتَابَعَ أَقْبَلا ... وهُما رَبِيعُ مُؤَمِّـلٍ وخَرِيفُـهْ

---

(١) فى الأصل : « البحترىّ » والتصحيح من س .

(٢) ساقطة من س .

(٣) ديوانه ٢ : ١٢٧١ .

(٤) ديوانه « فيشفع » .

(٥) ديوانه و س : « حين ينبرى » .

(٦) الحسين بن مطير بن مكمل ، مولى لبنى أسد بن خزيمة ، ومن مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، شاعر مقدم فى القصيد والرجز ، فصيح مدح بنى أمية وبنى العباس ، كان زيّه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية ، وذلك بيّن فى شعره ، مدح معن بن زائدة ثم رثاه بقصيدة منها بيته هذا . « خزانة الأدب ، ٥ : ٤٧٥ ، معجم الأدباء ١٠ : ١٦٦ » .

(٧) فى الأغانى « ممرعا » ١٥ : ١١٠ ، والبيت من قصيدة يرثى فيها معن بن زائدة وفيها يقول :

أَلِمّا على معنٍ وقُولا لِقَبْرِه ... سقتكَ الغَوادى مَرْبعًا ثم مَربعا

فياقبرَ مَعْنٍ أنتَ أولُ حُفْرةٍ ... من الأرض خُطَّتْ للمكارم مَضْجَعا

ويا قبرَ مَعْنٍ كيف واريتَ جُودَه ... وقد كان منه البَرُّ والبَحْرُ مُتْرعا

وكنتَ لدارِ الجودِ يامعنُ عامرًا ... وقد أصبحتْ قَفْرا من الجُودِ بَلْقعا

(٨) ديوانه ٢ : ٩٥٨ وسقطت فى س « فقال » .

(٩) ديوانه ٣ : ١٤٢١ .

وقال البحتريُّ أيضا :(١)

« أبا عيسى » وأنتَ المَرْءُ تَعلو ... له النَّفْسُ الشَّريفةُ والقَبيلُ(٢)
وَفَرْتُكَ ، لا هوًى بِكَ فى وفُورٍ ... إذا ما حانَ من حَقٍ نُزولُ(٣)
ولكن جاهُ ذى خَطَرٍ شَريفٍ ... أراهُ وَهْوَ من جُودٍ بَديلُ
إذا ما القَولُ عادَ لنا بِطَوْلٍ ... فَفَيْضٌ من فَعالِكَ ما نَقولُ(٤)

وقال فى المهتدى وابنِهِ العبّاس :(٥)

وإنِّى أرْتَجِيكَ وأرْتَجِيهِ ... لديكَ لِنَائِلٍ بِكَ مُسْتَفَادِ
وأقربُ ما يَكونُ النُّجْحُ يَوْمًا ... إذا شَفَعَ الوجيه إلَى الجَوادِ

وقال فى حَمُولَة :(٦)

خَطَبْنَا إليه قَوْلَه غِبَّ فِعْلِهِ ... ومن يَفْعَلِ المَعروفَ فَهْوَ يَقُولُ(٧)
وما عائِدٌ من جَاهِهِ بعد جُودِهِ ... بِمُبْعِدِه من أنْ يُنَالَ جَزِيلُ(٨)

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٢١ وفى س : « وقال أيضا » وأبو عيسى هو العلاء بن صاعد .
(٢) س : « والقبول » .
(٣) فى الأصل : « وقربك » ... « وقوف » والتصحيح من ديوانه ، وفيه « إذا ما كان » .
(٤) ديوانه « ماتقول » ، « فقبض » بالموحدة التحتية ، وهى أصح لرواية الموازنة « مانقول » .
(٥) كذا فى الأصل وصوابه « المستعين » ومما يعزز هذا أن البحترى يذكر قتل « أوتامش » وكاتبه « شجاع » فى أول القصيدة :

وعَرَّفَتِ اللّيالى فى « شُجَاعٍ » ... و « تَامِشَ » كَيفَ عاقِبَةُ الفَسادِ

وهذا حدث سنة ٢٤٩ فى خلافة المستعين « الطبرى ٩ : ٢٦٣ » ، وفى سنة ٢٥٠ أُجْلِسَ العباسُ بن أحمد بن محمد ، « وهو العباس بن المستعين » ، وعُقِدَ لَهُ وقد ذكر هذا البحترى فقال :

لِيَهْنِكَ فى ابنك « العباس » هَدْىٌ ... تَبَيَّنَ من رَشيدِ الأمْرِ هَادِ
أقمْتَ بهِ ، ولم تَألُ اختيارا ... سبيلَ الحَجِّ فينا والجِهادِ

« وانظر الطبرى ٩ : ٢٧٦ وديوانه ١ : ٥٢٤ » .
(٦) ديوانه ٣ : ١٨٣٣ ، وحمولة هو : أبو العباس حمولة وزير أبى دلف « الفهرست ص ٢٤٠ » .
(٧) عبث الوليد ص ١٩٨ « يفعل الإحسان » وقال : « الوجه جزم « يفعل » لأن الفاء تدلّ على الجزاء ، والرفع جائز ..... » .
(٨) فى الديوان : « وما ساعةٌ ... بِمُبْعِدَةٍ ... » .

أراني حقيقاً أنْ أؤوِلَ إلى الغِنَى ... إذا كانت الشُّورىٰ إليكَ تؤُولُ

وقال (١) :

وهَبْتَ لنَا العِنايَةَ بَعدَما قَدْ ... نَراهَا عنـد أقـوامٍ تُبَـاعُ

ولم يُحْظَرْ عَلَيْنَا الجَاهُ حتَّى ... جَرَتْ عَنه المَذانِبُ والتِّـلاعُ (٢)

فَفِعْلُكَ إن سُئِلْتَ لنَا مُطِيعٌ ... وقَوْلُكَ إن سألْتَ لنَا مُطَاعُ

وقال (٣) :

ولمّا الْتَمسْتُ جَاهَه جاءَ تَالِيًا ... لِمُسْتَسْلِفٍ من سَبْقِ مَوْهُوبِ مَالِهِ

ولَسْتَ خَليقًا بانتِفَاعٍ ترومُهُ ... بِقَوْلِ امْرِئٍ لَمْ تَنْتَفِعْ بِفَعَالِهِ (٤)

وقال (٥) :

ظَنَنْتُ بهِ التى سَرَّتْ صَديقِى ... فكانَ الظَّنُّ قُدَّامَ اليَقينِ

وكُنْتُ [illegible] وَعْدٍ شَفيعى ... فَصِرْتَ إليه فى نُجْحٍ ضَمينِي (٦)

وما [illegible] مثْلُ خِرْقٍ ... أغَرَّ يرىٰ المَواعِدَ كالدُّيونِ

وقال (٧) :

[illegible] اليَوْ ... مَ لنَا بالرِّيَاشِ أجْمَعَ مَالَهْ

كانَ مَعْروفُهُ المُقَـــدَّمُ قَوْلاً ... فَقفَا القَـوْلَ من قَريبٍ فَعالُــهْ (٨)

---

(١) ديوانه ٢ : ١٢٤٦ .

(٢) ديوانه : « تَحْظِرْ » بالبناء للمعلوم .

(٣) ديوانه ٣ : ١٨٤٥ .

(٤) ديوانه : « لانتفاع » ، و « لستُ » بضم التاء ، و « ينْتَفِعْ » ، والصواب رواية الموازنة .

(٥) ديوانه ٤ : ٢٢٦٩ .

(٦) فى الأصل : « أولى » والخِرْقُ : هو الفتى الكريم خليقة ، المتخرق فى الكرم .

(٧) ديوانه ٣ : ١٨٢٩ .

(٨) الأصل : « فَقَفَا اليوم » .

[قد تَصَرَّفَ البحتريُّ فى هذا البابِ تَصرُّفاً جميلا ، وأحسنَ كُلَّ الإحسانِ فى قوله :

« إذا شفع الوَجيهُ إلى الجَوادِ »

ولولا قولُ أبى تمّام :

« فلَقَيْتُ بين يَديْكَ حُلوَ عطَائِهِ »

لَفضَّلْتُهُ على أبى تَمَّامٍ ، ولكنّى أَجْعَلُهُما مُتكافِئَيْنِ] [1] .

---

(١) زيادة من س .

ذكر ما استنه الكريم في الناس من الكرم (١)

قال أبو تمّام (٢):

أَيْقَظْتَ نُوّامَ الكِرامِ بحادثٍ ... لِنَداكَ أَظْهر كَنْزَ كُلِّ كَرِيمِ (٣)

ولَقَد نَكونُ ولا كريمَ نَنالُهُ ... حتّى نَخُوضَ إليه أَلْفَ لَئِيمِ

وسَنَنْتَ بالمَحْمُودِ من أَثَرِ النَّدىٰ (٤) ... سُنَنًا شَفَتْ من دَهْرِنا المَذْمُومِ

وُسِمَ الورَىٰ بِخَصاصَةٍ فَوَسَمْتَهُ ... بِسَماحَةٍ لَاحَتْ علىٰ الخُرْطُومِ

وهذه معانٍ جِيادٌ (٥).

وقال (٦):

أَوَلَيْسَ عَمْرٌو سنَّ لِلنَّاسِ النَّدىٰ ... حَتَّى اشْتَهَيْنا أنْ نُصِيبَ بَخِيلا ؟

---

(١) س : « ما استنه الكريم من سنن الكرام » .

(٢) ديوانه ٢ : ٤٤٦ والتبريزى ٣ : ٢٦٧ .

(٣) ديوانه والتبريزى و س :

« أَيْقَظْتَ لِلْكَرَمِ الكِرامَ بِبَاطِقٍ ... لِنَداكَ أَظْهرَ كَنْزَ كُلِّ قَدِيمِ »

(٤) ديوانه والتبريزى : « فسننت » ، والتبريزى : « بالمعروف » .

(٥) س : « جيدة » .

(٦) ديوانه ٢ : ٢٩٦ والتبريزى ٣ : ٧١ ، عمرو : هو أبو الممدوح نوح بن عمرو بن حُوَيّ بن مانع السّكسكى ، من ولد السكاسك بن أشرس بن كندة ، ولهم ثروة عظيمة بالشام ، وهو بيت « لهيا » بقرب دمشق ، وحُوَيٌّ هو قاتل عمّار بن ياسر رضى الله عنه « جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٣١ – ٤٣٢ » .

٧٢ أ / ومازَالَ النَّاسُ يَسْتَقْبِحونَ هذا اللّفظَ والمعنَى[1] ، وإنما سَمِع أَبَا نُواسٍ قال[2] :

سَنَّ لِلنَّاسَ النَّدىٰ فَتَنَدَّوْا فكأنَّ البُخْلَ لَمْ يَكُنِ

فأخَذَه وأَفْسَدَهُ بِشَهْوَتِهِ أنْ يصيبَ بَخِيلا .

وقال[3] :

أرىٰ النَّاسَ مِنْهاجَ النَّدىٰ بعد ما عَفَتْ مَهايِعهُ المُثلَىٰ ومَحَّتْ لَواحِبُهْ
ففى كُلِّ شرقٍ فى البِلادِ ومَغْرِبٍ[4] مَواهِبُ لَيْسَتْ مِنهُ وهْىَ مَواهِبُهْ

وهذا مَعنى حَسَنٌ جِدّا ، ومِثْلهُ قوْلُ البُحْتُرِىِّ[5] :

رَغَّبْتَ قوماً فى السَّماحِ ، وأَيْنَ هُمْ إنْ سَاجَلُوكَ من السِّماكِ الأَعْزَلِ
سَامَوْكَ من حَسَدٍ فَأَفْضَلَ مِنْهُمُ غَيْرُ الجَوادِ ، وجَادَ غَيْرُ المُفْضِلِ
فَبَذَلْتَ فِينا ما بَذَلْتَ سَماحَةً وتَكَرُّمًا وبَذَلْتَ مَالَمْ تَبْذُلِ[6]

قولُهُ : « وجَادَ غَيْرُ المُفْضِلِ » أى : صَار جَوادًا من لَمْ يَقْدِرْ على الإفضالِ ، وقولُهُ : « وبَذَلْتَ مالَمْ تَبْذُلِ » أى : لمَّا سَامَاك حُسَّادُك فَسمَحُوا وبَذَلُوا ، كانَ ذلك البَذْلُ كأنَّهُ مِنْكَ ، وإن لم تَكُنْ بَذَلتَهُ على الحَقيقةِ ، فهذا مَعنى قَولِ أبى تَمّامٍ :

فَفى كُلِّ شَرْقٍ فى البِلَادِ ومَغْرِبٍ مُواهِبُ لَيست مِنهُ وَهْىَ مَواهِبُهْ

(١) س : « يستقبحون القول بهذا اللفظ » .
(٢) ديوان أبى نواس ٤١٣ .
(٣) ديوانه ١ : ٢٩٥ وشرح التبريزى ١ : ٢٢٨ .
(٤) فى ديوانه والتبريزى : « ففى كل نجد فى البلاد وغائر » .
(٥) ديوانه ٣ : ١٧٩٧ .
(٦) ديوانه : « يُبْذَلِ » بالبناء للمجهول .

وقال البحتريّ[1]:

كَمْ سَرِيٌّ تَقَيَّلَ السَّرْوَ عَنْهُمْ   واشْتِبَاهُ الأَفْعَالِ عَدْوَى وإِلْـفُ !

وقال[2]:

أقَامَ به فى مُنْتَهى كلِّ سُؤْدَدٍ   فَعالٌ أقَامَ النَّاسَ دُونَ مَنَالِهِ[3]
فإنْ قَصَّرَتْ أَكْفَاؤُهُ عن مَحَلِّهِ   فإنَّ يمِينَ المَرءِ فَوقَ شِمَالِهِ

وما أحسنَ ما قالَ دِعْبِلٌ[4]:

عَلَّمَ الجَرْىَ فى السَّمَاحَةِ حتَّى   قَدْ جَرَى فى السَّماحِ كُلُّ بليدِ
رَأْيُهُ للخُطُوبِ والسَّيفُ لِلْمَضْـ   ـرِبِ[5] وَقْـفٌ والمَـالُ للتَّبْديـدِ

[هُما فى هذا البَابِ مُتكافِئان ، لأنَّهمُا رَكِبَا معَنىً قد تَقدَّم النَّاسُ فيهِ ، وهو من المعانى المشتركة[6]].

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٣٧٣ ، وفيه « واشتباه الأخلاق » .
(٢) ديوانه ٣ : ١٦٢١ .
(٣) ديوانه : « دون امتثاله » و س : « مثاله » .
(٤) لم أجدهما فى ديوانه ، ولم أقف عليهما فيما بين يدىّ من مراجع .
(٥) س : « للمضروب » .
(٦) زيادة من س .

فى اعتذار الجواد بعد العطاء

قال أبو تمّام[1]:

لَهُ كَرَمٌ لو كان فى المَاءِ لم يَغِضْ ... وفى البَرقِ ما شَام امرؤٌ بَرقَ خُلَّبِ
/ أخو أَزَمَاتٍ بَذْلُهُ بَذْلُ مُحْسِنٍ ... إلَيْنَا ولكن عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبِ ٧٤ ب

أزماتٌ : شدائِدُ وجَدْبٌ .

وقال[2]:

يُعْطِى عطاءَ المُحْسنِ الخَضِلِ النَّدىٰ ... عَفْواً ويَعْتِذرُ اعتِذَارَ المُذْنِبِ

هذا من قولِ دِعبلٍ[3]:

فتًى يَعْتَفِيكَ بإنْعَامِهِ ... كما تَعْتَفِيكَ يَدُ الطَّالِبِ
ويُعْطِيكَ مُعْتذِراً فوقَ ما ... تُؤَمِّلُهُ رغبةُ الرَّاغِبِ
فَتَحْوِى مَواهِبَهُ جَمَّةً ... وأنْتَ بِمَنْزِلَةِ الوَاهِبِ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٤٦ ، والتبريزى ١ : ١٥٢ .
(٢) ديوانه ١ : ٢١٨ ، والتبريزى ١ : ١٠١ .
(٣) لم أجدها فى شعره المجموع ، ولم أقف عليها بعد .

وهذا من قولِ زُهَيرٍ[(١)]:

كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الذى أَنْتَ سَائِلُهْ

وأمّا البحتريُّ فإنّه قالَ فى الطّائىّ[(٢)]:

أَيِّـدُ الأعبـاءِ لو حَمَّلَـهُ   سائِلو القَومِ « ثبَيراً » لَحَملْ[(٣)]
سَاحَةٌ إنْ يَعْتَمِدْهَا يَعْتَرِفْ   نَاشِدُ السُّؤْدَدِ فيها ما أضَلْ
حَيثُ لا تُبلَىٰ المعاذيرُ ، ولا   يَطَأُ اليأسُ[(٤)] على عَقْبِ الأَمَلْ

ولكن لم يُردِ البُحتريُّ بالمعاذيرِ ، الاعتذارَ الذى يقَعُ مع العَطاءِ[(٥)] على نحوِ ماذهب إليه أبو تمّام ، ولكنَّ قولَهُ :

أَيِّدُ الأعباءِ لو حَمَّلَهُ   سائِلو القَومِ ثَبِيراً لحَمَلْ[(٦)]

يَنفِى عنه الاعتذارَ على كلِّ حَالٍ .

وكلاهما أَحسنَ ، وأبو تمّامٍ فيما ذَهَبَ إليه أشعرُ .

---

(١) ديوان زهير بن أبى سلمى ص ١٤٢ .
وصـــدره :
تَراهُ إذا مَا جِئْتَهُ مُتَهلِّلا
وفى س : « معطيه » .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧١٤ والطائى هو : أحمد بن محمد الطائى : أحد القادة الأمراء ، ولاه المعتمد الكوفة وسوادها ، وفى سنة ٢٧١ عقد له على المدينة وطريق مكة ، وفى سنة ٢٧٢ تصدى لثورة العامة فى سامراء بسبب غلاء الأسعار ، وفى سنة ٢٧٥ تغلّبَ على « فارس العبدى » الذى تصعلك وعاث فى سامراء ، وفى نفس السنة أمر أبو أحمد بن الموفق بتقييد الطائى وحبسه ، وكان يلى الكوفة وسوادها وطريق خراسان والشرطة ببغداد وخراج بادوريا وقطربل ، وفى سنة ٢٨١ توفى ودفن فى مسجد السهلة ، « الطبرى ٩ : ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ١٠ : ٨ ، ١٠ ، ١٤ ، ٣٦ ، المنتظم لابن الجوزى ٥ : ٨٠ » .

(٣) « ثبير » اسم جبل . وجمعه : أثبرة وهى جبال معروفة المواضع » انظر : معجم ما استعجم ١ : ٣٣٦ » .

(٤) س : « الناس » تصحيف .

(٥) س : « العطايا » .

(٦) « ثبيراً لحَملْ » ساقطة من س .

وهاهنا بابٌ آخر في الاعتذار للجواد من تأخر عطائه

قال أبو تمّام[1]:

علىٰ أىِّ أحوالٍ مَضَيْتُ فشاكِرٌ   لِما كَان من بِرِّ الأَميرِ وعَاذِرُ

فإن صَدقَ البَرقُ الذى شِمْتُ عَارِضًا   فلا عَجَبٌ من أن تَجودَ المَوَاطِرُ

وإن عاقَتِ الأَسبابُ فالبَحْرُ رُبَّما   تمنَّعَ مِنْهُ جَانِبٌ وهو زَاخِرُ

وهذا مِثْل قول أبى دُفَافَةَ المصرىّ[2]، أحد شعراء البرامكة:

أَنْتَ الرَّبيعُ الذى تَحيا[3] الأَنامُ بِهِ   كلٌّ يعيشُ بفَضْلٍ منك مَقْسومِ

وما السَّحابُ إذا ما انجابَ عن بَلَدٍ   وحـانَ[4] ميقَاتُـهُ فيـهِ بِمَذْمُـومِ

/ إن جُدْتَ فالجُودُ أَمْرٌ قد عُرِفْتَ بِهِ   وإن تَجافَيْتَ لم تُنْسَبْ إلى لُومِ[5] ٧٠

---

(١) لم أجد الأبيات فى دواوينه المطبوعة والمخطوطة .

(٢) س : « البصرى » ، وقد ورد ذكره فى « تتمة يتيمة الدهر » للثعالبى ص ٤٥ ، وروى بعض أبيات له ، ومنها بيتان من الأبيات الثلاثة التى وردت هنا ، وهما الثانى والثالث ، والأبيات رويت فى المنتحل للثعالبى « الاسكندرية ١٩٠١ ص ٦٠ » منسوبة للبحترى ، ولهذا أثبتها محقق الديوان فى ملحق الديوان ٤ : ٢٦٦٣ .

(٣) س : « يحيا » .

(٤) س والمنتحل : « انحاز » ، « وجاز ميقاتُهُ » وفى تتمة اليتيمة : « ولم يلمّ به يوما بمذموم » .

(٥) فى تتمة اليتيمة : « فالجود شئ » ، و « وإن تَجافَيْتَ لم تُنسبْ إلى اللُّوم » .

وهذا حَسَنٌ جدًّا ، وأَظُنُّ أبا تمام عليه حذا .

وقد تقدَّمَ ابن هَرْمَةَ[(١)] فى هذا المَعْنَى ، فقال فى المَنْصورِ :

يجودُ إذا ما صادفَ الجودُ حقَّهُ ... ويبخلُ أحيانًا فيُعْذَرُ بالبُخْلِ[(٢)]

وقال المتوكِّل لعبدِ الأعلى بن حمَّادٍ النَّرْسِىِّ[(٣)] : إنى أُريدُ أن أَبَرَّكَ فيَمْنَعُنى مِن ذلك النِّسْيانُ ، فقالَ : أحسن اللهُ – يا أميرَ المؤمنينَ – عن هذه النِّيَةِ جَزاءَك ، أَلاَ أُنْشِدُكَ[(٤)] فى هذا المعنى ؟ ، قال : هاتِ ، فأنشَدَهُ[(٥)] :

لأَشْكُرَنَّكَ معروفًا هَمَمْتَ بهِ ... إنَّ اهتِمامكَ بالمَعْروفِ مَعْروفُ

ولا أَلومُكَ إذ لم يُجْرِهِ قَدَرٌ ... فالشيءُ بالقَدَرِ المَحْتُومِ مَصْروفُ[(٦)]

وقال عُمارةُ بن عَقيلٍ[(٧)] فى خَالدِ بن يزيد :

---

(١) فى الأصل : « وقد تقدم قول ابن هرمة » والتصحيح من س .

(٢) لم أجد البيت فى ديوانه المجموع ، غير أنّ فيه جملة أبيات قالها فى المنصور من نفس الوزن والقافية ، ويبدو أنّها تؤلف جزءا من قصيدة طويلة فى مدح المنصور العباسى « ديوان ابن هرمة ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، والموازنة ٢ : ٣٣٤ » .

(٣) عبد الأعلى بن حماد الباهلى المعروف بالنَّرسىّ ، و « نرسٌ » لقبٌ لجَدِّهِ لَقَّبته به النَّبَطُ ، وكان اسمُهُ « نَصْراً » فقالوا : نرس . سكنَ بغدادَ مدة ، وحَدَّث بها عن مالك بن أنس ، وحماد بن سلمة ، ووهب ابن خالد ، وغيرهم ، وروى عنه أبو يحيى صاعقة ، والبخارى ومسلم فى صحيحهما وغيرهم ، توفى فى بغداد سنة ٢٣٧ « تاريخ بغداد ١١ : ٧٥ » .

(٤) الأصل : « إلاّ أنى أنشدك » .

(٥) (قال هات) ساقطة من س .

(٦) س : « إن لم » . عيون الأخبار ٣ : ١٦٥ ونهاية الأرب ٣ : ٢٤٥ ، وبهجة المجالس ١ : ٣١٦ ، وجذوة المقتبس ١٢٩ ونسبهما لابن عائشة ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ٣٥٢ وفيه : « إذ لم يمضه قدر » ، وتاريخ بغداد ١١ : ٧٥ « ولا ألومك إن لم يمضه قدر » ووفيات الأعيان ١ : ٤٧٧ « إن لم تمضه قدرا » والمستطرف للأبشيهى ١ : ٢٣٧ .

(٧) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفى ، ويكنى أبا عقيل ، شاعر مقدم فصيح ، وكان يسكن بادية البصرة ، ويزور الخلفاء فى الدولة العباسية ، فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكلّ فائدة ، وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة ، وقال العلماء : جاء عمارة بن عقيل على ساقة الشعراء « الأغانى ٢٠ : ١٨٣ ، وأخبار أبى تمّام ٦٣ ، ومعجم الشعراء ٧٨ وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٨٢ ، وطبقات ابن المعتز ٣١٦ » .

وخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، القائد المشهور ، ولاه المأمون الموصل ، ثمّ زاده ، ديار ربيعة كلها ، ولما انتقض أمر أرمينية فى أيام الواثق جهز خالدا إليها ، فاعتلّ ومات فى الطريق سنة ٢٣٠ ، وكان جوادًا شجاعًا ، وأولاده أيضا كانوا قوادًا ، اتصلت الرئاسة فيهم أول أيام مروان بن محمد ، ثمّ جميع دولة بنى العباس إلى آخر أيام المعتضد . « جمهرة أنساب العرب ٣٢٦ ، ووفيات الأعيان ١ : ٧٨ ، ٦ : ٣٤١ ، والأغانى ٢٠ : ١٨٦ ، والبيان والتبين ١ : ٣٤٢ » .

أأَتْرُكُ إن قَلَّتْ دَراهِمُ خالِدٍ زِيارَتَــهُ إنِّــى إذًا لَلَئِيــمُ (١)
وقد يُسْلِعُ المرءُ اللَّئيمُ اصْطِنَاعَهُ وَيْعتَلُّ نَقْدُ المَرءِ وهو كَرِيمُ

« يُسْلِعُ » أىْ تَكْثُرُ سِلْعَتُهُ. (٢)

وقال أبو تمّام : (٣)

وكنتُ أعلَمُ عِلْمًا لاكفاءَ له أن لَيْسَ كلُّ قِطَارٍ يُنْبِتُ العُشُبَا
وربَّما عَدلَتْ كَفُّ الكَرِيمِ عن الـ ـقومِ الحضُورِ ونَالَتْ مَعْشَرًا غَيَبَا

وقال البحترىّ : (٤)

وما مَنعَ الفتحُ بنُ خاقَانَ نَيْلَهُ ولكِنَّها الأقدارُ تُعْطِى وتَحْرِمُ
سحابٌ خطَاني جُودُه وهو مُسْبِلٌ وبَحْرٌ عداني فَيْضُهُ وهو مُفْعَمُ
وبَدْرٌ أضَاءَ الأرضَ شرقًا ومغْرِبًا ومَوْضِعُ رِجْلِى مِنْهُ أسودُ مُظْلِمُ
أأشكو نَدَاهُ بعدَما وَسِعَ الوَرىٰ ومن ذَا يَذُمُّ الغيثَ إلّا المُذَمَّمُ (٥)

[هما فى هذا الباب أيضا متكافئان ، لأنَّ المعنى الذى رَكبَاهُ مشترك] . (٦)

---

(١) الكامل : ١ : ٣١٣ ، والبيت الأول من دلائل الإعجاز ص ١١٧ ، والمستطرف للأبشيهى ١ : ١٦ ، والثانى فى الأغانى ٢٠ : ١٨٧ .

(٢) جاء فى الكامل : « مَنْ رَفَعَ « المرء » نصب « اصطناعه » ومن نصب « المرء » رفع « اصطناعه » ، وأما على تفسير أبى العباس فَيَنصْبِ « اصطناعه » لا غير » .

وقال المرصفى فى « رغبة الآمل ٣ : ١٨٦ » : « اصطناعه » كذا وقعت هذه الكلمة ، وهي تحريف من الناسخ ، والصواب « اضطباعه » بالضاد المعجمة والباء الموحدة ، مصدر « اضطبع الشئ » ، أدخله تحت ضبعيه ، وهما عضداه ، كنى بذلك عن شحه وبخله ، فأما « الاصطناع » وهو إسداء المعروف فغير مناسب هنا .

« ومن رفع المرء ... الخ » هذا الاحتمال سائغ لو كان الفعل متعديا ، ولم يثبت عندنا ، وتفسير أبى العباس صريح فى أنه لازم ، وأنّ « اضطباعه » بالنصب مفعولا لأجله » .

(٣) ديوانه ١ : ٢٩٨ والتبريزى ١ : ٢٣٦ .

(٤) ديوانه ٣ : ١٩٧١ .

(٥) ديوانه و س : « إلّا مذمم » ، وقد سبق البيت برواية الديوان فى ١ : ٣٢٨ .

(٦) ما بين القوسين زيادة من س .

ذكر كتمان الجواد لنائله[1]

قالَ أبو تَمّامٍ فى الفَضْلِ بنِ صَالحٍ الهاشَمِىِّ[2] :

سُمَيْدعٌ[3] يَتَغطى من صَنائِعِه ... كما تَغطَّتْ رِجالٌ من فَضائِحِها

وفَأْرَةُ المِسْكِ لايُخْفِى[4] تَضَوُّعَها ... طولُ الحِجابِ ولا يُزْرِى بِفَائِحِها

وهذا غايةٌ فى الحُسْنِ والحَلاوَةِ .

وقالَ فى ابن الهَيْثَمِ[5] :

عُرْفٌ غَدا ضَرْبًا نَحيفًا عندَهُ ... شُكْرُ الرِّجالِ وإنَّهُ لَجسيمُ

أَخْفَيْتَهُ فَخَفَيْتَـهُ وطَوَيْتَـهُ ... فَنَشرْتُهُ والشَّخْصُ منهُ عَمِيـمُ[6]

---

(١) « ذكر » ساقطة من س .

(٢) ديوانه ١ : ٢٧٠ والتبريزى ١ : ٣٥٢ والفضل بن صالح هو : الفضل بن صالح بن عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس ، من أحفاد عبد الملك بن صالح وكان فى أيام الرشيد جليل القدر جدا ، وفى غاية الرفعة والتصاون ، ونكبه الرشيد وحبسه سنة ١٨٧ « انظر الطبرى ٨ : ٣٠٢ ، وجمهرة النسب ص ٣٦ » ، واتهم الفضل بن صالح بأنه قتل أخاه عبد الله بن صالح وتزوج جاريته أتراك ، وأبو تمّام يدفع عنه هذه التهمة « انظر ديوانه ١ : ٣٧٠ والتبريزى ١ : ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، والنظام لابن المستوفى جـ ١ لوحة ٢٧٠ دار الكتب » وفى الأصل : « بن صلح » .

(٣) السميدع : الشجاع السيد الكريم .

(٤) فى الأصل « لاتخفى » ، والتصحيح من الديوان والتبريزى .

(٥) ديوانه ٢ : ٤٢٢ والتبريزى ٣ : ٢٩٢ .

(٦) الأصل : « غميم » بالغين المعجمة ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى وفيه : العميم : التام .

جودٌ مَشَيْتَ به الضَّرَاء تَواضُعاً ... وعَظُمْتَ عن ذِكْرَاهُ وهو عَظِيمُ

وهذا جَيدٌ بالِغٌ.(١)

« والضَّرَاءُ » ماواراك من شَجَرٍ أو غَيْرِهِ ، يقالُ : هو يَمْشى الضَّرَاءَ أى يستُرُ ما يَفْعَلُهُ ولا يُجاهِرُ بِهِ ، يُرِيدُ أنّه يَفْعَلُ الجَميلَ فى سِتْرٍ(٢) لِيَكونَ أبعَدَ من الامتنانِ.(٣)

وقال فى مالك بن طوق :(٤)

[وصَنيعَةٍ لَكَ قد كَتَمْتَ جَزيلِهَا ... فأبى تَضَوُّعُها الذى لايُكْتَمُ]

مَجْدٌ تَلوحُ حُجُولُهُ وفَضِيلَةٌ ... لك سَافِــرٌ والحقُّ لايَتَلَثَّــمُ(٥)

وهذا معنًى لا يُسْمَعُ(٦) ألطَفُ ولا أَحسَنُ منْهُ.

وقد قال دعبل :(٧)

إذا انْتَقَمُوا أعْلَنُوا(٨) أَمْرَهُمْ ... وإن أَنْعَمُوا أَنْعَمُوا باكْتِتَامِ

تَقُومُ القُعودُ إذا أَقْبَلُوا ... وتَقْعُدُ هَيبَتُهُــم بالْقِيَــامِ

وهذا لعَمْرِى حَسَنٌ ، وأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُهُ :(٩)

---

(١) س : « وهذا أيضا » .

(٢) س : « ستره » .

(٣) فى التبريزى ٣ : ٢٩٣ « ابن السكيت : هذه الكلمة فى الأضداد ، وزعم أنه يقال : مشى الضَّرَاءَ ، إذا أظهر أمره » .

(٤) ديوانه ٢ : ٣٦١ والتبريزى ٣ : ٢٠١ ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٥) التبريزى : « تلوح فضوله » ومالك بن طوق التغلبى : صاحب الرحبة ، أحد الأشراف الأجواد ، ولى إمرة دمشق للمتوكل وهو الذى بنى الرحبة التى على الفرات وإليه تنسب توفى سنة ٢٥٩ « النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢ ، فوات الوفيات ٢ : ٢٩٤ ، الفرج بعد الشدة ٢ : ٣٦٠ » ، وفى س : « يتثلم » .

(٦) س : « لاتسمع ألطف منه ولا أحسن » .

(٧) ديوان دعبل المجموع : القسم المنسوب إلى دعبل ص ٤٢١ .

(٨) « وأعلنوا » ساقطة من س .

(٩) لم أقف على البيتين ، ولم أجدهما فى ديوانه .

يَهوىٰ اقْتِرَابَكَ كلُّ طَالِبِ حَاجَةٍ   كَرَمًا كَما يَهْوىٰ الطَّبِيبَ المُدْنَفُ
وإذا صَنَعتَ صَنيعَةً أُنسِيتَها   وذَكَرْتَ مَوعِدَكَ الذى لَايُخْلَفُ

ولَهِجَ النَّاسُ بقول الخُرَيْمِىِّ [1] ، وأعرضوا عما سواه وهو يَسْتَحِقُّ ، وذلك قوله :

زادَ مَعْروفَكَ عندى عِظَمًا   أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرُ
تَتَنَاسَاه كأَنْ لَمْ تَأْتِهِ   وهو عند النَّاسِ مَشْهورٌ كَبِيرُ

وقال مُنْقِذُ الهِلالىُّ [2] :

فإنّ إحياءَهـا إماتَتُهـا   وإنَّ مَنَّا بِهَا يُكَدِّرُها

وقال أبو البَصيرِ جَهْمُ بنُ عَبدِ المَلِكِ [3] – أَظُنُّه السَّوَّاقَ مولىٰ المَهالِبَةِ [4] – :

أَمْوالُهُ بين أَخِلَّائِهِ   وفى الوَغىٰ كالأَسَدِ العَادِى
يَكْتمِ ما يَفْعَلُ من جُودِهِ   وقد حَدَا فى جُودِه الحَادِى

---

(١) هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، من العجم ، كان مولى ابن خريم وسمى به ، اتصل بمحمد بن منصور كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح ، وقد عمى بعدما أسنّ ، وهو جميل الشعر ، وقيل هو أشعر المولدين « الشعر والشعراء ٢ : ٨٥٢ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٢٨٨ ، وديوانه ٢٥ » .

(٢) منقذ بن عبد الرحمن بن زياد الهلالى ، شاعر بصرى خليع ماجن ، متهم فى دينه يرمى بالزندقة ، اشتهر فى صدر الدولة العباسية « معجم الشعراء للمرزبانى ٣٣٠ الأغانى الدار ١ : ٣٤٤ ، ١٨ : ١٠١ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١٠٥٢ ، ١١٩٨ » ، والبيت فى البيان والتبين ٣ : ٢٢٧ من ثلاثة أبيات .

(٣) انظر ما سبق ص ١٣٦ ، وسماه هناك « أبو النضر » ، والمعروف هو أبو النضير عمر بن عبد الملك ، وقد ترجم له صاحب الأغانى « الدار ١١ : ٢٨٥ » ، وقد وردت بعض الأخبار عن « أبى البصير » ، وبعضها أورده صاحب الأغانى عن « أبى النضير » ، والراجح أن تصحيفا وقع فى اسمه .

(٤) وظن الآمدى ليس فى محله فالسواق هو : إبراهيم السواق مولى المهالبة ، كان مقدما فى الشعر ، روى له المبرد بعض أبيات فى مدح بشر بن داود بن يزيد بن قبيصة بن المهلب ، « الكامل ٢ : ٣٠ ، وسماه صاحب العقد الفريد : « إبراهيم السويقى » وتقل حديثا له فى ضَرٍّ نَالَهُ « العقد الفريد ٥ : ٣٧٩ » ، وانظر كتاب البغال « رسائل الجاحظ ٢ : ٢٩٨ » .

وقال أبو قابَوس النَّصرانيُّ (١) :

رأيتُ يحَيىْ أتمّ اللهُ نْعِمَتَهُ ... علَيه يَأتى الذى لَمْ ياْتِهِ أَحَدُ
يَنسىْ الذى كانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أبدًا ... إلى الرِّجالِ ولا يَنْسَىْ الذى يَعِدُ

* * *

(١) البيتان فى مدح يحيى بن خالد البرمكى ، معجم الشعراء ٣٢ وزهر الآداب ٢ : ٣٧٤ ومرآة الجنان ١ : ٤٢٨ وابن خلكان ٦ : ٢٢٥ .

بَيتُ أبى تمَّامٍ فى الجُودِ قولُهُ[1]:

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتّى لَوَ آنَّهُ ثَناها لِقَبْضٍ لَم تُجِبْهُ أنامِلُهْ

وبيت البحتريّ[2]:

لايُتْعِبُ النّائِلُ المبذولُ هِمَّتَهُ وكيفَ يُتْعِبُ عَينَ النّاظِرِ النّظَرُ

وهذان المعنيانِ لا غايةَ وراءَهما فى [الحُسْنِ][3] وقد وَقَعَت فيهما جَميعًا[4] معارضةٌ من [أهل][5] الإعْنَاتِ ، فقيلَ فى بيت أبى تمّام : إنّ الجوادَ لايُعطى مايُعطيه من يده[6] ، وإن كانَ فى يده شىءٌ يعطِيه فلن[7] يكونَ مَبْسوطَ الكفِّ [به][8] لأنّ الكفَّ حينئذٍ تكون فارغةً ، وإنما يَبْسُطُهما للسَّلامِ[9] والمُصَافَحةِ ، لا لِأَنْ يُعْطِى[10] شيئاً فِيها[11]

(١) ديوانه ٢ : ٢٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٩ ، وقد سبق فى ١ : ٨٣ .
(٢) ديوانه ٢ : ٩٥٦ .
(٣) زيادة من س .
(٤) س : « معاً » .
(٥) زيادة من س .
(٦) س : « يديه » .
(٧) س : « فلم » .
(٨) زيادة من س .
(٩) س : « وإنما هى للسلام » .
(١٠) الأصل : (تُعطى) بالاسناد إلى المخاطب .
(١١) ساقطة من س .

وهذه معارضةٌ فى غايةِ الفَساد ، إنما ذهب أبو تمّامٍ إلى المَعْنى المشهورِ المعتادِ فى[1] استعمالِ النَّاسِ أن يقولوا : فلان مبسوطُ اليدِ بالمكارمِ ، وسَبْطُ الأنامِلِ بالخَيْراتِ ، ويقولونَ فى البخيلِ : شَنِجُ[2] الأصابعِ ، وجَعْدُ الكَفِّ ومقبوضُ الكفِّ عن الخيرِ ، وهذا[3] أكثرُ فى كلامِهم من أن يُحْتَاجَ عليه[4] إلى استشهاد .

وإنما أخرجَ أبو تمّامٍ المعنَى على هذه العادةِ وحذا حَذْوَ مسلم بن الوليد فى قوله[5] :

لا يستطيعُ « يزيدٌ » من طَبيعَتِهِ عن المُروءَةِ والمعروفِ إحْجاما

إلا أنّه كَشَفَ المعنىٰ ، وأحسَنَ العِبارةَ عنه ، فصارَ أولىٰ به .

وقيل فى بيت البحترىّ : وكيف لا يُتْعِبُ[6] عينَ الناظرِ النَظَرُ ؟ وأنت ترى الإنسانَ أبدًا يُكِبُّ على شيءٍ يَعْمَلُهُ فَتَسْدَرُ[7] عَيْنُهُ ، وخاصَّةً[8] الكاتِبُ المُكِبُّ على الكِتَابَةِ ، أو النَاظِرُ فيها[9] ، وهذا أبدًا ترى كلَّ أحدٍ يَشْكُوهُ ، وترى الإنسان يُعْمِلُ طَرْفَهُ فى النَّظَرِ إلى الشيءِ البَعيدِ فَيَسْدَرُ نَاظِرُهُ حتّى لا يرىٰ شيئًا ، فهل هذا كُلُّهُ إلّا من إتعابِ العينِ بالنَّظرِ ، وأنت أبدًا تقولُ للمديمِ الدّراسةِ لِلْكُتُبِ[10] : لاتُتْعِبْ

---

(١) ساقطة من س .

(٢) رجل شَنِجُ الكف : ضيِّقُها ، والشَّنَجُ : تقبض الجلد والأصابع وغيرها .

(٣) س : « وهو » .

(٤) س : « فيه » .

(٥) ديوان مسلم بن الوليد ٦٤ وفيه : « عن المنية » وقد سبق فى ١ : ٨٣ وفى س : « حذا حذو قول مسلم بن الوليد » يمدح يزيد بن مزيد الشيبانى .

(٦) فى الأصل : (وكيف يتعب عين الناظر النظر ؟) والتصحيح من س .

(٧) سدر : لم يكد يبصر .

(٨) فى الأصل : « خاصة » .

(٩) س : « فيه » .

(١٠) ساقطة من س .

عَيْنك وأَرْفُق بِها ، ورَوِّحْ عَنها [ونحو هذا](١) .

وهذه أيضا معارضةٌ فى غايةِ الفساد ، لأنَّ البحترىَّ لم يذهبْ إلى استعمال

٨٢ ب العين وَكدّها فى النَّظر إلى الشىءِ الواحد ، لأنَّ ذلك / إخراجٌ لها عن(٣) عادتها الطبيعية ، كالكلام(٢) الذى إذا أخرجته عن العادة الطبيعية إلى أن ترفعَ به الصوتَ من غِناء أو حداء ، أو خُطبةٍ طويلة أتعبت جميع الآلات من الحلق ومجارى النَّفَس والفكين ، وإلّا فالكلام الذى تستعمله فى عاداتك(٤) غير متعب ، لأنك لست تَحْمِلُ على الطبيعة(٥) ، إنما تتركُها فيه وعادتَها ، وذلك غيرُ(٦) متعبٍ لها ، فكذلك العين إذا تركتها ونظرَها الطبيعىَّ ، فإن ذلك غيرُ متعب لها ، وكذلك اليدُ والرِّجل وسائر الأعضاء ، وجناحُ الطائر مثله ، وإذا أتعبت اليد بأن تحملَ الشىءَ الثقيلَ ، وأتعبت الرِّجل بالمشى الطَّويل ، فقد حملت على(٧) الحركةِ الطبيعية وأخرجتها عن عادتها ، وللطَّائر أيضا فى طَيَرانِهِ حدودٌ محدودَةٌ فى استعمال جناحيه ، ومواقيت موقتة ، فإن لم يسقطْ للاستراحة ، أسْقَطَهُ التعبُ والكدُّ ، فهذا كله أنت تراه مشاهدة ، فإنما ذهب البحترىّ إلى أنّ عينَ(٨) النَّاظِرِ لا يتعبها النظرُ(٩) الطبيعىُّ ، الذى جعل البارى تبارك وتعالى(١٠) له مبلغا وقَدْرًا فيها ليستدرك النَّاظرُ به معرفة ما يُشاهد من الأشياءِ .

---

(١) زيادة من س .
(٢) قوله : « كالكلام ... الطبيعية » سقط من س .
(٣) ساقطة من س .
(٤) س : « عادتك » .
(٥) س : « تحمل فيه على الطبيعة » .
(٦) ساقطة من س .
(٧) س : « والطائر أيضا فى طيرانه له حدود محدودة .... »
(٨) ساقطة من س .
(٩) س : « يستدرك » .
(١٠) س : « ما يشاهده » .

وهذان البيتانِ بيتا الطائيين فى الجود .

وقال بَكرُ بن النَّطَّاح الحَنفىُّ[1] :

وَلَو لَم يَكُنْ فى كَفِّهُ غَيرُ رُوحِهِ ... لجَادَ بها فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ

وقد قال مُسْلِمُ بنُ الوليد[2] :

يجودُ بالنَّفْسِ إن ضنَّ البخيلُ بها ... والجُودُ بالنَّفْسِ أقصىٰ غَايةُ الجُودِ

وهذا البيت هو بيت مسلم فى الجود الذى يُفْتَخرُ له به ، وبيتُ بَكْرٍ أجودُ من هذا[3] لقوله :

« ولَوْ لَمْ يَكُنْ فى كَفِّه غَيْرُ رُوحِهِ » .

ولقولـــه[4] :

« ..... فَلْيتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ »

وهذا – لعمرى – إفراط حسن .

وبيتا الطائيّين أجودُ معنى وألطفُ ، لأنّهما لم يَخْرُجا عن طريقة الجُودِ والكَرَمِ ، وهذان البيتان خارجان عَنهما[5] .

* * *

(١) س : أبو بكر وانظر ترجمته ص ٢٤٢ ، وهذا البيت روى لأبى تمام فى ديوانه ٢ : ٢٠٣ وشرح التبريزى ٣ : ٢٩ وينسب أيضاً لزياد الأعجم ، ولأخت يزيد بن الطثرية . « انظر العمدة ٢ : ٢٨٣ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٣٧٥ » .

(٢) ديوان صريع الغوانى ص ١٦٤ ، وفيه « إذْ أنت الضنين بها » ، وفى س : « إن ضن الجواد بها » .

(٣) الأصل : من هذا القول .

(٤) س : « وقوله » .

(٥) س : « عنها » .

ومن نوادر باب الجُودِ

قولُ أبى تَمّامٍ[1] فى تَوجُّهِهِ إلى عبد الله بن طاهر :

/يقول فى قُومَسٍ صحبى وقد أخَذَتْ ... منا السُّرى وخُطى المَهْرِيَّةِ القُودِ ٨٣

أمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِى أن تَؤُمَّ بِنَا ... فقلتُ كَلَّا ولكن مَطْلِعَ الجُودِ

وهذا مالا نهايةَ لِحُسْنِهِ ، ولكنَّه[2] نقل هذا المعنى من قول ابن هَرْمةَ فى وصْفِ امرأةٍ[3] :

تَبدَّتْ لنَا كالشَّمْسِ يوم طُلوعِها ... بِلَوْنٍ غَنِىِّ الجِلْدِ عن أثَرِ الوَرْسِ

فلمّا ارْتَجَعْتُ الطَّرْفَ قلتُ لِصَاحِبى ... على مِرْيةٍ : ما هَاهُنا مَطلِعُ الشَّمْسِ[4]

---

(١) ديوانه ١ : ٥٠٠ والتبريزى ٢ : ١٣٦ وفيهما : « تنوى أن تؤمّ بنا » وعبد الله بن طاهر : هو أبو العباس بن الحسين الخزاعى بالولاء ، كان سيدا نبيلا عالى الهمة شهما ، وأحد الأجواد الأسخياء ، تولّى الشام مدّة ، والديار المصرية مدة ، وتوفى سنة ٢٣٠ « الديارات ص ١٣٢ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٨٣ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٤٨٣ » .

وقال ابن خلكان : « قُومَس » المذكور فى شعر أبى تمّام : بضم القاف وفتح الميم وقيل بكسرها ، أقليم من عراق العجم حدّه من جهة « خراسان » « بسطام » ، ومن جهة العراق « سمنان » هاتان المدينتان داخلتان فى أعمال « قُومَس » ، وكرسىّ « قُومَس » « الدامغان » . وانظر : « معجم البلدان ٤ : ٤١٤ » .

(٢) س : « وأظنه » .

(٣) ديوانه ١٣٤ ، وفيه : « تبدت فقلت : الشمس عند طلوعها » ، وفى س : « عند طلوعها » .

(٤) ديوانه : « لما ارتجعت الروح » ، وقال الشيخ عبد الرحيم العباسى فى معاهد التنصيص =

فحوّلَ المعنى إلى ذِكْرِ الجُودِ .

وقال البحتريّ في معنى آخر[1] :

دانٍ على أيدى العُفاةِ ، وشاسِعٌ عن كلِّ نِدٍّ – فى النَّدىٰ – وضَريبِ
كالبَدْرِ أفْرَط فى العُلوِّ ، وضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جدُّ قَرِيبِ

وهذا أيضًا غايةٌ فى حُسنه[2] ومعناهُ ، وبيتا[3] أبى تمّام ألطفُ معنى .

وقال أبو تمّام[4] :

رأى البخلَ من كلِّ فظيعًا فعافَهُ على أنَّهُ مِنْهُ أمَرُّ وأفْظَعُ
وكلُّ كُسُوفٍ فى الدَّرارىِّ شُنْعَةٌ ولكنّه فى البَدْرِ والشَّمْسِ[5] أشْنَعُ

قوله : « على أنّه منه » أى : على أنَّ البُخْلَ من أبى سَعيدٍ أمَرُّ وأفْظَعُ منه من غَيْره[6] .

وقولُه : « وكلُّ كسوفٍ فى الدَّرارىِّ شُنْعَةٌ » يريد بالدّرارىِّ : النّجومَ المضيئةَ

= « ٤ : ٢٤٩ » : إن أبا تمّام أخذ معنى البيتين من قول مسلم :

يقولُ صحبى وقد جدوا على عَجَلٍ والخَيْلُ تستنُّ بالرُّكْبان فى اللُّجُمِ
أَمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَنْوِى أن تَؤُمَّ بنا فقلت كلا ولكن مَطْلِعَ الكَرَمِ

وقد أثبت محقق ديوان مسلم البيتين فى ذيل الديوان الذى احتوى شعره المجموع « ص ٣٤٠ » .

(١) ديوانه ١ : ٢٤٨ ، وفى س : « على كل نِدٍ » .

(٢) ساقطة من س .

(٣) س : « وبيت » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٠٢ وشرح التبريزى ٢ : ٣٢٧ .

(٥) فى ديوانه والتبريزى والنظام و س : « فى الشمس والبدر » .

(٦) وقال أبو العلاء : « يقول : الكسوف فى النجوم يشنع وهو فى النيرين أشنع وكذلك البخل فى غير الممدوح من الرؤساء أقلُّ شناعة منه فيه » ، وقال ابن المستوفى : « لم يتعرّض أبو تمّام إلى قلة شنعة البخل فى غير الممدوح كما ذكروا ، ولو ذهب إلى ذلك لكان ناقضا لما ضرب به المثل من زيادة الشنعة فى الشمس والبدر وإنما أطلقها » « النظام لوحة ١٣٩ جـ ٢ » .

وكسوفُها ليس[(١)] ممّا يَظْهَرُ لعيونِ النّاسِ ، لأنّ كسوفَ الكوكبِ إنما هو أن يَحْصُلَ فى سَمْتِــهِ كَوْكَبٌ فى فَلَكٍ[(٢)] هو أَسْفــلُ من فَلَكِــهِ[(٣)] فَيَسْتُـــرَهُ ، فذاك[(٤)] كُسُوفُهُ ، ولا يَتَفقَّدُهُ و[لا[(٥)]] يَعْرِفُهُ إلّا المنجمونَ ، فليست فيــه[(٦)] شُنْعَةٌ ، لأنّ الشُّنْعَةَ ما عَمَّتْ رؤيتُهُ[(٧)] فجعل أبو تمّام كسوفَ الكواكبِ شُنْعةً[(٨)] وجعل كسوفَ الشَّمْسِ والبَدْرِ أَشْنَعُ وقد أحسن ولم يُسِيءْ .

ولِلْبُحْترىّ شىء يقارب هذا فى المعنى ، ولكن ليس مثله [فى الجودة] وهو قوله[(٩)] :

فَرَّقَ بين النّاسِ فى نَجْرِهِمْ ... ما يُعْظِمُ العَبْدُ لَه سَيِّدَهْ
وأَنْجُمُ الأُفْقِ نِظَامٌ ، خَلَا ... ما خَالَفَتْ أَنْحسُهُ أَسْعُدَهْ
لَمْ أَحْفِلِ[(١٠)] الأَشْباحَ حتّى أرى ... بيانَ ما تأتِى بِه الأَفْئِدَهْ

---

(١) الأصل : « فليس » والتصحيح من س .

(٢) س : « ملك » .

(٣) س : « ملكه » .

(٤) س : « فذلك » .

(٥) زيادة من س .

(٦) قوله : « فليست ... عمت رؤيته » سقط من س .

(٧) كرر هذا الرأى أبو العلاء « انظر شرح التبريزى ٢ : ٣٢٧ » ، وقد علق ابن المستوفى على قول أبى العلاء فقال : « ولا معنى لقوله « كما أن كسوف النجوم لا يظهر للعامة كما يظهر كسوف الشمس والقمر » ، إذ لو لم يرد بكسوف الدرارى ظهوره ، لم يقع الفرق بينه وبين كسوف الشمس والقمر لخفاء ذاك وظهور هذا ، ولما جمع فى الكسوف بين الشمس والقمر ، وإن كان لأحدهما جاز أن تنسبه إلى النجوم أيضا » النظام جـ ٢ لوحة ١٣٩ .

(٨) س : « فجعل أبو تمّام فيه شنعة ما » .

(٩) ديوانه ٢ : ٦٦٣ ، وما بين القوسين زيادة من س .

(١٠) س وديوانه : « لا أحفل » .

وهذا شبيهٌ بقول نُصَيْبٍ الأَصْغَرِ[1] :

وإذا جَهِلْتَ من امرئٍ أَعْرَاقَهُ   وقَدِيمَهُ فانْظُرْ إلى ما يَصْنَعُ[2]

وهذا معنًى شائِعٌ .

وقَال نابغةُ بنى شيبانَ[3] :

لاتَحْمدَنَّ امْرَأً حتّى تُجَرِّبَهُ   ولا تَذُمَّنَّهُ من غَيْرِ تَجْرِيبِ

وقَال آخر[4] :

إنى آمْرُؤٌ قلمَّا أُثنى على أحدٍ   حَتَّى أرىٰ بعضَ ما يَأْتى وما يَذَرُ

لاتَحْمَدَنّ امرأً حتى تُجَرِّبَهُ   ولا تَذُمَّنَّ مَن لَمْ يَبْلُهُ الخَبَرُ

وقد أحسنَ بَشَّارٌ[5] فى قَوْلِهِ :

ولَوْلا الذى زَعَمُوا لم أَكُنْ   لِأَحْمَدَ ريحانةً قَبْلَ شَمّ

---

(١) نُصَيْبٌ الأصغر : مولى المهدى ، عبد نشأ باليمامة واشْتُرِىَ للمهدىّ في حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال والله ماهو بدون نُصَيب « يعنى نُصَيْباً الأكبر مولى عبد العزيز بن مروان ، وسُمّىَ هذا الأصغر تمييزا له عنه » وأعتقه المنصور وزوّجه أمة له يقال لها « جعفرة » وكنّاه أبا الحجناء ، وقد مدح المهدى وتوفى بعد سنة ١٧٠ هـ « وفيات الأعيان ٦ : ٦٩ وزهر الآداب جـ ٤ : ١٠٣٠ ، وفوات الوفيات ٢ : ٦٠٢ » .

(٢) الأغانى ٢٠ : ٣٤ وفيه « وإذا نَكَرْت » ، وزهر الآداب ٤ : ١٠٣٠ ، والوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٢٠٣ ، ونقل عن عبد الصمد بن علي : أن أبا الحجناء أخذ بيته من قول مسلم الآخر :

لا تسأل المرء عن خلائقه   فى وَجْهِهِ شاهِدٌ عن الخَبَرْ

(٣) ديوانه ٧٥ وهو عبد الله بن المخارق بن سليم بن بنى شيبان ، شاعر بدوى محسن من شعراء العصر الأموى ، كان يفد إلى الشام يمدح الخلفاء من بنى أمية فيجزلون عطاءه ، مدح عبد الملك بن مروان وولده من بعده ، وله فى الوليد بن يزيد مدائح كثيرة توفى فى أيامه سنة ١٢٥ « المؤتلف والمختلف للآمدى ص ٢٩٤ ، الأغانى ٦ / ١٤٦ » .

(٤) البيتان للنجاشى وهو قيس بن عمرو الحارثى وكان فاسقا رقيق الإسلام « الشعر والشعراء ١ : ٣٢٩ وحماسة البحترى ص ٣٧٠ » وفى س : « وقال » ، وفيها « على رجل حتى أتى » .

(٥) ديوانه ٤ : ١٨١ وفيه : « لأمدح ريحانة ... » .

وأَظُنُّ أوّل من نظم هذا المعنى الأعشى في قولِه[1]:

فجِئْتُكَ مُرْتَادَ ما خَبَّرُوا ولولا الذى خَبَّروا لم تَرَنْ

وقال آخر[2]:

أَبْلُ من شِئْتَ تَقْلَهْ عن قَلِيلٍ لِفِعْلِهْ

* * *

(١) ديوان الأعشى الكبير ص ٧٥ وفى الأصل : « جئتك » والتصحيح من س .

(٢) فى الأصل : « لفعله » بتحريك الهاء ، والبيت لأبى العتاهية ، وانظر فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد البكرى ٣١٠ ، وبهجة المجالس وأنس المجالس للقرطبى ١ : ٣٠٣ ، ولم أجد البيت فى ديوانه .

ومن نوادر باب الجود[1]

قول أبي تمّام [في مُحَمّد بن الهَيثم][2] :

لدى ملكٍ من أيْكَةِ الجُودِ لم يَزَلْ ... على كَبِدِ المَعْروفِ من فِعْلِهِ بَرْدُ
ودانى الجَدا تأْتِى عطَاياهُ من عَلٍ ... ومَنْصِبُهُ وَغْــرٌ مطَالِعُــهُ جُرْدُ[3]
فقد نزلَ المُرتَادُ منه بِمَاجِدٍ ... مَواهِبُـهُ غَوْرٌ وَسؤْدَدُهُ نَجْــدُ[4]
به أسلمَ المعروفُ بالشّامِ بعدَما ... ثوىٰ منذُ أودىٰ خِالدٌ وهو مُرْتَدُّ[5]

فقال[6]: « دانِي الجَدا[7] » ، ثمّ قالَ : « تأْتِى عطَايَاه من عَلٍ » و « الجدَا » : هو العطَاءُ الذى يُعطِيه ، وهذا من عَويصَاتِه التى يَتَجَنَّبُ مِثلَها الحُذَّاقُ ، وهو مَشغُوفٌ بها ، وكأنَّه يريدُ : أنَّ عطاياهُ دانِيَةٌ من يِدِ المُتنَاوِلِ ، وأنّها تأتى من عَلٍ لِعُلوِّ قَدْرِهِ ،

---

(١) س : « ومن نوادر الجود » .

(٢) زيادة من س ، والأبيات فى ديوانه ١ : ١٧٤ ، والتبريزى ٢ : ٨٧ .

(٣) س : « الجبا » .

(٤) فى الأصل : « ترك » تصحيف ، والتصحيح من ديوانه و س .

(٥) هذا البيت والبيت الأول سبقا فى ١ : ٢٦٣ .

(٦) س : « قال » .

(٧) فى الأصل : « يأتى الجدا » وفى س : « دانى الجنا » .

أو أراد[1] أنها تأتى كما يأتى السَّيلُ مِن[2] ارتفاع إلى هبوطٍ ، فيكونُ أغزرَ لها وأسرعَ ، وكأنَّ
84 المعنى الأوَّل أقوىٰ ، لأنَّه قد كرَّرهُ وأكَّدهُ / بقولِهِ :

مَواهِبُهُ غَوْرٌ وسُؤْدَدُهُ نَجْدُ

وبقوله[3] :

ومَنْصِبُهُ وَعْرٌ مَطالِعُهُ جُرْدُ

أي : جَداهُ دانٍ قَرِيبٌ مِمَّنْ يُرِيدُهُ ، ومَنْصِبُهُ بعيدُ المَرامِ ممَّن يريد التعلّقَ به أو المساواةَ له ، فمطالعه[4] جُرْدٌ[5] : جمع أجردَ ، أى مُلْسٌ لا يتعلقُ بها شيء ، كما يُقال : « تقدَّم إليه المُتَناولُ » [؟][6] والمعنيانِ لا يتشاكلان كلَّ التشاكُلِ ؛ لأنَّ العطايا ليست من المَنْصِبِ فى شَيء ، وإنما كان يَنْبَغى أن يقولَ : ودانِى الجَدَا تأتى عطاياه من يدٍ هى [مع][7] الثُّريا ، أو من راحةٍ هى فوقَ النجمِ ، حتّى تكونَ عطاياهُ دانيةً مع علوّ يده ، لأنَّ العطايا منها تأتى ، وعنها تَصْدُرُ ، فيُشْبِهُ شيءٌ شيئًا ، وتَصِحُّ المقابلَةُ ، أو أنْ يجعَلَ الممدوحَ دانِيًا ممَّنْ يريدُه ، دَمِثًا متواضِعًا سهلا ، ويجعلَ مَنْصِبَه[8] رَفيعًا وَعْرًا صَعبًا ، حتّى يكونَ المعنى أنَّه رفيعُ القَدْرِ على تَواضُعِهِ ، كما قالَ البحتريُّ[9] :

دنوتَ تَواضُعًا ، وعلوتَ قَدْرًا ... فشأْناكَ : انْخفاضٌ وارْتِفاعُ
كَذاكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أن تُسَامىٰ ... ويدنُو الضَّوءُ مِنْها والشُّعاعُ

---

(١) س : « وأراد » .
(٢) فى الأصل : « فوره » والتصحيح من س .
(٣) الأصل : « ويقول » .
(٤) ساقطة من س .
(٥) الأصل : « فمطالعه جرد فليس يتعلق بها شئٌ » .
(٦) كذا فى الأصل : وتبدو العبارة هنا ناقصة ، وقد سقطت هذه العبارة من س فلم أتمكن من تصحيحها ولعل صواب العبارة : « كما يقال : تفوت يد المتناول » .
(٧) زيادة من س .
(٨) ساقطة من س .
(٩) ديوانه ٢ : ١٢٤٧ ، وفيه « وبعلت قدراً » ، وفيه وفى س « انحدار وارتفاع » .

فأمّا أنْ تُجْعلَ عطَاياهُ دانِيةً مع عُلوِّ قَدْرِهِ ورَفيعِ مَنْصِبِه ، فكذا[1] يَجِبُ أن تكونَ ، وليس هذا بِبَديعٍ ، ولا بِمعْنًى مفيد ، لأنّه ليس بطباق[2] ، ثمّ أنا ما علمنا[3] أنّ للمعروفِ كَبِدًا ، وأنّه كان مرتدّاً فأسلم ، إلّا من هذه الأبيات ، فأما[4] قوله :

« .... وإنْ قَسَتْ كَبِدُ الزّمانِ علَيَّ كُنْتَ رؤُوفَا

فإن استعارةَ الكَبِدِ هاهُنا ليست بقبيحةٍ كَقُبْحِ استعارةِ الكَبِدِ للمَعروف ، لأنّ المعروفَ لا يُوصَفُ بالقَسْوةِ ولا بالشّدّةِ كما وُصِفَ الزّمانُ ، فَلمّا وَصَفَ الزّمانَ بالشدّةِ والصُّعوبَةِ ، لم يُنْكَرْ أن يَجْعَلَ له على الاستعارةِ كَبِداً قَاسيةً ، فعلى هذه السّبيل وما أشبهها[5] تحسن الاستعارة وتَقْبُحُ ، وقوله : « منذ أودى خالد وهو مُرْتَدُّ »[6] يريدُ خَالدَ بن يزيدَ بن مزيدٍ[7] .

وقال فى خالِدِ بن يزيدَ أيضا[8] :

ظِلُّ عُفـاةٍ يُحِبُّ زَائِرَهُ حُبَّ الكبيرِ الصَّغيرَ من وَلَدِهْ[9]

---

(١) س : « فكذلك » .

(٢) ساقطة من س .

(٣) س : « ما رأينا » .

(٤) « فأما » ساقطة من الأصل وهى فى س ، والبيت فى ديوانه ٢ : ٧٧ والتبريزى ٢ : ٣٨٣ وفيه :
« إن غاض ماء المزن فُضْتَ وإن قَسَتْ .... »

(٥) « وما أشبهها » ساقطة من س .

(٦) « وهو مرتد » ساقطة من س .

(٧) قال أبو العلاء : يعنى خالد بن يحيى البرمكى ، لأنه كان فارسيًا ، فتقرّب إلى الممدوح بذكره ، لأن الممدوح أيضا من فارس ، وهذا أشبه من أن يعنى خالد بن يزيد ، أو خالد بن عبد الله القسرى ، أو خالد ابن يزيد بن معاوية « النظام جـ ١ لوحة ٣٦٧ ، والتبريزى ٢ : ٩١ » .

(٨) ساقطة من س .

(٩) ديوانه ١ : ١٣ والتبريزى ١ : ٤٣١ « الأبيات ١٦ ، ١٧ ، ٥٥ ، ٥٧ » قال ابن المستوفى : قال الخارزنجى : يقولُ هو ظِلُّ عفاةٍ ، يريحهم من تعبِ القلب ومن حرارةِ الشمس ، ويُحبِ من يزوره لطلب معروفه كحب الوالد الكبيرِ الصغيرَ من ولده . وفى الكتاب العجمى : « ظل نداه » أو « حياه » ؛ لأن تنكير « عفاة » غير مستحب . قال المبارك بن أحمد « ابن المستوفى » : الرواية « عفاة » ولم أجد ما ذكره فى نسخة ما ، ولا بأس من تنكير « عفاة » وإن كان التعريف أجودُ « النِّظامُ جـ ١ لوحة ٣١٠ » .

إذا أَنَاخُوا بِبَابِهِ أَخَذُوا ... حُكْمَيْهِـمْ من لِسَانِهِ ويَدِهْ[1]
آثَرَنِي إذْ جَعلْتُهُ لجَأً ... كُلُّ امْرِئٍ لَاجِئٌ إلى سَنَدِهْ[2]
إِيثَارَ شَزْرِ القُوَىٰ يرى جَسَدَ الـ ... ـمعروفِ أولىٰ بالطبِّ من جَسَدِهْ[3]

فقد أَفَدْنا من الأبياتِ الأُوَلِ أنّ للمعروف كَبِدًا ، وأنّه كَان مُرتدًا فأسلمَ ، وأفدنا من هذه الأبيات أنّ جَسدَه ممّا يَجِبُ أن يُتطبَّبَ له ، وأنّ الممدوحَ يرى أنّه أولى بالطبِّ من جَسدِ نَفْسِهِ[4].

وقال[5] :

وقُلِدْتَ من شِيَمٍ كأنَّ سُيورَها ... يُقْدَدْنَ من شِيَمِ السَّحاب المُرْزِمِ
شُهِرَتْ فما تَنْفَكُّ تُوقِعُ باسْمِها ... من قَبْل مَعنَاها بِعُدْمِ المُعْدِمِ

---

(١) س : « حكمهم » وهي رواية النظام وقال : قال الخارزنجي : إذا أناخَ العُفاة ببابه وجدوا مايحبون من إنعامه باللسان وإعطائه باليد . وهذان الحكمان اللذان يريدونهما . قال المبارك بن أحمد : الصحيح أنه مثل قوله :
ترمي بأشباحنا إلى ملك ... نأخذ من مالِهِ ومن أدبه
« ديوانه ١ : ٣٢٠ » .
وفي النسخة العجمية ويروى « حُكْمَيْهِم » أي . بالبسط والإيناس والبرّ والصِّلة . « جـ ١ لوحه ٣١٠ » .

(٢) في الأصل : « راجع » وكتب الناسخ فوقها « لاجىء » وهذه هي رواية ديوانه والتبريزي والنظام ، وفي ديوانه : « إذ جعلته سنداً » وقال الخارزنجي : أي اختارني ، يقول آثرني وأكرمني إذ انقطعت إليه وتمسكنا بحبله وجعلته سندي ومعقلي « النظام جـ ١ لوحة ٣١٤ » .

(٣) في ديوانه والنظام « رأى » وقال الصولي : شَزْر القوى ، يريد : شديد الفَتْلِ ، والشَّزْر : شدة الفتل . « رأى جسد المعروفِ » يقول : رأى إصلاح ابن أبي دؤاد له أولى من إصلاح جسده ، أراد بهذا إيثاره الكرم والمدح : قال المبارك بن أحمد : نصب ، « إيثار » على المصدر ، وعمل فيه آثرني ، ومن رفع فعلى خبر مبتدأ محذوف ، والأول أقوى ، وفي نسخة يقول : هذا الرجل يداوي المعروف ليزيل مرضه وهو على شفائه أحرص « من » شفاء جسده إذا اعتلّ « النظام جـ ١ لوحة ٣١٤ ، وقد سبق البيت في ١ : ٢٦٣ » .

(٤) س : أولى من جسد نفسه بالطب ، وفي حاشية نسخة الموازنة « برلين » : « قد جعل امرؤ القيس لليل أعجازا وأردافا وصلبا وكلكلا ، وما رأينا من ذمّه » وقال صاحب الحاشية تعليقا على قول الآمدي « وقد عاب امرأ القيس بهذا البيت . الخ » الموازنة ١ : ٢٦٦ : « ما عاب من عاب امرأ القيس من حيث الاستعارة ، وإنما لكونه وصف الليل بالطول ، وذكر الأرداف والصدر ليس فيه دليل على الطول عند هذا المعيب ، وأما الاستعارة فما عابه أحد عليها ، ويلزم المؤلف أن يعيبه كما عاب أبا تمّام » الموازنة — برلين ٢٦٠ لوحة ٧٥ .

(٥) ديوانه ١ : ٤٣٠ والتبريزي ٣ : ٢٥٥ ، وفيهما : « لقِيدت » .

وهذا من فلسفته التى يُخْرِجُ العبارةَ عنها خُروجًا صحيحًا ، يريد أنَّ المُعْدِمَ إذا أَمَّلَكَ وفَكَّر فى كريم أخلاقِكَ ، ذهب عنه البُؤسُ والفقرُ قبل عطَائِكَ لِثِقَتِهِ بالغِنىٰ من جِهَتِكَ .

وقال[1] :

لا شَمْسُهُ حَرَّةٌ تُشْوىٰ الوجوهُ بها يومًا ولا ظِلُّهُ عنْها بِمُنْتَقِلِ
تحولُ أموالُهُ عن عَهْدِها أبدًا ولم يَزُلْ قَطُّ عن عَهْدٍ ولَمْ يَحُلِ

وهذا معنًى ليس بالجيِّدِ[2] ، وظاهِرُهُ أنّ أموالَه أبدًا تَنْتَقِلُ عن يَدِهِ وأنّ كَونَها فى يده عَهْدٌ بينَها وبينه ، وليس[3] بممدوحٍ من جُعِلَ هو ومالُه متعاهِدَيْنِ[4] ، وكأنّه أراد أنّ أموالَه تحولُ عن عَهْدِ العَاهِدِ لها من اجتماعها عنده ، ووفورِها لديه ، لأنّه يُفرِّقُها ، ولم يَحُلْ هو قَطُّ عن عَهْدٍ عُهِدَ عليه من كَرَمٍ ولا غَيرِهِ .

والجيِّدُ الحَسن الذى لا يتطرَّقُ عليه التأوّلُ فى هذا المعنى قولُ البحتريِّ[5] :

إِمَّا تَنَقَّلتِ العُهودُ فإنَّـهَ ثَبْتٌ على عَهْدِ النَّدىٰ وذِمَامِهِ

معاهدةُ النَّدىٰ إنما هى[6] فى بَذْلِ المَالِ .

ومثلهُ فى الجَوْدَةِ[7] قولُ دِعْبِلٍ :

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٣٥ والتبريزى ٣ : ٩٤ ، وفى ديوانه والتبريزى : « لاشمسه جمرة » وديوان والتبريزى : « ولا ظلّه عنّا » ، وفى النظام « تشوى الوجوه » على ما سمى فاعله وقال : « رواية الخارزنجى « يشوى الوجوه بها » وقال يقول : لا يأتيك أذاه فيبلغ إليك إذ كنت وليّه ، ولا ينطوى عنك نفعه وخيره . وروى غيره « تشوى الوجوه » على مالم يسمّ فاعله » ... وعنّا بمنتقل » » النظام جـ ٢ لوحة ٢٦٤ .

(٢) ساقطة من س .

(٣) س : « لا » .

(٤) الأصل : « ووقوعها » .

(٥) ديوانه ٣ : ١٩٨٥ .

(٦) س : « هو » .

(٧) س : « فى الجود » ، محاضرات الأدباء ٢ : ٥٧٨ ، ولم يرد البيت فى ديوانه ، وفى س : « معسرقى » .

والجود يَعلم أنى مُنْذُ عَاهدَنِي ماخُنْتُهُ وَقْتَ مَيْسُورِي ومَعسُورِي

وقال البحتريُّ فى مُعاقَدةِ الجَوادِ والجُودِ (١) :

إنَّ « القَنَانِيَّ » ، وإن النَّدىٰ تِرْبَا اصْطِحَابٍ ، وأُخَيَّا لِدَهْ

تعَاقَدا حِلْفًا على وَفْرِ ذِى وَفْرٍ إذا جَمَّعَــهُ بَدَّدَهْ

٨٥ / فالفعلُ فَوْتُ القَولِ إن فاضَ فى عَارِفَةٍ ، والجودُ فَوتُ الجِدَهْ

وهذا معنى حَسنٌ حلوٌ ، وقد تقدَّم النَّاسُ فيه ، فقال مُوسى شهواتٍ فى سعيد ابن خالد بن أُسَيدٍ (٢) :

عَقِيدُ النَّدىٰ ماعاش يرضىٰ به النَّدىٰ فإن ماتَ لم يَرْضَ النَّدىٰ بعَقِيدِ

فأخذتْ هذا المعنى بِعَيْنِه أختُ الوليدِ بن طَرِيفٍ (٣) فقَالَتْ :

---

(١) س : معاقدة الجواد الجود ، ديوانه ٢ : ٦٦٤ يمدح عبدون بن مخلد و « القنانى » : نسبة إلى قنان ابن سعد بن مالك بن سعد بن زيد بن ماة بن تميم « جمهرة الأنساب ص ٢١٥ » .

وقال أبو العلا المعرى فى عبث الوليد : « وقوله : « وأخيَّا لِدة » غير مستعمل ، وإن كان هو الأصل المعتمد لأنهم يقولون : فلان لِدَةُ فلان وفلانة لِدَةُ فلانة ، يستعملونه فى المذكر والمؤنث يريدون أنهما فى سنّ واحدة » ثم يقول « ولدة فى الحقيقة إنما هو مصدر ولد لِدَةً ، مثل وعد عدة ووجد جدة ، إلا أنهم استعملوه فى الأخبار ، وقلما يقولون : عجبت من لدة فلانة فلانا ، أى : ولادتها ، وذلك الأصل ، إلا أنه ترك ، وإن حمل بيت أبى عبادة على أنه مضاف إلى اللفظ دون المعنى ، فذلك سائغ ، وقد ذهبت إليه طائفة من أهل العلم » « عبث الوليد ص ٩٢ ، ٩٣ » .

(٢) موسى شهوات : موسى بن يسار المدنى أبو محمد شاعر من الموالى ، نشأ وعاش فى المدينة ونزل بالشام فى أيام سليمان بن عبد الملك ، وقد هوى أمة من إماء المدينة ، فأتى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ابن عفان فشكا إليه حبها ، وسأله شراءها له ، فاعتلّ عليه ، فأتى سعيد بن خالد بن أسيد فأخبره بقصته ، فأمر له بثمنها وزاده مائة دينار لجهازها وكسوتها فقال فيه :

سعيد الندى أعنى سعيد بن خالد أخا العرف ولا أعنى ابن بنت سعيد

ولكننى أعنى ابن عائشة الذى كلا أبويه خالد بن أسيد

عقيد الندى « البيت » .

فسمى عقيد الندى « الأغانى الدار ٣ : ٣٥١ ، ٣٦٥ والشعر والشعراء ٢ : ٥٧٧ » وسعيد بن خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ، وكان سيدًا ممدحا ، وهو المعروف بعقيد الندى « جمهرة الأنساب ص ١١٤ » ، وفى س « لم يرض بحليف » .

(٣) قيل هى الفارعة ، وقيل فاطمة ، وقيل ليلى ، رثت أخاها بقصيدة أجادت فيها ، وكانت تسلك فى شعرها سبيل الخنساء فى مراثيها لأخيها صخر ، وأخوها الوليد بن طريف الشارى ، انظر أخباره وأبيات أخته فى تاريخ الطبرى ٨ : ٢٥٦ — ٢٦١ ومن قوله : « فأخذت ... إلى آخر البيت » ساقطة من س .

حليفُ النَّدىٰ ما عاش يَرْضىٰ به النَّدىٰ　　فإن ماتَ لم يَرْضَ النَّدى بِحَليفِ

وأظُنُّ الأعشىٰ أوّل سَابِقٍ إلى هذا المعنى بقوله :(١)

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيانِها　　وباتَ على النَّارِ النَّدىٰ والمُحلَّقُ

رَضِيعَىْ لِبَانٍ ثَدْىَ أُمٍّ تَقاسَما　　بأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضَ لا نَتَفَرَّقُ(٢)

قيل فى « أسْحَم دَاجٍ » أنّه أرادَ : تقاسما فى ظُلْمَةِ الرَّحِمِ ، أى : تحالفَا هناك وتعاقَدا ، لأنّهما أخوان ، وقيلَ « أسحمُ دَاجٍ » الرَّمادُ ، لأنّ العربَ كانت تَحلِفُ بِهِ وبالنَّارِ .

وقال حبيبُ بن شَوذَبٍ المدنىُّ فى السَّرِىِّ بن عبد الله الهَاشِمِىِّ :(٣)

فكَّ السَّرِىُّ عن النَّدىٰ أغلالَهُ　　فجرىَ وكان مُكَبَّلًا مَغْلُــولا(٤)

وتَعاقَدا العَقْدَ الوَثِيقَ وأشْهَدا　　من كلِّ قَوْمٍ مُسْلِمِينَ عُدُولا

فوفىٰ النَدىٰ لكَ بالذى عَاقَدْتَهُ　　ووفىٰ السَّرِىُّ فما يُرِيدُ بديلا

---

(١) ديوانه ص ٢٧٥ يمدح المحلَّق الكلابىّ ، وهو عبد العزيز بن حيثم بن شداد ، وسمى محلقا لأن حصانا له عضة فى وجنته ، فترك فى جهة أثرا كالحلقة ، « وانظر الأغانى ٨ : ٧٧ » .

(٢) ديوانه : « تحالفا » وفيه : « عَوْضُ » ، ومعناه : أبد الدهر ، وقال فى اللسان « يبنى على الحركات الثلاث ، والنصب أكثر وأفشى » وروى بيت الأعشى السابق بالنصب ، و « أسحم داج » : الليل ، وقيل حلمة الثدى ، اللسان : « سحم » .

(٣) حبيب بن شوذب الأسدى المدنى أبو الرُّمَيح « وفى الفهرست : جندب بن شوذب « شاعر راوية له أبيات جياد ، مُقِلّ ، وكان من موالى بنى أسد فى المدينة ، أدرك الفرزدق وجرير ، وكان يتعصب للفرزدق ، مدح الحكم بن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى – وكان من الأجواد المتجاوزين الحد فى السخاء – « الورقة لابن الجراح ص ٧٨ والفهرست للنديم ص ١٨٧ » . والسَّرِىُّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، تولى خراسان خليفة للمهدى من قبل المنصور سنة ١٤١ ، وفى سنة ١٤٣ تولى مكة والطائف بعد عزل الهيثم بن معاوية وعزل عنها سنة ١٤٦ « جمهرة أنساب العرب ص ١٨ ، والطبرى ٧ ص ٥١١ ، ٥٥١ ، ٦٥٦ » .

(٤) الأبيات فى الورقة لابن الجراح ، وفيه « ووفى النّدى » .

فهذا لم يَرْضَ بالحلف والعَقْدِ حتى أَوْقَعَ بينهما شهادةَ قومٍ مُسْلِمِينَ عُدولٍ ، فَوَبِّخَهُ[(١)] ، ألا قال : « وأشهدا مَلِكَ السماءِ وأشهدا جِبْرِيلا » ؟! ، لأن الإنسانَ [قد][(٢)] يقولُ فيما يَعْقِلُه على نفسه : أُشْهِدُ اللهَ وملائِكَتَه على كذا ، وهذا النّحو إنما يُخْرِجُهُ الشعراء مَخْرَجَ النادِرَةِ ، وهو غيرُ حَسَنٍ ولا جميلٍ .

وقد قالَ حبيبُ بن شَوْذَبٍ هذا - وهو حَسَنٌ[(٣)] ، وإن كان قَد غَلا في الاستعارةِ[(٤)] -:

أَنْتَ أَنْفُ الجُودِ إن فارَقْتَهُ   عطَسَ الجُودُ بأَنْفٍ مُصْطَلَمْ

ومثل قَوْلِهِ :

فكَّ السَّرِيُّ عن النَّدىٰ أغلالَه   فجرىٰ وكانَ مُكَبَّلًا مَغْلُولا

قولُ بَكرِ بنِ النَّطاحِ الحَنَفِيِّ[(٥)] :

أبا دُلَفٍ[(٦)] إنّ السَّماحةَ لم تَزَلْ   مُغَلَّلَةً تَشكو إلى اللهِ غُلَّها
فبشَّرَها رَبِّى بِميلادِ قَاسِمٍ   وأَرْسَلَ جِبْرِيلًا إليْها فحَلَّها

---

(١) الأصل : فوبَّخَهُ والتصحيح من س .

(٢) ساقطة من الأصل والتصحيح من س .

(٣) س : ماهو أحسن اللفظ ، وفى الأصل : « وقال حبيب » .

(٤) الورقة ص ٧٩ .

(٥) بكر بن النطاح الحنفي أبو وائل ، قيل هو عجلى ، شاعر غَزِلٌ من فرسان بنى حنيفة ، من أهل يمامة ، انتقل إلى بغداد فى زمن الرشيد ، كان شاعرا حسن الشعر كثير التصرف فيه ، وكان صعلوكا يقطع الطريق ، ثم اقتصر على دلك ، اتصل بأبى دلف العجلى فجعل له رزقا عاش فيه إلى أن توفى « طبقات الشعراء لابن المعتز ٢١٧ ، والأغانى ١٧ : ١٥٣ ، والحماسة ٣ : ١٢٨٥ » .

(٦) أبو دلف : القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلى ، كان كريما سريا جوادا ممدحا شجاعا مقدما « وفيات الأعيان ٤ : ٧٤ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٦ » . ولم أقف على البيتين .

وهذا ليسَ بغُلوٍّ ولا استعارةٍ قَبيحَةٍ .

وممّا أُخرِجَ مخرجَ النّادرةِ قولُ ابنِ المَوْلَى[1] :

رِشْتَ النَّدىٰ ولَقَدْ تَكسَّرَ رِيشُهُ   فَعلَا النَّدىٰ فوقَ البِلادِ فطَارا

ونَحْوُ هذا[2] ماأنْشَدَه الأخْفَشُ لبَعْضِهم[3] ، وهو من بَابِ الهِجاءِ :

لأَضربَنَّ رَجائِى أَلْفَ مِقْرَعَةٍ   غَدًا وأَصْلُبُ آمالِى على خَشَبَهْ

إذْ مَنّيانِىَ قَوْمًا لا حراكَ بِهِمْ   وإن سَمِعْتُ لَهم فى دُورِهِم ، جَلَبَهْ

وهذه نوادِرُ من الشُّعراءِ مُضْحِكَاتٌ .

* * *

(١) ابن المولى : هو محمد بن عبد الله بن سالم بن المولى ، مولى الأنصار شاعر متقدم مجيد من مخضرمى الدولتين ومدّاحى أهلهما « الحماسة للمرزوقى ٤ : ١٧٦١ ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ٣٤٢ » .

(٢) س : ونحوه .

(٣) لم أقف على البيتين .

ومن نوادر باب الجود

ويصلُحُ أن يكونَ فى بابِ « تعجْرُفِ الجَوادِ على مَالِه » ، قولُ البحتريّ[1] :

غَرِيبُ السَّجايا ماتَزالُ عقولُنا ... مُدلَّهةً فى خَلَّةٍ من خِلالِهِ
إذا مَعْشَرٌ صانُوا السَّماحَ[2] تَعسَّفَتْ ... بهِ هِمَّةٌ مَجْنُونَةٌ فى ابْتِذالِهِ

قوله : « إذا مَعْشَرٌ صانوا السَّماحَ » معنًى رديءٌ ، لأنَّ البخيلَ ليسَ من أهْلِ السَّماحِ ، فيكونَ له سماحٌ يصونُه ، وسواءٌ عليه قال : صَانُوا السَّخَاءَ ، أو[3] ، صانوا الجُودَ أو صانُوا الكَرَمَ[4] ، فإنَّ هذا كُلَّه لايَمْلِكُ البُخَلاءُ منه شيئًا ، وهو منهم بعيدٌ ، فكيف يصونونَهُ ؟ ، فإن قيلَ : إنما أقامَ السَّماحَ مقام الشيء الذى يُسْمَحُ به ، وفى مجازات العرب ماهو أبعدُ من هذا[5] ، قيل : البحتريُّ لايُسوَّغُ [له][6] مثلُ ذلك ، ولايُجَوَّزُ له ، لأنه مُتَأَخِّرٌ ، لاسيما[7] وليستْ هاهنا ضرورة ؛ لأنه قد كان يُمْكِنُهُ أن

---

(١) ديوانه ٣ : ١٦٢٠ وفيه « صانوا التلاد » وقد سبق البيتان والتعليق فى ١ : ٣٧٩ .
(٢) س : الرماح .
(٣) الأصل : أم .
(٤) الأصل : الحزم .
(٥) فى الأصل : « مثل » والتصحيح من س .
(٦) زيادة من س .
(٧) س : ولاسيما .

يقول : « صانُوا الثَّراء » مكان « السَّماح »[1] ، [وينبغى أن يُلحَق هذا بِمَساوِئِهِ][2] .

ومن هذا الباب قول البحترىّ أيضا[3] :

ياابنَ عبدِ المليكِ مَلَّككَ الحمـ ـدَ وُقوفٌ بين النَّدىٰ والجُودِ[4]
/ مافقَدنا الإعدامَ حتى مَدَدْنَا سببًا نحو سَيْبِك المَوْجُـودِ ٨٦
سُؤْدَدٌ يُصطَفىٰ ، ونَيْلٌ يُرجَّى وثناءٌ يُحْيا ، ومالٌ يُودِى

ويصلح أن يكون فى باب الرّجاءِ والأَمَلِ .

قولُهُ : « ملَّككَ الحَمدَ وقُوفٌ » إن كانَ أرادَ : وقوفَ قَومٍ بين النَّدىٰ والجُودِ ، أى : ليس لهم فيهمَا[5] حظٌّ ، فقد أقامَ النَّعتَ مقام المَنْعُوتِ ، والمعنى ردىءٌ ، جعل الممدوحَ لم يمِلِكِ الحمدَ إلّا لَمّا[6] بَخِلَ هؤلاء ، فلم يكنْ لهم فى الجود حظٌّ ، فكأنّهم [هم][7] الذين ملَّكوهُ الحَمدَ ، أى : إنَّما حُمِدَ لمّا أضيفَتْ أفْعالُهُ إلى

---

(١) علق محقق ديوان البحترى على كلام الآمدى السابق « والذى ورد فى الجزء الأول ص ٣٧٩ – ٣٨٠ » قال : « ونقول إن الرواية التى أثبتناها « التّلاد » تنفى هذا العيب » « ديوان البحترى ٣ : ١٦٢٠ هامش ٢٠ » .

وأقول : لقد كان من نتائج الخصومة العنيفة بين البحترى وأبى تمّام أن حرص أنصار كل من الشاعرين على تغيير روايات البيت المعيب للتخلص من مواطن الثلب ، وذهب بعضهم إلى ادعاء الشعر الردىء ونسبه إلى شاعر الخصوم ، ولو سمع الآمدى تلك الرواية لما تردد فى الإشارة إليها ، كما أن هذه الرواية خالفتها نسخ الديوان التى ذكرها المحقق « أ وأخواتها : هـ ، ح ، ل » وانظر عن محاولة أنصار كل من البحترىّ وأبى تمّام فى هذا الميدان المذموم « الموشح ص ٥٠٥ والعمدة ٢ : ٢٤٩ والجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٢٤، والتبريزى ١ : ٣٠٥ هـ ٣ ، و ٤ ٧٩ وأخبار أبى تمّام ص ٥٦ » ، وقال ابن العميد بعد أن غير كلمة فى بيت من أبيات أبى تمّام « وكذا يلزم لمثل أبيات أبى تمّام إذا أمكن إصلاح بيت وتهذيب قصيدة » ، « النظام لابن المستوفى ١ : ١٢١ » .

(٢) زيادة من س .

(٣) « أيضا » زيادة من س وفيها : يا ابن عبد الحميد وهو تحريف ، فالقصيدة فى مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، « انظر الديوان ص ٦٣٦ هـ ٢٨ » .

(٤) كتب الناسخ فى الأصل فوق نهاية البيت « الممدود » ، وهى رواية الديوان .

(٥) س : فيها .

(٦) س : إلا كما .

(٧) زيادة من س .

٨٧ أفعال البُخلاء ، وهذا إلى الذم أقرب منه إلى المدح .[1]

وكأنهُ أرادَ[2] « ملَّكك الحَمْدَ وقوفٌ » ، أى : وقوفُكَ بين النَّدىٰ والجُودِ ، أى : إنّك لا تَقِفُ إلّا بَيْنَهما ، كأنّهُ مقيم بينهما لايُفارِقُهما ، كما يقال : أنا مقيم بين أمرك ونَهْيِك ، وواقفٌ عند طَاعَتِك .

وقولُهُ : « بين النَّدىٰ والجُودِ » [ليس بالجيِّد][3]، لأن النَّدىٰ هو الجودُ والجودُ هو النَّدىٰ ، يُقالُ : فلانٌ يتَنَدَّى على إخوانه ويَتَجوَّدُ[4] عَليَهِمْ ، ويقال : هو ذو ندًى ، كما يقال : هو ذو جُودٍ .

و « بين » هاهنا ليست قويّةَ المعنى ، لأنّها ليست كالواو التى تَنْسِق بالكلمةِ على الكلمة الأخرى التى هى فى معناها ، مثلِ[5] النَّأى والبُعْدِ ، والسِّرّ والنَّجْوىٰ ، بل يُوجِبُ أن تكونَ احدى الكلمتين غيرُ الأُخرىٰ[6]، وكأنَّ البحتريَّ ذهبَ إلى أنّ النّدى سَجِيّتُهُ فى الكَرَمِ والبَذْلِ ، وأنّ الجودَ العطاءُ ، وهو مُحْتَمِلٌ [وينبغى أن يُلحق هذا أيضا بمساوئه][7] .

ومن نوادِرِ بابِ الجُودِ قولُ أبى تمّام[8] :

نِعْمَ الفتى عُمَرٌ فى كلِّ نائبةٍ نَابَتْ وقُلْ لهُ « نِعْمَ الفَتىٰ عُمَرُ »
يُعْطِى ويَحْمَدُ من يأتِيه يَحْمَدُهُ فَشُكْرُهُ عِوَضٌ ومالُهُ هَدَرُ

---

(١) س : وهذا أقرب إلى الذم منه إلى المدح .
(٢) الأصل : وإن كان أراد .
(٣) زيادة من س .
(٤) س : يجود .
(٥) س : كالنأى والبعيد .
(٦) س : الأولى .
(٧) زيادة من س .
(٨) ديوانه ١ : ٥٣٣ ، والتبريزى ٢ : ١٨٨ ، وفيه « وقلت له » .

وهذا[1] نهاية فى حسنه وصحته ، ولست أعرف للبحترى مثل هذا [المعنى] ، ولكنّه قال[2] :

فهُوَ يُعْطِى جَزْلًا ويُثْنِى عَلَيْهِ ثُمَّ يعْطِى علىٰ الثَّناءِ جَزَاءَ

/ وهذا مذهبٌ آخرَ ، وذلك ألطفُ وأجودُ فى معناه . ٨٧

ومن نوادر بابِ الجُودِ أيضًا قولُ أبى تمّام فى أبى الغريب يحيى بن عبد الله القُمىّ[3] :

عَرفْنَا الجودَ فيك ومَا عَرضْنَا لسَجْلٍ من نَداكَ ولا ذَنُوبِ

ولكن دَارَةُ القَمَرِ استَتَمَّتْ فدَلَّتْنا على مَطَرٍ قَرِيبِ

وقال البحترىّ[4] :

مُعَوَّلُ أمالٍ تُرجَّىٰ نَسيئةً ويُصْبِحُ مُنْسُوهَا مَليِّينَ بالنَّقْدِ[5]

وقد دَفَعُوا بُخْلَ الزَّمانِ بجوُدِهِ ولا طِبَّ حتى يُدْفَعَ الضِّدُّ بالضِّدِّ

ومن نوادِرِ بَابِ الجُودِ[6] قولُ أبى تمّام :

من شَرَّدَ الإعدامَ عن أُوْطانِهِ بالبَذْلِ حتى استُطْرِفَ الإعدَامُ

أخذَ « تشرِيدَ الإعدامِ » – واللهُ أَعْلَمُ – من قولِ الأعشى[7] :

هُمْ يَطردونَ الفَقْرَ عن جَارِهِم حتى يُرىٰ كالغُصْنِ النَّاضِرِ

(١) زيادة من س .
(٢) ديوانه ١ : ١٥ ، وفى الأصل : « جزيلًا » .
(٣) لم أجد البيتين فى ديوانه ولا فى شرح التبريزى وهما فى الطراز للعلوى ١ : ١٩١ ، والسَّجْلُ : الدّلو الضخمة المملوءة ماء ، ذنوب : الدَّلْوَ التى يكون فيها الماء دون مَلْئِها .
(٤) ديوانه ٢ : ٧٤٩ .
(٥) ديوانه : « يُرْجَىٰ » و س « ويصبح متهوما » تحريف .
(٦) س : ومن نوادر الباب ، والبيت فى ديوانه ٢ : ٣٧٥ وشرح التبريزى ٣ : ١٥٣ ، وسبق فى ١ : ١٢٢ .
(٧) ديوان الأعشى الكبير : ص ١٩٥ ، وفيه « والشافعون الجوع عن جارهم » ، وسبق فى ١ : ١٢٢ .

إلّا أنّ أبا تمّام شرّد الإعدامَ عن أوْطانِه ، والأعشى طَرَدَ الفقْر عن جار القَوْم .

ومازالَ النّاسُ يعيبون قولَه : « حتى استَطْرَفَ الإعدامُ »(١) .

وقال أبو تَمّامٍ(٢) :

غَرِيمٌ لِلْمُلِمِّ بِهِ وحَاشَا ... نَداهُ مِنْ مُمَاطَلَةِ الغَرِيمِ

هذا حَذاهُ على قَوْلِ بَشّارٍ(٣) :

كأنّ لهم دَيْنًا عليه و مَا لَهُمْ ... سِوَى جُودِ كَفَّيْهِ عَلَيْهِ حُقُوقُ

وقال البحتريُّ(٤) :

و مَا وَلِيَ المكارِمَ مثلُ خِرْقٍ ... أغرَّ يرى المَواعِدَ كالدُّيونِ

وقال أبو تمّام(٥) :

وتَرَىٰ تَسَحُّبَنَا عَلَيْهِ كأنّنَا ... جِئْنَاهُ نَطْلُبُ عِنْدَه مِيرَاثَا

وهذا حَسَنٌ جِدًّا .

وقال أبو تمّام(٦) :

لَيْسَ الغبيُّ بسيِّدٍ فِي قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتغَابِي

---

(١) نقل الآمدى فى الجزء الأول ص ١٢٢ ما خرّجه ابن أبى طاهر من سرقات أبى تمّام وقال : وفى بيت أبى تمّام زيادة حسنة ، وهى قوله « حتى استطرف الإعدام » !

(٢) ديوانه ٢ : ٣٩٢ وشرح التبريزى ٣ : ١٦١ .

(٣) فى الأصل : « حذا » والتصحيح من س ، ديوانه ٤ : ١٤٠ .

(٤) ديوانه ٤ : ٢٢٦٩ .

(٥) ديوانه ١ : ٣٥٣ وشرح التبريزى ١ : ٣٢٠ .

(٦) ديوانه ١ : ٢١٤ والتبريزى ١ : ٨٧ ، وقد سبق فى ١ : ١٠٥ .

/ وقال البحتريّ[1] : ٨٧

إلى غُمُرٍ فى مَالِهِ تَسْتَخِفُّهُ صِغَارُ الحُقُوقِ وهو عَوْدٌ مُجَرَّبُ

وهذا من قولِ دِعْبِلٍ[2] :

تَخالُ أحيانًا بِهِ غَفْلَةً من كَرَمِ النَّفْسِ وما أعْلَمَهْ !

وقال أبو دُلامةَ[3] فى المنصور :

وَاْخْدَعْ خليفتَنَا عنه بِمَسْأَلَةٍ إنّ الخليفةَ للسُّؤالِ مُنْخَدِعُ[4]

وقال آخر[5] :

مُجرَّبٌ لاترىٰ الأعداءَ تَخْدَعُهُ ولو يُخادِعُهُ السُّؤَّالُ لانْخَدَعا

وقال أبو تمّام[6] :

وما إن زالَ فى جَرْمِ بنِ عمروٍ كَرِيمٌ من بَنِى عبدِ الكريمِ[7]

---

(١) ديوانه ١ : ١٣٧ .

(٢) سبق فى ١ : ١٠٥ .

(٣) أبو دلامة زند بن الجون الأسدى بالولاء ، شاعر مطبوع ، من أهل الظرف والدعابة ، أسود اللون ، نشأ فى الكوفة ، أدرك آخر بنى أمية ، ونبغ فى أيام بنى العباس توفى سنة ١٦١ ، « ابن خلكان ٢ : ٣٥٠ ، والأغانى ٩ : ١١٥ » .

(٤) البيت من قصيدة يمدح بها المنصور وأولها :

إن الخليط أجَدّوا البينَ فانْتَجعوا وزودوك خبالا بئس ما صَنَعوا

« الأغانى الدار ١٠ : ٢٣٨ وفيه « عنها » .. « ينخدع » ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٢١٣ ، ونهاية الأرَب لِلنويرى ٤ : ٣٨ وفيهما « عنا » ، وطبقات ابن المعتز ص ٥٥ وفيه :

إيتِ الخليفةَ فاخدعه بمسألةٍ إنَّ الخليفةَ للسؤال يَنْخَدِعُ

غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة لبرهان الدين الوطواط ص ٢٦٠ وفيه :

خادِعْ خليفَتنا عَنْها بمسألةٍ إن الخَليفَةِ للتَّسْآل يَنخَدِعُ

(٥) لم أقف عليه بعد ، وفى س : « لو يساعدهُ » .

(٦) ديوانه : ٢ : ٣٩٢ شرح التبريزى : ٣ : ١٦٠ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .

(٧) س : « من جرم » .

يكادُ نَداهُ يَتْرُكه عَدِيمًا   إذا هَطَلتْ يَداه على عَديمِ (١)

تَراهُ يَذُبُّ عن حَرَمِ المَعالى   فَتَحْسِبُهُ يُدافِعُ عن حَريمِ

أحَقُّ النَّاسِ بالكَرَمِ امرؤٌ لم   يَزَلْ يأوِى إلى أصْلٍ كَريمِ

أحَلُّهُمُ النَّدىٰ سِطَةَ المَعالى   إذا نَزَل البَخيلُ على التُّخُومِ (٢)

إذا نزل النَّزيعُ بهم قَرَوْهُ   رِياضَ الوُدِّ من أُنُفٍ جَميمِ (٣)

فلَوْ أبْصرْتَهُمْ والزَّائِريهِم   لما مِزْتَ البَعيدَ من الحَميمِ (٤)

أخذَ هذا المعنى من قَولِ مُحمَّدِ بن بشيرٍ الخَارجيِّ (٥):

وإذا رَأيتَ صَديقَهُ وشَقِيقَه   لم تَدْرِ أيُّهما ذَوو الأرْحامِ

وقد ذكرتُه فى سَرقاتِه المَجْموعَةِ (٦).

ومن نوادرِ بَابِ الجود قَولُ أبى تمّام (٧):

شَافَهْتُ أسبابَ الغِنَى بمُحَمّدٍ   حتى ظَنَنْتُ بأنَّها تَتَكلَّمُ

---

(١) س: تكاد يداه تتركه عديما.

(٢) سطة: مصدر وسط يسط سطة، وجعلها هاهنا فى معنى الوسط.

(٣) ديوانه وشرح التبريزى: «رياض الريف» «والنَّزيعُ» مثل الغريب.

(٤) سبق فى ١ : ٨٢، وفى ديوانه: «فلو عاينتهم»، وشرح التبريزى «فلو شاهدتهم».

(٥) محمد بن بشير الخارجى المدنى، وهو من بنى خارجة، وليس من الخوارج، ويكنى أبا سليمان، وكان ينزل الروحاء، شاعر فصيح حجازى من شعراء الدولة الأموية، «الأغانى ١٦ : ١٠٣ الدار، ووفيات الأعيان ٦ : ٣٤٠».

(٦) سبق فى ١ : ٨٢ وهو أحد أبيات أربعة وقبله:

نعم الفتى فَجَعتْ به إخوانَه   يومَ البقيعِ حَوادِثُ الأيامِ

طَلْقُ اليدين لمن يَحِلّ ببَابِهِ   عَطّافُ أكنافٍ على الأيتامِ

هَشٌّ إذا نزل الوفودُ بِبَابه   سَهْلُ الحجاب مؤدَّبُ الخُدَّامِ

«معجم الشعراء ص ٣٤٣»، ورويت لأبى البلهاء عمير بن عامر، «معجم الشعراء ص ٧٥» وقال فى هامش الموازنة ١ : ٨٢ «ورويت لعمر بن عامر» وأحسب أنه خطأ مطبعى والصحيح ما سبق، وانظر أيضاً: شرح حماسة أبى تمام للمرزوقى ٨٠٨، ١٥٩٩ والعقد الفريد ٢ : ٣١٥ وعيون الأخبار ١ : ٨٩، والبيان والتبيين ١ : ١٦٨، ٢ : ٣٣٢، والمحاسن والمساوىء للبيهقى ١ : ١٢٤.

(٧) ديوانه: ٢ : ٣٨٣ وشرح التبريزى ٣ : ٢١٤.

قد تُيِّمَتْ منه القَوافِي بامْرِيءٍ   مازالَ بالمَعْرُوفِ وهْوَ مُتَيَّمُ
يَحْلُو ويَعذُبُ إنْ زمانٌ نَالَهُ   بغِنًى وتَلْتَاثُ الخُطوبُ فيَكْرُمُ
تَلْقَاهُ إن طَرَقَ الزَّمانُ بمَغْرَمٍ   شَرِهًا إليه كَأنَّما هو مَغْنَمُ
لايَحْسُبُ[1] الإقلالَ عُدْمًا بل يَرىٰ   أنّ المُقِلَّ من المُروءةِ مُعْدِمُ

وهذا مَدْحٌ شريفٌ .

[وأبو تمّام فى هذه الأبواب من النوادِرِ أكثرُ تَصرُّفًا وأشْعَرُ من البُحتريّ[2]] .

---

(١) فى ديوانه والتبريزى « لا يحسِب » بكسر السين ، بمعنى « ظنَّ » وحَسَبَ يَحْسُبُ أى : « عَدَّ » .

(٢) ما بين القوسين زيادة من س .

ذكر اعتداد المدّاح بنعم الممدوحين

قد مرَّ فى [هذه][1] الأبوابِ من هذا الجِنْسِ غيرُ شَيْءٍ مِمَّا وجدْتُه لائِقًا بِمَوْضِعِه فأثْبَتُّهُ فيه ، وهذا بابٌ مُفْرَدٌ فى ذلك .

قال أبو تمّام[2] :

وكم لكَ عندى من يدٍ مُسْتَهِلَّةٍ   علىَّ ولا كُفرانَ منِّى ولا جَحْدُ[3]
يَدٌ تَسْتَذِلُّ الدَّهرَ من نَفَحاتِها   ويَخْضَرُّ من مَعْرُوفِها الأُفُقُ الوَرْدُ[4]

وهذا حسَنٌ جِدًّا .

وقال البحترىّ[5] :

يَدٌ لَكَ عندى قَدْ أبَرَّ ضِياؤُها   على الشَّمْسِ حتى كادَ يَخبُو سِرَاجُها
فإن تُتْبِعِ النُّعْمىٰ بِنُعْمىٰ فإنّه   يَزِينُ الّلآلِى فى النِّظامِ ازْدِواجُها[6]

---

(١) زيادة من س .

(٢) س : وقال ، ديوانه ١ : ٤٧٣ ، والتبريزى ٢ : ٩٣ .

(٣) شرح التبريزى : « ولا كفران عندى » .

(٤) ديوانه وشرح التبريزى : « يد يُستَذَلُّ » بالبناء للمجهول ، وفى س : « من نفحاته » .

(٥) ديوانه ١ : ٤٢٧ .

(٦) ديوانه : « فان تُلْحِقِ النُّعْمىٰ » ، وقد سبق فى ٢ : ٨٥ .

وكنتُ إذا مارَسْتُ عِنْدكَ حَاجَةً   على نَكَدِ الأيَّامِ هانَ عِلاجُها

وهذا أيضا حَسَنٌ جِدًّا .

وقال البحتريّ أيضا (١) :

أمّا أيادِيكَ عِنْدى فهى وَاضِحَةٌ   ما إن تَزالُ يَدٌ مِنها تَسوقُ يَدا
ألَازمى الكُفْرُ إن لَمْ أُجْزِها كَمَلًا   أم لاحِقى العَجْزُ إن لَمْ أُحْصِها عَددَا
لِمْ لا أمُدُّ يَدِى حَتى أنالَ بِها   مدَى النُّجومِ إذا ما كُنتَ لِى عَضُدَا

وقال أيضا (٢) :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَمْ أكُنْ أَشْرى بِهَا   رَبْعِىَّ صَوْبِ الدِّيمَةِ السَّحَّاجِ
إن سُدْتَ فِيها المُنْعِمِينَ فإنَّنى   بالشُّكْرِ عَنْها سَيِّـدُ المُـدّاجِ

وقال أبو تمّام فى كَفِّ الدّهر نوائِبَهُ (٤) :

لَقِيتَ صُروفَ الدَّهْرِ عَنِّىَ تَابِعًا   لِأَمْرِ العُلَىٰ واختَرْتَ شُكْرِى على عُذْرِى (٥)
وأَوْلَيْتَنِى فى النَّائباتِ صَنائِعًا (٦)   كأنَّ أياديها فُجِرْنَ من البَحْرِ
فَعَلَّمْتَنِى أنْ أَلْبِسَ الحَمْدَ أَهْلَهُ   وذَكَّرْتَنِى (٧) ماقَدْ نَسِيتُ مِنَ الشُّكْرِ

قوله : « وذَكَّرْتَنِى (٨) ماقَدْ نَسيتُ من الشُّكْرِ » حَسَنٌ [جدًّا] (٩) ، يُرِيدُ عَهِدى

---

(١) ديوانه ٢ : ٧١٩ ، وفى الأصل « وهى واضحة » .
(٢) ديوانه ١ : ٤٧٧ ، س : وقال البحترىّ .
(٣) ديوانه « فى الشكر » .
(٤) س : الدهر ونوائبه ، ديوانه ١ : ٥١٨ ، التبريزى ٢ : ١٦٤ .
(٥) ديوانه وشرح التبريزى « دونى » .
(٦) س : « أوليتنى » بإسقاط الواو .
(٧) س : وأذكرتنى .
(٨) س : وأذكرتنى .
(٩) زيادة من س .

٨٨ أ بإحسانِ / المُحْسِنِينَ [إلَيَّ مِمَّنْ كُنْتُ أَشْكُرُه](١) بَعِيدٌ ، فنَسِيتُ الشُّكْرَ حَتَّى أَحْسَنْتَ إلَيَّ فذكرْتُهُ بشُكْرِى إيّاكَ .

وقال أبو تمّام فى نحوِهِ(٢) :

حَبيبٌ بغَيضٌ عند رَاميكَ عن قِلًى ... وسَيْفٌ على شَانِيكَ لَيسَ لَهُ غِمْدُ

وكم أَمْطَرَتْهُ نَكْبَةٌ ثُمَّ فُرِّجَتْ ... وللهِ فى تَفْرِيجِها ولَكَ الحَمْدُ(٣)

وقد كان دَهْرًا للحوادِث مُضْغَةً ... فأَضْحَتْ جَميعًا وهْى عن لَحْمِهِ دُرْدُ(٤)

تُصَارِعُهُ - لَوْلاكَ - كُلُّ مُلِمَّةٍ ... ويُعْدُو عَلَيْهِ الدَّهْرُ من حَيْثُ لَايَعْدُو

وقال فى نَحْوِهِ(٥) :

جَعَلْتُ حُطامًا مَنْكِبَ الدَّهْرِ إذْ نَوىٰ ... زِحَامِىَ لَمَّا أنْ جَعَلْتُكَ مَنْكِبِى

وما ضِيقُ أَقْطارِ البِلادِ أَضَافَنِى ... إليْكَ ولكِنْ مَذْهَبِى فيكِ مَذْهَبِى

فَقَوَّمْتَ لى ما اعْوَجَّ من قَصْدِ همَّتِى ... وبَيَّضْتَ لِى مااسْوَدَّ من وَجْهِ مَطْلَبِى

وقال أبو تمّام فى كَفِّ الدَّهرِ نوائِبَه وقَمْعِها(٦) :

نَبَذْتُ إلَيْه هِمَّتِى فكأَنَّما ... نَبَذْتُ به نَجْمًا على الدَّهْرِ ثَاقِبَا

وكُنْتُ امْرأً أَلْقَى الزَّمانَ مُسالِمًا ... فآلَيْتُ لا أَلْقَاهُ إلّا مُحارِبَا

وهذا جَيِّدٌ حسَنٌ(٧) .

---

(١) زيادة من س .
(٢) ديوانه ١ : ٤٧٢ والتبريزى ٢ : ٩٢ .
(٣) « ثم » ساقطة من س .
(٤) ديوانه والتبريزى : « وكم » .
(٥) ديوانه ١ : ٢٤٦ وشرح التبريزى ١ : ١٥٤ ، وفيهما : « تركت حطاماً » .
(٦) ديوانه ١ : ٢٤١ وشرح التبريزى ١ : ١٤٢ ، وفيهما وس : « كلرت به » .
(٧) س : وهذا حسن جدا .

وقالَ فى نَحْوِهِ – وهو أَحسَنُ من كلِّ حَسَنٍ وأَجْودُ من كُلِّ جَيِّدٍ[1] –:

بِمَهْدِىِّ بن أَصْرَمَ عادَ عُودِى إلى إيرَاقِهِ وامْتَدَّ بَاعِى
أطالَ يَدِى على الأيَّامِ حَتَّى جَزَيْتُ صُروفَها صَاعًا بِصَاعِ

وهذا عَيْنُ هذا البَابِ كُلِّهِ[2] .

وقال[3] :

قَرَّبَ الدَّهْرُ[4] من يَدِى وأَكَنَّتْ يَدُهُ من سَمائِمِ العُدْمِ حَالِى[5]
ولِهَذا أضْحَى ثَنائِى طَرِيقًا عَامِرًا بينَهُ وبَيْنَ اللَّيالِى[6]

وهذا عَيْنُ هذا البابِ كُلِّه فى الرَّدَاءةِ والسُّخفِ ؛ لأَنَّ قولَهُ « وأَكَنَّتْ يَدُه من سمائِمِ العُدْمِ حَالِى » استعارةٌ ماوراء قُبْحِها غَايَةٌ .

وقال البحترىّ[7] :

---

(١) ديوانه : ٢ : ٢٤ وشرح التبريزى ٢ : ٣٣٨ .

(٢) ساقطة من س .

(٣) هذان البيتان لم يردا فى ديوانه أو فى شرح التبريزى ، غير أنى وجدتهما فى النسختين المخطوطتين لديوانه – لوحة ١٢٩ ، ١٥٤ وهما من قصيدة فى مدح الحسن بن وهب مطلعها :

قِفْ نَوِّبْنَ كِناسَ ذاكَ الغَزالِ إنَّ فيه لَمَسْرَحًا لِلْمقَالِ

« ورد هذا البيت فى الموازنة ١ : ٤٣١ » ، ووردت ستة أبيات من مقدمة القصيدة الغزلية فى باب الغزل فى ديوانه بشرح الصولى ٣ : ٤٦٣ وفى شرح التبريزى ٤ : ٢٥٩ أوّلُها :

شَدَّ ما استَنْزَلَتْكَ عن دَمْعك الأظـ ـعانُ حتى استَهلَّ دَمْعُ الغَزالِ

(٤) فى الأصل : « الدهرُ » بالضم وهو خطأ ظاهر .

(٥) فى النسختين المخطوطتين من ديوانه « وأكنَّتْ حاله » ، وأكنّت : سترت ، سمائم : جمع سموم : الريح الحارة .

(٦) فى المخطوطتين « المعالى » .

(٧) ديوانه ١ : ١٠٥ .

وإنَّ « ابن دينارٍ » ثَنى وَجْهَ همَّتِى إلى الخُلُقِ الفَضْفَاضِ والنَّائِلِ النَّهْبِ (١)
٨٠ ب / فلم أمْلِ إلَّا من مَودَّتِهِ يَدِى ولا قُلْتُ – إلَّا مِنْ مَواهِبِه –: حَسْبِى ! (٢)
لَقِيتُ بهِ حَدَّ الزَّمانِ فَفَلَّهُ وقد يَثْلِمُ العَضْبُ المُهَنَّدُ فى العَضْبِ (٣)

وقال : (٤)

أَلنتَ لِيَ الأيامَ من بَعْدِ قَسْوَةٍ وعاتَبْتَ لى الدَّهْرَ المُسِىءَ فأعْتَبَا (٥)
وألْبَسْتَنِى النُّعمىٰ التى غَيَّرتْ أخِى عَلَىَّ فأمْسَىٰ نَازِحَ الوُدِّ أجْنَبا (٦)

وقال فى ضِدِّ البيتِ الأخيرِ : (٧)

وعَرَفْتُ وُدَّكَ فى تَعصُّبِ شِيعَتِى وَوُجوهِ إخوانِى ، وعَطْفِ أقارِبِى

وقال : (٨)

وآليتُ لا أنسىٰ بلوغِى بِكَ العُلىٰ على كُرْهِ شَتَّىٰ مِنْ شُهودٍ وغُيَّبِ
وَدفْعِى بِكَ الأعْداءَ عَنِّى ، وإنَّما دَفَعْتُ بِرُكْنٍ مِنْ « شَرَوْرَىٰ » ومَنْكِبِ (٩)

---

(١) ابن دينار : هو عبد الله بن دينار بن عبد الله وأبوه كان من كبار القواد فى الدولة العباسية ، وفى سنة ٢٢٧ خرج أبو حرب المبرقع اليمانى فى فلسطين على المعتصم ، فأرسل إليه المعتصم رجاء بن أيوب الحضارى ، واشترك معه عبد الله بن دينار هذا فى محاربة المبرقع وأسره « الطبرى ٩ : ١١٦ وما بعدها » ويقول فى البيت العشرين من القصيدة :

لَجرَّدَ نَصْلَ السَّيْفِ حَتَّى تَفَرَّقَتْ عن السَّيْفِ مَخْضُوباً جُموعُ أبِى حَرْبِ

(٢) « يدى » ساقطة من س .
(٣) س : « لقيت وجه الزمان » .
(٤) ديوانه ١ : ٢٠١ .
(٥) الأصل : « وأعتبت لى » عاتب : لام ، وأعتب : رضى والتصحيح من ديوانه ، وفيه « دهرى » .
(٦) س : « فأوليتنى النعمى ... فأضحى نازح الدار أجنبا » ، وديوانه « فأضحى » .
(٧) س : « وفى ضد هذا الباب الآخر يقول » ، ديوانه ١ : ١٦٢ ، وفى الأصل : « تعصب شيمتى » تحريف .
(٨) ديوانه ١ : ١٩٥ .
(٩) شرورى : جبل سبق التعريف به .

وقال :(١)

تَدارَكَنى الإحسانُ مِنْكَ ومَسَّنِى ... على حاجَةٍ ذاكَ الجَدا والتَّطَوُّلُ
ودَافَعْتَ عَنِّى حينَ لا الفَتْحُ يُبْتَغَى ... (٢) لِدَفْعِ الذى أَخْشَى ولا المُتَوَكِّلُ

وقال :(٣)

أَأَنسَاكَ بعد الهَوْلِ ثُمَّ انْصِرَافِهِ ... وبَعْدَ وُقُوعِ الكُرْهِ ثُمَّ انْدِفَاعِهِ
إذًا نَسِىَ اللهُ اطِّيَافى بِبَيْتِهِ ... (٤) وَوَفْدُ الحَجِيجِ حَاشِدٌ فى اجْتِماعِهِ

وقال أبو تمّام :(٥)

أَبْدَيْتَ لى عن جِلْدَةِ المَاءِ الذى ... قد كُنْتُ أَعْرِفُهُ كَثِيرَ الطُّحْلُبِ (٦)
وَوَرَدْتَ بى بَحْبُوحَةَ الوَادِى ولَوْ ... طَاوَعْتَنِى لَوَقَفْتُ عِنْدَ المِذْنَبِ (٧)
وبَرَقْتَ لى بَرْقَ اليَقِين وطَالَما ... أَمْسَيْتُ مُرْتَقِبًا لِبَرْقِ الخُلَّبِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٩١ « الجدا » : كالجدوى وهما العطية ، « التطوّل » : التفضل .

(٢) ساقطة من س .

(٣) ديوانه ٢ : ١٣٢١ .

(٤) « إطياف » : كثرة الطواف بالبيت الحرام ، س : « وافد فى اجتماعه » .

(٥) ديوانه ١ : ٣١٣ والتبريزى ١ : ٢٦١ ، و « أبو تمام » ساقطة من س .

(٦) ديوانه : « عن صفحة » وجاء فى النظام جـ ١ لوحة ١٢١ : « قال الصاحب رحمه الله » الصاحب ابن عباد ت ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م » : سمعت الأستاذ الرئيس « هو ابن العميد محمد بن الحسين ، أبو الفضل ت ٣٦٠ هـ - ٩٧٠ م » ينشد أبيات أبى تمّام التى أوّلها « أما وقد ألحقتنى بالموكب » . وينشد : « أبرزت لى عن صفحة الماء » فقلت : رين سيدنا هذا الشعر بإقامة « الصفحة » مقام « الجلدة » ، فقال : كذا يلزم لمثل أبى تمّام إذا أمكن إصلاح بيت وتهذيب قصيدة بكلمة » ونقل الدكتور محمد عبده عزام - رحمه الله - هذا فى شرح التبريزى « ١ : ٢٦١ هـ (١) . » ، وقال عن « الأستاذ الرئيس » هو « الشريف الرضى » ، وهو خطأ ظاهر ، ونقل محقق شرح الصولى الدكتور خلف رشيد نعمان هذا الخطأ فى هامش الكتاب دون تصحيح ، فالشريف الرضى وهو محمد بن الحسين توفى سنة ٤٠٦ ومولده سنة ٣٥٩ « تاريخ بغداد ٢ : ٢٤٦ ، والمنتظم ٧ / ٢٧٩ » ، وفى ديوانه والتبريزى وس : « كنت أعهده » .

(٧) ديوانه « ولو خلفتنى » والتبريزى « ولو خليتنى » .

فَجَعَلْتَ لِى مَنْدُوحَةً من بَعْدِمَا ... أَكْدَىٰ عَلَىَّ تَصرُّفِى وتَقَلُّبِى [1]
والحُرُّ يَسلُبُهُ جَميلَ عَزائِهِ ... ضِيقُ المَحلِّ فكَيْفَ ضيقُ المَذْهَبِ
هَيْهَات تَأْبَى أن تَضِلَّ بِىَ السُّرَىٰ ... فى بَلْدَةٍ وسَنَاكَ فِيهَا كَوْكَبِى [2]

وهذا كُلُّه جَيِّدٌ بالِغٌ حَسَنٌ .

وقال أبو تَمّامٍ فى الاسْتغناءِ بالمَمْدُوحِ عَمَّنْ سِواهُ [3] :

81 / فتًى أَحْيَتْ يَداهُ بعد يَأْسٍ ... لَنا المَيْتَيْنِ من كَرَمٍ وجُودِ
لَبِسْتُ سِواهُ أقواما فكانوا ... كما أَغْنَىٰ التَّيمُّمُ بالصَّعِيدِ

وقالَ فى مثلِ ذلكَ [4] :

غَنِيتُ بِهِ عَمَّنْ سِواهُ وحُوِّلَتْ ... عِجَافُ رِكَابِى من سُعَيْدٍ إلى سَعْدِ [5]
تَجلَّىٰ بِهِ رُشْدِى وأَثْرَتْ بِهِ يَدِى ... وفاضَ به ثَمْدِى وأَوْرَىٰ به زَنْدِى
ومازالَ مَنْشُورًا علىَّ نوالُــه ... وعِنْدِىَ حَتَّى قد بَقِيتُ بِلا عِنْدِ [6]

قوله : « قَدْ بَقِيتُ بِلا عِنْدِ » من كلامِ السُّقَّاطِ ورُذَّالِ العَوامِّ [7] .

---

(١) ديوانه والتبريزى « وجعلت » قال الصولى : أصل « الكُدْيَةِ » : أنْ يَبْلُغَ الحافِرُ لِلبئرِ إلى حَجَرٍ لا ينفذ فيه الحفر ويقال « أكدى » ، وجعل مثلا لكل من طلب شيئا فلم يبلغه . قال المبارك بن أحمد : « المندوحة » والمنتدح : السعة « النظام جـ ١ لوحة ١٢١ » .

(٢) ديوانه والتبريزى « يأبى أن يضل » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٤٠ وشرح التبريزى ٢ : ٤٢ .

(٤) ديوانه ١ : ٤٥٧ ، شرح التبريزى ٢ : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .

(٥) ديوانه والتبريزى « عن سعيد إلى سعد » ، وهو مثل يضرب فى التحوّل من هلكة إلى نجاة ، لقولهم « انج سعد فقد هلك سعيد » ، مجمع الأمثال للميدانى ١ : ٣٢٩ ، ٢ : ٣٣٩ .

(٦) س : غنيت .

(٧) جاء فى اللسان « عند » قال الأزهرىّ : وهو « أى عند » ظرف مبهم ولذلك لم يتمكن إلا فى موضع واحد ، وهو أن يقول القائل لشيء بلا علم : هذا عندى كذا وكذا . فيقال : ولك عند ؟ زعموا أنه فى هذا الموضع يراد به القلب ، وما فيه معقول من اللبّ ، وهذا غير قوىّ » ، وقال المرزوقى فى « المشكل =

وقال البحتريُّ فى نَحْوِ هَذا[١] :

وأَغْنَيْتَنِى عن مَعْشَرٍ كُنْتُ بُرْهَةً ... أُكافِحُهُمْ عَنْ نَيْلِهِم وأُقَارِعُ
فَلسْتُ أُبالِى جَادَ بالبَذْلِ بَاذِلٌ ... عَلىٰ رَاغِبٍ أو ضَنَّ بالخَيْرِ مانِعُ[٢]

وقال فى نحوه[٣] :

نَفسى فِدَاؤُكَ طالَما أَغْنَيْتَنى ... فكَفَيْتَنى عن هَذِه الأَشْبَاحِ
خِلَقٌ مُمَثَّلَةٌ بِغَيْرِ خَلائِقٍ ... تُرْضِىٰ ، وأَبْدانٌ بلا أرواحِ[٤]

وقال فى نحوه[٥] :

لِلّٰهِ دَرُّكُما من سَيِّدَىْ زَمَنٍ ... أَجْرَيْتُما من مَعالِيه إلى أَمَدِ
وَجدتُ عِندكُما الجَدوىٰ مُيَسَّرةً ... أَوَانَ لا أَحَدٌ يُجْدِى عَلى أَحَدِ
وقَدْ تَطَلَّبْتُ جَهْدِى ثَالِثًا لكما ... عند اللّيالى فلم تَفْعَلْ ولَمْ تَكَدِ

وقالَ[٦] :

ورِجَالٍ جَارَوْا خَلائِقَكَ الغُرَّ (م) ولَيستْ يَلامِــقُ من دُروعِ

= أبى تمّام المفردة » ص ٢٣٣ : هذا يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد قطعني عن الناس كلهم إلى نفسه ، فلم يزل يصطفيني ويسدى إلىّ إلى أن أغنانى عن عيره ... حتى ليس لى أن أقول عندى كذا من جهة ، والثانى أن يريد – وهو الأحسن والأجود بل يغلب لى ظنى أن أبا تمّام لم يرد غيره – أنه لم يزل يخولني ويفضل علىّ إلى أن لم تكن للنعمة علىّ محمل ، وللاحسان عندى مكان ، فبقيت بلا عند ، أى غمرنى ، وملأ ساحتى إلى أن ضقت عن تحمل المن فلا طريق إلى قبول الزيادة منها وعليها » .

قال ابن المستوفى » وفى النسخة العجمية: بلا عند ، أى بلا موضع أى لم يبق موضع أضع فيه عطاء . وقال الخارزنجي : أى ملأ » عندى » نوالا حتى لا عندى خال ، وهذا تمليح للشعر » النظام جـ ١ لوحة ٣٣٧ .

(١) ديوانه ٢ : ١٣٠٥ .

(٢) ديوانه ، و س : » جاد بالعرف باذل » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٧٧ .

(٤) ديوانه : » خلق مخيلة » ، وقد سبق البيت فى ١ : ٣٥٢ وروايته هناك » ترجى وأجسام بلا أرواح » .

(٥) ديوانه ١ : ٥١٥ .

(٦) ديوانه ٢ : ١٢٨١ وفى س : وقال البحترى ، و » جازوا » بالزاى .

وَلَيالى الخَرِيف خُضرٌ ، ولكِنْ زَهَّدَتْنَا عَنْهـا لَيالِـى الرَّبِيـع[1]

قَوْله : « ولَيْسَتْ يَلامِقٌ من دُروع » تَشْبِيهٌ قَبِيحٌ جِدًا ، وغَيرُ لائقٍ بالمَعْنى ، وكانَ يَنْبَغى – لمَّا ذَكَر المُجارَاة[2] – أَنْ[3] يَقول : ولَيْسَ البَطِىءُ مِثْلَ السَّرِيع ، ونَحوَ هذا ، أَوْ لَوْ كانَ جعل صَدْرَ البيت « ورجالٌ ظَنَنتُهم جُننًا دونى »[4] ، لَصَلُحَ أن يقولَ « ولَيْسَتْ يلامِقٌ من دُروعٍ » فَتصِحَّ[5] القِسْمَةُ ، لأَنَّ « اليَلامِقَ » جَمْعُ « يَلْمَقٍ » ، وهو القِباءُ المَحْشُوّ ، ولا يَرُدُّ ما [يَرُدُّ][6] الدِرْعُ التى هى[7] أَحْصَنُ الجُنَنْ ، إذ لو[8] ساعدت القافية لما ذكر الغُرَّ حتى يقولَ : وليس الأغَرُّ مثلَ البَهِيمِ[9] ، لكان[10] هذا من أصحِّ تَقْسِيمٍ .

والبحترىُّ أَحْذَقُ النَّاسِ بالتَّقْسيماتِ والمُقَابَلاتِ ، ولَسْتُ أدرى كَيفَ تَسامَح[11] فى مِثْلِ هذا ، وإذا لم تُساعِدِ القَافِيَةُ ، فاطِّراحُ[12] البَيتِ من الشِّعْر [واسْتِئْنافُ آخرَ أَولىٰ بالصَّواب ، وأَشْبَهُ بِمَذاهِبِ الحُذَّاقِ من الشُّعَراءِ][13] .

وقال أبو تَمّام فى نَحْوٍ آخر[14] :

---

(١) ديوانه : « رغبتنا » .
(٢) س : « المجازاة » بالزاى المعجمة .
(٣) ساقطة من س .
(٤) س : قال « ورجال ظننتهم ... » .
(٥) س : حتى تصح .
(٦) ساقطة من الأصل .
(٧) س : الذى هو .
(٨) س : ولو .....
(٩) فى س : وليس الغُرُّ مثلَ البُهْمِ .
(١٠) س : كان .
(١١) س : ولا أدرى كيف سامح .....
(١٢) س : « فكان اطِّراح » .
(١٣) الأصل : « فاطرح البيت من الشعر أجدر وأحرى » وما بين القوسين زيادة من س .
(١٤) ديوانه ١ : ٣٨٢ والتبريزى ١ : ٣٧٥ ، وقد سبقا فى الجزء الأول ص ٦٩ .

وما سَافَرْتُ فى الآفاقِ إِلَّا ... ومِنْ جَدواكَ راحِلتي وزَادِى

مُقِيمُ الظَّنِّ عندك والأَمَانِى ... وإِنْ قَلِقَتْ رِكَابِى فى البِلادِ

هَذا مِنْ قَوْلِ أَبى نُواسٍ[1]:

وإِنْ جَرَتِ الأَلْفاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ ... لِغَيْرِكَ إِنْسانًا فأَنْتَ الذى نَعْنِى

وإِنَّما أَخذَ أبو نُواسٍ هَذا من قولِ كُثَيِّرٍ[2]:

مَتَى ما أَقُلْ فى آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً ... فما هِىَ إلا لابنِ لَيْلَى المُكَرَّمِ[3]

وما أَحسنَ ما اعْتَذرَ ابن هرمة، وليس هو هذا المَعنى بِعَيْنِهِ، وذلك قوله[4]:

فإِن أَكُ قَدْ هَفَوْتُ إِلى أَميرٍ ... فَعَنْ غَيرِ التَّضَوُّعِ والسَّمَاحِ

ولكِنْ سَقْطَةٌ عِيبَتْ عَلَيْنا ... وبَعْضُ القَولِ يَذْهَبُ فى الرِّياحِ[5]

وقال أبو تمَّام[6]:

أَعْطَيْتَنِى دِيَةَ القَتيلِ ولَيْسَ لِى ... عَقْلٌ ولا حَقٌّ عليكَ قديمُ

إِلَّا ندًى كالدَّيْنِ حَلَّ قضاؤُهُ ... إِنَّ الكريمَ لِمُعْتَفِيهِ غَرِيمُ

وقال[7]:

---

(١) «هذا» ساقطة من س، ديوانه ٤١٥، وقد سبق البيت ١ : ٦٩، وفى س: «يومًا بمدحة».

(٢) «هذا من» ساقطة من س، ديوانه ٣٠٢.

(٣) ابن ليلى: هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم يعرف بابن ليلى «وهى ليلى بنت زبان بن الأصبغ الكلبية، ابنة عم نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان رضى الله عنه»، ولى مصر من قبل أخيه عبد الملك ابن مروان وتوفى بها سنة ٨٥ «جمهرة الأنساب ص ٨١، ٨٧، ١٠٥، والطبرى ٦ : ١٤٥».

(٤) ديوان ابن هرمة ص ٨٦.

(٥) «وبعض القوم». تحريف، و«بالرياح».

(٦) ديوانه ٢ : ٤٢١ وشرح التبريزى ٣ : ٢٩٢.

(٧) ديوانه ١ : ٢٢٣ وشرح التبريزى ١ : ١١٣.

صَدَفْتُ عَنْهُ فلَمْ تَصْدِفْ مَودَّتُهُ عَنّى وعَاودَهُ ظَنّى فَلَمْ يَخِبِ
كالغَيْثِ إنْ جِئْتَهُ وافاكَ رَيِّقُهُ وإنْ تَحمَّلْتَ عَنْهُ كانَ فى الطَّلَبِ[1]

وهذا فى غَايَةِ الحُسْنِ والصِّحَّةِ والحلاوة .

وقال[2] :

كلُّ شِعْبٍ كنْتُمْ بِهِ آل وَهْبٍ فَهْوَ شِعْبِى وشِعْبُ كُلِّ أديبِ[3]
82 / لم أزَلْ بَارِدَ الجَوانِحِ مُذْ خَضْـ (م) ـخَضْتُ دَلْوِى فى مَاءِ ذَاكَ القَلِيبِ
بِنْتُمْ بالمَكْروهِ دُونِى وأُصبَحْـ (م) ـتُ الشريكَ المُخْتارَ فى المَحْبُوبِ[4]
ثُمَّ لَمْ أُدْعَ من بَعيدٍ لَدَى الإذْ نِ ولم أُثْنَ عَنكُمُ من قَرِيبِ[5]
كُلَّ يَوْمٍ تُزَخرِفُونَ فِنَائِى بِحِبَاءٍ فَرْدٍ وبِرٍّ غَرِيبِ
إنَّ قَلْبِى لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ الحَرَّ (م) ىْ وقَلْبِى لِغَيْرِكُمْ كالقُلُوبِ[6]

وهذا الاعتدادُ[7] عِنْدِى[8] الذى لايفي بِحُسْنِهِ وغرَابَتِهِ شَىءٌ .

وقال[9] :

أبا سَعيدٍ وَمَا وَصْفِى بِمُتَّهَمٍ على الثَّنَاءِ وما شُكْرِى بِمُخْتَرَمِ

---

(١) س : « وفاك صيّبه » .
(٢) ديوانه ١ : ٢٣٠ وشرح التبريزى ١ : ١٢٤ .
(٣) فى الأصل : « فيوسعنى » تحريف .
(٤) س : « وأصبحت الكريم » .
(٥) س : « ثم لم أدع منكم من بعيد » .
(٦) الأصل : « كالكبد » .
(٧) س : الاعتذار .
(٨) ساقطة من س .
(٩) ديوانه ٢ : ٣٩٥ والتبريزى ٣ : ٢١٨ ، يمدح أبا سعيد : محمد بن يوسف وفى س : وقال أبو تمام .

لَئِنْ جَحدْتُكَ ما أُولِيْتَ من حَسَنٍ إنِّى لَفِى اللُّؤْمِ أَحْظَى مِنْكَ فى الكَرَمِ (١)
أُنْسَى ابْتِسامَكَ والألوانُ كَاسِفةٌ تَبَسُّمَ البَرْقِ فى دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ (٢)
كَذا أَخوكَ النَّدَى لو أنه بَشَرٌ لم يُلْفَ طَرْفَةَ عَيْنٍ غَيْرَ مُبْتَسِمِ
رَدَدْتَ رَوْنَق وَجْهى فى صَحيفَتِهِ رَدَّ الصِّقَالِ بَهاءَ الصارمِ الخَذِمِ (٣)
وما أُبالِى وخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ [لى] ماءَ وَجْهِي أَمْ حَقَنْتَ دَمِى (٤)

وقال البحترىُّ (٥) :

أأَكْفُرُكَ النَّعماءَ عِنْدى وقد نَمتْ عَلىَّ نُموَّ الفَجْرِ ، والفَجْرُ سَاطِعُ
وأنْتَ الذى أَعْزَزْتَنِى بعد ذِلَّتِى فلا القَوْلُ مَخْفُوضٌ ولا الطَّرْفُ خَاشِعُ

وقال (٦) :

أراكَ بعينِ المُكْتَسى ورَقَ الغِنَى بآلائِكَ اللَّاتِى يُعَدِّدُها الشِّعْرُ (٧)
ويُعْجِبُنِى فَقْرِى إلَيْكَ ولَمْ أَكُنْ لِيُعْجِبُنى لَوْلا مَحبَّتُكَ الفَقْرُ (٨)
ووَاللهِ ما ضَاعَتْ أيادٍ أَتَيْتَها إلَىَّ ولا أُزْرِى بِمَعْرُوفِكَ الكُفْرُ (٩)
ومالِىَ عُذْرٌ فى جُحودِكَ نِعْمَةً ولَوْ كانَ لِى عُذْرٌ لما حَسُنَ العُذْرُ

---

(١) روى فى ديوانه : « لئن حمدتك » وهو لا يتناسب مع معنى البيت ، وفى التبريزى « أولى منك » .
(٢) أى لا أنسى ، فحذف « لا » ومثله كثير « التبريزى » ، وفى ديوانه وشرح التبريزى : « تَبَسُّم الصبح » .
(٣) شرح التبريزى « بماء الصارم » .
(٤) أراد « أحقنت » ، فحذف حرف الاستفهام « التبريزى » ، وفى س وديوانه والتبريزى : « أوحقنت » ، وما بين المعقوفين سقط من الأصل ، واستدرك فى هامش س .
(٥) ديوانه ٢ : ١٣٠٥ ، وفى الأصل : « يمر الفجر » تحريف .
(٦) ديوانه ٢ : ٨٤٧ .
(٧) الأصل : « بالآجل اللائى » تحريف .
(٨) ديوانه : « ولم يكن » .
(٩) س : « بمعروفها » .

وقال : [1]

أَعْطَيْتَنِي حَتى حَسِبْتُ جَزِيلَ ما ... أَعْطَيْتَنيهِ وَدِيعَـــةً لم تُوهَبِ [2]
فَشَبِعْتُ من بِرٍّ لَدَيْكَ ونَائِلٍ ... ورَوِيتُ من أَهْلٍ لَديكَ ومَرْحَبِ [3]

أَخَذه من قَوْلِ الفَرَزْدَقِ :

٨٨ ب / أَعْطانِيَ المالَ حتى قُلْتُ يُودِعُنِي ... أو قُلْتُ أَوْدَعَ مالًا قَدْ رآهُ لَنَا [4]

وبَيْتُ البُحْتُرِيِّ أَجْوَدُ .

وقال : [5]

إنِّي هَجَرْتُكَ إذْ هَجَرْتُكَ وَحْشَةً ... لا العَوْدُ يُذْهِبُها ولا الإبْداءُ
أَخْجَلْتَنِي بِنَدى يَدَيْكَ وسَوَّدَتْ ... ما بَيْنَنَا تلك اليَـدُ البَيْضَاءُ [6]
وقَطَعْتَنِي بالجُودِ حَتَّى إنَّنِي ... مُتَخوِّفٌ أَلَّا يكون لقاءُ
صِلَةٌ غَدَتْ فى النَّاسِ وهْىَ قَطِيعَةٌ ... عَجَبٌ ، وبِرٌّ راحَ وهو جَفَاءُ !
لِيُواصِلَنَّكَ رَكْبُ شِعْرٍ سَائِرٍ ... يَرْوِيـهِ فيك لِحُسْنِـهِ الأعْـداءُ [7]
حتَّى يَتِمَّ لكَ الثَناءُ مُخلَّدًا ... أبَدًا كما تَمَّتْ لِىَ النَّعْماءُ
فَتَظَلُّ تَحْسُدُكَ المُلوكُ الصِّيدُ بِى ... وأَظَلُّ يَحْسدُنِى بِكَ الشُّعَراءُ

وهذا [أيضا] [8] حَسَنٌ حلوٌ فى معناه .

---

(١) ديوانه ١ : ٨١ ، ٨٢ .
(٢) سبق فى ١ : ٣١٤ .
(٣) ورد فى الديوان سابقا للبيت الذى قبله ببيت واحد .
(٤) سبق فى ١ : ٣١٤ ، وانظر الموشح ص ٥١٨ .
(٥) ساقطة من س . والأبيات فى ديوانه ١ : ٢١ ، ٢٢ .
(٦) ديوانه : « أحشمتنى » ، و س : « منك اليد » .
(٧) « يرويه » ساقطة من س .
(٨) زيادة من س .

وقريبٌ منه[1] قولُ مروانَ الأصْغَرِ – وهو ابن أبى الجَنُوبِ[2] – فى المُتَوكِّلِ :

وأَمْسِكْ ندى كَفَّيْكَ عَنِّى ولا تَزِدْ   فقد خِفْتُ أَنْ أَطْغَى وأَنْ أَتَجَبَّرا[3]

وقال البحترىُّ – ومَوْضِعُها مع الأبياتِ فى أَوَّلِ البَابِ[4] –:

لابسٌ منكَ نِعْمَةً لا أُرَى الإِخْـ   ـلاقَ فى حَالَةٍ لَها بِخَليقِ

إنْ تَقُلْ[5] زينَةٌ فَحِلْيَةُ عِقْيَا   نٍ ، وإنْ خِفَّةٌ فَفَصٌّ عقَيقِ

هِيَ[6] أَغْلَتْ قَدْرِى ، وأَمْضَتْ لِسانى   وأَشاعَت باسْمِى ، وبَلَّتْ رِيقِى

ولستُ أَعرِفُ للبحترىِّ مَعنًى رَثًّا ولفظًا غَثًّا إلّا قَوْلَهُ : « فَصٌّ عقَيقِ » .

[وأبو تمّامٍ فى هذا البَابِ أَشْعَرُ من البُحْتُرِىِّ][7]

* * *

(١) س : وقريب من قول .

(٢) مروان بن أبى الجنوب وهو مروان بن يحيى بن مروان بن سليمان بن أبى حفصة يكنى « أبا السمط » ، ويلقب « غبار العسكر » لبيت قاله ، ويعرف بمروان الأصغر ، تمييزا له عن جده مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، « ابن خلكان ٥ : ١٩٣ ، تاريخ بغداد ١٣ : ١٥٤ ، الأغانى ١١ : ٢ » .

(٣) البيت فى الأغانى ١١ : ٢ وفيه « فقد كدت » ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١٥٤ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٥ والطبرى ٩ : ٢٣٢ .

(٤) ديوانه ٣ : ١٤٨٥ .

(٥) ديوانه : « إن يُقَلْ » بالبناء للمجهول .

(٦) س : « هل » ، وديوانه « وأشاعت ذكرى » ، « أعلت » بالمهملة .

(٧) ساقطة من س .

وهذا بابٌ فيما نطقا به من الشُّكرِ والحَمْدِ

والبابُ الذى رَسَمْتُهُ وتَرْجَمْتُهُ قَبلَ هذا بالاعْتِدادِ هو صَريحُ الشُّكر ، وفى هذا البابِ إفْصاحٌ بِلَفْظِ الشُّكْرِ والحَمْدِ.[1]

قالَ أبو تَمّام فى الحَسنِ بنِ وَهبٍ[2] :

يَهَبُ النّائِلَ الجَزيلَ ويُعْطِى ... إنْ مَطَلْنا بالشُّكْرِ بَعضَ المَطالِ

لَفْظَةُ « المَطْلِ بالشُّكْرِ » هَاهُنَا[3] حُلْوةٌ جِدًّا .

وقال فى ابنِ الهَيْثَمِ[4] :

أقولُ بِبَعْضِ ما أَسْدَيْتَ عِنْدِى ... وما أَطْلَبْتَنِى قَبْلَ الطِّلابِ

/ ولو أنِّى اسْتَطَعْتُ لقَامَ عَنِّى ... بِشُكْرِكَ من مَشْىٰ فَوْقَ التُّرابِ[5] ٨٩

إذًا شَكَرَتْكَ «مَذحِجُ» حَيثُ كَانَتْ ... بَنُو دَيَّانِهَا وبَنُو الضِّبابِ[6]

---

(١) العبارة فى الأصل مضطربة وصححتها من س .

(٢) س : « وقال » ولم يرد هذا البيت فى شرح الصولى أو شرح التبريزى ، وقد وجدته فى مخطوطتى الديوان السابق ذكرهما لوحة ١٥٤ ، ١٢٩ ، وفيهما : « النائل النجاز » ، « إن مطلناه الشكر » .

(٣) فى الأصل : « لفظة المطل هاهنا الشكر » .

(٤) ديوانه ١ : ٣٣٤ والتبريزى ١ : ٢٨٧ وفى س : « وقال فى أبى الحسن محمد بن الهيثم » .

(٥) س : « عظْمُ مَنْ فَوقَ التراب » .

(٦) قال التبريزى : « مَذحج » اسم امرأة ، واسمها « مدلة » وقيل « دلة » وقيل : سميت =

وَجِئْتُكَ فى قُضاعَةَ قَدْ أطَافَتْ بِرُكْنَىْ عَامِرٍ وبَنِى جناب (١)
ولاسْتَنْجَدْتُ حَنْظَلَةً وعَمْرًا ولم أُعْدِلْ بِسَعْدٍ والرِّبَابِ (٢)

هَذِهِ لَامُ التَّوْكِيدِ. (٣)

ولاسْتَرْفَدْتُ من قَيْسٍ ذُرَاها بَنِى بَدْرٍ وصِيدَ بَنِى كِلابِ (٤)
ولاحْتَفَلَتْ رَبِيعةُ لِى جَمِيعًا بأَيَّـامٍ كَأَيَّـامِ الكُـلابِ (٥)
وأَشْفِى من صَمِيمِ الشُّكْرِ نَفْسى وتَرْكُ الشُّكْرِ أَثْقَلُ للرِّقَابِ (٦)

وقالَ فى مَدْحِ الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ: (٧)

والحَمْدُ شَهْدٌ لاتَرَى مُشْتَارَهُ يَجْنِيهِ إلّا من نَقِيعِ الحَنْظَلِ
غُلٌّ لِحَامِلِهِ ويَحْسَبُهُ الذى لم يُوهِ عاتِقَهُ خَفِيفَ المَحْمَلِ (٨)

= « مذحج » لأنها ولدت فوق أكمة ، فانذحجت من أعلاها إلى أسفلها ، وقال قوم : بل الأكمة كان يقال لها « مذحج » ، ... ثمّ ذكر قضاعة لما تدعيه من القربى إليهم ، وذكر غيرهم من العرب لأن الإصْهار فى القبائل وتَزَوُّجَ بعضهم إلى بعض صَيَّر بينهم أسبابا من الخؤولة والقرابة .

(١) فى الأصل و س : « بنو » والتصحيح من الديوان وشرح التبريزى .

(٢) فى الأصل : « وسعدا » والتصحيح من ديوانه وشرح التبريزى و س .

(٣) يعنى اللام فى قوله « ولاستنجدت » ، وربما تكون هذه العبارة من تعليقات بعض العلماء فأقحمها الناسخ ، ومما يعزز هذا أنها ساقطة من س .

(٤) س : « بنى بكر » وبنو بدر : هم أبناء بدر بن عمر بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة .

(٥) أيام الكُلاب : وقائع مشهورة ، فيوم الكُلاب الأول : لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور ، ومعه بنو تغلب والنَّمِرُ بن قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع على أخيه شرحبيل بن الحارث بن عمرو ومعه بكر وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد ، فقُتِلَ شرحبيل ، أما يوم « الشعيبة » فهو يوم الكُلاب الثانى لبنى تميم وبنى سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم ، على قبائل مذحج فى نحو اثنى عشر ألفا ، رئيسهم زيد بن المأمور ، والكُلاب : موضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة وفيه كانت الوقعتان « الاشتقاق ص ٢١ والعمدة ٢ : ٢٠٦ » .

(٦) ديوانه والتبريزى و س : « فأشفى » .

(٧) ديوانه : ٢ : ٢٥٩ والتبريزى ٣ : ٤٢ .

(٨) فى الأصل : « ثقيل » والتصحيح من ديوانه والتبريزى و س .

وقال :(١)

أَثْنَيتُ إِذْ كانَ الثَّنَاءُ حِبالَةً شَرَكًا يُصادُ بِهِ الكَرِيمُ المُنْعِمُ
وَوَفَيْتُ إِنَّ مِنَ الوَفاءِ تجَارَةً وشَكَرْتُ إِنَّ الشُّكْرَ حَرْثٌ مُطْعِمُ

وقال البحتريّ :(٢)

يَمِيلُ وَزْنُ القَوافى بالنَّوالِ ولَوْ راحَ النَّوالُ وَفِى مِيزانِه « أُحُدُ »
والشُّكْرُ أَنْ يُخْبِرَ الوُرَّادُ سَائِلَهُمْ عن فَضْلِ مُخْتَبَرِ العِدِّ(٣) الذى وَرَدُوا

وقال أبو تمّام فى ابن المعتصم :(٤)

والحَمْدُ بُرْدُ جَمالٍ اختالَتْ بِهِ غُرَرُ الفَعالِ ، ولَيْسَ بُرْدُ لِبَاسِ
وكَأَنَّ بَيْنَهُما رِضاع(٥) الثَّدْيِ مِنْ فَرْطِ التَّصافِى أو رِضاعَ الكَاسِ

وقال فى أبى عبد الله حَفْصِ بنِ عُمَرَ الأَزدِيِّ :(٦)

وما كُنْتُ ذَا فَقْرٍ إلى صُلْبِ مَالِهِ وما كانَ حَفْصٌ بالفَقيرِ إلى حَمْدى
ولكِنْ رَأى شُكْرِى قِلادَةَ سُؤْدَدٍ فصاغَ لها سِلْكًا بَهِيًّا من الرِّفْدِ

« السِّلْكُ » هو الخَيْطُ نَفْسُهُ ، وذلك لا يُصاغُ ، ولو قالَ : « فصاغَ لَهاَ عِقْدًا » كانَ أَحْسَنَ.(٧)

فما فَاتَنِى(٨) ما عِنْدَه من حِبَائِهِ ولا فَاتَهُ من فَاخِرِ الشِّعْر ماعندي

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٦٢ ، شرح التبريزى ٣ : ٢٠٢ .
(٢) ديوانه ٢ : ٦٤٦ .
(٣) الماء العد : الدائم الذى لا ينقطع كماء العين .
(٤) ديوانه ١ : ٥٧١ والتبريزى ٢ : ٢٤٨ ، وفى س : « فى المعتصم » .
(٥) ديوانه : « لارضاع الكاس » .
(٦) ديوانه ١ : ٤٩٣ والتبريزى ٢ : ١٢٥ .
(٧) قوله : « كان أحسن » سقط من س .
(٨) فى الأصل : « فاته » والتصحيح من ديوانه والتبريزى و س .

وقال [أبو تمَّامٍ فى ابن أبى رِبْعِىٍّ][1] :

مامِنْ جَميلٍ من الدُّنْيا ولا حَسَنٍ   إلَّا وأكْثَرُهُ فى ذَلِكَ الخُلُقِ[2]
يامِنَّةً لكَ لَوْلَا ما أُخَفِّفُها   بِهِ من الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ ولم تُطَقِ
باللهِ أُدْفَعْ عِنِّى ثِقْلَ فادِحِها   فإننى خَائِفٌ مِنْها على عُنُقِى[3]

وقال البحترىُّ فى يوسفَ بنِ محمدٍ[4] :

وما اخْتَرْتُ دَارًا غيرَ دَارِكَ من قِلًى   وأينَ تُرىٰ قَصْدى ومن دُونِىَ البَحْرُ ؟[5]
سَأَشكرُ لا أَنِّى أُجازِيك نِعْمةً   بأُخْرىٰ ، ولكِنْ كَىْ يُقالَ لَهُ شُكْرُ
وأذْكُرُ أيَّامى لَديْكَ وحُسْنَها   وآخِرُ مايَبْقىٰ من الذَّاهِبِ الذِّكْرُ[6]

وقال البحترىّ[7] :

بِنِعْمَتِكُمْ يا « آل سَهْلٍ » تَسهَّلَتْ   عَلىَّ نَواحِى دَهْرِىَ المُتَوعِّرِ
شَكَرْتُكُمْ حتى استكانَ عَدوُّكُمْ   ومن يُولَ ما أوْلَيْتُمونِىَ يَشْكُرِ[8]
أَلَسْتُ ابْنَكُمْ دونَ البنَينَ وأنْتُمْ   أحِبَّاءُ أهْلِى دُونَ «مَعْنٍ» و «بُحْتُرِ»[9]

---

(١) زيادة من س . وفيها (فى أبى ربعى) والتصحيح من ديوانه . وفى الأصل « وقال أيضا » .
(٢) ديوانه ٢ : ٩٠ والتبريزى ٢ : ٤٠١ .
(٣) ديوانه والتبريزى : « حق » .
(٤) ديوانه ٢ : ٨٩٥ .
(٥) س وديوانه : « ومن خلفى » .
(٦) ديوانه : « ونعمتى » .
(٧) ديوانه ٢ : ٨٩٠ .
(٨) ديوانه : « ما أوليتمونيه » .
(٩) « معن » و « بحتر » إبنا عنود بن عنين بن سلامان بن ثُعل ، وهما بطنان ضخمان من طيئ ومنهم البحترىّ .

وقال فى إبراهيمَ بنِ حسنِ بن سَهْلٍ[١] :

جِئْنَاكَ نَحْمِلُ أَلفاظًا مُدبَّجَةً   كأَنَّما وَشْيُها من يُمْنَةِ اليَمَنِ
نُهْدِى القَرِيضَ إِلى رَبِّ القَرِيضِ مَعًا   كحَامِلِ العَصْبِ يُهْدِيهِ إِلى عَدَنِ[٢]
من كلِّ زَهْراءَ كالنُّوَّارِ مُشْرِقَةٍ   أَبْقَى على الزَّمَنِ البَاقِى من الزَّمَنِ[٣]
شُكْرُ امْرِئٍ ظَلَّ مَشْغُولًا بِشُكْرِكَ عن   فَرْطِ البُكاءِ على الأَطلالِ والدِّمَنِ

[أى : هِىَ شكر[٤]] .

وقالَ فى عَبد الله بن يَحيىٰ بنِ خَاقانَ [أخى عبيد الله][٥] :

نَفْسى فِداءَ أَبِى مُحمَّدٍ الذِى   مازِلْتُ أَحْمَدُ فى ذَرَاهُ مَكَانِى
خِلٌّ بَلَغْتُ بِرَأْيِهِ شَرَف العُلىٰ   وأَخٌ غَنِيتُ بِهِ عَنِ الإِخْوانِ
واللهُ يَجْزِيكَ[٦] الذى لَم يَجْزِه   شُكْرِى ، ولم يَبْلُغْ مَداهُ لِسَانِى

وقال فى الفَضْلِ بن إسماعيلَ الهاشمىِّ[٧] :

مُسْتَأْثِرٌ[٨] بالمَكْرُماتِ تَلومُهُ   فِيها خَلائِقُ حَاسِدٍ وبَخِيلِ
/ ومَتى عَرضْتَ لِشُكْرِهِ فالبَرْحُ مِنْ   نَيْلٍ علىَ ثَبَجِ الثَّنَاءِ ثَقِيلِ[٩]

---

(١) ديوانه ٤ : ٢١٩٤ ، وفى س « إبراهيم بن سهل » .
(٢) العَصْبُ : نوع من البرود اليمنية .
(٣) س : « أبقىٰ من » .
(٤) ما بين المعقوفين زيادة من س ، وفى الديوان « شُكْرَ » بالنصب ، وعلى الرغم من عبارة المؤلف الواردة فى س ، فقد ضُبِطَتْ الكلمة فيها وفى الأصل « شكرَ » بالنصب ، وقد صححت الضبط على ما تقتضيه عبارته وهو الرفع .
(٥) ديوانه : « يمدح عبيد الله بن يحيى بن خاقان » ٤ : ٢٢٤٠ وما بين المعقوفين زيادة من س .
(٦) ديوانه و س : « الله يجزيك » .
(٧) ديوانه ٣ : ١٦٦٠ .
(٨) ديوانه : « تعوده » .
(٩) ديوانه : « فالبُرْجُ مِنْ نَبَلٍ » والمَعنى على هذه الرواية غامض . والمعنى هنا : أن عطاياه عظيمة ينو بحِمْلِها الثناءُ ، فلا يُوفِّيها حقَّها ، والبيت الذى بعده فى الديوان يؤكد هذا المعنى فقد قال :

ومن الصَّنائع ما يُؤَكِّد باللُّهَىٰ   فينوءُ حامِلُه بِعِبْءِ الفيلِ

وقال فى إسماعيلَ بنِ بُلْبُلٍ:[1]

هَاتيكَ أخْلاقُ «إسْماعيلَ» فى تَعَبٍ ... من العُلَا ، والعُـلَا مِنْهُـنَّ فى تَعَبِ[2]

أتْعَبْتَ شُكْرى فأضْحَى مِنْكَ فى نَصَبٍ ... أقْصِرْ ، فمَالىَ فى جَدْواكَ مِن أرَبِ[3]

لا أقْبَلُ الدَّهْرَ نَيْلًا لايقـومُ بِهِ ... شُكْرى ، ولو كانَ مُسْدِيهِ إلىَّ أبِى

لمّا سَألْتُكَ وافانِى نَدَاكَ علىٰ ... أضْعافِ ظَنِّى ، فلم أظْفَرْ ولم أخِبِ

وقد أحسنَ البُحْتُرِىُّ فى هذا كُلَّ الإحسانِ .

وقد قال دِعْبِل فى خلاف هذا المعنى ، وكلاهُما فى غَايةِ الحُسْنِ ، [فقال][4] يَمْدَحُ قَوْمًا:[5]

لايَقْبَلونَ الشُّكْرَ مَالَمْ يُنْعِمُوا ... نُعْمَى يَكونُ لَها الثَّناءُ تَبِيعا

وقال أبو تَمّامٍ [ويُنْقَلُ إلى الباب الذى قَبْلَهُ][6]:

ومن الرَّزِيَّةِ أنَّ شُكْرِىَ صَامِتٌ ... عمَّـا فَعَـلْتَ وأنَّ بِرَّكَ نَاطِـقٌ[7]

تَأتِى الصَّنِيعةُ مِنْك ثُمَّ أُسِرُّها ... إنِّـى إذًا لِيَـدِ الكَرِيـمِ لسَارِقٌ[8]

ويروى : لِنَدى الكَرِيمِ لَسارِقٌ .[9]

---

(١) ديوانه ١ : ١٢٠ .

(٢) سبق فى ٢ : ٣٠٣ .

(٣) ديوانه : «فاذهبْ فمالىَ فى جَدواكِ من أرَبِ» ، و س . «أضحى منك فى تعب» .

(٤) زيادة من س .

(٥) شعره المجموع ص ١٨٤ وفيه «نِعَمًا» .

(٦) ديوانه ٢ : ١٥٥ والتبريزى ٢ : ٤٥٥ ، وما بين المعقوفين زيادة من س .

(٧) هذه رواية س والتبريزى ، وفى الأصل روى «عما صنعت» ثم كتب فوقها تلك الرواية .

(٨) ديوانه والتبريزى : «أأرى الصنيعة ... ليد الكرام ...» .

(٩) هذه العبارة ساقطة من س .

وقالَ فى مِثْلِهِ :(١)

لَلنَّارُ نَارُ الشوقِ فى كَبِدِ الفَتىٰ [والبَيْنُ] أُوقَدَها هَوًى مَسْمُومُ(٢)

خَيْرٌ لَهُ من أنْ يُخامِرَ صَدْرَهُ وحَشَاهُ مَعْروفُ امْرِئٍ مَكْتُومُ

سَرَقَ الصَّنيعةَ واسْتَمرَّ بِلَعْنَةٍ(٣) يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ المَظْلومُ

أأُقَنَّعُ المَعْروفَ وَهْوَ كأنَّهُ قَمَرُ الدُّجَى إنى إذًا لَلَئِيمُ !

مُثْرٍ مِنَ المَالِ الذى مَلَّكْتَنِى أَعْنَاقَهُ ، ومن الوَفَاءِ عَدِيمُ ؟

فأرُوحُ فى بُرْدَيْنِ لم يَسْحَبْهُمَا قَبْلِى فَتًى وهما الغِنَى واللُّؤمُ

[وأبو تَمَّامٍ فى هذا البابِ أيْضًا أَلْطَفُ من البُحْتُرِيّ(٤)] .

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٤٢٣ والتبريزى ٣ : ٢٩٣ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « النّار ... يوقده ... » ، و « البين » ساقطة من الأصل .

(٣) س وديوانه : « فاستمر » .

(٤) زيادة من س ، وإلى هنا تنتهى نسخة س ، وختمت بالتالى :

« والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين وسلم » .

كتاب البأسِ والنَّجْدَةِ [1]

فأوَّل مَا أبدأ بِهِ مِن ذلِكَ :

- وَصْفُ الجَيْشِ وكَثَافَتِهِ وَعِظَمِهِ .
- وفِى الرَّأيِ والتَّدبِيرِ .
- وفِى صِفَةِ الحَربِ .
- وفِى وَصْفِ رِجَالِ الحَرْبِ [2] .
- وفِى تَشْبِيهِ الأبْطَالِ بالسِّبَاعِ .
- وفى وَصْفِ السّيوفِ والرِّمَاحِ .
- وفى وَصْفِ الدُّرُوعِ والجُنَنِ .
- وفِى وَصْفِ الخَيْلِ فى الحَرْبِ .
- وفِى المَسِيرِ إلى أرْضِ العَدُوِّ والنُّزولِ .
- وفِى ذِكْرِ الظَّفَرِ والفُتُوحِ .
- [و] فِى ذِكْرِ مَنِ انْهَزَم ونَجَا بِحُشَاشَتِهِ [3] ومَنْ أُسِرَ .
- ذِكْرُ الصَّلْبِ عَلَى الجُذُوعِ وحَمْلِ الرُّؤُوسِ .
- ذِكْرُ الحَرْبِ فى البَحْرِ .
- ذِكْرُ حَرْبِ ذَوِي الأرْحَامِ والحضِّ عَلى الصُّلحِ والصَّفْحِ .

---

(١) من هنا تبدأ زيادة نسخة « الأصل » ، « وقد انتهت صحبتها مع « س » إلى خاتمة باب الجود والكرم فى الصفحة السابقة » وتستمر هذه الزيادة إلى نهاية الكتاب .

(٢) الأصل : « وصف حال الحرب » وانظر ص ٣٠٤ .

(٣) الأصل : « نجاشته » .

ما قالاه في وصف الجيش وكثافته

قَالَ أَبُو تَمَّام[1] :

مُثْعَنْجِرٌ لَجِبٌ تَرَى سُلَّافَهُ وَلَهم بِمُنْخَرِقِ الفَضَاءِ زِحَامُ
مَلأَ المَلَا عُصَباً فَكَادَ بِأَنْ يُرَى لا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَّامُ

« مُثْعَنْجِرٌ » ، يقال : اثْعَنْجَرَتِ العَيْنُ دَمْعًا ، واثْعَنْجَرَ دَمْعُهَا ، وَهو انْصِبَابُ الدّمع وتَتابُعُهُ ، واثْعَنْجَرَ السَّحَابُ بِالمَطَرِ ، واثْعَنْجَرَ المَطَرُ ، وَقَوْلُ امْرِئِ القَيْسِ[2] :

« وجفنة مُثْعَنْجِرَةْ »

أَى : مَمْلُوءَةٌ تَفِيضُ إهَالَة[3] .

و « السُّلَّافُ » : المُتَقَدمُونَ ، و « لَجِبٌ » ، أَرَادَ : كَثِيرَ الأَصْوَاتِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٦ ، والتبريزى ٣ : ١٥٥ ، عُصَبٌ : جمع عُصْبَةٍ وعصابة .

(٢) ديوانه ص ٣٤٩ وفيه : « وقال لما حضرته المنية بأنقرة :

رب طعنة متعنجرة
وجفنة متحيّرة
وقصيدة محبّرة
تبقى غدا بأنقرة »

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٣) فى المخطوطة : « وطعنة » وتحتها : « وجفنة » والشرح عليها فأثبتها ، والإهالة : الودك .

وَقَوْلُهُ : « مَلأَ المَلَا عُصَبَا » : فالمَلَا[1] – مقْصُورٌ – ما اتَّسَعَ مِنَ الأَرْضِ ، أَراد أَنَّ الجَيْشَ قد مَلأَه لِكَثْرَتِهِ . وهذا مَعنًى قد تَدَاوَلَتْهُ العَرَبُ وتَقَدَّمَتْ فِيهِ الشُّعَراء ، وجَوَّدُوهُ ، قال أوس بن حجر[2] :

تَرَى الأَرْضَ مِنَّا بالفَضَاءِ مَرِيضَةً   مُعَضَّلَةً مِنَّا بِجَيْشٍ عَرَمْرَمِ

قَوْلُه : « مُعضَّلَةً » مِنْ قَوْلِهم : عَضَّلَتِ المَرْأَةُ عِنْدَ الوِلَادَةِ ، إِذَا نَشِبَ وَلَدُهَا فى بَطْنِهَا ، وَعَسُرَ خُرُوجُه ، يُؤَكِّدُ بِذَلِكَ كَثرة الجَيْشِ ، وأَنَّ الأَرْضَ الفَضَاءَ قَدضَاقَتْ بِهِ ، ومِن هَذَا قَوْلُهم : قَدْ أَعْضَلَ الأَمْرُ ، وأَمْرٌ مُعْضِلٌ ، أى : عَسِيرٌ ضَيِّقٌ .

و « العَرَمْرَمُ » الكَثِيرُ .

وتَبِعَ النابِغَةُ أَوساً فِى هَذَا فَقَالَ[3] :

مَجْرٌ يَظَلُّ بِهِ الفَضَاءُ مُعَضَّلًا   يَدَرُ الإِكَامَ كأَنَّهُنَّ صَحَارِى

فَأَوْرَدَ النَّابِغَةُ مَعْنَى بَيْتِ أَوْسٍ فى صَدْرِ بَيْتِهِ ، وزَادَ عَلَيْهِ فِى العَجْزِ بِقَوْلِهِ : « يَدَرُ الإِكَامَ كأَنَّهُنَّ صَحَارِى[4] »

أَى : يَهْدِمُها ويَطْحَنُها بِحَوافِرِ الخَيْلِ حَتَّى تَلْحَقَ بالأَرْضِ .

---

(١) فى اللسان « ملا » : وأما المتسع من الأرض فغير مهموز ، يكتب بالألف والياء ، والبصريون يكتبونه بالألف .

(٢) الشعر والشعراء ١ : ٢٠٦ ، وديوان المعانى ٢ : ٦٨ ، واللسان « عضل » وفيها : « بجمع عرمرم » وانظر : ديوانه ص ٢١ .

(٣) الشعر والشعراء ١ : ٢٠٦ وفيه « جيش يظل به ... » ، والمجر : الجيش العظيم المجتمع . « اللسان مجر » وفى ديوانه : ص ٨٨ : « جمعا يظل به ..... » .

(٤) فى الأصل : « صحار » .

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ زَيْدِ الخَيْلِ[١]:

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِهِ　　تَرَى الأُكْمَ فِيهِ سُجَّدًا لِلحَوَافِرِ

٩١ / أى : تَدُقُّها الحَوافِرُ بِكَثْرتها ، وتَكُبُّها إلى الأَرْضِ ، وبَيْت النَابِغَةِ أَجْوَدُ البَيْتَينِ ، لأنّه تَضَمَّنَ المَعْنَيَيْنِ جَمِيعًا ، واقتَصَرَ أبو تَمَّام على وصف الكَثْرةِ فى بيتِهِ بِمَعْنَيَيْنِ مُخْتلِفَيْنِ ، كَأَنَّه اتَّبع أَوْسًا ، إلّا أَنَّ قَوْلَهُ :

وَلَهُمْ بِمُنْخرِقِ الفَضَاءِ زِحَام

لَفْظٌ حَسَنٌ .

وَقَد حَذَا البُحْترىُّ عَلى قَوْلِه[٢]:

يَذَرُ الإِكَامَ كأَنَّهُنَّ صَحَارِى

فَقَالَ[٣]:

إذَا سارَ فى « ابنىْ مَالِكٍ »[٤] قَلِقَ الحَصى　　عَلَى جَبَلٍ يَغْشَى الجِبَالَ فَتَقْلَقُ

عَفَارِيتُ هَيْجَاءٍ كَأَنَّ خَمِيسَهُمْ　　بِهِ حِينَ تَلْقَاهُ الكَتَائِبُ أَوْلَقُ[٥]

---

(١) هو زيد بن مهلهل الطائى ، كان فارسا مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصيت فى الجاهلية وأدرك الإسلام ، ووفد إلى النبى « ص » ولقيه وسُرَّبِهِ وقَرَّظَه وسماه : زيد الخير وقال له : ما وصف لى أحد فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لى غيرك ، وأقطعه أرضا بنجد ، فمكث فى المدينة سبعة أيام ، وأصابته حمى شديدة فخرج عائدا إلى نجد ، فمات فى طريقه « الإصابة : ٢٩٣٥ والبغدادى ٥ : ٣٧٩ ، والشعر والشعراء ١ : ٢٨٦ » ، وديوانه ٦٦ ، وقال فى ديوان المعانى : « قوله « تضلّ البلق فى حجراته » غاية فى صفة الكثرة ، لأن البُلْقَ مشاهيرُ فإذا خَفِىَ مكانُها فى جَمْع ، فليس وراءه فى الكَثْرةِ شَىءٌ ، والعربُ تقول : أشهرُ من فارس الأبلق ، ورؤساء العرب لا يركبون البُلْقَ فى الحرب لئلا يُنَمَّ عليهم فيُقصدوا بشرٍّ » .

(٢) يعنى أوس بن حَجَر فى بيته السابق .

(٣) ديوانه ٣ : ١٤٩٣ وفيه « قلق القنا » ونقل فى الهامش تعليق المعرى فى عبث الوليد على رواية « قلق الحصى » فانظره .

(٤) ابنى مالك : هما : الخيار ونبت ابنا مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ « جمهرة الأنساب ص ٣٣٠ » .

(٥) الأولق : المجنون .

فَقَوْلُهُ : « يغشى الجِبَالَ فَتَقْلَق » أي : يَحْطِمُها بكَثْرَتِهِ ، وَيَجُوزُ أن يُرِيدَ بِقَوْلِهِ : « يَغْشَىٰ الجِبالَ » أي : جُيوشاً فَيَقُضُّها ، والأوَّلُ أشْبَه .

وقال البحترىّ فى كَثَافَةِ الجَيْشِ وَكَثْرَتِه[1] :

لَمَّا أتَاكَ يَقُودُ جَيْشًا أرْعَنًا   يُمْشَى عَلَيْهِ كَثَافَةً وجُمُوعَا

يُرِيدُ انضِمَام الخَيْل والرَّجَّالة ، بَعْضِهم إلى بَعْض ، بِكَثْرتهم حَتَّى يَمْشِيَ الماشِي عليهم ، وإنَّما نَحَا نَحْوَ قَوْل قيس بن الخَطِيم[2] :

لَوَ انَّكَ تُلْقِى حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنا   تَدَحْرَجَ عَنْ ذِى سَامَةِ المُتَقَارِبِ

وقَوْلُ قَيْسٍ أحسَنُ وأجْوَدُ وأبْرَعُ .

وقَوْلُهُ : « عَنْ ذِى سامَةِ » أى : عَلَى ذِى سَامَةٍ ، والسَّامُ : خُطُوطٌ فِى البَيْضِ يَجْرِى فِيهَا مَاءُ الذَّهَبِ[3] .

وَقَد أَخَذَ ابنُ الرُّومِى أيْضا معنَاه ، وَلَفْظَهُ أيضا فقَالَ[4] :

فَلَو حَصَبْتُهُمْ بالفَلَاةِ سَحَابَةٌ   لَظَلَّ عَلَيْهِم حَصْبُها يتَدَحْرَجُ

وَلَيْسَ فِى قَصِيدَتِهِ أَجْوَدُ مِنْ هَذَا البَيْتِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ١٢٥٥ .

(٢) ديوانه : ص ٨٦ .

وهو أبو يزيد قيس بن الخطيم ، واسم الخطيم ثابت ، شاعر الأوس وأحد صناديدها فى الجاهلية ، تتبع قاتلى أبيه وحده فقتلهما ، أدرك الاسلام ، وتريث فى قبوله ، فقتل قبل أن يسلم ، « الأغانى ١٦ : ١٥٤ ، وجمهرة أشعار العرب ٥٠٧ » .

(٣) جاء فى ديوانه : « السام : عروق الذهب الواحدة سامة ، وبه سُمِّىَ سامة بن لؤى » ثم قال : « وأراد بالسام هاهنا : خطوط ذهب على البَيْض تُموّه بها » .

وفى اللسان « سوم » « البيت » : أى : على ذى سامه ، وعن فيه بمعنى على ، والهاء فى سامه ترجع إلى البيض ، يعنى البيض المموّه به ، أى البيض الذى له سام ، قال ثعلب : معناه أنهم تراصّوا فى الحرب ، حتى لو وقع حنظل على رؤوسهم على امّلاسه واستواء أحزائه لم ينزل إلى الأرض .

(٤) ديوانه ٢ : ٤٩٧ وفيه « ... بالفضاء سحابة ... » .

وفي كَثَافَةِ الجَيْشِ واجتماعِهِ يقول أبو نُواسٍ(١):

أَمَامَ خَمِيسٍ أُرجُوانٍ كأنَّه قَمِيصٌ مَحُوكٌ مِن قَنًا وَجِيَادِ

« الجِيَادُ » الخَيْلُ ، وَلو كَانَ قَالَ :

.... لَيس فيه خصاصة كَثَوبٍ مَحُوكٍ ....

كَانَ « ثوبٌ » أحسنَ من « قَمِيصٍ » .

وَقَالَت امرأة مِن بَنِى سُلَيْم فِى كَثْرةِ الجَيْشِ وانتِشَارِهِ(٢):

وَكانَ إذَا مَا أَوْرَدَ الخَيْلَ بِيشَةً إلى جَنْبِ أَشْرَاجٍ أَنَاخَ فَألْجَمَا

وأَرسلَها رَهْوا رِعَالًا كأَنَّها جَرَادٌ زَهَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ فَأتْهَمَا

وأَحْسَنَ مِن كلِّ حَسَنٍ فى عِظَمِ الجيشِ وكَثْرَتِهِ ، قَوْلُ مَالِك بن الرَّيْبِ المازنيِّ(٣):

---

(١) ديوانه : ص ٤٧٣ .

(٢) البيتان للخنساء فى ديوانها « وهى الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد من بنى سليم » وفيه :

وكان إذا ما أقدم الخيل بيشة إلى هضب أشراك أناخ فألجما

فأرسلها تهوى رعالا كأنها جراد زفته ريح نجد فأتهما

« شعر الخنساء ص ١٨٣ » ، وانظر : « معجم ما استعجم ١ : ٢٩٣ » وقال : « وهذا الشعر يرويه أبو عبيدة لريطة بنت عباس الأصم الرعلىّ ، ترثى أباها وكانت خثعم قتلته ، فأدرك بثأرها عباس بن مرداس » وانظر ديوان المعانى ٢ : ٦٨ ، والبيت الثانى فى اللسان : « رها ، زها » ، بيشة : واد من أودية تهامة ، أشراج : جمع شرج ، وهى مسيل الماء من الحرة إلى السّهل ، رهوا : الرهو هنا السريع وهو من الأضداد .
رعالا : جمع رعلة ، وهى القطعة من الخيل قدر العشرين ، زهته : ساقته .

(٣) انظر غرر الخصائص ص ٣٤١ وفيه :

« بجيش لهام يشغل الطير جمعه عن الأرض .... »

وفى محاضرات الأدباء نسبه إلى المتنبى ولم أجده فى ديوانه وفيه « بجيش لهام » ٣ : ١٥٠ وجيش لغام : أى ذو زبد ، وهو من لغام الإبل ، ولِهام : يلتهم كلّ شئ .

والشاعر هو مالك بن الريب المازنى التميمى ، كان ظريفا أديبا فاتكا ، هرب من الحجاج لأنه هجاه وأصاب الطريق مدة ، ثم نَسُك ، فأمّنه بشر بن مروان ، وخرج إلى خراسان فغزا مع سعيد بن العاص ومات بها « معجم الشعراء ٢٦٥ والشعر والشعراء ٣٥٣ » .

بِجَيْشٍ لُغَامٍ يَشغَلُ الأرضَ جَمْعُهُ   عَلَى الطَّيرِ حَتَّى ما يَجْدنَ مَنَازِلا

وَقَال أبو تَمَّامٍ فى صِفَةِ الجَيْشِ (١) :

بِأَرْشَقَ إذْ سَالَتْ عليهم غَمَامَةٌ   جَرَتْ بالعَوالِى والعِتَاقِ الشَّوازب

قَوْلُهُ : « سَالَتْ » و « جَرَتْ » مَعْنَاهُمَا وَاحد ، وقد كان تَكْفى إحْدَى اللَّفظَتَيْنِ مِنَ الأخرى ، ولَيْسَ بِعَيْبٍ .

وَقَالَ البُحْتُرِىّ (٢) :

إذا انْشَعَبَتْ فِى جَانِبَيْهِ غَمَامَةٌ   إلى بَلَدٍ كَانَتْ دَمًا مُتَدَفِّقَا

وَأَجْوَدُ مِنْ غَمَامَتَىْ أبى تَمَّام والبُحتُرِىّ قَوْل عَبْدِ اللهِ بنِ عَمرو بن العاص (٣) :

غَدَاةَ أَتَى أَهْلُ العِرَاقِ كَأَنَّهُمْ   مِنَ البَحْرِ لُجٌّ مَوْجُهُ مُتَرَاكِبُ (٤)

وَجِئْنَا إلَيْهِم فى الحَدِيدِ كَأَنَّنَا   سَحَابُ خَرِيفٍ زعزعته الجَنَائِبُ (٥)

وَقَال البُحتُرِىُّ (٦) :

بِجَمْعٍ تَرى فِيهِ النَّهارَ قبيلَةً   إذَا سارَ فِيهِ والظَّلامَ قَبَائِلا

أَرَاد : أَنَّكَ ترى النَّهارَ قَبِيلَةً من قَبَائِلِ الجَيْشِ لِعِظَمِهِ ، وترى الظلام

---

(١) ديوانه ١ : ٢٨٤ والتبريزى ١ : ٢١١ ، وأرشق : موضع ، والشوازب : المضمرات .

(٢) ديوانه ٣ : ١٥٠٠ .

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، كان اسمه « العاص » فغيّره النبى ﷺ ، أسلم قبل أبيه وقَبْلَ فتح مكة ، أذن له الرسول « ﷺ » فى أن يكتب عنه فى حالى الغضب والرضا « الإصابة ترجمة : ٤٨٥٠ ، المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد الأندلسى ١ : ٥٤ » .

(٤) البيتان نسبا لمحمد بن عمرو بن العاص من جملة أبيات فى « وقعة صفين » ص ٣٧٠ وفيه : « غداة غدا » وانظر : المغرب فى حلى المغرب ١ : ٦٣ والعقد ٤ : ٣٤٣ — ٥ : ٢٨٤ .

(٥) روى صدره فى وقعة صفين : « وجئناهُمُ نمشى صفوفا كأننا » .

(٦) ديوانه ٣ : ١٦٠٢ .

قَبَائِلا ، كَأَنَّهُ جَعَلَ الظَّلَامَ مُخْتَلِفَ الأحوالِ فى الظُّلْمَةِ يَشْتَدُّ اسوِدَادُه ، ويَخِفُّ ، بِحَسَبِ اختلاف أحوالٍ تَعْرِض لِلَّيلِ مِن رِيحٍ أو غَمَامٍ ، أَوْ تَجَلّى قَمَرٍ ، أو غُيوبِهِ ، وأنتَ تَرى اللَّيلَ على هذه الأحوالِ أَبدا ، والنّهارُ حَالُهُ حَالٌ واحدةٌ ، لايقبِضُ البَصَر فِيهِ شيءٌ فى حالِ صَحوٍ ولا غَمَامٍ ، فَهَذا معنى - إن شاء اللهُ - يَلِيقُ بِالصَّوَابِ ، أو يقارِبُهُ .

وَوَجْهٌ آخَرُ أنَّ اللّيل لا يَقْبِض الطَّرْفَ دَفْعَةً واحِدَةً بَلْ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى يَشْتَدَّ سَوَادُه إلى أن يمضىَ ثُلثُه ، وتلك فَحْمَة اللّيلِ ، ثُمَّ يَتَجَلَّى إلى ظُلْمَةٍ هى أرَقُّ ، ويُقَالُ بَلْ العَيْنُ تَأْلَفُ سَوَادَ الليلِ إذا امتدَّ إلى هَذَا الوَقْتِ ، فَتَقْوى عَلَى إدراكِ مالم تُكن تُدْرِكُه عند هُجُوم الظُّلمةِ ، وَهِى قَرِيبَةُ العَهْدِ بالضَّوْءِ ، وهَذَا قَوْلٌ غيْرُ مَدْفُوعِ الصِّحَّةِ ، ثُمَّ إنَّهم يَقُولُون فى مَجِيء اللّيلِ : جُهْمَةٌ بَعْدَ جُهْمَةٍ ، حَتَّى إنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ إنَّهُ يَرَى الظَلامَ يتحرَّكُ / عند انحساره ولِهَذَا قَالَ امرؤ القيس : ٩٢

« ولَيْلٍ كموجِ البحرِ ... »[1]

وَقَال :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازًا ونَاءَ بِكَلْكَلِ

وقَال البُحْتُرىّ[2] :

فِى خَمِيسٍ كأَنَّمَا طُرِقُوا مِنْـ ـهُ بِلَيْلٍ ، أَوْ صُبِّحوا بِنَهَار

وَهَذَا حَسَنٌ ، والبُحْتُرىّ مُتَّبِـعٌ فِى هَذَا وَغَيْرُ مُبْتَدِعٍ .

---

(١) البيت بتمامه :

وليلٍ كموجِ البحر أرخى سُدُولَه علىَّ بأنواع الهُمُوم ليبتَلِى

وهو والبيت الذى يليه فى ديوانه ص ١٨ وفيه « تمطى بجوزه » أى بوسطه .

(٢) ديوانه ٢ : ٩٨٩ .

وَقَالَ ضَوْءُ بنُ اللَّجْلاجِ الذُّهْلِيُّ (١) :

بأَرْعَنَ جَرَّارٍ كَأَنَّ زُهَاءَهُ دُجى اللَّيْلِ أَلْقَى جَانِبَيْهِ فَعَسْكَرَا

وَبَيْتُ البُحْتُرِىّ أَبْرَعُ ، لأنَّه جَمَعَ فِيه اللَّيلَ والنَّهارَ بأَحْسَنِ لَفْظٍ .

وقال أَحْمَرُ بنُ شُجَاعٍ الكَلْبِىّ (٢) :

بِجَأْوَاء تُعْشِى النَّاظِرِينَ كَأَنَّهَا دُجَى اللَّيلِ بَلْ هِىْ مِنْ دُجَى اللَّيْلِ أَكْثَرُ

وَهَذَا إِفْرَاطٌ حَسَنٌ .

وَقَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ فى وَصْفِ كَتِيبَةٍ يشَبِّهُهَا باللَّيْلِ (٣) :

طودٌ جَنَاباهُ القِنَانُ الحُـلَّكُ (٤)

مِنهَا الدَّجُوجِىُّ ومِنْهَا الأَرْمَكُ (٥)

ذا الليلِ إلّا أنَّها تَحَرَّكُ

---

(١) فى الأصل « الماهلى » ، وهو صوء بن اللّجْلاج بن عبد الله بن مصبح ، أحد بَنِى عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن دهل بن ثعلبة ، شاعر فارس « المؤتلف والمختلف ص ٢١٦ ، ص ٢٦٥ » ، ولم أقف على البيت ، و « رهاؤه » شخصه .

(٢) هو الأحمر بن شجاع بن القعطل بن سويد بن الحارث الكلبى ، شاعر فارس « المؤتلف والمختلف ص ٤١ » ، والبيت فيه من جملة أبيات وروايته هناك « من دجى الليل أكبر » ، والجأواء : صفة للكتيبة من جهة لونها وهو سواد فى حمرة ، و« هى » بكسْرِ الهاء وإسكان الياء .

(٣) هو أبو نخيلة السعدى وكنيته أبو الجنيد « كذا قال فى الأغانى » ، وفى المؤتلف والمختلف والشعر والشعراء : يعمر من بنى حِمَّان بن كعب بن سعد شاعر راجز كان عاقا لأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه فخرج إلى الشام ، سخط عليه عيسى بن موسى فقبض عليه وقتله سنة ١٤٥ « الشعر والشعراء ٦٠٢ والأغانى ٨ : ١٣٩ » .

(٤) فى الأصل « الكُلَّك » ، ولم أعرفها فأثبتُّ ماهو أقرب إلى المعنى .

(٥) هذا البيت والذى بعده فى ديوان المعانى ٢ : ١١٦ والصناعتين ٤٢٥ ، والحيوان ٣ : ١٢٥ « والدّجوجىّ » الشديد السواد المظلم ، « الأرمك » ما جاء لونه كالرماد « اللسان دجج ، رمك » وطبقات الشعراء ٦٤ « وفيها » كالليل إلا أنها تحرك » .

وهذا إحسانُ أبى نُخَيْلَةَ المشهُورُ الّذِي يَفُوقُ كُلَّ إحسانٍ . وفى كثرة الجيش وعِظَمِهِ يَقُولُ النَّابِغَةُ الجَعْدىُّ (١) :

بأرْعَنَ مِثْلَ الطَّودِ يُحْسَبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لأمرٍ والرِّكَابُ تُهَمْلِجُ (٢)

وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الجَيِّدِ المَشْهُورِ ، وَهَو ضِدُّ مَعنَى أبى نُخَيْلَةَ ، وكِلاهُمَا بَدِيعٌ فى مَعْنَاهُ ٨٨ ب

وأنشد إسحاقُ المَوْصِلِىُّ (٣) :

كَأَنَّهُمْ لَيْلٌ إذا استُنْفِرُوا أو لُجَّةٌ لَيس لَهَا سَاحِلُ (٤)

وقد أَحْسَنَ النَّجاشِىُّ (٥) أيضا فى قَولِهِ :

فَمَنْ يَرِ صَفَّيْنَا غَدَاةَ تَلاقَيَا يَقُل جَبَلا جَيْلان يَنْتَطِحَانِ
قَتَلْنَا وأَفْنَيْنَا ومَا كُلُّ مَاتَرَى بِكَفِّ المُذَرِّى تَأْكُلُ الرَّحيانِ

---

(١) هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدى العامرى ، أبو ليلى شاعر مفلق صحابى ، من المعمرين « الأغانى ٤ : ١٢٧ ومعجم الشعراء ١٩٥ والشعر والشعراء ٢٨٩ » .

(٢) تُهَمْلِج : من الهملجة والهملاج : السير الحسن فى سرعة وبخترة ، والبيت فى ديوانه ص ١٨٧ وفيه « وقوف لحاج » .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان الموصلى أبو محمد بن النديم ، من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء ، وكان عالما باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، « الأغانى دار الكتب ٥ : ٢٦٨ ووفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ » .

(٤) البيت فى الوحشيات من ثلاثة أبيات نسبت إلى أبى الحيال الباهلى ص ٦٤ ، وقال استاذنا الشيخ محمود شاكر فى هامشه : « هكذا بالياء ، وانظر معجم الشعراء للمرزبانى ص ٥١٢ : أبو الحبال الكلابى بالباء » ، والبيتان الآخران رواهما الآمدى فى وصف الطعنة ص ٣٢٠ .

(٥) هو قيس بن عمرو بن مالك من بنى الحارث بن كعب ، نُسِب إلى أمه ، وكانت من الحبشة ، وكان شاعرا هجاءً مخضرما اشتهر فى الجاهلية والإسلام أصله من نجران ، واستقرّ بالكوفة « الشعر والشعراء ٣٢٩ » ، والبيتان فى الوحشيات ص ١١٣ وفيه « فمن ير جمعينا ومعتلج القنا » ، « أكلنا وأبقينا » ، ووقعة صفين ص ٥٢٤ ، وفيه : « فمن يرخيلينا » ، « أكلنا وأبقينا » ، ونسبا إلى الأعور الشنّى فى المؤتلف والمختلف ص ٤٥

وأَجْوَدُ مِنْ كُلّ جَيِّدٍ قَوْلُ مُهَلْهِلٍ[(١)]:

كَأَنَّا غُدوَةً وبَنِى أَبِينَا بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ

وَقَالَ البُحْتُرِىُّ[(٢)]:

جَوٌّ إذا رُكِزَ القَنَا فِى أَرضِه أَيْقَنْتَ أَنَّ الغَابَ غَابُ أَسُودِ
وإذَا السِّلَاحُ أضَاءَ فِيه رَأَى العِدَا[(٣)] بَرًّا تَأَلَّقَ فِيـه بَحْـرُ حَدِيـدِ

وفِى لَمَعَانِ الحَدِيدِ يَقُولُ البُحْتُرِىّ أيضًا[(٤)]:

جَافِى المَضَاجِعِ لايَنْفَكُّ فى لَجَبٍ يَكَادُ يُقْمِرُ مِن لألائِهِ القَمَرُ

وَهٰذَا – لَعَمْرِى – مَعنًى حَسَنٌ ، وأَحسَنُ مِنْه وأَصَحُّ مَعْنًى قَوْلُ الأَخْنَس بن شِهابٍ التَّغلِبِىِّ[(٥)]:

وجأْواءَ تُعْشِى النَّاظِرِينَ كَأَنَّها إذَا مَابَدَتْ قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ

وَقَد قَالَ المتأَخِّرُونَ فى وَصْفِ السِّلاحِ ولمَعَانِ الحَدِيدِ مَايَفوقُ كُلَّ حُسْنٍ وصِحَّةٍ ، ومِن ذَلِكَ قَوْلُ سَلْمٍ الخَاسِرِ :

وَكَتَائبٍ تُعشِى العُيُونَ إذا جَرَى مَاءُ الحدِيدِ عَلَيْهِـمِ الرَّجـراجُ[(٦)]

---

(١) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ١٥٤ .

(٢) ديوانه ٢ : ٦٩٩ .

(٣) ديوانه : « وإذا السلاح أضاء فيه حسبته » .

(٤) ديوانه ٢ : ٩٥٨ .

(٥) هو الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدى بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب أحد الشعراء الفرسان ، جاهلى قبل الإسلام بدهر ، وهو فارس العصا ، « المؤتلف والمختلف ص ٣٠ ، والاشتقاق ٣٣٦ » .

(٦) كتيبة رجراجة ، التى تموج من كثرتها ، والرجراج هنا المضطرب .

وَتَفرَّقَتْ زُرْقُ الأَسنَّةِ فِيهِمُ ... تَسْقِى المنايا مالَهُنَّ مِزَاجُ
نَزَلَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ فَوْقَ رؤُوسِهِمْ ... ولكُـلِّ رأسٍ كَوْكَبٌ وَهَّـاجُ (١)

وَحَسْبُكَ بِهذَا حُسنًا وَحلاوةً .

وقال مُسلِمٌ (٢) :

فى عَسْكَرٍ تَشْرَقُ الأَرْضُ الفَضَاءُ بِهِ ... كاللَّيلِ أَنْجُمُهُ القُضبَانُ والأَسَلُ

وَقَال العَتَّابِيُّ (٣) :

تَبْنِى سَنَابكُها مِن فَوقِ أرؤسِهم ... سَقْفًا كواكِبُهُ البِيضُ المباتِيـرُ (٤)

أَرَادَ بالسَّقْفِ : الغُبَارَ ، وَذَهَبَ إلى قَوْل بشارٍ (٥) :

جَعَلْنَا سَمَاءً فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا ... سُيُوفًا ونَقْعًا يقْبِضُ الطَّرفَ أَقْتَمَا

أو إلى قَولِهِ الذى لايدَانِيهِ معنًى ولا يتعلّقُ بِهِ ، وَهو (٦) :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقعِ فَوْقَ رؤوسِنَا ... وأسَيافَنَا لَيْلٌ تَهاوَى كَوَاكِبُه

---

(١) هذا البيت فى الأغانى ٢١ : ٨٤ وفيه « ولكلّ قوم » ، وأنه لبشار فأدخله سلم فى قصيدته هذه التى يمدح فيها الرشيد .

(٢) ديوانه : ص ٢٥١ وفيه « تُشرِقُ » بضم المثناة فى أوله وكسر الراء المهملة . وفى شرح العكبرى لديوان المتنبى « شَرِق » ١ : ١٢٨ .

(٣) هو : كلثوم بن عمرو بن كلثوم الشاعر التغلبى من أهل قنسرين ، كان شاعرا بليغا مجيدا ، ومترسلا مطبوعا وكان يتجنب غشيان السلطان قناعة وصيانة وتنزها ، وكان منقطعا إلى البرامكة ، ومنصور النمرى راويته وتلميذه توفى سنة ٢٢١ « الأغانى ١٢ : ٣ وفوات الوفيات ٢ : ٢٨٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٨٨ » .

(٤) أسرار البلاغة ١٥١ .

(٥) فى ملحق ديوان بشار ٤ : ١٨٥ وانظر تخريجه هناك ، وفيه « خلقنا سماء » .

(٦) ديوانه ١ : ٣٣٥ .

وَلَوْ قَالَ : لَيْلٌ تضيءُ كَوَاكِبُه ، أَوْ تَلُوحُ كَوَاكِبُه ، أَو تُنِيرُ ، لَكَانَ أَيْضًا قَوْلًا مُسْتَقيما ، فَلَمَّا قَالَ : تَهَاوَىٰ كَوَاكِبُه ، استَوْفَى المعنى بأسرِهِ ، وانتهى إلى غَايةِ التشْبِيه ، وكَمَالِ الوصْفِ .

وقال مُحمّد بنُ وُهَيبٍ[١] :

وأرعَنُ فيه للسَّوابغ لُجَّةٌ وَسقْفُ سَمَاءٍ أنشأَتْهُ الحَوافِرُ[٢]
/ له فَلَكٌ فَوْقَ الأَسِنَّةِ دائِرٌ ونَقْعُ المَنَايَا مُسْتَطِيرٌ وَثَائِرُ[٣] ٩٣

وَلَوْلا أنّ قَصْدِىَ الإجمالُ والاختصارُ ، لَأَوْرَدْت فِي هَذَا البابِ مِن أَوْصَافِ الجُيُوش والكَتَائِبِ أَكْثَرَ مِمَّا أوردتُهُ ، وفِيمَا ذَكَرتُهُ مُقْنِعٌ لَكَ فِى أنَّ الطّائِيَّيْنِ قد قَصَّرا عن جَميعِ معانِيه ، ولم يُبْدِعا فِى البابِ إبدَاعًا يتقدّمانِ بِه غيرَهُما ، ولا يساوِيانِه ، ومن شأنِ المُتَأَخِّر أن يَزِيدَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ ، أو لايَعْرِضَ للمَعْنَى .

* * *

---

(١) فى الأصل « بن وهب » .

(٢) البيت والذى يليه من قصيدة له فى الأغانى يمدح فيها الحسن بن سهل وفيه « للسوابغ جنّة » « الأغانى ١٧ : ١٤٤ » .

(٣) فى الأغانى « لها فلك فيه الأسنة أنجم » .

ما قالاه في الرأي والتدبير في الحرب

والمكر والخديعة والحزم وإمضاء العزم

قال أبو تمَّامٍ فى أبى دُلَف[1] :

وَيَومَ أرشَقَ والهَيْجاءُ قَدْ رَشَقَتْ ... مِنَ المَنيَّةِ رَشْقًا وابِلًا قَصِفَا
فَكَانَ شَخْصُكَ فِى أغفالِها عَلَمًا ... وَكَانَ رَأيُكَ فِى ظلمائِهَا سَدَفَا

« وابِلً » شبَّهَهُ بالمَطَر ، والوابِلُ : الشَّدِيدُ .

وقَولُهُ « فى أغْفَالِها » أى : المَوَاضِعُ الخَالِيةُ من الفُرسَانِ وأهْلِ الحِمَايةِ ، أو : فى المواضِعِ التى يُخْفِى فِيها الفُرْسَانُ أنفُسَهم لِشدَّة الأمْرِ .

وَقَوْلُه « وَكَانَ رأيُكَ فى ظَلمَائِها سَدَفَا » والسَّدَفُ : اختلاطُ الضَّوءِ بالظُّلْمَةِ ، ولِهذَا يُذكَرُ فى الأضدَادِ ، فيُجْعَلُ مَرَّةً الضَّوْءَ ، ومَرَّة الظُّلْمَةَ ، وَلَوْ جَعَل رأيَهُ كالنَّهارِ ، كان أجودَ على مَذْهَبِهِ ، ولكن قد يُستَعمَلُ فى هَذَا أن يُقَالَ : قد وضُحَ هَذَا الأمْرُ كالفَجْر ، وقَدْ بَانَ كالفَجْرِ ، والسَّدَفُ : هُوَ وقْتُ الفَجرِ وبَعْدَهُ أيْضًا ، ولكنَّ لَفْظَةَ الفَجْرِ في هَذَا أجودُ مِنَ السَّدَفِ وأحسَنُ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٥٦ وشرح التبريزى ٢ : ٣٦٧ وفيهما « فى يوم » .

وقَالَ فى أبى سَعِيدٍ[1] :

وصَلِيبُ القَنَاةِ والرَّأىِ والإسـ ـلامِ ، سَائِلٌ بذاك عنه الصُّلِيبَا
حَيَّةُ اللَّيلِ[2] يُشمِسُ الحَزمُ فِيه حِينَ فَاءَت شَمسُ النَّهارِ الغُرُوبَا

قَوْلُه : « صَلِيبُ القَناة » يُرِيدُ رُمْحَه ، وليس يُريدُ صُلْبَهُ وظَهْرَهُ ، ولو كانَ أرادَ ذَلِك لما كان مَدحًا .

و « صليبُ الرَّأىِ » جَائِزٌ سائِغٌ ، و « صَليبُ الإسلام » [فيه][3] قُبْحٌ لأنَّه غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ[4] ، ولكنَّ المَنْسوقَ قد يُحْمَلُ على ما نُسِقَ عليه ، إذا كان مقاربًا له .

وقولُهُ : « يُشْمِسُ الحَزمُ فيه » أى : يُضِيءُ ويَسْتَنِيرُ ، كأنَّهُ يُرِيدُ أنَّه يَظْهَرُ صَوابُهُ .

وَقَوْلُهُ : « حين فَاءَتْ شَمْسُ النَّهارِ غُروبًا » أى : يُشْرِقُ حَزْمهُ حَتَّى يُضِيءَ لِنُورِهِ اللَّيلُ[5] .

وقال فى هذه القصيدةِ[6] :

سَكَّنَ الكَيْدَ فيهِمُ إنَّ من أعْـ ـظَمِ إرْبٍ ألَّا يُسَمَّىٰ أرِيبَا

---

(١) ديوانه ١ : ٢٥٣ وشرح التبريزى ١ : ١٦٢ ، ١٦٨ .

(٢) ديوانه والتبريزى : « إن أرادت شمس النهار الغروبا » .

(٣) ساقطه من الأصل والتصحيح من النظام .

(٤) الذى نقله ابن المستوفى فى النظام جـ ١ لوحة (٨٣) من تعليق الآمدى فيه زيادة عما ورد هنا وهى قوله : « كثيرا ما يقولون : فلان صُلْبٌ فى دينه ، قوىّ شديد ، أما إذا لم يستعمل مع لفظة الإسلام فنعم وفيه نظر ، وإن كان الدين هو الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ إنّ الدين عند الله الاسلام ﴾ » .
وهذا ساقط من نسختنا الوحيدة .

(٥) قال أبو العلاء : « تقول العرب حَيَّةَ الوادى وحَيَّةُ الجبل ، فأما حيّة الليل فيجوز ألا يكون أحدٌ استعملها قبل الطائى » التبريزى ١ : ١٦٨ ، ونقل ابن المستوفى تعليق الآمدى السابق لوحة (٨٥) .

(٦) ديوانه ١ : ٢٥٣ وشرح التبريزى ١ : ١٦٤ وفى ديوانه : « ساكن الكيد » .

مَكْرُهُمْ عِندَهُ فَصيحٌ وإن هُمْ خَاطَبوا مَكْرَهُ رَأَوْهُ جَلِيبَا

قَوْلُهُ : « سَكَّنَ الكيدَ فِيهم » أى : أَخْفَاهُ ، و « سَكَّنَ » لا يَنُوبُ منابَ « أَخفَىٰ » ولا يُستَعْمَلُ أيضًا فى هذا المَوْضِعِ .

ثمّ قالَ : « إنّ من أعظَمِ إرْبٍ ألّا يُسمَّى أرِيبَا » و « الإرْبُ » : الدَّهاءُ ، يُرِيدُ أَنَّهُ لَمّا أَخفَى كَيْدَه ، فَقالوا : لَاكيدَ لَهُ ، فقالَ : إنَّ من أَعْظَمِ إرْبٍ ، أَىْ : من أَعْظَمِ دَهاءٍ أَلّا يُسمّى داهِيًا ، أى : إنَّ من أَعْظَم دَهائِه أن يُخْفِيَ كَيْدَهُ فلا يَظُنُّوا به الدَّهاءَ .

ثمّ قال : « مَكْرُهم[1] عِندَه فَصيحٌ » أى : ظَاهِرٌ بَيِّنٌ .

« وإن هُمْ خَاطَبوا مَكْرَه رَأَوهُ جَليبا » يُرِيدُ : أَعْجَمِيًّا مَجْلوبًا ، فجَعَل المَكرَ يُخاطَب ، وجعلَه أعجميًا ، ودلَّ على عُجْمَتِهِ بالجَلَبِ ، وما أظنُّ أبالعِبَرِ لو تَعمَّلَ للسُّخْفِ كانَ يَنْتَهِى إلى هذا الحَدِّ[2] .

وقال فى أبى سعيد[3] :

كَادَتْ تُحَلُّ طُلاهُمْ من جَماجِمِهِمْ لو لَم يَحُلُّوا بِبَذْلِ الحُكْمِ ماعَقَدُوا

لَكِن بَذَلْتَ لهم رأىَ ابنِ مُحْصِنَةٍ يَخالُهُ السَّيفُ سَيْفًا حين يُجْتَهَدُ[4]

قولُهُ : « يَخالُهُ السَّيفُ سَيْفًا » من إغراقِه المَعرُوفِ الذى لاحلاوةَ لَهُ ولا تَحصيلَ فيه .

---

(١) فى الأصل « مكره » .

(٢) نقل ابن المستوفى تعليق الآمدى السابق على البيتين فى النظام لوحة ٨٣ .

(٣) ديوانه ١ : ٤٢٨ وشرح التبريزى ٢ : ٢٠ .

(٤) ديوانه والتبريزى « بذلت » . وفيهما : « يَجْتَهِدُ » بالبناء للمعلوم ، وقال : والأحسن أن يكون يَجْتَهِد ها هنا : للسيف ، لأنه أبلغ فى المدح .

وقال البحتريُّ فى عليِّ بنِ مُرٍّ[1] :

إذا ارْتَقىٰ فى أعالِى الرَّأىِ لاحَ لَهُ ... مافى الغُيوبِ التى تَخْفىٰ فَتسْتَتِرُ
توسَّطَ الدَّهْرَ أحْوالًا ، فلا صِغَرٌ ... عن الخُطوبِ التى تَعْرُو ، ولا كِبَرُ
كالرُّمحِ أُذْرُعُه عَشْرٌ وواحِدَةٌ[2] ... فليسَ يُزْرِي بِهِ طُولٌ ولا قِصَرُ
مُجَرَّبٌ طالمَا أَشْجَتْ عزائِمُهُ ... ذَوى الحِجَا ، وهو غِرٌّ بَيْنَهمْ غُمُرُ
آراؤُه اليومَ أسيافٌ مُهنَّدَةٌ ... وكانَ كالسَّيفِ إذ آراؤُهُ زُبَرُ

قوله : « آراؤُهُ اليومَ أسيافٌ مُهنَّدَةٌ » أى : ماضِيَةٌ ، لأنَّه قَدْ كَمُلَ فى عَقْلِهِ وتَجارِبِه ، فكانَ فى نَفْسِهِ كالسَّيفِ ، « إذْ آراؤُه زُبَرُ » ، أى : لم تطبع ، يُرِيدُ : لم يُسْتَكْمَلْ ، يقولُ : إنَّه اليومَ يُمضِى الأمورَ بآرائِهِ بِحِنْكَتِه وتَجْرُبَتِهِ ، وكان قبل الحِنْكَةِ والتَّجْرُبَةِ يُمْضيها بِمُباشَرَتِهِ إيَّاها بِنَفْسِهِ بِشَجاعَتِهِ وإقدامِهِ .

٩٤ / وقال أبو تَمَّام فى عُمَر بنِ عَبْد العَزيز الطَّائىِّ[3] :

نِعْمَ الفتى عمرٌ فى كُلِّ نائِبَةٍ ... [نَابَتْ] وقُلْ لَهُ «نِعْمَ الفَتَى عُمَرُ»[4]
مُجرَّدٌ سَيْفَ رَأْيٍ من عَزيمَتِهِ ... للدَّهْرِ صَيْقَلُهُ الإِطْرَاقُ والفِكَرُ
عَضْبًا إذا سَلَّهُ فى وَجْهِ نَائِبَةٍ ... جاءَتْ إِلَيْهِ صُروفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ

يريد : مُجَرِّدٌ للدَّهْرِ سيفَ رأيٍ ، وهذه مبالغَةٌ فى غايَةِ الحُسْنِ والجَوْدَةِ والحلاوةِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٩٥٦ .

(٢) فى الأصل : « عشر واحدة » .

(٣) ديوانه ١ : ٥٣٣ وشرح التبريزى ٢ : ١٨٨ .

(٤) ما بين القوسين ساقطة من الأصل ، وفى التبريزى : « وقلت له » .

وقال البحترىُّ فى أبى سعيد :[1]

يَبيتُ وراءَ «النَّاطُلُوقِ» ورَأْيُهُ يَجُزُّ بأقْصىٰ «السَّيْسَجانَ» المَفاصِلَا[2]
إذا اسودَّ فيه الشكُّ كان كَواكِبًا وإن سَارَ فيه الخَطْبُ كان حَبائِلَا

« النَّاطُلُوق » : بِبَلدِ الرُّومِ ، و « السَّيْسَجانُ » : من بِلادِ المَشْرِقِ ، أَظُنُّه من « سِجِسْتَانَ » . أرادَ أنّه إذا كان غَازِيًا ، فإنّهُ لا يَغْفُلُ مابَعُدَ عَنه من الأمورِ التى وُكِلَتْ إليه ، وعُوِّلَ فيها على رأيِهِ ، وهذا مَعنًى حَسَنٌ جدًّا .

وقالَ فى أبى سعيدٍ ، يَذكُر كَيْدَه وتَدْبيرَه فى الظَفَرِ بِبُقْرَاطَ بن أَشُوطَ :[3]

بِتَدبيرِكَ المَيْمُونِ أُغْلِقَ كَيْدُهُ [عَلَيهِ] ، وكَلَّتْ سُمْرُهُ وبَواتِرُهْ
وطَيِّكَ سِرًّا لو تَكَلَّفَ طَيَّهُ دُجَى اللَّيْلِ عَنَّا ، لم تَسَعْهُ ضَمائِرُهْ

وهذا هُو التَّدبيرُ والكَيْدُ الصَّحيحُ ، لاقولُ أبى تَمَّامٍ :

« سَكَّنَ الكيدَ فِيهِم »

وقولُهُ :

« مَكْرُهُمْ عِندَه فَصِيحٌ »

---

(١) ديوانه ٣ : ١٦٠١ « الناطلوق » : موضع ذكره أبو تمّام فى شعره ، وقال شارح ديوان البحترى : الأناضول . « راجع ٣ : ١٤٦٩ » .

(٢) فى الأصل « السّجسحان » وانظر تعليق الآمدى . و « السيسجان » : بلدة بعد « أران » افتتحها حبيب بن مسلمة ، وذلك فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه . « ياقوت » .

(٣) ديوانه ٢ : ٨٧٩ والذى ظفر ببقراط بن أشوط — وهو « بطريق البطارقة » فى أرمينية — هو يوسف بن محمد ، وهو ابن أبى سعيد محمد بن يوسف « انظر ابن الأثير أخبار سنة ٢٣٧ ، والطبرى ٩ . ١٨٧ دار المعارف » . وبقراط بن أشوط هو بطريق البطارقة بأرمينية ، خرج يطلب الإمارة فأخذه يوسف بن محمد وقيده ، وبعث به إلى باب الخليفة ، فأسلم بقراط وابنه . وما بين الحاصرتين ساقط من الأصل

وقال فى أبى سعيد:[1]

فى عارضٍ يَدِقُ الرَّدىٰ ألْهبْتَهُ   بصَوَاعِقِ العَزَمَاتِ والآرَاءِ

العارِضُ : السَّحابُ ، وإنّما يُرِيدِ الجَيشَ .

« يَدِقُ الرَّدىٰ » : يَنْرى[2] الرَّدىٰ ويُمْطِرهُ ، من الوَدْقِ : وهو القَطْرُ إذا أُرسَلَهُ السَّحابُ . والوَدِيقَةُ : شِدَّةُ الحَرِّ ، لِدُنُوِّ الشَّمْسِ من سَمْتِ الرُّؤوسِ .

وقال:[3]

عَزَماتٌ يُضِئْنَ دَاجِيَةَ الخَطْـ   ـبِ، وإن كُنَّ من وراءِ حِجَابِ[4]

يَتَوقَّدْنَ والكـواكِبُ مُطْفَـا   ةٌ ، ويَقْطَعْنَ والسُّيوفُ نَوابِ

وقال البُحْتُرِيُّ:[5]

حتى إذا كادَتْ مَصابِيحُ الدُّجىٰ   تَخْبُـو وكادَ مُمَـرُّهُ يتَـقَضَّبُ[6]

ضَرَبَ الجِبالَ بِمِثْلِها من رَأيِهِ   غَضْبانَ يَطْعَنُ بالحِمامِ ويَضْرِبُ

وقال فى أبى سعيد:[7]

ثَمَّ فَرَّقْتَ من كتائِبِ آرا   ئك جُنْدًا لايَأْخُـذونَ عطَـاءَ[8]

بَينَ ضَرْبٍ يُفَرِّجِ الهامَ أنْصا   فاً ، وطَعْـنٍ يُفَـرِّجُ الغَمّـاءَ[9]

---

(١) ديوانه ١ : ١٢ .

(٢) كذا فى الأصل

(٣) ديوانه ١ : ٨٥ .

(٤) ديوانه « ولو كان من وراء حجاب » .

(٥) ديوانه ١ : ٧٥ .

(٦) ديوانه : « مصابيح الهدى » ، المُمَرُّ : من المريرة وهى الحبل الشديد الفتل ، يتقضب : يتقطع .

(٧) ديوانه ١ : ١٨ .

(٨) ديوانه : « يوم فرقت » .

(٩) ديوانه : « يفلّق الهام » .

وَيَودُّ العَدوُّ لَو تُضْعِفُ الجَيـ ـشَ عَليهِـــمْ وتَصْرِفُ الآراءَ (١)

وقال فى الخِضْر بن أحمد التَّغْلِبِىِّ (٢) :

مُسْتَشارٌ فى المُعْضِلاتِ إذا مَا ارْ تَفَع الخَطْبُ عن نِداءِ وَلِيدِهْ

ومُصيبٌ مَفاصِلَ الرَّأيِ إن حا رَبَ كانَتْ آراؤُه من جُنودِهْ

قَوَّمَتْ عَزْمَهُ الأصَالَةُ ، والرُّمـ ـحُ يُقيمُ الثِّقافُ من تأْوِيدِهْ

وأجودُ من هذا كُلِّه وأَشْبَهُهُ بِوَصْفِ الرَّأيِ قولُ أبى تَمَّامٍ فى مَدْحِ أبى دُلَفٍ (٣) :

وقد عَلِمَ الأفْشِينُ وهو الذى بِهِ يُصانُ رِداءُ المُلْكِ عن كُلِّ جَانِبِ (٤)

بأنَّكَ لما استَحنك الأَمْرُ (٥) واكْتَسى أهابِىَّ تَسفِى فى وُجوهِ التجَارِبِ

تَجلَّلْتَهُ بالرَّأيِ حتى أَرَيْتَه به مِلْءَ عَيْنَيْهِ مكانَ العَواقِبِ

بأرْشَقَ إذ سَالَتْ عليهم غَمامَةٌ جَرَتْ بالعَوالِى والعِتَاقِ الشَوازِبِ

نَصَلْتَ له سَيْفَينِ رَأيًا ومُنْصُلًا (٦) وكلٍّ كَنَجْمٍ فى الدُّجُنَّةِ ثَاقِبِ

وكُنْتَ متى تُهْزَزْ لِخَطْبٍ تُغَشِّهِ ضَرائبَ أمضىٰ من رِقاقِ المَضارِبِ (٧)

وهذا إحسانٌ يجبُ أن يُعْفىٰ لأبى تمَّام من أَجْلِه عن كُلّ إساءَةٍ .

وقد سَلَكَ البُحْتُرِىُّ (٨) هذه السَّبيلَ فقال :

---

(١) ديوانه : « ويودّ » بالموحدة التحتية .

(٢) ديوانه ١ : ٥٩٨ .

(٣) ديوانه ١ : ٢٨٤ والتبريزى ١ : ٢١٠ .

(٤) ديوانه والتبريزى « جادب » .

(٥) فى الأصل : « استحكك » ، والتصحيح من ديوانه ، وفى شرح التبريزى « استحنكك » .

(٦) التبريزى : « نضدت له رأيين سيفا ومنصلا » .

(٧) ديوانه « رقاب » .

(٨) ديوانه ١ : ١٨٣ .

إلى صامتىٍّ الكَيْدِ لو لَمْ يَكنْ لَهُ ... قَريحةُ كَيدٍ لاكْتفىٰ بالتَّجارِبِ[(1)]
عَليمٌ بما خَلْفَ العَواقِبِ إنْ سَرَتْ ... رَوِيَّتُهُ فَضْلًا بما فِى العَـواقِبِ
وصَيْقَلُ آراءٍ يَبِيتُ يَكرُّها[(2)] ... ويَشْحَذُها شَحْذَ المُدىٰ للنَّوائِبِ
مُحَرِّقُ[(3)] تَحريقَ الصَّواعِقِ أُلْهِبَتْ ... بِرَعْدٍ ، وتَنْقَضُّ انْقِضَاضَ الكَواكِبِ

وهذا لعَمْرى جَيِّدٌ بَالِغٌ ، ولكِنَّه يَقْصُرُ عن قَولِ أبى تَمَّامٍ .

والذى هُو فى غَايَةِ الجَوْدَةِ ، قَوْلُهُ فى أبى نَهْشَلٍ بن حُمَيْدٍ[(4)] :

إذا مارَمىٰ بالرَّأْىِ خَلْفَ أَبِيَّةٍ ... من الأَمْرِ يَومًا أَدْرَكَتْهُ مَكائِدُهْ[(5)]
لَهُ فِكَرٌ بين الغُيوبِ إذا انْتَهىٰ ... إلى مُقْفَلٍ مِنْها فَهُنَّ مَقَالِدُهْ
صَواعِقُ آرَاءٍ لو انْقَضَّ بعضُها ... على « يَذْبُلٍ » لانْقَضَّ أو ذَابَ جَامِدُهْ

وحَسْبُكَ بهذا جودةً .

وقال البحترىَ أيضًا فى « الفتح »[(6)] وهو من فَاخِرِ كَلامِهِ :

بَعِيدُ مَقِيلِ السِرِّ لايُدْرِكُ التى ... يُحاوِلُها مِنْهُ الأَرِيبُ المُخَـادِعُ[(7)]
ومُكْتَتِـمُ التَّدْبِيـرِ لَيْسَ بِظَاهِـرٍ[(8)] ... على طَرْفِه الرَّأْىُ الـذى هو تَابِـعُ
ولايَعْلَمُ الأَعْداءُ من فَرْطِ عَزْمِهِ ... متَى هُو مَصْبُوبٌ علَيهِم فَواقِعُ

---

(١) الصامتى : منسوب إلى صامت من بنى عمرو بن طيئ « الاشتقاق ص ٣٩٦ ، وجمهرة الأنساب ص ٤٠٤ » .
(٢) ديوانه : يكدّها .
(٣) ديوانه : « يحرق ... وينقض » .
(٤) ديوانه ١ : ٥٨٣ .
(٥) ديوانه : « مصائده » .
(٦) ديوانه ٢ : ١٣٠٥ .
(٧) ديوانه : « لا يقبل » .
(٨) ديوانه « على سرّه » .

خَلائِقُ ماتَنْفَكُّ تُوقِفُ حاسِدًا ... لَهُ نَفَسٌ فى إثْرِها مُتَراجِعُ

ولَنْ يَنْقُلَ الحُسَّادُ مَجْدَك بَعْدمَا ... تَمَكَّنَ رَضْوَىٰ واطْمَأَنَّ مُتالِعُ (١)

وقال أبو تمّام فى أبى سعيد (٢):

يَقْظَانُ أُحْصَدَتِ التَّجارِبُ عَقْدَهُ ... شَزْرًا وثُقِّفَ حَزْمُهُ تَثْقِيفَا

واسْتَلَّ من آرائِهِ الشُّعَلَ التى ... لو أَنَّهُنَّ طُبِعْنَ كُنَّ سُيُوفَا

كَهْلُ الأَنَاةِ فَتى الشَّذَاةِ إذا غَدا ... لِلرَّوْعِ كانَ القَشْعَمَ الغِطْرِيفَا

وقد أحسنَ البحتريُّ فى هذا الباب إحْسانًا كثيرًا إلَّا أنَّ أبا تمّامٍ فيهِ عِندى أَشْعَرُ منه .

* * *

(١) سبق فى ١ : ٣٥٣ .

(٢) ديوانه ٢ : ٣٨٢ الشذاة : بأس الرجل ، القشعم : المسن ، الغطريف : الحدث أو السيد « ديوانه وشرح التبريزى » .

ما قالاهُ في وَصْفِ الحَرْب

قال أبو تمّام:[1]

فى مَعْرَكٍ أَمَّا الحِمامُ فَمُفْطِرٌ ... فى هَبْوَتَيْهِ والكُماةُ صِيامُ
والضَّرْبُ يُقْعِدُ كُلَّ قَرْمٍ كَتيبَةٍ[2] ... شَرِسِ الضَّرِيبَةِ والحُتوفُ قِيَامُ
فَفَصَمْتَ عُرْوَةَ جَمْعِهِم فِيهِ وقَدْ[3] ... جَعَلَتْ تُفَصَّمُ مِن عُراهَا الهَامُ

« الهَبْوَةُ » : الغَبَرَةُ ، وجَعلها هَبْوَتَيْنِ ، يريد غَبرَةَ هَؤلاءِ وهَؤلاءِ فى الكَرِّ والرُّجوعِ ، وقد يَجوزُ أن يَكونَ أرادَ هَبوةً واحِدةً فثَنَّاهَا مَرَّتَيْن[4] [!] . و « الضَرِيبَةُ » الخُلُقُ والطَّبِيعَةُ .

وقال فى مدح أبى سعيد:[5]

وَيَومٍ يَظَلُّ العِزُّ يُحْفَظُ وَسْطَهُ ... بِسُمْرِ العَوالِى والنُّفوسُ تُضَيَّعُ
مَصيفٌ من الهَيْجَا ومن جَاحِمِ الوَغَى ... ولكِنَّهُ من وَابِلِ الدَّمْعِ[6] مَرْبَعُ

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٩ والتبريزى ٣ : ١٥٦ .
(٢) ديوانه : « الضرب ، يقعد ... » وفيه وفى التبريزى « يُقْعد قَرْمَ كُلِّ كتيبةٍ » .
(٣) ديوانه والتبريزى : « عن » .
(٤) كذا فى الأصل والصحيح « فثناها » ، وكلمة « مرتين » لا محلّ لها .
(٥) ديوانه ٢ : ١٥ والتبريزى ٢ : ٣٣٠ .
(٦) التبريزى « الدم » .

« المَصيِفُ » : هو المَوضِعُ الذى يَصيِفُونَ فيهِ ، و « المَرْبَعُ » : مَنْزِلُهم فى الرَّبِيعِ ووَقْتِ المَطَرِ والخِصْبِ .

وقال أبو تمّام[1]:

وَمَشْهَدٍ بين حُكْمِ الذُلِّ مُنْقَطِعٌ صَالِيه أو بِحِبَامِ المَوْتِ مُتَّصِلُ[2]

ضَنْكٍ إذا خَرِسَتْ أَبْطالُهُ نَطَقَتْ فيه الصَّوارِمُ والخَطِّيَّةُ الذُّبُلُ

لايَطْمَعُ المَرءُ أن يَجْتَابَ ظُلْمَتَه[3] بالقَولِ مالَمْ يَكنْ جِسْرًا لَهُ العَمَلُ

قوله : « بين حُكمِ الذُّلِّ » ردىءٌ ، لأنّ حُكمَ الذُّلِّ ليس يُرادُ به أشياءَ متفرّقةً ، فيَصْلُحُ فيها « بين » ، لأنّ حُكمَ الذُّلِّ ، والذُّلُّ بِمَنْزِلَةٍ ، وكذلك حكمُ العزِّ والعِزُّ وحُكْمُ الظُّلمِ والظُّلمُ ، وحكمُ العَدْلِ والعَدْلُ ، وقد بيّنْتُ هذا فى بابِ أغالِيطِه ، وهو الجزءُ الثّانى من جُمْلَةِ كِتَابِ الموازَنةِ[4].

وليس هذا من اللُّحونِ التى يُتجَاوَزُ فى مثلها ، مثلُ تَسْكينِ مايَجبُ أن يكونَ مَنصُوبًا ، أو تحريكِ ما يَجبُ أن يكونَ سَاكِنًا ونحوِ ذلك ، لأنّ هذا فَسادٌ فى اللّفظِ ، وذلك فسادٌ فى اللّفظِ والمَعْنىٰ ، وكان يَنْبَغِى أن يقولَ : وَمَشْهَدٌ بَيْنَ[5] حُكمِ الذُّلِّ وحُكْمِ العِزِّ ، لأنّه قد قالَ : « مُنْقطِعٌ صالِيهِ » يُرِيدُ فِرارَهُ عن الحَربِ ، « أو بِحبَالِ المَوْتِ مُتَّصِلُ » ، الذى لايَبرَحُ مكانَهُ حتّى يُقْتَلَ أو يَظْفرَ[6] .

---

(١) ديوانه ٢ : ١٨٥ والتبريزى ٣ : ١٦ .

(٢) « وقال أبو العلاء : يجوز فى « منقطع » الرفع والخفض فالخفض على أنه وصف للمشهد إذ كان الضمير قد رجع إليه فى قوله « صاليه » ، والرفع على أن يجعل خبرا « لصالية » قُدّم عليه » ، وفى ديوانه والتبريزى « أو بحبال » .

(٣) فى التبريزى : « غمرته » وفى ديوانه « لجته » .

(٤) انظر ١ : ٢٣٨ .

(٥) فى الأصل : « أن يقول : حكم الذل .... » والزيادة من ١ : ٢٣٨ .

(٦) أخطأ الآمدى فى فهم معنى البيت مما أداه إلى تخطئة أبى تمّام ، والمعنى الواضح للبيت أن صالىَ مشهد الحرب بين حُكم الذل وهو الفرار أو الاتصال بحبال الموت بالثبات فى الحرب . =

ثمّ قال :

جَلَّيْتَ والموتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ   وقد تَفَرْعَنَ فى أَفْعالِهِ الأَجَلُ (١)

وقد عابَهُ النّاسُ بهذا ، وقالُوا : اشتَقَّ للأَجَلِ – الذى هو مُطِلٌّ على النُّفوسِ – فِعْلًا من اسم فِرْعونَ ، وقد أتى الأَجَلُ على نَفْسِ فِرْعَونَ ، وعلى كُلِّ فِرْعونٍ ، كان على وجه الأرض. (٢)

وقال : (٣)

وإذا كان عَارِضُ الموتِ سَحًّا   خَضِلًا بالرَّدى أَجشَّ هَزِيما
فى ضِرامٍ من الوَغَى واشْتِعالٍ   يُحْسَبُ الجَوُّ مِنْهُمَا مَحْمُومَا (٤)

« عارِضُ المَوتِ » : سحَابُ المَوْتِ ، « أجش » : ذو رَعْدٍ . وقولُهُ : « يُحَسَبُ الجَوُّ مِنْهُما مَحْمَوما » مِمّا أَنْكَرَهُ النَّاسُ عَلَيهِ ، وإنَّما ذَهَبَ إلى نَحوِ قولِ امرىءِ القَيْسِ : (٥)

إذا رَكِبُوا الخَيْلَ واسْتَلأَمُوا   تَحرَّقَتِ الأَرْضُ واليومُ قَرّ

وهذا هو الوصفُ الذى لاشىءَ يَفوقُه ، فجعَلَ أبو تَمامٍ الجوَّ مَحْمومًا .

وقال فى أبى سعيدٍ : (٦)

فى مَوْقِفٍ وَقَفَ المَوتُ الذُّعافُ بِهِ   والمَجْدُ يُوجَدُ والأَرْواحُ تُفْتَقَدُ

= وقال المرزوقى فى « شرح مشكل شعر أبى تمّام ص ١٧ » : يريد مشهد حرب بين حكم الذل ، أى من ضعف فيه وعجز حكم عليه بالذل منقطع صاليه ، أى من صلى به ، انقطع وسقط أو يتصل بحبال الموت فينجو من الذل والانقطاع .

(١) ديوانه : « فى أقطاره » والتبريزى : « فى أوصاله » .

(٢) انظر ١ : ٢٣٨ .

(٣) ديوانه ٢ : ٤٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٢٨ .

(٤) ديوانه والتبريزى : « تَحْسِبُ – يحْسِبُ » بالبناء للمعلوم ، والتبريزى : « مهموما » .

(٥) ديوانه : ص ١٥٤ .

(٦) ديوانه ١ : ٤٢٥ والتبريزى ٢ : ١٢ ، وفيهما « الزعاف » بالزاى ، وموت زعاف وذعاف وذؤاف وزؤاف : شديد ، وفى التبريزى « فالموت يوجد » .

٩٦ / وقال البحترىّ[1][2] :

وقد كان التُّرابُ جَنادِلا

أرادَ أنّ الجَيْشَ طحَنَ الصَّخْرَ بحوافِرِ الخَيْلِ لِكَثْرَتِهِ ، حَتّى صارَتْ تُرابًا ، وإنَّما أَلَمّ بقولِ زَيدِ الخَيْلِ[3] :

وَمجْرٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَراتِهِ   تَرى الأُكْمَ فيهِ سُجَّدًا لِلْحَوافِرِ

وقولُهُ : « وقد كانَ التُّرابُ جَنادِلا » ، يُرِيدُ : وقدْ كانَ تُرابُ الفَلَا أيضًا جَنادِلَ ، فصيَّرَتْهُ حوافِرُ خَيلِنا تُرابًا قبلِ هذا الوَقْتِ ، أو أنْ يكونَ أرادَ : فاغْتَدىٰ جَنْدَلُ الفَلاةِ تُرابا ، بعد أنْ كانَ جَنادِلَ ، أى بعدَ أنْ كانَ بالأَمْسِ جَنادِلَ ، وهذا أشْبَهُ من المَعنىٰ الأَوَّلِ ، لأَنَّ ذَاكَ يُوجِبُ أنْ لم يَكُنْ لِلْفَلا أَصْلًا تُرابٌ الْبَتَّةَ .

وقالَ أيضًا فى موضِعٍ آخَرَ فى وَصْفِ وَقْعةٍ أَوْقَعَها أبو سعيدٍ أَيْضًا بالرّوم[4] :

وَهَدَّةِ يومٍ لابنِ يُوسفَ أَسْمَعَتْ   من الرُّومِ مَنْ بينَ «الصَّفَا» و «الأَخاشِبِ»

أنْكَرَ النَّاسُ على مُهَلهِلٍ قَوْلَهُ[5] :

فَلوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ مَنْ بِحِجْرٍ   صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ

---

(١) الكلام غير متصل بما قبله .

(٢) ديوانه ٣ : ١٦٠٣ والبيت فيه :

أدارَ رَحاهُ فاغْتدىٰ جَندلُ الفَلا   تُرابًا ، وقد كانَ التُّرابُ جَنادِلا

وقد سبق البيت فى ١ : ٣٢٦ وروى هناك « أدار رجاه » .

(٣) سبق البيت فى ص ٢٧٧ من هذا الجزء ، وروى هناك « بجمع » .

(٤) ديوانه ١ : ١٧٨ وفيه « ما بين الصفا والأخاشب » .

(٥) الأصمعيات ص ١٥٥ وفيه « أسمع أهل حجر » « يُقْدَعُ بالذكور » ، وقال أبو العباس الأحول : أول كذب سمع فى الشعر هذا « الأمالى ٢ : ١٣٤ » والذكور : أجودُ السيوف وأَيْبَسُها .

وقيلَ كان بينَ الوَقْعَةِ وبين « حجرٍ » ، – وهى قَصَبَةُ اليَمامَة – مَسيرَةُ عَشْرةِ أيَّامٍ ، وعلى أنَّه قالَ « فَلَوْلَا الرِّيحُ » ، فجاءنَا البحتريُّ بما طَمَّ علىٰ قَولِ مُهَلهِلٍ ، فزَعَم أنَّ هذه الوقَعةَ بالرُّومِ أسْمعَتْ أهلَ مكةَ ، و « الأخاشِبُ » : جِبالُ مَكَّةَ ، وقد اعْتُذِرَ له بأنْ قِيلَ : إنَّهُ أرادَ خبرَهَا صارَ إلى أَهْلِ مَكَّةَ ، وكذا أرادَ لامَحالَةَ .

ومن إفراطِ البحتريِّ قولُهُ فى أحمدَ بنِ محمدِ بن بِسطام[1] :

وكَمْ لكَ فى الأمْوالِ من يَومِ وقْعَةٍ   طَويلٍ من الأهْوالِ فيهِ عَويلُها
ومن صَولَةٍ فى يَومِ بُؤسٍ على العِدَا   يُهالُ فُؤادُ الدَّهْرِ حين تَصُولُها[2]

قوله : « يُهالُ فؤاد الدّهر » مثل قول أبى تمّام[3] :

.... لَسَمِعْنا   لِقُلوبِ الأيَّامِ مِنْكَ وَجِيبَا

جَعلَ هذا لِلدَّهرِ فُؤادًا يُهالُ ، كما جَعلَ ذَلِكَ للأيَّامِ قُلوبًا تَجِبُ .

وقال البحتريُّ فى مَدْحِ إسحقَ بن إبراهيمَ[4] :

وَوقَفْتَ مَشْكُورَ المَكانِ كَريمَهُ   والبَيْضُ تَطْفُو فى الغُبارِ وتَرْسُبُ
مَا إنْ تَرى إلّا تَوقُّدَ كَوكَبٍ   من قَوْنَسٍ قد غَابَ فيه كَوكَبُ[5]
فَمُجدَّلٌ ، ومُرَمَّلٌ ، [و] مُوسَّدٌ   ومُضرَّجٌ ، ومُضَمَّخٌ ، ومُخَضَّبُ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٧٨ وقد سبق فى ١ : ٣٢٢ و ٣ : ١٨٨ .

(٢) ديوانه : « يصولها » .

(٣) ديوانه ١ : ٢٥٥ والتبريزى ١ : ١٦٦ والبيت :

لو أُصَخْنا من بعدها لَسَمِعْنا   لِقُلوبِ الأيَّامِ مِنْكَ وَجِيبا

(٤) هو إسحاق بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب المصعبى الخزاعى بالولاء ، صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق المتوكل ، وكان وجيها مقربا من الخلفاء ذا رأى وشجاعة توفى سنة ٢٣٥ « الطبرى ٨ : ٥٩٢ وما بعدها ، الديارات ص ٣٥ وما بعدها » ، والأبيات فى ديوان البحترى ١ : ٧٥ .

(٥) ديوانه : « فى قونس قد غار فيه كوكب » .

سُلِبُوا وأُشْرِقَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِمُ   مُحْمَرَّةً ، فكأنَّهُم لم يُسْلَبُوا[1]

وفى نحوِ قَوْلِهِ :

والبَيْضُ تَطْفُو فى الغُبارِ وتَرْسُبُ

قوله[2] :

فى مَقامٍ تَخِرُّ فى ضَنْكِهِ البَيْـ   ـضُ على البَيْضِ رُكَّعًا وسُجُودَا

وقال أبو تمّام فى إسحقَ بن إبراهيم – أَظُنُّهُ فى حرب الخُرَّمِيَّةِ[3] –:

وَقَائِعُ أَشْرَقَتْ مِنْهُنَّ جَمْعٌ   إلىٰ خَيْفَىْ مِنىً والمَوْقِفَيْنِ[4]

ثَوىٰ فى المَشْرِقَيْنِ لَهَا ضِجَاجٌ[5]   أَطارَ قُلوبَ أَهْلِ المَغْرِبَيْنِ

قوله : « أَشْرَقَتِ مِنْهُنَّ جَمْعٌ » أى : أَضاءَتْ ، من الإشراقِ والحُسْنِ ، لمَّا جاءتِ الأَخبارُ والبَشائِرُ بِذَلِكَ ، وقولُهُ : « أطارَ قُلُوبَ أَهْلِ المَغْرِبَيْنِ » لمَّا سَمِعُوا بِذَلِكَ خَوفًا[6] ، وهذا كلُّه يَسْتَقِيمُ على الوجه الذى أراده البحترىّ .

---

(١) سبق فى ١ : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ١ : ٥٩٣ ، وفى ديوانه « على البِيضِ » .

(٣) وجه المعتصم إسحق بن إبراهيم سنة ٢١٨ لقتال بابك فأوقع بهم فى أطراف الجبال « الطبرى أحداث سنة ٢١٨ » ، وجاء فى ديوان أبى تمّام فى أول القصيدة : وقال يمدح إسحاق بن إبراهيم ويذكر إيقاعه بالمحمرة أصحاب بابك ، وكانوا تواعدوا إلى موضع علم به ، فوقف لهم فيه ، فكلّ من جاء قُتِلَ وحُزَّتْ أُذُنُه ، حتى وجَّه إلى المعتصم بستين ألف أذن « التبريزى ٣ : ٢٩٧ » .

(٤) ديوانه ٣ : ١٦ والتبريزى ٣ : ٢٩٩ وفيهما « فالموقفين » وجَمْعُ : اسم لمِنىٰ أو موضع قريب منه ، وقال أبو عبيد البكرى هو : المزدلفة « معجم ما استعجم ١/٣٩٢ » : والخيف : ما ارتفع من المسيل وانحدر من الجبل .

(٥) ديوانه : « ضجيج » .

(٦) يعنى قوله :

وهلّة يوم لابن يوسف أسمعت   من الروم من بين الصفا والأخاشب

وقال البُحْتُرِىّ[(١)]:

رُبَّما كُنْتُ للأوانِسِ زِيـرًا   مُسْتهامًا بِكُلِّ بَيْضَاءَ رُودِ
كَمْ جَمَعْتُ الرَّحِيقَ والرِّيقَ مِنْها   وكِلانَا قَتِيلُ صِنْجٍ و عُودِ
وكِلانَا قد أحدثَ الرَّاحُ فيهِ   زَهْوَ عيسىَ بنِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ[(٢)]
فارِسٌ يضْرِبُ القَوانِسَ بالسَّيْـ   ـفِ إذا ما الْتَقَتْ جِبَالُ الْحَدِيدِ

وقال البُحْتُرِىُّ أَيْضًا[(٣)]:

معاقِلُهُمْ سُمْرُ القَنَا ، وعَتَادُهُمْ   شَرِيجَانِ : أَسْيافٌ وقُمْصُ حَدِيدِ[(٤)]
إذا غَمَراتُ المَوْتِ أُدْجَتْ تَكَشَّفَتْ   بِهِمْ عن أُسُودٍ زُوحِفَتْ بأُسُودِ
هُمُ أَخْمَدوا نَارَ العدُوّ ، وَأَوْقَدُوا   من الحَرْبِ نارًا غيرَ ذَاتِ خُمودِ
بِشَهْبَاءَ من مَاءِ الحَدِيدِ كأنَّها   جِبَالُ « شَرَوْرَى » أُضْرِمَتْ بوَقُودِ[(٥)]
تُرِيكَ إذا ما الحَرْبُ غَامَتْ سمَاؤُها   نجومَ صِعَادٍ فى سَماءِ صَعِيـدِ

وهذا حُجَّةٌ فى أَنَّ الصَّعِيدَ هو التُّرابُ فى الآيَةِ[(٦)].

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٠٢ .

(٢) قال محقق الديوان لم نهتد إلى شخصية عيسى بن خالد بن الوليد ، وقلت : هو عيسى بن خالد بن الوليد من ولد الحارث بن هشام المخزومى ، أبو سعد ، شاعر من أهل بغداد جيد الشعر مدح المأمون وهاجى دعبلا وكان دعبل يَنْفيه ويَسِمُهُ بالدّعى « معجم الشعراء ٩٨ ، سمط اللآلى ٥٧٨ ، طبقات الشعراء ٢٩٤ ، نهاية الأرب ٣ : ٩١ » .

(٣) ديوانه ٢ : ٧٧٩ .

(٤) ديوانه : « وكنوزهم » .

(٥) ديوانه : « لوقود » .

(٦) يريد قوله تعالى فى سورة النساء « آية ٤٣ » « يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ، ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا » .

وقوله تعالى فى سورة المائدة « آية ٦ » : « وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » .

=

وقالَ أبو تمَّامٍ[١] :

والحَرْبُ تَرْكَبُ رَأْسَها فى مَشْهَدٍ ... عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمِ[٢]

/ فى سَاعَةٍ لو أَنَّ لُقمانًا بِهَا ... وهو الحَكِيمُ لكَانَ غَيْرَ حَكِيمِ[٣] ٩٧

جَثَمَتْ طُيورُ المَوْتِ فِى أَوْكارِها ... فَتَرَكْنَ طَيْـرَ العَقْـلِ غَيْـرَ جُثُـومِ[٤]

البيتان الأَوَّلانِ فى غَايةِ الجَوْدةِ وصِحَة المَعْنىٰ .

قولُهُ : « جَثَمتْ طُيورُ المَوْتِ فى أَوْكَارِها » بيتُ رَدِىءُ القِسْمَةِ رَدِىءُ المَعْنىٰ ، لأنَّه جعلَ طَيْرَ المَوْتِ فى أوكارِها جُثُومًا سَاكِنةً لايُنفِّرُها شَىءٌ ، وطَيْرَ العَقْلِ غَيْرَ جُثُومٍ ، يَعْنى أَنَّها قَدْ نُفِّرَتْ فَطَارَتْ ، يُرِيدُ طَيَرانَ عُقولِهم من شِدَّةِ الرَّوْعِ ، وما كانَ يَنْبَغِى أن يَجْعلَ طَيْرَ المَوْتِ جثومًا فى أَوْكارِها ، وإنَّما كَانَ الوَجْهُ أن يَجَعلهَا جاثِمَةً على رُؤوسِهم ، أو وُقَّعًا عليهِم ، فأمَّا أن تَكونَ فى أَوْكارِها ، فإنَّها فى السِلْمِ وفى الأَمْنِ فى أَوْكارِها أيضًا ، وطيرُ العَقْلِ لَيْسَ بِضِدٍّ لِطَيْرِ المَوْتِ ، وإنَّما هى ضِدٌّ لِطَيْرِ الجَهْلِ ، وطَيْرُ الحياةِ هى الضِّدُّ لِطَيْرِ المَوْتِ ، وهذا المَعْنىٰ الذى رَكِبَهُ عِندى خَطأٌ ، وقد بَيَّنْتُهُ فيما قَدَّمْتُ ذِكْرَه من أَغَالِيطِهِ .

وقد أساءَ أبو تَمَّام فى هذا الباب إساءاتٍ كَثيرةٍ ، والبحترىُّ فيهِ عِنْدى أَشْعَرُ مِنْهُ .

* * *

= وقال ابن كثير : « الصعيد : قيل هو كل ما صعد على وجه الأرض فيدخل فيه . التراب والرمل والشجر والحجر والنبات ، وهو قول مالك ، وقيل ما كان من جنس التراب كالرمل والزرنيخ والنورة وهذا مذهب أبى حنيفة ، وقيل هو التراب فقط وهو قول الشافعى وأحمد بن حنبل وأصحابهما » « تفسير ابن كثير ١ : ٤٣٣ » .

(١) ديوانه ٢ : ٤٤٥ والتبريزى ٣ : ٢٦٦ وقد سبقت الأبيات والتعليق عليها فى ١ : ٢٤٤ .

(٢) فى الأصل : « بألف حكيم » والتصحيح من رواية الجزء الأول ومن ديوانه وشرح التبريزى .

(٣) فى الأصل : « وهو حكيم » والتصحيح من ديوانه .

(٤) ديوانه : « طيور الجهل » .

ذكر وصف رجال الحرب

قال أبو تمّام[1]:

مُسْتَرْسِلِينَ إلى الحُتوفِ كَأَنَّمَا　　بَيْنَ الحُتوفِ وبَيْنَهم أَرْحَامُ

هذا معنًى لَيْسَ بالجَيِّدِ ، لأَنَّ الاستِرْسالَ قد يكونُ إلى ذَوى الأَرْحامِ وقَد لايكونُ ، وهل العَداوةُ والشِّقاقُ والضَّغائِنُ إلا بين ذَوى الأَرْحامِ .

والجَيِّدُ النَّادِرُ فى هذا قولُ البُحترىِّ[2]:

تَسَرَّعَ حَتَّى قالَ من شَهِدَ الوَغَى　　لِقَاءُ أعَادٍ أم لِقَاءُ حَبـائِبِ

وَمِثْلُهُ فى الجَوْدَةِ بل أَوْكَدُ مِنه قَولُه أَيْضًا[3]:

يَمْشُونَ تَحتَ ظُبا السُّيوفِ إلى الوغَى　　مَشْىَ العِطَاشِ إلى بُرودِ المَشْرَبِ

ثُمَّ قال بعد هذا ماهو أحسنُ من كُلِّ حَسَنٍ ، وأَصحُّ من كلِّ صِحَّةٍ ، وهو قولُه[4]:

يَتراكَمُونَ على الأَسِنَّةِ فى الوَغى　　كالصُّبْحِ فَاضَ على نُجومِ الغَيْهَبِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٨ والتبريزى ٣ : ١٥٦ .

(٢) ديوانه ١ : ١٧٨ .

(٣) ديوانه ١ : ٨٢ .

(٤) المصدر السابق .

فإن كان سَمِعَ قولَ سَلْمِ الخَاسِرِ[1] :

كأنّـه والقَنـا دَوانٍ يَومٌ على لَيْلَةٍ مُغيرُ

فَعَلَيْه – واللهُ أعلمُ – حَذَا ، ولا أَدْرِى أَيُّهُما أحلىٰ وأَبْرَعُ .

وقال بَشَّارٌ[2] :

إذا الحرب قَامَتْ بِهِم شَمَّرُوا وكَانُـوا أَسِنَـةَ خِرْصَانِهـــا

وهذا أيضًا حُلْوٌ فى مَعناه .

وأجودُ منه وأحلىٰ قولُ البَرْدَخْتِ الضَّبِّىِّ[3] :

وأَشْجَعُ من أبى شِبْلَيْنِ وَرْدٌ وأَنْفَذُ فى الكَرِيهَةِ من سِنَانِ

وقال البُحترىُّ[4] :

وعَصائِبٍ يَتَهافَتُونَ إذا ارْتَمَىٰ بهِمُ [الوَغىٰ][5] فى جَاحِمِ الهَيْجَاءِ

مِثلَ اليَراعِ بَدَتْ له نَارٌ وقَدْ لَفَّتْهُ ظُلْمَـةُ لَيْلَـةٍ لَيْـلاءِ

وهذا أصَحُّ فى المَعنىٰ وأَشْبَهُ من كلِّ مامضىٰ .

وقال أبو تَمَّامٍ[6] :

حَنَّ إلى الموتِ حَتى ظَنَّ جَاهِلُهُ بأنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقًا إلى وَطَنِ

---

(١) البيت فى ديوانه « شعراء عباسيون » جمع غوستاف فون غرنباوم ص ١٠٤ وهو أيضا فى معاهد التنصيص ٤ : ٢٧ .

(٢) محاضرات الأدباء : ٣ : ١٤٨ والخرصان : الدروع أو الرماح .

(٣) هو علىّ بن خالد أحد بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، والبردخت بالفارسية ، الفارغ الذى لا عمل له ، هاجى جريرا والكميت « معجم الشعراء ١٣١ ، الشعر والشعراء ٧١٢ » .

(٤) ديوانه ١ : ١١ .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقطة من الأصل والتصحيح من ديوانه ، وفيه : « فى غمرة الهيجاء » .

(٦) ديوانه ٣ : ٣٥٧ والتبريزى ٤ : ١٤ .

وقد جاءَ البحتريُّ بالوطَنِ فى مَوضعٍ هو أَلْيَقُ به من هَذا المَوْضِعِ ، فقال :[١]

تَسْمُو إلى حِلَلِ العَلْياءِ أَنْفُسُهم كأنَّ أَنفُسَهم يَطْلُبْنَ أَوْطَانَا

وَذلِكَ لِذِكْرِه حِلَلَ[٢] العَلْياءِ .

وقد أتى به أيضا فى موضع ليس بِجَيِّدٍ فيه ، وذلك قَوْلُه :

أَلِفُوا الفِرَاقَ كَأَنَّهُ وَطَنٌ لَهُمْ لَايَقْرُبُونَ إِلَيْهِ حَتَى يَبْعُدُوا[٣]

وقال أبو تَمّامٍ[٤] :

رَكُوبٌ بَأَثْبَاجِ المَتالِفِ عَالِمٌ بِأَنَّ المَعالى بَيْنَهُنَّ المَهالِكُ[٥]

مُطِلٌّ على الرُّوحِ المَنيعِ كأنّه لِصرْفِ المَنَايا فى النُّفوسِ مُشارِكُ[٦]

وهذا من معانِيه الجيادِ ، جَعَلهُ شرَيكًا لِلمنايا فى القُدْرَةِ على النُّفوسِ . وأبْلَغُ من هذا وأَوْكَدُ وأَلْيَقُ قَوْلُهُ[٧] :

لَقيتَهُمْ والمَنايا غيرُ دَافِعَةٍ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ والمُلْتَقَى كَبِدُ

وقال البحتريُّ فى نَحْوه ، ومِنْه – واللهُ أعلمُ – أُخِذَ[٨] :

إذا الْتَهبتْ فى لَحْظِ عَيْنيهِ غَضْبَةٌ رَأَيْتَ المَنَايا فى النُّفوسِ تُؤَامِرُهْ

---

(١) ديوانه ٤ : ٢١٥١ .
(٢) حِلَل : جمع « حِلّة » بكسر الحاء المهملة أى : المنزل .
(٣) ديوانه ١ : ٦٢٧ .
(٤) ديوانه ٢ : ١٦٢ والتبريزى ٢ : ٤٦٠ .
(٥) ديوانه والتبريزى : « دونهنّ » .
(٦) ديوانه والتبريزى : « على الآجال حتى كأنه » .
(٧) ديوانه ١ : ٤٢٥ والتبريزى ٢ : ١٢ والكَبدُ : الضيق والشدة .
(٨) ديوانه ٢ : ٨٧٨ .

فجَعلَ المَنَايا مُطِيعَةً له ، تَفْعَل ما يَأْمُرها به ، فإن كانَا جَميعا سَمِعا قولَ سَلْمٍ الخَاسِرِ :

/ كأنَّ المنايا عَامِلاتٌ بِرَأْيِهِ إذا اخْتَلَفَتْ أَرْماحُهُ ومَناصِلُهْ[1] ٩٨

فمِنْه أَخذَا ، أو أَخَذه أبو تمّامٍ فأَخَذه البحتريُّ منه .

ومثلُهُ قولُ دِعْبِلٍ[2] :

وتَرىٰ المنايا تَحتَ ظِلِّ لِوَائِهِ طَوْعَ القَواضِبِ والوَشِيجِ الذُّبَّلِ

وقدْ تَجَاوزَ سَلْمٌ هذا المَعْنىٰ إلىٰ إفْراطٍ فَقَالَ[3] :

تخشى المنَايا حَدَّ صَوْلَتِهِ والجُودُ عندَ عَطائِهِ بُخْلُ

فجَعل المنَايا تَخشىٰ حَدَّ صولَته ، وجعَل الجُودَ بُخْلا لِعِظَمِ مايُعْطِى ويُنِيلُ .

وما أحسنَ عَنتَرَةَ فى قَولِهِ[4] :

إنَّ المنايا لو تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلِى إذا نَزَلُوا بِضَنْكِ المَنْزِلِ

وقال أبو تَمَّامٍ[5] :

وسائِلٍ عن أبى حَفْصٍ فَقُلْتُ لَهُ أَمْسِكْ عِنَانَكَ عَنْه إنَّه القَدَرُ

جَعلَهُ هَاهُنَا القَدرَ ، أرَاد أنَّهُ يَدْفَعُ البُؤسَ ويَصْرِفُهُ ، ويَنْفِى العُسْرَ والفَقْرَ ، لأنَّه قالَ بعد هذَا :

---

(١) لم أجده فى ديوانه المجموع .

(٢) لم أجده فى ديوانه .

(٣) لم أجده فى ديوانه .

(٤) ديوان عنترة ص ١٢٠ .

(٥) ديوانه ١ : ٥٣٤ والتبريزى ٢ : ١٨٨ .

فتًى تراهُ فَتَنْفِى العُسْرَ غُرَّتُهُ نَفْيًا ، ويَنْبُعُ من أَسْرارِها اليُسْرُ [(١)]

فوضَعَ القَدرَ هَاهُنا بحيثُ أرادَ أنَّهُ جالِبٌ للخيْرِ واليُمْنِ والغِنَى ، وليس يليقُ القَدَرُ بهذا الموضعِ ، ولو كانَ ذَكرهُ فى حَرب ، وأنَّهُ مُنصبٌ على النُّفوسِ انْصِبَابَ القَدَرِ الذى لامَردَّ لَهُ ، كان ذلك أَلْيَقَ وأشْبَه ، كما قَالَ البحترىّ [(٢)] :

ضَرَب الجِبالَ بِمِثْلِها من رَأْيِهِ غَضْبانَ يَطْعَنُ بالحِمَامِ ويَضْرِبُ
أَوْفَى ، فَظَنُّوا أنَّهُ القَدَرُ الذى سَمِعُوا بِهِ ، فَمُصَدِّقٌ ومُكَذِّبُ

ولكنَّهَ قدْ قَالَ فى مَوْضِعٍ آخَرَ وأجادَ وأَحْسَنَ [(٣)] :

بِأَسْمحَ من غُرِّ الغَمامِ سَماحةً وأَشْجَعَ من صَرْفِ الزَّمانِ وأَنْجَدِ

فَفضَّلَهُ فى السَّماحةِ على غُرِّ الغَمامِ ، وفى البَأْسِ على صَرفِ الزَّمانِ .

وقال أبو تمّام [(٤)] :

رآهُ العِلْجُ مُقْتَحِمًا عَلَيْهِ كَما اقْتَحم الفَناءُ على الخُلودِ

أخذَه من قول مُسْلِمِ بنِ الولِيدِ [(٥)] :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يَومِ ذِى رَهَجٍ كأنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَىٰ إلىٰ أَمَلِ

وقد أحسنَ كُلَّ الإحسانِ الذى يَقُولُ [(٦)] :

سَرِيعُ اخْتِلاسِ الرُّوحِ يَغدُو فلا يُرَىٰ به البَاسِلُ العادِى إليه بِبَاسِلِ

---

(١) التبريزى : « يمنا » .
(٢) ديوانه ١ : ٧٥ .
(٣) يعنى أبا تمّام . والبيت فى ديوانه ١ : ٤٣١ والتبريزى ٢ : ٢٤ .
(٤) ديوانه ١ : ٤٣٧ والتبريزى ٢ : ٣٧ .
(٥) ديوانه : ص ٩ ، وقد سبق البيتان فى ١ : ٧٨ من الموازنة .
(٦) لم أقف على قائلهما بعد .

كأنَّ لَه عَيْنًا إلى كُلِّ مُهْجَةٍ تُطالِعُ أو عِلْمًا بِطُرْقِ المَقَاتِلِ

وقال أبو تمّام[١] :

تناوَلَ الفوتَ أيدى المَوتِ قَادِرةً إذا تناوَلَ سَيْفًا مِنْهُمُ بَطَلُ

قولُهُ : « تَنَاوَلَ الفَوْتُ ... » عَويصٌ من عويصَاتِهِ ، وهو أيْضاً مُحالٌ ، وإنّما سَمِع قولَ سَعْدِ بن مالك[٢] :

هَيْهَاتَ حَالَ الموتُ دو نَ الفَوْتِ وانْتُضِىَ السِّلاحُ

« فالْفوتُ » هو النَّجاةُ ، أى حَالَ المَوْتُ دونَ النَّجاةِ ، وهذا صَحيحٌ مُسْتَقيمٌ ، فقال هو : « تنَاوَلَ الفَوتُ أيدى المَوتِ » وهذا مُحالٌ ، لأنَّ النَجَاةَ لاتَتَناوَلُها يَدُ المَوْتِ ولا تَصِلُ إلَيْها ، وإلّا لَمْ تَكُنْ نجَاةً ، وقد ذَكَرْتُ هذا فيما قَدَّمْتُ ذِكْرَه من أُغالِيطِهِ[٣] .

وقال أبو تمّام[٤] :

بَادِى المُحَيَّا لأَطْرَافِ الرِّماحِ فما يُرَىٰ بِغَيْرِ الدَّمِ المَعْبُوطِ مُلْتَثِما

يُضْحِى على المَجْدِ مَأْمُونًا إذا اشْتَجَرتْ سُمْرُ القَنَا وعلىٰ الأرواحِ مُتَّهَما

وهذا غايَةٌ فى الحُسْنِ والصِّحَّةِ ، ثمّ قالَ بَعْدَهُ :

قد قَلَّصَتْ شفَتاهُ من حَفِيظَتِهِ فَخِيلَ من شِدَّةِ التَّعبِيسِ مُبْتَسِما

---

(١) ديوانه ٢ : ١٨٨ والتبريزى ٣ : ١٨ وقد سبق البيت فى ١ : ٢٤٢ .
(٢) سعد بن مالك بن ضُبَيْعة ، أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها فى الجاهلية ، وكان شاعرا ، وهذا البيت من أبيات قالها سعد يعرّض بالحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس فى يوم التحالق أو يوم قضة « انظر شرح الحماسة للتبريزى ٢ : ٢٩ وما بعدها ، والمؤتلف والمختلف ص ١٩٨ ، والعقد الفريد ٥ : ٢٢٠ » .
(٣) انظر ١ : ٢٤٢ .
(٤) ديوانه ٢ : ٤٣٥ والتبريزى ٣ : ١٧٠ .

وإنَّما سَمِع قَوْلَ عَنْتَرةَ[1]:

لَمَّا رأَنِى قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ أَبدىٰ نَواجِذَهُ لِغَيْرِ تَبسُّمِ

فَوصفَهُ بِشِدَّةِ الجَزَعِ لمَّا أَقْبل نَحْوَهُ ، وذَلِك من أَوْصافِ الجُبنَاءِ لا الْأَبطالِ ، وكذلك قَوْلُهُ :

قد قَلَّصتْ شَفَتاهُ من حَفِيظَتِهِ

من قَوْلِ عَنْتَرةَ[2]:

إِذْ تَقْلِصُ الشَفَتَانِ عن وَضَحِ الفَمِ

وهذا إنَّمَا يَكونُ من الهَوْلِ والشِدَّةِ ، فجَعلَهُ أبو تَمَّامٍ من الحَفِيظَةِ ، وهى الغَضَبُ ، وقد تَعْرِضُ هذه الحَالُ للغَضْبانِ ، غَيْرَ أَنها تُذْكَرُ عِنْدَ الشّدَّةِ والجَهْدِ والرَّوْعِ ، فهذا مَوْضِعُها / المَعْروفُ الذى تُسْتَعملُ فيهِ مِنَ الشِّعْرِ . ٩٩

وقَدْ قالَ ابنُ هَرْمَةَ[3]:

كَرِيمٌ لَهُ وَجْهانِ وَجْهٌ لِذى الرِّضَا أَسِيلٌ ، وَوَجْهٌ لِلْكَرِيهَةِ بَاسِلُ

والوَجْهُ الأَحسَنُ قولُ أبى تَمّامٍ[4]:

كاللَّيْثِ لَيْثِ الغَابِ إِلّا أَنَّ ذَا فى الرَّوْعِ بسَّامٌ وذاكَ شَتِيمُ

وقال البُحْتُرِىُّ[5]:

ضَحوكٌ إلى الأَبطالِ وهو يَرُوعُهُمْ ولِلسَّيْفِ حَدٌّ حين يسطو ورَوْنَقُ

---

(١) ديوانه : ص ١٥١ .

(٢) ديوانه : ص ١٥٢ وصدره :

ولقد حَفِظْتُ وُصاةَ عَمّى بالضُّحىٰ

(٣) ديوانه المجموع : ص ١٦٧ وفيه « للكريهة » .

(٤) ديوانه ٢ : ٤٢٠ والتبريزى ٣ : ٢٩٠ .

(٥) ديوانه ٣ : ١٤٩٤ .

حياةٌ وموتٌ واحِدٌ مُنتهاهُما كَذلِكَ غَمْرُ المَاءِ يُرْوِى ويُغْرِقُ

وهذا لاشىءَ أحسَنُ منه ولا أَلطَفُ .

وقالَ الفرزدقُ[1] :

إذا الْتَقَتِ الأَبْطالُ أَبْصَرتَ لَوْنَهُ مُضِيئًا وأعناقُ الكُماةِ خُضُوعُ

وكان يَنْبغِى أَنْ يَقولَ : « وأَلْوانُ الكُماةِ كَاسِفَةٌ » .

وأَخذَ المَعْنىٰ منه مَرْوَانُ بنُ أَبِى حَفْصَةَ وصَحَّحَ قِسْمَتَه فَقال[2] :

تَمْضِى أَسِنَّتُهُ ويُسْفِرُ وَجْهُهُ فى الروع عند تَغَيُّرِ الأَلْوانِ

وقال البُحْتُرِىُّ[3] :

تَبَسُّمٌ وقُطوبٌ فى نَدًى ووغًى كالبَرْقِ والرَّعْدِ وَسْطَ العَارِضِ البَرِدِ

وهذا بَيْتٌ ردىءُ المَعنىٰ على ما أَذْكُرُهُ ، لأَنَّه شَبَّه تَبسُّمَه عِنْدَ العَطاءِ بالبَرْقِ ، وهذا معَنى صحَيحٌ مستقيمٌ ؛ لأَنَّ التَبسُّمَ يَلوحُ مَعَهُ الثَّغْرُ كَما يَلوُحُ البَرْقُ ، وإذا كانَ فى وَقْتِ العَطَاءِ فإنَّ العَطاءَ يَتْبَعُهُ ، كما أَنَّ الغَيْثَ يَتْبَعُ البَرْقَ فى أَكْثَرِ أَحْوالِهِ .

وشَبَّهَ القُطَوبَ بالرَّعْدِ ، وإنَّما كَانَ يَنْبَغِى أن يُشَبِّهَه بالمَرْئِيّاتِ لا بالمَسْمُوعاتِ ، والرَّعْدُ إنَّما يُوضَعُ فى مَوضِعِ التَّهَدُّدِ والوَعِيدِ .

والقُطُوبُ أَيْضًا فى الوَغىٰ لايَدُلُّ على شَجاعَةِ الشُّجاعِ ، لأَنَّ الجبَانَ أيضًا فى الحَرْبِ مُقطِّبٌ مُكَلِّحٌ ، فَلَيسَ القُطوبَةُ فى هذهِ الحَالِ مَدْحًا ، كالتَّبسُّمِ فى حالِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٥٠٩ وفيه « أبصرت وجهه » .

(٢) ديوان مروان بن أبى حفصة ص ١٠٦ .

(٣) ديوانه ١ : ٥٧٥ والبَرِدُ الذى يُمْطِرُ البَرَدَ « هامش ديوانه » .

العَطايا ، لأنَّ هذا دَليلُ الكَرَمِ وذاكَ لَيْسَ بِدَليلٍ على الشَّجاعَةِ ، بَلْ دليلُ الشَّجاعةِ التَّبسُّمُ فى الحَرْبِ كما قال :

ضَحوكٌ إلى الأَبْطالِ وهو يَروعُهمْ[1]

وكما قال أبو تمّام :

إلّا أنَّ ذا فى الرَّوْعِ بَسّامٌ وذاكَ شَتِيمُ

وقد قال بَشّار[2] :

إذا ماتَرَدّىٰ عَابِسًا فاضَ سَيْفُهُ دِمَاءً ويُعْطِى مَالَه إنْ تَبسَّما

قَوْلُه : « إذا مَا تَرَدّىٰ » أى : تَقَلَّدَ السَّيفَ ، وقَوْلُهُ : « عَابِسًا » أى : مِنَ الغَضَبِ ، والمُحارِبُ لايُنْكَرُ منه الغَضَبُ ، والغَضْبانُ يُعبِّسُ وهو آمِنٌ ، فَلَيْسَ العُبُوسُ هَاهُنا بِمَدْحٍ ، وأمّا تَقْليصُ الشَّفَةِ فأَكْثَرُ مايَعْرِضُ من شِدَّةِ الفَزَعِ ، وخَاصَّةً فى الحَرْب

قال أبو تمّام[3] :

لُفِظَ لِأَخْلاقِ التُّجَارِ وإنَّهُمْ لِغَـدٍ بما ادَّخَـرُوا لَهُ لَتِجَـارُ[4]
ومُجرِّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ فإذا لُقُوا فكأنَّهمْ أَغْمارُ

أَخَذَ معنى البيتِ الأوّلِ من قَوْلِ الشّاعِرِ[5] :

يَبِيعُ ويَشْتَرِى لَهُمُ سِواهُمْ ولكِنْ بالطِّعانِ هُمُ تِجَارَ

---

(١) فى الأصل : « يريعهم » ، وهو خطأ .
(٢) لم أجده فى ديوانه .
(٣) ديوانه ١ : ٥٢٦ والتبريزى ٢ : ١٧٨ ، وقد سبقا فى ١ : ٧٨ .
(٤) ديوانه والتبريزى « لغدا » .
(٥) البيت لابن هرمة « ديوان المعانى ٢ : ١٦٥ » ، ولم أجده فى ديوانه المجموع ، وقد سبق فى ١ : ٧٨ .

ولكِنّه ذَهبَ إلى غرَضٍ آخرَ فأفسدَ المعنى ، وأخذ معنى البيت الثّانى من قَوْلِ قَطرىٍّ بن الفُجاءَةِ ، وعَكَسَهُ وكلا المَعْنَيَيْنِ جَيِّدٌ ، وبيتُ قَطرِىٍّ أبْرَعُ وأجودُ لأنّه قابلَ بين المعنيين فى نِصْفِ بَيتٍ ، وذلِكَ قَوْلُهُ(١):

ثمّ أنْثَنَيْتُ وقَدْ أُصَبْتُ ولَمْ أُصَبْ   جَذَعَ البَصِيرةِ قَارِحَ الإقْدَامِ

وذَهبَ البحترىُّ أيضًا فى هذا الشّعرِ إلى ماذهبَ إليه أبو تمّام حين عَكَس بَيْتَ قَطَرىٍّ ابنِ الفُجَاءَةِ فَقالَ(٢):

مَلِكٌ لَه فى كُلِّ يَومِ كَرِيهَةٍ   إقْدَامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مُجَرِّبِ

وقد أتَى أبو تمّامٍ بمِعَنى قَطَرِيّ بعَيْنِهِ فقالَ فى أبى سعيدٍ(٣):

كَهْلُ الأناةِ فَتى الشَّذَاةِ إذا غَدا   لِلْحَرْبِ كَانَ القَشْعَمَ الغِطْرِيفَا

وقال أبو تَمّام وقد ذَكَرَ الخَيْلَ(٤):

يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ سُمْرُ القَنَا   بإهابِه أوْلَى من السِّرْبَالِ

[خَلطَ الشَّجاعةَ بالحَياءِ فأصبْحا   كالحُسْنِ شِيبَ لِمُغْرَمٍ بدَلالِ](٥)

فقوله :

سُمْرُ القَنا بإهَابهِ أوْلَى من السِرْبالِ

---

(١) حماسة أبى تمّام بشرح المرزوقى ١ : ١٣٨ ، وقد سبق فى ١ : ٧٨ .

(٢) ديوانه ١ : ٨١ وقد سبق فى ١ : ٣٢٧ .

(٣) ديوانه ٢ : ٧٧ والتبريزى ٢ : ٣٨٢ ، وقد سبق فى ١ : ٧٨ وقال الخارزنجى : الشذاة : بأس الرجل ونفاذه والقشعم : المسن ، والغطريف : الحدث يقول : يتآنى فى الأمور تأنى الشيخ ويَعْجَلُ إلى البأس عَجَلَةَ الشاب النشيط ، فهو المسنّ الحدث فى الحالين « النظام لابن المستوفى حـ ٢ لوحة ١٧٤ » .

(٤) ديوانه ٢ : ٢١٢ والتبريزى ٣ : ١٣٧ .

(٥) سقط هذا البيت من الأصل وسيرد ذكره فى تعليق الآمدى ، انظر هامش ٢ ص ٣١٥ .

إنمّا سَمِعَ قولَ عَنْتَرةَ[1] :

فَشَكَكْتُ بالرُّمحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ لَيْس الكَرِيمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ

فظنَّ أنَّ عَنْتَرَةَ أرادَ الثِّيابَ نَفْسَها ، وإنَّما أرادَ الرَّجُلَ نَفْسَهُ لا الثِّيابَ كما قَال الأَغْلَبُ[2] :

أَوْجَب حجًّا فى ثِيابٍ دُسْمِ[3]

أى : فى نَفْسٍ كَثيرَةِ الخطَايَا / والذُّنُوبِ ، فكَنَىٰ عن النَّفْسِ بالثِّيابِ ، وعن ١٠٠
الثِّياب الدُّسْمِ ، وهُوَ يُرِيدُ الوَسَخ ، ومِثْلُ هَذا مَوْجُودٌ فى كَلامِهِمْ ، وقد قِيلَ : « وثِيابَكَ فَطَهِّرْ[4] » أى : نَفْسَكَ فى بَعْضِ تَفْسِير الآيَةِ[5] ، وقال أبو تمّام :

.... سُمْرُ القَنا بإهابِهِ أَوْلَىٰ من السِّرْبَالِ

مُظْهِرًا لِمخَالَفةِ عَنْتَرَةَ إلى ماهو أولىٰ عِنده ، ولم يَعْلَمْ ماذَهب إليه عَنْتَرَةُ ، وقد بَيَّنَ المَعْنىٰ أبو مِحْجَنٍ الثَّقَفِىُّ[6] فقال :

وَمَارِمْتُ حَتّىَ خَرَّقُوا بِرِمَاحِهِمْ ثِيَابى وَجادَتْ بالدِّماءِ الأَبَاجِلُ[7]

---

(١) ديوانه ص ١٥٠ .

(٢) هو الأغلب العجلى الراجز ، قال الآمدى فى المؤتلف « هو أَرْجَزُ الرُّجاز وأرصنُهم كلامًا » أدرك الإسلام فأسلم وسارَ إلى العراق واسْتُشْهِدَ فى وقعةَ نهاوند سنة ١٩ هـ ، وهو أول من أطال الرّجز ، وعاش تسعين سنة « طبقات فحول الشعراء ص ٧٣٨ ، الأغانى ١٨ : ١٦٤ ، المؤتلف والمختلف ص ٥٣ » .

(٣) هو فى اللسان مادة « دسم » ، وفيه : « أوذم حجا » ، وأوذم أى : أوجب ، وقبله :

« لاهُمَّ إنَّ عَامِرَ بنَ جَهْمِ »

ولم أجده فى ديوانه .

(٤) سورة المدثر آية (٤) .

(٥) قال مجاهد : « « وثيابك فطهر » أى نَفْسكَ لَيْسَ ثِيابَهُ » ابن كثير ٤ : ٣٨٥ ولطائف الاشارات للقشيرى ٣ : ٦٤٨ .

(٦) هو عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف أحد الأبطال الشعراء الكرماء فى الجاهلية والإسلام أسلم سنة ٩ هـ كان مولعا بالشراب ، وقد حُدَّ على شربه الخمر مرات وقصته مع سعد بن أبى وقاص فى وَقْعَةِ القادسية معروفة . « طبقات فحول الشعراء ٦٨ ، الأغانى ٢١ : ١٣٧ » .

(٧) البيت فى الأغانى ٢١ : ١٤٠ وفيه « خَرَّقُوا بسلاحِهم إهابى » و « رِمْتُ » من رام يَرِيم إذا بَرِحَ .

وما أحسَن ماقَال مَنصورٌ النَّمَرِىُّ[(١)]:

تَرَى الخَيْلَ يومَ الرَّوْعِ يَظْمأنَ تَحْتَهَ ... وتَرْوَى القَنا فى كَفِّهِ والمَناصِلُ
حلالٌ لأَطْرافِ الأسِنَّةِ نَحْرُهُ ... حَرامٌ عَلَيْها مَتْنُه والكَواهِلُ

وقد قِيلَ: « فشَككْتُ بالرُّمحِ الأصَمِّ ثِيابَه » أى: دِرْعُهُ.

وقوله: « خلَطَ الشَّجاعةَ بالحَياءِ »[(٢)]. من قَوْلِ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةِ:

فَتًى هو أَحْيا من فَتاةٍ حَيِيَّةٍ ... وأَشْجَعُ من لَيْثٍ بخَفَّانَ خَادِرِ[(٣)]

ولكِنَّه مَثَّله بمِثَال فى غَاية الحَلاوةِ والحُسْن على ظَاهرهِ، وهو قَولُهُ: « كالحُسْنِ شِيبَ لِمُغْرَمٍ بِدَلال »، فَجعلَ الحُسْن بإزاءِ الحَياءِ، لأَنَّ الحَياءَ يُعَصْفِرُ الوجهَ الجميلَ فيَزِيدُه حُسْنا، وجعلَ الدَّلالَ بإزاءِ الشَّجاعةِ، ولو قَال: « كالحُسْنِ شِيبَ لِمُغْرمٍ بِقَسْوَةٍ »، حتى تكونَ القَسْوةُ بإزَاءِ الشَّجاعةِ، أَوْ « بِسَطْوَةٍ عَلَيْهِ »، أو « بِظُلْمٍ »، أو « تَعَدٍّ »، كانَ أَكْشَفَ لِلْمَعنىٰ، ولكنْ لَفْظَةُ الدَّلالِ مع الحُسنِ من أَليقِ شَىءٍ بشىءٍ، على أنَّ المُدِلَّ يَقْسُو ويَسْطُو ويَتعَدَّىٰ وَيظْلِمُ، فلا أرىٰ شيئًا أحسنَ من الدَّلالِ فى هذا المَوْضِعِ.

وقال أبو تمَّام[(٤)]:

إذا كَانَتِ الأَنْفاسُ جَمْرًا لدَى الوَغىٰ ... وضَاقَتْ ثِيابُ القَومِ وَهْيَ فَضافِضُ

---

(١) ديوانه ص ١١٥ وفيه « حرام عليها منه متن وكاهل ».

(٢) هذا من البيت الذى سقط من الناسخ وأثْبَتّه « انظر ص ٣١٣ هامش (٥) ».

(٣) البيت فى الأغانى ١١ : ٢٢٧ وروى هناك:

« وتَوْبَةُ أَحْيا .... وأجرأ .... »

وفى ص ٢٤٣ وروايته فيها: « فتى كانَ أحيا ...... »، وفى حماسة البحترىّ ص ٤٢٤ وفيها « فتى كان أحيا ...... » وليلى الأخيليه: هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب من بنى عامر بن صعصعة، شاعرة فصيحة ذكية جميلة، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحُمَيِّر، ماتت فى ساوة ودفنت هناك « الأغانى الدار ١١ : ٢٠٤، فوات الوفيات ٢ : ٢٨٩، حماسة البحترى ص ٤٢٣ ».

(٤) ديوانه ١ : ٦٠٣ والتبريزى ٢ : ٢٩٩.

بِحَيْثُ القلُوبُ السَّاكِنَاتُ خوَافِقٌ   وَماءُ الوُجُوهِ الأَرْيَحِيَّاتِ غَائِضُ
فأَنْتَ الذى تُسْتَنْطَقُ الحَرْبُ باسْمِهِ   إذا جَاضَ عن حَدِّ الأَسِنَّةِ جَائِضُ[1]
إذا قَبضَ النَّقْعُ العيونَ سَمالَها   هُمامٌ على جَمْرِ الحَفيظَةِ قَابِضُ

قولُهُ : « وأَنْتَ الذى تُسْتَنْطَقُ الحربُ باسْمِهِ » ، لَيستَ قِسْمَتُهُ مع عَجُزِ البَيْتِ قِسْمَةً مُؤْتَلِفَةً على ظَاهِرِ اللَّفْظِ ، وإنَّما يَأْتَلِفُ المَعْنىٰ على التَّأَوُّلِ ، وكان اللَّفْظُ يَحْسُن فى القِسْمَةِ لو قَالَ : « وأَنْتَ الذى تُسْتَنْطَقُ الحربُ باسْمِهِ ، إذا كان اسْمُ غَيْرِكَ يُخْرِسُها ولا يُنْطِقُها » وإنَّما يُرِيدُ : يُورِّيها ويُشْعِلُها ، أو أَنْ يَقولَ :

وأَنْتَ الذى يَغْشىٰ الأَسِنَّةَ مُقْدِمًا   إذا جاضَ عن حَدِّ المَنِيَّةِ جَائِضُ

والقِسْمَةُ الصَّحِيحَةُ فى هذا قولُ البُحْتُرِىِّ[2] :

إذا خَرِسَ الأبطالُ فى حَمَسِ الوَغىٰ   عَلَتْ فوقَ أَصْواتِ الحَديدِ زَمَاجِرُهْ

وسائرُ أبياتِ أبى تمّامٍ فى غَايَةِ الجَوْدَةِ والصِّحَّةِ .

وقال البُحْتُرِىُّ[3] :

غمامُ حَيًا ما تَسْتَرِيحُ بُروقُهُ   وعَارِضُ مَوتٍ ماتَفِيلُ رَواعِدُهْ

---

(١) التبريزى « جائض مثل حائد ، وقالوا : هو يمشى الجَيضَى ، لِضربٍ من المشى يميلُ فيه » .
وقال جعفر بن علبة الحارثى : « وأنشده فى الحماسة » :
ولم نَدْرِ إنْ جُضْنَا مِنَ المَوْتِ جَيْضَةً   كَمِ العُمْرُ بَاقٍ والمَدىٰ مُتَطاوِلُ
« المحقق » .

(٢) ديوانه ٢ : ٨٧٨ ، والآمدى لا يقبل القسمة التى لا تصح الا بالتأوّل ، بل يريد القسمة ذات المعنى الظاهر الواضح ، ويرى أن المقابلة لا تصح بين « استنطق - جاض » والواقع أن القسمة أو المقابلة اللفظية ليست مطلوبة ، ولا مقصودة ، بل إن أبا تمّام أراد أن يصور إقدام وشجاعة ممدوحه فى اقتحام الوغى ، فالحرب لا يوريها إلا هو عندما يفر منها الجبان ، وهذا هو المعنى الذى لا يصح إلا بالتّأوّل غير أن الآمدى يدعوه إلى أن يأخذ عفو الأشياء بمعانيها المباشرة ، وكأنه بهذا يضرب لأبى تمّام المثل للكيفية التى يكون عليها التحسين اللفظى ، بحيث يتم الابتعاد عن التعقيد والتأوّل .

(٣) ديوانه ١ : ٥٨٥ ، تفيل : تضعف ، وفى ديوانه « لا تفيل » .

تَظَلُّ العَطايَا والمَنايَا قَرائِنًا لِعافٍ يُرَجِّيهِ وغَاوٍ يُعانِدُهُ
إذا افْتَرقتْ أسْيَافُهُ وَسْطَ جَحْفَلٍ تَفرَّقَ عَنْهُ هَامُهُ وسَواعِدُهُ

وهذا غَايةٌ فى الحُسنِ والصِحَّةِ ، ولو كَانَ أبو تمَّامٍ القائِلَ لِهَذا لَقَال : « إذا اجْتَمَعتْ أسْيافُهُ وَسْطَ جَحْفَلٍ » لِيَكونَ الاجْتِماعُ والتَّفرُّقُ طِبَاقًا ، والبُحْتُرِىُّ لايَقْصِدُ هَذا فى كُلِّ الأَحْوالِ ، إنَّما قَصْدُه أنْ يُجِيدَ اللَّفظَ والسَّبْكَ .

وقال[1] :

مَزَّقْتَ أنْفُسَهم بِقَلْبٍ واحِدٍ جُمِعَتْ قَواصِيهِ وقَلْبٍ أَوْحَدِ[2]
فى فِتْيَةٍ طَلَبُوا غُبَارَكَ إنَّهُ رَهَجٌ تَرفَّعَ عن طَرِيقِ السُّؤْدَدِ[3]
كالرُّمحِ فيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً مُنْقادَةً تحتَ السِنانِ الأَصْيَدِ[4]

وهذا فى غَايةِ الحُسْنِ والجَوْدَةِ ، وتَشْبِيهٌ فى غَايَةِ القُرْبِ والحَلَاوةِ .

وقال[5] :

نِعَمَ المُفَرِّقُ من أَعْنَاقِ مَأْسَدَةٍ قد الْتَقَتْ بِصَفِيحِ الهِنْدِ تَجْتَلِدُ

وهذا بَيْتٌ حُلوُ المَعنىٰ جِدًّا .

وقال أبو تمّامٍ فى أبى سعيد[6] :

وفى أَبْرِشْتَوِيمَ وهَضْبَتَيْهَا طَلَعْتَ على الخِلافَةِ بالسُّعودِ

---

(١) ديوانه ١ : ٥٤٨ .
(٢) ديوانه : « وسيف أوحد » .
(٣) ديوانه : « نهج » .
(٤) ديوانه : « خلف » وقد سبق فى ١ : ٣١٣ .
(٥) ديوانه ٢ : ٦٤٧ مأسدة : مكان الأسود ، تجتلد : تتضارب .
(٦) يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى . ديوانه ١ : ٤٣٨ ، والتبريزى : ٢ : ٣٨ ، أَبْرِشْتَوِيمُ : جبل بالبذ من أرض موقان من نواحى أذربيجان كان يأوى إليه بابك « معجم البلدان » .

بِضَرْبٍ تَرْقُصُ الأَحْشَاءُ مِنْهُ ... وتَبْطُلُ مُهْجَةُ البَطَلِ النَّجِيدِ
وبَيَّتَّ البَيَاتَ بِعَقْدِ جَأْشٍ ... أَشَدَّ قُوًى من الحَجَرِ الصَّلُودِ [1]
/ رأوا ليث الغريفَةِ وهو مُلْقٍ ... ذِراعَيْـهِ جَميعًـا فى الوَصِيـدِ [2] ١٠١
عَلِيمًا أن سَيَرْفُلُ فى المَعَالى ... إذا ما بَاتَ يَرْفُلُ فى الحَدِيدِ [3]

قولُهُ : « يَرْفُلُ فى المَعالى » استعارةٌ قَبيحَةٌ ، لأنّه يَحُطُّ المَعالى حتى يَجُرَّها على الأرض ، فتَصيرَ حِينئِذٍ غَيرَ مَعالٍ [4] ، ولو استوىٰ [5] له أن يقولَ : يَرْفُلُ فى السُّؤْدَدِ ، أو فى المَجْدِ ، كان أَقَلَّ قُبْحًا ، ومِثْلُ هذا قولُهُ :

سَعىٰ فاسْتَنْزَلَ الشَّرَفَ اقْتِسَارًا ... ولولَا السَّعْىُ لم تَكُنِ المَساعِى

وليسَ يَنبغِى للشّاعرِ – إذا لَمْ يُساعِدْهُ الوَزْنُ – أن يَعْذُر نَفْسهُ ، ويَرْكَبَ المُحالَ .

وقال أبو تمّامٍ فى مَدْحِ [6] ابنِ أبى دُؤاد :

يُفَرِّجُ [7] مِنْهُمُ الغَمَراتِ بِيضٌ ... جِلَادٌ تَحْتَ قَسْطَلَةِ الجِـلادِ
لَهُمْ جَهْلُ السِّباعِ إذا المَنايَا ... تَمَشَّتْ فى القَنَا وحُلومُ عَادِ

قَوْلُهُ : « بِيضٌ جِلادٌ » يعنى : رِجالًا لا سيوفًا ، لِأَنَّ السّيوفَ لا تُوصَفُ بالجِلادِ ، وهذا فى غَايَةِ الجَوْدَةِ والرَّصانَةِ ، يُقال : جَلِدٌ وجِلادٌ مَثل كَلْبٌ وكِلابٌ .

---

(١) التبريزى : « البَيَاتُ » : أَنْ يُطْرَقَ العَدوُ لَيْلًا فى مَبيتِهِ .
(٢) ديوانه والتبريزى « بالوصيد » ، والغريفة : موضع الأسد .
(٣) ديوانه : « إذا هو بات يرفل فى الحديد » .
(٤) فى الأصل : « غير معالى » باثبات الياء ، وهذه طريقة بعضهم فى الكتابة ، وانظر ص ١٣٧ هامش ٢ .
(٥) ديوانه ٢ : ٢٥ والتبريزى ٢ : ٣٣٩ ، وقد سبق فى ١ : ٢٤٠ .
(٦) ديوانه ١ : ٣٨٢ والتبريزى ١ : ٣٧٣ ، وقد سقطت « الحاء » من كلمة « مدح » فى الأصل .
(٧) ديوانه والتبريزى : « تُفَرِّجُ عنهم » بالإسناد إلى المخاطب .

وقال فى عَبدِ اللهِ بن طاهر :(١)

وَيا أَيُّهَا السَّارِى اسْرِ غَيْرَ مُحاذِرٍ جِنَانَ ظَلامٍ أو رَدَى أَنْتَ هائِبُهْ
فقد بَثَّ عبدُ اللهِ خَوْفَ انْتقامِه على اللَّيلِ حَتَّى ما تَدِبُّ عقَارِبُهْ

وهذا غايةٌ فى النَّجْدَةِ والبَأْسِ وعِظَمِ الهَيْبَةِ .

وما وَصَفَ أحدٌ الشُّجاعَ فى الحرب بأبلغَ من قَوْلِ زُهَيرٍ :(٢)

لَيْثٌ بِعَثَّرَ(٣) ، يَصْطَادُ الرِّجالَ ، إذا ما اللَّيْثُ كَذَّب ، عن أقرانه ، صَدَقَا
يَطْعَنُهُم ما ارْتَمَوْا حتى إذا اطَّعَنُوا ضَارَبَ حتَّى إذا ماضَارَبُوا اعْتَنَقَا

والقِتالُ لا يكونُ بأكثرَ من هَذهِ الأحوالِ ، فَجَمَعها فى بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وهَذِه بَراعةٌ لايَقْدِرُ عليهَا الطَّائيانِ ولا أَمْثالُهما ، ولم أَرَهُما وَصفَا أحَوالَ الطَّعْنِ والضَّرْبِ ، فإنَّ النَّاس قد تَقدَّموا فى هذا البابِ بما بَالغُوا فيه واسْتَقْصَوْا ، ومن ذَلكِ قولُ قَيس بِن الخَطيمِ :(٤)

يُرىٰ قائِمٌ من دُونِها ماوَراءَها

وقولُ قَيسِ بنِ الخَطيمِ أيْضاً(٥) :

---

(١) ديوانه ١ : ٢٩٥ والتبريزى ١ : ٢٢٩ ، وفيه « فيا أيها » .
(٢) ديوانه ص ٥٠ .
(٣) فى الأصل : « تعثر » ، والتصحيح من ديوانه ، وفيه : عثر : قبالة تبالة ، وهى بلد فى اليمن .
(٤) ديوانه ص ٤٦ وصدره :

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّى فأنْهَرْتُ فَتْقَهَا

(٥) البيتان فى الأشباه والنظائر منسوبان إلى القتال الكلابى « ١ : ٣٣ » . ولم أجدهُمَا فى دِيوان قَيس ابن الخطيم .

أَتَتْكَ المَنايا من بِلادٍ بَعيدَةٍ ... بِمُنْخَرِقِ السِّرْبالِ عَبْلِ المَناكِبِ (١)
أخي العُرْفِ والنَّكْراءِ يَعْدِلُ دَفَّه ... بأبْيضَ سَقَّاطٍ وَراءَ الضَّرائِبِ (٢)

وقال النَّمِرُ (٣) :

تَكادُ تَحفِرُ عَنْهُ إن ضَرَبْتَ بِهِ ... بَعْدَ الذِّراعينِ والسَّاقَيْنِ والهَادِى (٤)

وقال آخَرُ (٥) :

وفَارِسٌ جَلَّلْتُــهُ ضَرْبَــةً ... فبانَ عن مَنْكِبِهِ الكَاهِلُ
فصارَ مابَيْنَهُمــا رَهْــوَةً ... يَمْشِى بِهَا الرَّامِحُ والنَّابِلُ

وقال الفرزدق (٦) :

ولولَا الحَياءُ زِدتُ رَأسَكَ هَزْمَةً ... إذا سُبِرَتْ ظَلَّتْ جَوانِبُها تَغْلي (٧)
بَعيدَةُ مابينَ الصُّدوعِ كَأنَّها ... رَكِيَّةُ لقُمانَ الشَّبيهةُ بالدَّحْلِ (٨)

---

(١) مُنخَرِق السِّرْبال كِنَايةٌ عن المضاءِ فى الأَسْفارِ والحُروبِ ، عبل : غليظ .

(٢) يعدل دفة : أى يقيم جانبه وفى الأشباه والنظائر « يَعْلُوكَ وقعة » وقال محققه فى الهامش : « أ و ب « يعدك دفه » والتصحيح منا » ، ورواية الموازنة أصح .

وسيف سقاط وراء الضرائب : أى يقطعها ويسقط من ورائها حتى يجوز إلى الأرض ، وانظر ديوان القتال الكلابى « ص ٣٨ » .

(٣) هو النمر بن تَوْلب العُكْلىُّ شاعرٌ مخضرم عاش عمرا طويلا فى الجاهلية ولم يمدح أحدًا ولا هجا ، وكان جوادا واسع العطاء كثير القِرى ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه « الكَيِّسُ » لجودة شعرهِ ويُشَبِّه شعره بشعر حاتم الطائى ، وفى كتاب المُعَمَّرين أنه عاش مائتى سنة « طبقات فحول الشعراء ١٥٩ ، الشعر والشعراء ١ : ٣٠٩ ، الخزانة ١ : ٣٢١ » .

(٤) البيت فى الشِّعْرِ والشُّعَراءِ وفيه : « تَظَلُّ تحفر » وقال : ذَكَر أنَّهُ قَطَعَ ذلك كُلَّه ثم رَسَب فى الأرض حتى احتاج إلى أن يُحْفَر عنه ، وهذا من الإفراط والكذب ، وانظر نهاية الأرب ٦ : ٢١٤ .

(٥) البيتان من ثلاثة أبيات فى الوحشيات منسوبان إلى « أبى الحيال الباهلى » ص ٦٤ ، وانظر التشبيهات ص ١٥٩ بدون نسبة ، والموشح ص ١١٦ بدون نسبة ، وعيار الشعر ٧٩ ، والحيوان الأول فى ٣ : ١٢٦ ، والثانى والثالث فى ٦ : ٤١٣ .

(٦) ديوانه ٢ : ٧١٣ .

(٧) الهَزْمَةُ : خسْفُ البئر وقَطْعُ حجرها ، السَّبْرُ : قياسُ الجراحة وتقديرُها .

(٨) رَكِيَّةُ لقمان : بئرٌ عظيمة « بجأج » قريبٌ من البحرين « معجم البلدان » ، والدَّحْلُ – بالدال المهملة –: الكَهْفُ ، وفى ديوانه « بعيدة أطراف الصدوع » و « الذَّحل » بالذال المعجمة .

ومثلُ هذا كثيرٌ .

وقال البحتريُّ فى أبى مُسْلِم الكَجِّيِّ[1] :

إذا ارْتَدّ يومُ الحربِ لَيْلًا رَدَدْتَهُ   نَهارًا بَلألاءِ السُّيوفِ الصَّوارِمِ
وإن غَلَتِ الأرْواحُ أرْخَصْتَ سُوقَها   هنَالِكَ فى سُوقٍ من المَوتِ قَائِمِ
بِضَرْبٍ يَشيدُ المَجْدَ فى كُلِّ مَوْقِفٍ   ويُسْرِعُ فى هَدْمِ الطُّلَى والجَماجِمِ[2]
فَتصْرِفُ وَجْهَ المَجْدِ أبيضَ مُشْرِقًا   بِوَجْهٍ من الهَيْجَاءِ أغبَرَ قَاتِمِ

وهذا جَيِّدٌ حسنٌ لَفظُهُ ومَعْناهُ .

وأقولُ فى الموازَنةِ بَيْنَهما : أنَّهُما جَمِيْعًا قد أحْسنا فى هَذا البَابِ وأساءَا ، ولكنى أُفَضِّلُ أبا تمَّامٍ على البُحْتُرِيِّ لِقَوْلِ أبى تَمّامٍ :

لَهُم جَهْلُ السِباعِ إذا المَنَايَا   تَمشَّتْ فى القَنا وحُلومُ عادِ[3]

* * *

(١) ديوانه ٣ : ١٩٦٨ وفيه أنّ القصيدة فى مدح أبى مسلم بن حُمَيْدٍ الطائى ، وأبو مُسْلم الكَجىّ هو إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكَجِّى البصرى ، كان من أهل الفضل والأمانة ومن حفاظ الحديث له كتاب « السنن » ، مات فى بغداد وحمل إلى البصرة ومولده فيها ، ويُنْسَبُ إلى كج « بلدة بخوزستان » « تاريخ بغداد ٦ : ١٢٠ ، معجم البلدان كج ، كش » .

(٢) ديوانه : « فتصرف وجه البيض » .

(٣) سبق فى ٣١٨ .

ذكر تشبيه الأبطال بالسباع

قال أبو تمّام[1] :

آسادُ مَوتٍ مُخْدِرَاتٌ مَالَها   إلا الصَّوارِمُ والقَنا آجَامُ

وقال البحتريُّ[2] :

حَشَدَتْ حَوْلَها سِباعُ المَوالى   والعَوالى غَابٌ لِتِلْكَ السِباعِ

/ « المَوالى » فى ذلك الوَقتِ : الأَتراكُ ، وهى لَاتَعْمَلُ بالرِّمَاحِ وكَذلِكَ ١٠٢
الخَزَرُ[3] والسُّغْدُ فيما أَظُنُّ .

وقال أبو تمّامٍ فى مِثْلِ ذَلِكَ[4] :

أُسْدُ العَرين إذا مَا الرَّوْعُ صَبَّحها   أو صَبَّحَتْهُ ولكنْ غَابُها الأَسَلُ

كأنَّهُ أراد إذا أُغِيرَ عَلَيْها أو أَغارَتْ هِيَ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٨ والتبريزى ٣ : ١٥٦ .

(٢) ديوانه ٢ : ١٢٤٤ وسق فى ١ : ٣٣٧ .

(٣) الخزر : جيل خزر العيون وهو انقلاب الحدقة نحو اللحاظ ، « والسغد » بين بخارى وسمرقند « معجم البلدان » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٨٧ والتبريزى ٣ : ١٨ .

وقال[1] :

يايَومَ أَرْشَقَ كُنْتَ رِشْقَ مَنِيَّةٍ ‏ لِلْخُرَّمِيَّةِ صَائِبُ الآجَالِ
أَسرىٰ بَنُو الإسلامِ فيهِ وأَدْلَجُوا ‏ بِقُلوبِ أُسْدٍ فى صُدورِ رِجالِ

« أَسْرىٰ » من السُّرىٰ ، وَهْو السَّيْرُ باللَّيلِ ، و « الإدْلَاجُ » أيضا باللَّيلِ ، وإنَّما أرادَ : « الإدِّلَاجَ » بالتَّشدِيدِ .....[2]

* * *

(١) ديوانه ٢ : ٢٠٩ والتبريزى ٣ : ١٣٥ .

(٢) هُنَا خَرمٌ يستمر إلى نهاية « باب تشبيه الأبطال بالسباع » وبداية « باب وصف السيوف » وتتداخل فى المخطوطة الجملة الأخيرة مع جملة أخرى فى التعليق على أبْيَاتٍ فى وصف السيف .

فى وَصْفِ السُّيوفِ والرِّماحِ[1]

[2][وقال أبو الهول الحميرى[3] :

أَخْضَرُ اللَّوْنِ بينَ حَدَّيْهِ مَاءٌ   من ذُعافٍ تَميسُ فيه المَنُونَ
فإذا مَا سَلَلْتَهُ بهَرَ الشَّمْـ   ـسَ ضياءً فلَمِ تَكَدْ تَسْبينُ
يَسْتَطِيرُ الأَبْصَارَ كالقَبَسِ المُشْـ   ـعَلِ لَاتَسْتَقِرُّ فيـه العُيـونُ
وكأَنَّ المَنونَ نِيطَتْ إليهِ   فهوَ من كُلِّ جَانِبَيْهِ مَنُونُ]

[وما[4]] ....

يَبْهَرُ الشَّمْسَ ويَزِيدُ عَلَيْها فى النُّور لايُشَبِّهُ بالقَبَسِ المُشْعَلِ ، ثُمَّ قَالَ : « ماتَسْتَقِرُّ فيهِ العيُونُ » ، والقَبَسُ المُشْعَلُ تَسْتَقِرُّ فيه العينُ ، ولا تَنْبُو عَنْهُ ، ولَا يعْشِيها ضَوؤُه ، وقالَ : « المَنُون » ثمّ كَرَّر القَافِيَةَ فقالَ « مَنونَ » بِغَيْرِ أَلِفٍ ولَامٍ ، وهذا جَائِزٌ فى القَوافِى ، ولكنَّ الأَحسنَ إذا بَعُدَ مابَين القَافِيَتين .

---

(١) وضعت هذا العنوان اعتمادا على ما أورده الآمدى فى مقدمة باب الشجاعة والبأس .

(٢) هنا خرم أشرت إليه فى نهاية الباب السابق ، ولعل الله عز وجل يوفقنا فنظفر بنسخة أخرى تكمل هذا النقص .

(٣) بعد دراسة الشرح الوارد بعد الأبيات تيقّنت أنه على الأبيات التى أثبتُّها ، وهى فى وصف الصمصامة « سيف عمرو بن معدى كرب » وتنسب لابن يامين المصرى « الوحشيات ٢٨٠ ، مروج الذهب ٣ : ٣٤٥ ، التشبيهات ١٤٢ ، ديوان المعانى ٢ : ٥٢ ، زهر الآداب ٣ : ٨٣٦ ، العقد الفريد ١ : ١٨٠ ، سمط اللآلى ٦٠ » .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

ومن المُستَحسنِ المُختَارِ فى وَصْفِ السَّيفِ قَولُ إسحاقَ بن خَلفَ البَهْرانيّ[1]:

أَلْقَى بجَانِبِ خَصْرِهِ ... أَمْضَى مِنَ الأَجلِ المُتَاحْ
وكأنَّما ذَرّ الهبَا ... ءَ عليه أَنْفاسُ الرِّيَاحْ

ولكنَّ الذى وَصفَ السَّيف وأَبَرَّ فيه على كلِّ مُحْسِنٍ مِمَّن تقَدَّم وتأَخَّر البحتريُّ فى قَوْلِهِ لِمُحمّد بن عليٍّ القُمىّ يستهديهِ سَيْفًا[2]:

قَدْ جُدْتَ بالطِّرْفِ الجَوادِ فَثَنِّهِ ... لِأَخيك من أُدَدٍ أَبِيكَ بِمُنْصُلِ
يَتَناوَلُ الرُّوحَ البَعِيدَ مَنالُهُ ... عَفْوًا ، ويَفْتَحُ فى القَضاءِ المُقْفَلِ[3]
بإِنَارَةٍ فى كُلِّ خَطْبٍ مُظْلِمٍ ... وهِدَايَةٍ فى كلِّ نَفْسٍ مَجْهَلِ[4]
ماضٍ وإنْ لَمْ تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ ... بَطَلٍ ، ومَصْقولٌ وإنْ لم يُصْقَلِ
يَغشَى الوَغى فالتُّرْسُ ليس بِجُنَّةٍ ... من حَدِّهِ والدِّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلِ
مُصْغٍ إلى حُكْمِ الرَّدَى فإذا مَضَى ... لم يَلْتَفِتْ ، وإذا قَضَى لم يَعْدِلِ
مُتَوَقِّدٌ يَبْرِى بأَوَّلِ ضَرْبَةٍ ... ماأَدْرَكَتْ ، وَلَوَ انَّها فى يَذْبُلِ
وإذا أصابَ فكلُّ شَىءٍ مَقْتَلٌ ... وإذا أُصِيبَ فما لَهُ من مَقْتَلِ
وكأنَّما سُودُ النِّمالِ وحُمْرُها ... دَبَّتْ بأَيْدٍ فى قَرَاهُ وأَرْجُلِ
وكأَنَّ شَاهِرَهُ إذا استَضْوَى بِهِ الزَّ ... حْفَانِ يَعْصَى بالسِّماكِ الأَعْزَلِ[5]
حَمَلَتْ حمائِلُهُ القَدِيمَةُ بَقْلَةً ... مُذْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لم تَذْبُلِ[6]

---

(١) هو أبو سعيد إسحاق بن خلف الحنفى البهرانى المعروف بابن الطبيب : ونَسَبُهُ فى بنى حنيفة لسِبَاءٍ وقع عليه ، كان رجلا شأنه الفُتُوَّة ، ومعاشرة الشطار ، وإيثار أصحاب الطنابير ، وكان من أحسن الناس إنشادا ، حبس فى جناية ، ولم يفارق الحبس حتى مات « الكامل للمبرد ٢ : ١٩ وانظر فهرسته ، طبقات ابن المعتز ص ٢٩١ ، فوات الوفيات ١ : ١٦ » . والبيتان فى : « التشبيهات ١٤١ – والكامل ٣ : ٤٨ ، وفوات الوفيات وقال : وقال المبرد : « وقد قالت الشعراء فى رونق السيف ضروبا من الأقاويل ما سمعت فيها بأحسن من هذا » ووردا ناقصين فى التمثيل والمحاضرة ص ٢٩٢ .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧٤٦ .

(٣) انظر تعليق الباقلانى على هذا البيت فى إعجاز القرآن ص ٢٣٧ .

(٤) ديوانه « حتف مُظلم » .

(٥) ديوانه « .... إذا استعصى به فى الروع ... » .

(٦) يعنى هذا السيف الذى لم يتغير .

قوله : « حَمَلَتْ حَمائِلُهُ القَدِيمَةُ بَقْلَةً » من وَحْيِ الشِّعْر[1] ، وقَوْلُهُ : « وكأنَّما سُودُ النمال وحُمْرُها » من قول أَوْسِ بن حَجَر[2] :

كأنَّ مَدبَّ النَّمْلِ يَتَّبعُ الرُّبىٰ ... ومَدْرَجَ ذَرٍّ خاف بَرْدًا فأَسْهَلا

على صَفْحَتَيْهِ قَبْلَ حِينَ جَلائِهِ ... كَفىٰ بالذى أُتْلو وأَنْعَتُ مُنصُلا[3]

فقد بَانَ فَضْلُ البُحْتُرِىِّ فى هَذا البابِ على أبى تمّامٍ ، وبِهذهِ الأبيات على كُلِّ أَحَدٍ فى وَصْفِ السَّيف .

وأَحسنُ ماقِيل فى وَصْفِ رُمْحٍ قَوْلُ مسكينِ الدَّارِمىِّ ، ويروى لِسَالِمِ بنِ قَحْفَانَ[4] :

جَماجِمُنا عند اللِّقاءِ تِراسُنا ... إلى المَوْتِ نَمْشى لَيس فِينَا تَجانُفُ

بِكُلِّ رُدَيْنِىٍّ كأنَّ كُعوبَه ... قَطًا نسقٌ مُسْتَورِدُ المَاءِ صَائِفُ[5]

كأنَّ هِلالًا لاحَ فوقَ قَناتِهِ ... جَلا القَينُ عَنْه والقَتَامَ الحَراجِفُ[6]

لَهُ مِثْلُ حُلقُومِ النَّعامَةِ حَيَّةٌ ... ومِثْلُ القُدامىٰ شَافَه لك شَائِفُ[7]

كأنَّه أرادَ أنْ يقولَ : جَلا القينُ عنه والحَراجِفُ القتامَ ، يُقالُ : رِيحٌ حَرْجَفٌ إذا كانَتْ عاصِفَةً شَدِيدَةً ، فَقلَبَ اللَّفْظَ .

---

(١) قال الباقلانى : « تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة ، والكلام الرَّذْل النَّذْل » إعجاز القرآن ٢٤١ .

(٢) البيتان فى الشعر والشعراء ص ٢٠٥ .

(٣) ديوانه : ص ٨٥ وفيه : « كفى بالذى أُبْلِى وأنعتُ » وفى الشعر والشعراء « أنعتَ » بالنصب « انظر هامشه » .

(٤) ديوانه ص ٤٥ أما سالم بن قحفان فهو من بنى العنبر ، انظر « الأمالى ٢/٤ ، الحماسة للمرزوقى ١٥٨١/٤ ، ١٧٢٦ » ، والبيتان الثانى والثالث فى ديوان المعانى ٥٨/٢ .

(٥) فى ديوانه « قَطًا سابِق » .

(٦) القَيْنُ : الحَدَّادُ ، القتَامُ : الغُبارُ .

(٧) شافَه أى : جَلاهُ .

والقَينُ لاوَجْهَ لَهُ هَاهُنا مع الحَراجِفِ ، لأنَّه إنَّمَا يَصِفُ الهِلالَ الذى شَبَّهَ السِّنانَ بِهِ ، وأنَّ الحَراجِفَ جَلتَ عَنْه القَتامَ حتَى أضاءَ واستَبانَ ، والقَيْنُ إنما جَلا السِنانَ لا الهِلالَ .

* * *

ما قالاه فى وَصفِ الدُّروعِ

قالَ أبو تَمامٍ[1]:

تَخِذُوا الحديدَ من الحديدِ معَاقِلَا سُكَّانُها الأَرْواحُ والأَجْسَامُ

هذا كلامٌ رَائِقٌ وليس لَه مُفَتِّشٌ ، لأنّ المَعاقِلَ كُلَّها لو كانَتْ من صَخْرٍ لصحَّتِ الفَائِدَةُ / وكان يقولُ : « تَخِذوا الحَديدَ معاقِلًا إذ كانت معاقِلُ غيرهم الحِجارَةَ والشِّيدَ[2] » ، فيكونُ فَضلُهم على غَيْرِهم إذْ كَانَتْ مَعَاقِلُهمْ من حَديدٍ ، ومعاقِلُ غَيْرِهم من الأَبْنِيَةِ ، ولو قَالَ : « تَخِذوا الحديدَ من الحَديدِ معاقِلًا » ، وتَمّمَ البَيْتَ بمعنًى آخرَ لَما كانَ ذَلِكَ مُنْكرا ، إذْ لَيْسَتِ المَعاقِلُ والحُصونُ من حديدٍ .

١٠٣

وَلمَّا قالَ : « سُكانُها الأَرْواحُ والأَجْسامُ » لم يَفِدْنا بهذا الكلامِ[3] كَبيرَ فَائِدَةٍ ، إذِ المعاقِلُ من أيِّ جِنْسٍ كانَتْ لا يكونُ سُكَّانُها إلا الأَرْواحُ والأَجْسامُ .

(١) ديوانه ٢ : ٣٧٧ والتبريزى ٣ : ١٥٦ .

(٢) الشِّيدُ : كلُّ ما طُلِىَ به من الجصِّ والمِلاطِ .

(٣) نقل ابن الأثير فى استداركه على ابن الدهان رأى الآمدى هذا ، ثم قال : « وليس كما ظَنَّ ، فإنه لو لم يَقلْ : « الأرواح والأجسام » لجازَ أن يكون المرادُ الدروعَ ، ولجازَ أن يكونَ المُرادُ به السيوفَ ، لأن كِلَيْهما حديدٌ ، لأن لَفْظَة « المَعاقِلِ » للدُّرُوعِ والسُّيوفِ مَجازٌ وليست حقيقةً إلا فى الحصُونِ خاصةً » « الإستدراك ص ١٢٧ » ، وعلى الرُّغم من هذا فقد قال الصولى شارحا البيت : « أى جعلوا سيوفهم معاقل من سيوف غيرهم » .

والجَيِدُ النَّادِرُ ، والمَعنى الصَّحيحُ فى هذا قولُ عبد المَلكِ بن عَبد الرَّحيمِ الحارِثِيِّ[١] :

ولا لَاقِيا كَعبَ بنَ عمرٍو يَقودُها أبو دَهْثَمٍ نَسْجُ الحَديدِ ثِيابُها

فجَعَلَ الحديدَ ثيابًا وهى الدُّروعُ ، ولا تُسمَّى ثِيابًا ، فأَغْرَبَ بِهذا اللَّفظِ وأَحْسَن ، ولو قالَ : « نَسْجُ الحديدِ لِبَاسُها » لما كانت له غَرابَةٌ ، وإنَّما أرادَ : قد أَلِفُوها فصَارَتْ لَهُم كالثِّياب ، لا كُلْفَة عَليهِم فِيها ، ونَحْوُه قولُ جَريرٍ[٢] :

تَرَدَّينَا المَحامِلَ قدَ علِمْتُمْ بِذِى لَجَبٍ وكُسْوَتُنَا الْحَديدُ

قولُهُ : « تَرَدَّيْنَا المَحامِلَ » أى : جَعلْنَا مَحامِلَ السُّيوفِ على عَواتِقِنَا فى مَوْضِعِ الأَرْدِيَةِ ، وقد أَحسنَ جِدًّا .

ومثلُ هذا قَولُ البُحتريِّ[٣] :

يَهولُ العِدَى جِدُّهُ فى ادِّخَا رِ قُمْصِ الحَديدِ وأَبْدانِه

فَجعلَ الدُّروعَ قُمْصًا .

وقالَ فى مثلِ هذا[٤] :

معاقِلهُم سُمْرُ القَنا ، وعِتَادهُم شَرِيجانِ : أَسْيافٌ وقُمْصُ حَديدِ

وأَحْسنُ من هذا كلِّهِ وأَلطَفُ قولُ البحتريِّ[٥] :

---

(١) فى الأصل : « الخازنى » ولم أجد البيت ، وقد سبق ١ : ٣١٤ ونسب هناك إلى محمد بن عبد الملك الفقعسى .

(٢) ديوانه ١٦٣ ، وفيه « بذى نجب » .

(٣) ديوانه ٤ : ٢٢١٩ .

(٤) ديوانه ٢ : ٧٧٩ ، و « شريجان » : قسمان متساويان .

(٥) ديوانه ٣ : ١٦٠٣ وقد سبق فى ١ : ٣١٤

مُلوكٌ يَعدُّونَ الرِّمَاحَ مَخاصِرًا   إذا زَعْزَعُوهَا والدُّروعَ غَلائِلَا

يقول : لا كُلْفَة عَليهِم من حَمْلِ الرِّماح ، وأنَّها فى أكُفِّهِم مثلُ المَخاصِرِ ، وهى القُضْبانُ لِخِفَّتِها عَلَيْهم ، واعْتِيَادِهم لِحَملِهَا ، ولا ثِقَلَ عَليهم من لِبْسِ الدُّروع ، وأنَّها عليهم كالغَلائِلِ على الأبدانِ ، وأنَّها تُرْفَةٌ لِبَاسِهِمْ ، كما أنَّ الغَلائِلَ من تُرَفِ اللِّبَاسِ ، فهذا هو البديعُ المُفيدُ .

وكذلك قولُ البُحْتُرِيّ (١) :

وَلَمْ يَدَّرِعْ وَشْىَ الحَديدِ فيَلْتَقِى   على شَابِكٍ شَاكٍ حَديدٍ أظافِرُهْ

فجعل الدُّروعَ كالوَشْيِ الذى يُزَيَّنُ بِهِ .

وقال البحترىّ (٢) :

يَمْشُون فى زَغْفٍ كأنَّ مُتونَها   فى كُلِّ مَعرَكةٍ مُتونُ نِهَاءِ
بِيضٌ تَسِيلُ على الكُماةِ فُضُولُها   سَيلَ السَّرابِ بِقَفْرةٍ بَيْداءِ
وإذا الأسِنَّةُ خالَطَتْها خِلْتَها   فِيها خَيالُ كَواكِبٍ فى مَاءِ

وهذا من إحسانه المشهور .

قَوْلُهُ : « سَيْلَ السَّرابِ » يُريدُ إضاءَةَ الدُّروعِ ولَمَعانَها ، شَبَّهَهَا بالسَّرابِ ، لِأنّه يَطَّرِدُ كاطِّرادِ المَاءِ ، وشَبَّه الأسِنَّةَ فيهِ بالكَواكِبِ المَرْئِيَّةِ فى المَاءِ . وأظُنُّهُ — واللهُ

---

(١) البيت فى ديوانه ٢ : ٩٦٤ مع اختلاف فى عجزه فقد روى :
« على شابِكِ الأنْيابِ شَاكِى الأظَافِرِ » وفى الأصل : « على شابل » .

(٢) ديوانه ١ : ١١ زَغْفٌ جمع زَغْفَة : الدِّرْعُ المُحْكَمَةُ ، نهاء : جمع نِهى بالكسر والفتح : الغَدِيرُ فى لُغَة أهلِ نجد .

أعلَم – سَمِعَ قَوْلَ سَلْمٍ الخَاسِرِ[١] :

قومٌ إذا لَبِسُوا الحديدَ كَأنَّه جَارِى السَّرابِ بِقَفْرةٍ ضَحْضَاحِ

فقالَ : « سَيْلَ السَّرابِ بِقَفْرَةٍ بَيْداءِ » .

وقد قال قَيسُ بنُ حَوطٍ التَّيمِىُّ[٢] :

إذا غَدَوْنا علينا كُلُّ سَابِغَةٍ كأنَّها من زُلالِ المَاءِ تَطَّرِدُ

فأحسَنَ وأجادَ ، وأجودُ منه وأغربُ لفظًا قولُ أُنَس بن الدَّيانِ الحارِثىُّ[٣] :

وأَلْبَسُ فِى الرَّوْعِ فِضْفَاضَةً كَماءِ الغَديرِ إذا نَمْنَمَا

وقال ذَوَّادُ بنُ الرُّقْراقِ العُقَيْلِىُّ[٤] :

وفَرسانُ الحِفاظِ بِكُلِّ ثَغْرٍ إذا ما الرِّيحُ زَعْزَعَتِ العُقَابَا
كأنَّ مُتونَهُنَّ تَظَلُّ تُكْسَىٰ شُعاعَ الشَّمْسِ أو ذَهباً مُذابَا

وقال سَالمُ بنُ قَحْفانَ العَنْبَرىُّ – وتُروىٰ لِمسْكينٍ الدَّارِمِىّ[٥] – :

تَهِشُّ لِعِرْفَانِ الدُّروعِ جُلودُنا[٦] إذا جاءَ يومٌ مُظْلِمُ الشَّرِّ كَاسِفُ
فَرِيحُ الصَّدَا المُسْوَدُّ أَطْيَبُ عِنْدَنا من المِسْكِ ذَافَتْهُ أَكُفٌّ دَوائِفُ
تَعلَّقُ فى مِثْلِ السَّوارِى سُيوفُنَا وما بَيْنَها والكَعْبِ غُوطٌ نَفانِفُ[٧]

---

(١) غير موجود فى ديوانه المجموع ، وضحضح السراب : إذا ترقرق .
(٢) لم أعرفه .
(٣) هو أنس بن الديان ، واسم الديان : يزيد بن قطن بن رياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ، وهم أخوال أبى العباس السّفاح : « جمهرة الأنساب ٤١٧ » .
(٤) فى المؤتلف والمختلف ص ١٦٨ ، وهو فيه من بنى عبد الله بن غطفان ، ولم أجد البيتين .
(٥) ديوان مسكين ص ٥٣ .
(٦) ديوانه : « وتضحك لعرفان الدروع جلودنا » ، والذيف والذوف : الخلط .
(٧) فى اللسان : « غوط » « وما بينها والأرض غُوطٌ نفانِف » ، قال : والنفنف مهواة بين جبلين .

وهذا كلُّه جَيِّدٌ نادِرٌ .

وأَنْشَدَ المُفَضَّلُ لِجِذْعِ بنِ عَمرٍو الشَّيْبانيّ[١] :

كالجِنِّ يَمْشُون فى الحَدِيدِ فمَا   تُبْصِرُ إلّا الأَطْرافَ والمُقَلا

وهذا يَفوق كُلَّ حُسْنٍ وصِحَّةٍ .

وقالَ :

عَلَيْنا دلاصٌ من تُراثِ مُحَرِّقٍ[٢]   كَمِثْلِ السَّماءِ زَيَّنَتْها نُجُومُها

١٠٤ / وأينَ الطَّائِيانِ من هَذهِ المَعانى وهَذِهِ المَذاهِبِ .

وقالَ مُحمّدُ بن عَبد المَلكِ بنِ صَالِحٍ الهَاشِمىُّ الحَلَبىُّ[٣] :

نهنهت أُولَاها بِضَرْبٍ صَائِبٍ   هَبْرٍ كَما عُطَّ الرِّداءُ المُعْلَمُ
وعلىَّ سابِغَةٌ كأَنَّ قَتِيرَها   سَلْخٌ كسانِيهِ الشُّجاعُ الأَرْقَمُ

وشَبَّه الدِّرْعَ بِجِلْدِ حَيَّةٍ ، وهذَا أَحْسَنُ تَشْبيهٍ وأَصَحُّه وأَلْطَفُهُ ، فى أَبْرَعِ لَفْظٍ ، وأَجْوَدِ سَبْكٍ ، وإنَّما أَخذ المَعنىٰ من قَوْلِ آخَرَ – وأَنْشَدَه ثَعلَبٌ –:

---

(١) لم أقف عليه بعد .

(٢) المُحرِّقُ لقَبُ لبعض مُلُوكِ العَرَبِ ورؤوسائهم وهم : مُحرِّقُ الأَكبرُ وهو امرؤ القيس بن عمرو ابن عدى اللَّخمى ، ومحرِّقُ الأصغرُ عمرو بن هند لأنه حرَّق مِائَةً من بنى تَميمٍ ، ومحرِّقُ أيضا هو لَقَبُ الحارِثِ بن عمرو ملك الشام من آل جفنة ، لأنَّه أول من حرَّق العربَ فى دِيارِهم « اللسان » « حرق » ، ولم أقف على البيت .

(٣) هو مُحمَّد بن عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب شاعرٌ مشهورٌ أديب ، كان ينزل قنّسرين من أرض الشام وله مع المأمون خبر « عيون الأخبار ١ : ١٠٥ » وبقى إلى أيام المتوكل وجرت بينه وبين أبى تمّام والبحترى مخاطبات « أخبار أبى تمام ص ٢٤٨ ، ومعجم الشعراء ص ٣٦٣ » . والبيتان فى التشبيهات ص ١٤٩ ، ومجموعة المعانى « الثانى » ص ١٩٣ ، وديوان المعانى ٢ : ٦٢ ، ونهاية الأرب ٦ : ٢٤٥ .

ونَثْرةٍ تَهْزَأُ بالنِّصَالِ كأنَّها من خِلَعِ الهِلالِ[1]

وقالَ : الهِلالُ : الحَيَّةُ .

* * *

(١) اللسان « هلّل » وفيه « ونثلة » وقال : النثرة والنثلة : الدرع .

ذكر وصف القوانس والبَيْض

قَالَ أبو تَمَّامٍ[1] :

بِالمُصعَبِيِّين الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ آسادُ أَغْيالٍ وجِنُّ صَرِيمِ[2]

مِثْلُ البُدورِ تُضِيءُ إِلَّا أَنَّها قَدْ قُلْنِسَتْ مِنْ بَيْضِهِم بِنُجُومِ[3]

ويُرْوَى : « قَدْ قُنِّسَتْ » مِنَ القَوْنَسِ[4] ، وَهَذا لَفْظٌ ومَعْنًى سَخِيفانِ ، وأَظُنُّهُ سَمِعَ قَوْلَ سَلْمٍ الخاسِرِ[5] :

نَزَلَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ فلِكُلِّ رَأْسٍ كَوْكَبٌ وهَّاجُ

وَقَالَ أبو تَمَّامٍ[6] :

كَأَنَّهُمْ وقَلَنْسِ البَيْضِ فَوْقَهُمُ يَوْمَ الهِياجِ بُدورٌ قُلْنِسَتْ شُهُبا

وَهَذَا أسخَفُ وأَوْضَعُ من بَيْتِه الأول ، ولله درُّ أبى لُبَيْدٍ القُرَشِيِّ[7] إذ يَقُولُ :

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٤٣ والتبريزى ٣ : ٢٦٤ .

(٢) « أَغْيال » جمع غيل وهو الشجر الملتف ، « صريم » : الليل . أو القطعة العظيمة من الرمل .

(٣) التبريزى وديوانه : « من بيضها » .

(٤) القَوْنَس : مقدم البيضة وقيل أعلاها .

(٥) الأغانى : ٢١ : ٨٤ ، وفيه « ولكل قوم » .

(٦) ديوانه ١ : ٢٩٨ والتبريزى ١ : ٢٣٥ .

(٧) هو أبو لُبَيْد بن عَبَدَة بن جابر كان أحد فرسان قريش وشعرائها فى الجاهلية وهو الذى يقول :=

إذَا لَبِسُوا القَوانِسَ ثُمَّ جَاءوا كَأَمْثَالِ الكواكِبِ حِينَ تَجْرِى

وَقَالَ أبو تَمَّامٍ[1] :

مَصِيفٌ مِنَ الهَيْجَا ومِن جَاحِم الوَغَى ولكنَّـه مِنْ وابِـلِ الـدَّم مَرْبَـعُ[2]
عَبوسٌ كَسَا أَبْطَالَهُ كُلَّ قَوْنَسٍ يُرَى المَرْءُ مِنْهُ وَهْوَ أَقْرعُ أَنْزعُ[3]

قَوْلُه : « وَهْوَ أَقْرعُ أَنْزعُ » كَمَا يُقَالُ : هَذَا الشَرَابُ حُلْوٌ حَامِضٌ ، أىْ قَدْ جَمَعَ الطَّعْمَيْنِ ، أى : يُرَى المَرْءُ وَهْو أَقْرَعُ وَهْوَ أيْضا أَنْزعُ ، وإلى هَذَا ذَهَبَ واللهُ أعلم ، وفِيهِ مُعَارَضَةٌ ، وَهْوَ أنَّه لايَكُونُ مِن أَجْلِ البَيْضَةِ أَقْرَعَ ، وإنَّما يَكُونَ من أجْلِهَا أَنْزَعَ فَقَطَ ، اللَّهمَّ إلّا أنّ يُقِيمَ البَيْضَة مَقامَ الشَّعْرِ ، وذَلِكَ فِي غَايَةِ البُعْدِ ، ولَوْ كَانَتِ الرِّوايَةُ : « يُرَى المرءُ فيه » – مكان « مِنْه » – « وهو أَقْرَعُ أَنْزَعُ » كَانَ المَعْنَى صَحِيحًا ، ولَوْ كَانَتِ القَافِيَةُ مَنْصُوبَةً لكان المعنى أَصحَّ مِنْ كلِّ صَحِيحٍ ، أىّ : يُرَى المرءُ – الذى هو أَقَرَعُ – أَنْزَعَ .

ولله درُّ أَبِى عُبَادَةَ إذ يَقُولُ[4] :

قَوْمٌ إذَا قِيلَ : النَّجاءَ ، فَمَا لَهُم غَيْرُ الحَفَائِظِ والرَّدَى مِنْ مَهْرَبِ
حَصَّ التَّرِيكُ رُؤوسَهُم ، فرؤوسُهم[5] فى مِثْلِ لألاءِ التَّرِيكِ المُـذْهَبِ

= ألا ياأيها المُهْدِى إلينَا رسالتَه سَترجِعُها بصُفْـر
فلا وأبيك ما تُغْنِى سُهَيْلا ولا عوفًا ولا قيس بن دَهْرِ

الاشتقاق ١١٤ وفيه « أبو لَبِيد » ، جمهرة النسب لابن الكلبى ص ٣٩٤ وفيه « أبو لُبَيْدة » وفى الإكمال لابن ماكولا : « أبو لُبَيْد » ١٨٨/٧ .

(١) ديوانه ٢ : ١٥ والتبريزى ٢ : ٣٣٠ .

(٢) ديوانه : « الدمع » .

(٣) ديوانه وشرح التبريزى : « أفرع » بالموحّدة .

(٤) ديوانه ١ : ٨٢ .

(٥) التريك : بيضة الحديد .

وَقَوْلُهُ:(١)

جَلَّيْتَهُ بِشُعَاعِ رَأْسٍ رَدَّهُ ... لُبْسُ التَّرائِكِ للهِيَاجِ صَلِيعَا

غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ وَصْفًا للبَيْضِ .

وَمَا أَحْسَنَ ماقَالَ قَتَادَةُ بنُ سَلْمَةَ الحَنَفِيُّ(٢):

وَمعى أَسُودٌ مِنْ حَنِيفَةَ فِى الوَغَى ... للبَيْضِ فَوْقَ رُؤُوسِهِم تَسْوِيمُ(٣)

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الحَديد كَأَنَّهُم ... فِى البَيْضِ والحَلَقِ الدِّلاصِ نُجُومُ

وقَال خِداشُ بن زُهَيْر(٤):

وكَتِيبَةٍ بَيْضَاءَ يَبْرقُ بَيْضُهَا ... مِثْلَ السَّماءِ تَزَيَّنَتْ بِنُجُومِ

خَالَطتُها بِمُهنَّدٍ ذِى رَوْنَقٍ ... وأَصَمَّ مُطَّرِدِ الكعوبِ قَوِيمِ

* * *

---

(١) ديوانه ٢ : ١٢٥٦ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى الأغانى « بن مسلمة » ، وهو شاعر جاهلى استجار به الحارث بن ظالم المرى بعد قتله خالد بن جعفر بن كلاب فأجاره . « الأغانى ١٠ : ٢٥ » .

(٣) الأبيات فى الحماسة ، شرح المرزوقى ٢ : ٧٧٠ .

(٤) خداش بن زهير بن ربيعة من بنى عامر ، شاعر جاهلى من شعراء قيس المجيدين ، ويغلب على شعره الفخر والحماسة ، ويقال إن قريشا قتلت أباه فى حرب الفجار ، وكان خداش يكثر من هجوها ، وقال عمرو بن العلاء : « خداش أشعر من لَبيد فى عظم الشعر ، وأبى الناس إلا تقدمة لبيد » ، « الأغانى الدار ٢٢ : ٦٤ ، وطبقات فحول الشعراء ص ١٤٣ ، والمؤتلف والمختلف ص ١٥٣ ، والإصابة ترجمة : ٢٣٢٩ » ، ولم يَرد البيتان فى ديوانه .

ذِكْرُ وصفِ الراياتِ

قَال أبو تَمَّام فى حَرْب بَابَك ، وَيَذْكُر رايَاتِ الأفشينَ[1] :

وَقَدْ ظُلِّلتْ عِقبانُ رَايَاتِهِ ضُحَىً ... بِعقْبانِ طَيْرٍ فى الدِّمَاءِ نَواهِلِ[2]
أقَامَتْ مع الرَّايات حَتَّى كَأَنَّها ... مِنَ الجَيْش إلا أنَّها لَمْ تُقَاتِلِ

وَهَذَا مَعْنَى قَدْ تَدَاوَلَتْه العَرَبُ فِى الجَاهِلِيَّةِ والإسلامِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِى سَرِقَاتِه[3] وَكُلَّ ماقِيلَ فِيهِ .

وَقَالَ فِى مَدْح أبِى سَعِيدٍ[4] :

فَتَح اللهُ فِى اللّوَاءِ لَكَ الخَا ... فِقِ يَوْمَ الإثْنَيْنِ فَتْحاً عَظِيمَا
حَوَّمَتْهُ رِيحُ الجنُوبِ وَلَنْ يُحْـ ... ـمَدَ صَيْدُ العُقَابِ حَتَّى تَحُومَا[5]

/ قَوْلُهُ : « وَلَنْ يُحْمَدَ صَيْدُ العُقَابِ حَتَّى تَحُومَا » ، لأنَّها إذَا حَامَتْ ١٠٥
أبْصَرتِ الطَّرائِدَ فانْقَضَّتْ عَلَيْها .

---

(١) ديوانه ١ : ٢٢٣ والتبريزى ٣ : ٨٢ .
(٢) ديوانه والتبريزى : « أعلامه » .
(٣) انظر ١ : ٦٥ وانظر أيضا رأى الصولى فى شرحه ١ : ٢٢٣ ، وأخبار أبى تمّام ص ١٦٤ .
(٤) ديوانه ٢ : ٤٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٢٩ .
(٥) ديوانه والتبريزى : « صيد الشاهين » .

وَقَالَ الْبُحْتُرِيُّ[1]:

تُصَوِّتُ فَوْقَهم حِزَقُ العَوالى وغَابُ الخَطِّ مَهْزُوزُ العُلُوبِ[2]
كَنَخْلِ «سُمَيْحَةَ» اسْتَعْلَىٰ رَكِيبٌ تُكَفِّيها الرِّياحُ علىَ رَكِيب[3]

فهذا هو التّشبيه الصّحيح والمعنى المستقيم .

وقال أبو تمّام[4]:

نِعْمَ لواءُ الخَميس أُبْتَ بِهِ يومَ خَميسٍ عالى الضُّحىٰ أُفِدِهْ[5]
خِلْتُ عُقابًا بَيْضاءَ فى حُجُرا تِ المُلْكِ طارَتْ مِنْهُ وفى سُدَدِهْ[6]
فشاغبَ الجَوَّ وهو مَسْكَنُهُ وقاتَلَ الرِّيحَ وهْىَ مِنْ مَدَدِهْ
ومرَّ تَهْفُو ذُؤابَتاهُ علىٰ أَسْمَرِ مَتْنٍ يومَ الوَغىٰ جَسِدِهْ[7]
مارِنِــه لَدْنِـــهِ مُثَقَّفِـــهِ عَرَّاصِهِ فى الأَكُفِّ مُطَّــرِدِهِ[8]
تَخْفِقُ أَثْناؤُهُ علىٰ مَلِكٍ يَرى طِرادَ الأَبْطالِ مِنْ طَرَدِهْ
نالَ بعارى القَنـا ولابِسِه مجدًا تبيتُ الجَوْزاءُ من أَمَدِهْ
يَعْلَمُ أن لَيْسَ لِلْعُلىٰ لَقَمٌ نَهْجٌ إذا لم يَطَأْ على قِصَدِهْ[9]

---

(١) ديوانه ١ : ١٠١ .

(٢) ديوانه : « الكعوب » .

(٣) « سميحة » : بئر بالمدينة غزيرة الماء وعليها نخل « معجم البلدان » ، « ركيب » : الحائط من النخل .

(٤) ديوانه ١ : ٤١٦ والتبريزى ١ : ٤٣٦ .

(٥) ديوانه : « أبت به يوم خميس » الأفد : العَجِلُ السريع ، ويلزم تصحيح تشطير البيت فى الديوان .

(٦) ديوانه والتبريزى : « خلتَ » للمخاطب ، سدده : جمع سدّه وهى الباب ، ويلزم تصحيح تشطير البيت فى الديوان .

(٧) التبريزى : « متنا » ، الجساد : الدّم اليابس .

(٨) العرّاص : الذى يهتز .

(٩) اللَّقَمُ : الطريق الواضح ، قِصَدٌ : جمع قِصْدَةٍ وهى الكسرة من القنا ، وفى ديوانه والتبريزى : « نهج لمن لم يَطأ » .

وهذا شِعْرٌ فى غايةِ الاضْطِرابِ ورداءةِ المعانى وسوءِ التأليفِ .

قولُهُ : « على أُسْمَرِ مَتْنٍ » أراد : أُسْمَرَ المتْنِ ، كما يُقالُ : مَررْتُ بأَحْوَلِ عَيْنٍ وأَصْفَرِ وَجْهٍ ، أى : بأحولِ العَيْنِ وأَصْفَرِ الوجه ، وليسَ فى هذِهِ الأبياتِ بَيْتٌ جَيِّدٌ إلّا قَوْلُهُ :

« فَشَاغَبَ الجوَّ وَهْوَ مَسْكَنُهُ »

وَقولُهُ :

« يَرى طِرادَ الأَبطالِ مِنْ طَرَدِه »

وحَذَا حَذْوَ قَوْلِ أبى نُواسٍ(١) :

تَعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أَقْوَاتِها

وأَخَذَه أبو نُواسٍ من قَوْلِ أبى النَّجْمِ(٢) :

تَعُدُّ عَاناتِ اللَّوى من مَالِها

* * *

(١) ديوانه : ص ٦٢٨ وصدره :

بأَكْلُب تَمْرَحُ فى قِدَاتِها

(٢) البيت فى الشعر والشعراء ٢ : ٦٠٥ ، وعانات : جمع عانة : القطيع من حُمُرِ الوحش ، وديوانه المجموع ص ١٦٣ ، واللَّوىٰ : اعوجاج فى ظهر الفرس .

ذكر وصف الخيل في الحرب

قَالَ أبو تَمَّام[1]:

وَاكْتَسَتْ ضُمَّر الجيادِ المذاكِي مِن لِباس الهيجا دَماً وحَمِيمَا
فى مَكَرٍّ تَلُوكُهَا الحَرْبُ فيه وهِيَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشكيما[2]

وَهَذا مَعْنًى قَبِيحٌ جِدًّا، أنْ جَعَل الْحَرْبَ تَلُوكُ الخَيْلَ مِنْ أجل قَوْلِهِ: « تَلُوكُ »، و « تَلُوكُ الشَكِيما » هَاهُنَا أيضا خطأً، لأنَّ الخَيْلَ لاتَلُوكُ الشَّكِيمَ فى المَكَرِّ وحَوْمَةِ الحَرْبِ، وإنَّما تَفْعَلُ ذَلِكَ إذا كَانَتْ واقِفَةً، وقَدْ ذَكَرْتُ هَذا فى أغالِيطِهِ فى المعانى[3] وأوضَحْتُه.

و « المُقْوَرَّةُ »: الضَّامِرةُ.

وأما قول أبى حُزَابَةَ التَّميمىِّ[4]:

خَاضَ الردَّى فى العِدَى قُدْمًا بِمُنْصُلِهِ والخَيْلُ تَعْلُكُ ثِنَّ المَوْتِ باللُّجُمِ[5]

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٠٣ والتبريزى ٣ : ٢٢٩ .

(٢) ديوانه : « موقورة » .

(٣) انظر ١ : ٢٤٣ .

(٤) فى الأصل « التيمى »، وهو الوليد بن حنيفة وأحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم، شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوى حضر وسكن البصرة، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك، وكان شاعرا راجزا فصيحا خبيث اللسان هجّاء « الأغانى ١٩ : ١٥٢ » .

(٥) حماسة أبى تمّام بشرح المرزوقى ص ٦٨٨ وفيه « .. قدما ... تعلك ثنى ... »، وقد سبق فى =

فإنّما قَالَ : « ثِنّ الموت » ، مَثَلا ، والثِّنُّ : هو حُطَام النَّبات اليابِسِ ، ولم يُرد أنها تَعْلُكُ اللُّجُمَ عَلَى الحَقيقَةِ .

وَقَال أنسُ بنُ الدَّيَّانِ (١) :

أَقُودُ الجِيادَ إلى عَامِرٍ عَلائِكَ لُجْمٍ تَمُجُّ الدَّما

ولم يَقُل أنَّها تَفْعَلُ هَذَا فى حَالِ كَرِّهَا .

وقال أبو تَمَّام (٢) :

تُقَاسِمُنا بِها الجُرْدُ المَذاكِي سِجَالَ الكُرْهِ والدَّأْبِ البَعِيدِ (٣)
فَتُمْسى فى السَّوابغ مُحْكَمَاتٍ وتُمسى فى السُّروجِ وفى اللُّبودِ (٤)
حَذَوْنَاها الوَجَى [و] الأَينَ حتَّى تَجَاوَزَتِ الرُّكُوعَ إلى السُّجُودِ (٥)
إذا خَرَجَتْ مِنَ الغَمَراتِ قُلْنَا خَرَجْتِ حَبَائِسًا إنْ لَمْ تَعُودِى (٦)
فَكَمْ مِن سُؤْدَدٍ أمكَنْتِ مِنْهُ بِرُمَّتِهِ عَلَى أَنْ لَمْ تَسُودِى
أَهَانَكِ للطِّرادِ ولم تَهُونى عَلَيْه ولِلْقِيَادِ أَبُو سَعِيدِ
بَلاكِ وكُنتِ أُرْشِيَةَ المَعَالى وبُرْدَ مَسَافَةِ الأَمَدِ البَعِيدِ (٧)

= ١ : ٢٤٤ ، واختار محققه الشيخ السيد صقر رواية « ثِنْيَ » ، وغيّر الكلمة فى تعليق الآمدى إلى « ثنى » ، وقال فى الهامش إن « ثن » تحريف ، والصحيح أن ما فعله شيخنا هو التحريف ، « فالثِّنُّ » هو حطام النبات اليابس لا « الثنى » ، وهو ما شرحه به الآمدى ، وقد أشار المرزوقى فى شرحه لحماسة أبى تمّام إلى هذه الرواية « ثن » وإن كان قد اختار الأخرى .

(١) سبق فى ١ : ٢٤٤ وفيه : « الريان » تحريف .

(٢) ديوانه ١ : ٤٣٦ والتبريزى ٢ : ٣٤ .

(٣) التبريزى : « الكرّ » وديوانه والتبريزى : « العنيد » ، وكتب الناسخ فوق « البعيد » « والعتيد » .

(٤) ديوانه : « فى سوابغ » « وتصبح » والتبريزى : « فتمسي فى سوابغ » .

(٥) الوجَى : شدة الحفا ، والأين : الأعياء ، وحذوناها : أى جعلناهما لها مثل الأحذية .

(٦) الحبائس : الموقوفة على الجهاد .

(٧) التبريزى : « أرشية الأمانى » وديوانه والتبريزى : « مسافة المجد البعيد » ، وفى الأصل : « بلال وكنت ... » تحريف .

وهَذَا وَصْفٌ حَسَنٌ ، ومَعَانٍ جَيِّدةٌ حُلْوةٌ .

قَوْلُهُ : « أهانَكِ للطِّرَادِ » مَعنًى صحيح ، و « للقياد » أُظُنُّهُ يُرِيدُ إذا قِيدَت بين يَدَىْ من يَهَبُهَا لَهُ ، ويَحْمِلُهُ عَلَيهَا ، أى : يَهُونُ عَلَيْهِ أن يُطَارِدَ عَلَيْها فيُتْعِبَها ويُنْصِبَهَا ، ويَهُونُ عَلَيْهِ أن يَهَبَها ، وإلّا فَلَيْسَ بها هَوانٌ أن تُقَادَ بَيْنَ يَدَىْ أبى سَعِيدٍ ، بَلْ قَوْدُ الخَيْل إذا تَعِبَت والجَنَائِبِ بَيْنَ يَدَىْ المُلوكِ من إكرامِهَا لا مِنْ هَوَانِهَا .

وقَالَ البُحْتُرِىّ (١) :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الخَيْلِ أبقَىْ عَلَى السُّرى ... ولا مِثْلَنا أحْنَى عَلَيْها وأشفقا
١٠٦ / وَمَا الحُسْن إلّا أَنْ تراها مُغيرةً ... تُجَاذِبُنَا حَبْلًا مِنَ الصُّبْحِ أَبْرَقَا
فَكَمْ مِنْ عَظِيمٍ أَدْرَكَتْهُ صُدُورُها ... فَبَاتَ غَنِيًّا ثُمَّ أصبح مُمْلِقَا
وأَوْحَشَها مِنْ يوسِف حَمْلُ يوسُفٍ ... عَلَيْها المعالى جامِعا ومفَرِّقَا
إذَا أَفْلَتَتْ من سَمْلَقٍ بنُفوسِها ... أَعَادَ عَلَيْها رائِدُ المَجْدِ سَمْلَقَا (٢)

قَوْلُهُ : « تُجَاذِبُنا حَبْلًا من الصُّبح أبْرَقا » غَايَةٌ فى حُسْنِهِ وحَلَاوتِهِ .

وقَوْلُهُ : « حَمْلُ يُوسُفٍ عليها المَعَالِى جَامِعًا ومُفَرِّقًا » أى : وَأَوْحَشَها مِنه كدُّه إيّاها فى طَلَبِ المَعَالِى ، بأن يُغِيرَ فَيَجْمَعَ الأَمْوالَ ويُفَرِّقَها .

وَقَالَ (٣) :

عَابِسَاتٍ حَمَلْنَ يَوْمَاً عَبُوسًا ... لأُنَاسٍ عَنْ خَطْبِهِ غَافِلينَا

---

(١) ديوانه ٣ : ١٥٠٠ .

(٢) ديوانه : « رائد الموت » ، والسَّمْلَق : الأرض المستوية الجرداء .

(٣) ديوانه ٤ : ٢١٦٦ ، وفيه « يحملن يوماً عبوساً » .

زُرْنَ بالدَّارِعِينَ أَهْلَ « البُقُلَّا ... ر » وأجْلَوْا عَنْ « صاغَرِىٰ » صاغِرِينا [1]

قد طَواهُنَّ طَيُّهنَّ الفَيافِى ... واكتَسَيْنَ الوَجِيفَ حَتَّى عَرِينا

كَوُعولِ الهِضَابِ رُحْنَ وَمَا يَمْـ ... ـلِكْنَ إلّا صُمَّ الرِّمَاحِ قُرُونَـا [2]

جُلنَ فى يَابِس التُّرَابِ فَمَا رِمْـ ... ـنَ طِعَانًا حتَّى وَطِئْنَ الطِينَا

« البُقُلَّار » و « صاغَرىَ » من بِلادِ الرّوم ، و « الوَجِيفُ » : ضَرْبٌ من السَّيْرِ ، وجَعَلَهُ كِسْوةً للخَيْل عَلَى مَذْهَب أبِى تَمَّام الرَّدىءِ فى الاستعَارَةِ ، وإنَّما قَالَ : « اكْتَسَيْنَ » من أجل قَوْلِهِ : « عَرِينَ » يُرِيدُ : عَرِينَ من اللَّحْمِ من طول السَّيْرِ .

وقَوْلُهُ :

كَوُعُولِ الهِضَابِ رُحْنَ وَمَا يَمْـ ... ـلِكْنَ إلّا صُمَّ الرِّماحِ قُرُونَا

من أحْسَنِ تَشْبِيهٍ وألطَفِهِ ، شَبَّهَ الخَيْلَ بِوُعُول الهِضَابِ ، لأنَّه قَطَع بِهَا جِبَال الرُّوم ، وجعل قُرُونَها الرِّمَاحَ ، وإنما سَمِعَ الحجاجَ بنَ عِلاطٍ السُّلَمِىَّ [3] :

تَرَىٰ غابَةَ الخَطِّىِّ فَوقَ مُتُونِهم ... كَمَا أشرَقَتْ فَوْقَ الصِّوارِ قُرُونُها [4]

---

(١) ديوانه : « زرت » ، « بُقلّار » موضع فى ثغر أذربيجان « معجم البلدان » ، « صاغَرَى » : قرية من قرى أذربيجان « معجم ما استعجم ٢ : ١١٠٤ » .

(٢) يجب تصحيح تشطير البيت فى دوانه .

(٣) الحجاج بن علاط السُّلَمِىُّ معدود فى أهل المدينة ، سكنها وبنى بها دارا ومسجدا يعرف به ، أسلم وحسن إسلامه ، وفى عام خيبر رخص له رسول الله ﷺ أن يقول فيه بما شاء عند أهل مكة من أجل ماله وولده بها ، فجاء العباسَ بفتح خيبر وأخبره بذلك سرا ، وأخبر قريشا بضده جهرا ، حتى جمع ما كان له من مال بمكه وخرج عنها ، عاش إلى ما بعد وقعة الجمل ، وذكر صاحب الاستيعاب أنه مدفون « بقاليقلا » من نواحى تركيا رضى الله عنه « الاستيعاب ١ : ٣٢٥ ، والطبرى ٤ : ٥٦٥ ، « انظر فهرسته » » .

(٤) ديوان المعانى ٢ : ٦١ وفيه « ... فوق رؤوسهم ... كما أشرقت ..... » غير منسوب ، وقد سبق فى ١ : ٣١٥ ونسب هناك إلى نصر بن الحجاج بن علاط السُّلَمِى .
نصر بن الحجاج .

واحتذى عليه كُثَيِّرٌ[1] فقال :

وَهم يَضْرِبُونَ الصَّفَّ حتّى يُثَبِّتوا ... وهم يُرجِعُونَ الخَيْلَ جُمًّا قُرُونُها

أَرَاد أَنَّهم يَطْعَنونَ بالرِّماحِ حتَّى تَكَسَّرَ ، وقُرُون الخَيْلِ : الرِّمَاحُ ، كَذَا فَسَّرَهُ يَعْقُوبُ .

وقَوْلُهُ : « حتى يُثَبِّتوا » أى : أَمْرَهُم وملكَهُم ، وقَوْلُهُ : « يُثَبِّتوا » من قَوْلِهم : رَجُلٌ مُثْبَتٌ ، أى مُثْخَنٌ بالجِراحِ ومُثْبتٌ مِنَ المَرَضِ .

وقَالَ البُحْتُرِيُّ[2] :

وأَزَرْتَ الخُيولَ قَبْرَ « امرِىءِ القيـ ... ـسِ » سِرَاعـاً فَعُـدْنَ عَنْـه بِطَـاءَ[3]

وجَلَبْتَ الحِسَانَ حُوًّا وحُورًا ... آنساتٍ حتَّى أَغَرْتَ النِّساءَ

* * *

(١) ديوانه ٢٤٣ .

(٢) ديوانه ١ : ١٨ .

(٣) قبر امرىء القيس : يعني مدينة أنقرة .

ذِكْرُ المسيرِ إلى أَرْضِ العَدُوِّ والنزولِ عَلَيْها والظَّفَرِ والفُتوحِ

قَالَ أبو تَمَّامٍ[1] :

لَقَدِ انْصَعْتَ والشِّتَاءُ لَهُ وَجْـ ـهٌ تَرَاهُ الكُماةُ جَهْمًا قَطُوبَا

طاعِنًا مَنْحَرَ الشَّمالِ مُتِيحاً لِبلادِ العَدُوِّ مَوْتًا جَنُوبَا

أخذ البُحْتُرِيُّ المعنى فَقَالَ[2] :

وَرَمى بِثُغْرتِهِ الثُّغُورَ فَسَدَّهَا طَلْقُ اليَدَيْنِ مُؤَمَّلًا مَرْهُوبَا

بالسَّيْفِ أرسَلَهُ الخَلِيفَةُ مُصْلَتًا والمَوْتُ هَبَّ مِنَ العِرَاقِ هُبُوبَا

بَيْتُ البُحْترىّ أَحْسن وأجودُ لِذِكرِهِ الهُبوبَ ، وبيت أبى تمّام أجمع لِذِكرِهِ الشَّمالَ مع الجَنُوبِ .

ثُمَّ وَصفَ أَبو تَمَّامٍ شِدَّة الزّمانِ من البردِ فَقَالَ[3] :

فِى ليالٍ تَكَادُ تُبْقِى بِحدِّ الشَّـ ـمْسِ من رِيحِهَا البليلِ[4] شُحُوبَا

---

(١) ديوانه ١ : ٢٥٤ والتبريزى ١ : ١٦٥ وفيهما « يراه الكماة » .

(٢) ديوانه ١ : ١٨٦ .

(٣) ديوانه ١ : ٢٥٤ والتبريزى ١ : ١٦٥ .

(٤) البليل : الريح الباردة التى فيها شيء من المطر .

سَبَراتٍ إذَا الحُرُوب أُنِيخَتْ (١) هَاجَ صِنَّبْرُها فَكَانَتْ حُرُوبا
فَضَرَبْتَ الشِّتَاء فى أَخْدَعَيْهِ (٢) ضَرْبَةً غَادَرَتْه عَوْدا رَكوبا

وهذه من استعاراته القبيحة المعرُوفةِ (٣) .

وَقَال فى ضِدّ قوله : « فَضَرَبْتَ الشِّتاء فى أخدَعَيْه » فى مدح أبى سعيد (٤) :

كَرُمَتْ غَزَوَتاكَ بالأمسِ والخَيْـ ـلُ دِقَاقٌ والخَطْبُ غَيْرُ دَقِيقِ
كَمْ أَفَادَتْ مِنْ أَرْضِ قُرَّة من قُرَّ ةِ عَيْنٍ وَرَبْرَبٍ مَرْمُوقِ
ثُمَّ آبَتْ وأُبْتَ خَوْفَ الغَمَامِ الـ ـفَظُّ (٥) ذا فِكْرَةٍ وقَلْبٍ خَفُوقِ
لاتُبَالِى بَوَارِقَ البِيضِ والسُّمْـ ـرِ ولكِن بَالَيْتَ لَمْعَ البُروق
تَشْنَأُ الغَيْثَ وَهْوَ جِدُّ حَبِيبٍ (٦) رُبَّ حزمٍ فى بِغْضَةِ المَوْمُوقِ
لَمْ تَخَوّف ضَرَّ العدُوِّ ولا بَغْـ ـياً ولكِن تَخَافُ ضَرَّ الصَّدِيقِ

وقال البُحتُرىّ (٧) :

إذ مَضَى مُجْلِيًا يُقَعْقِعُ فِى الدَّرْ بِ زَئِيرًا يُنْسِ الكِلابَ العُواءَ
/ يَوْمَ خَاضَتْ مِن خَوْفِهِ رِبَّةُ الرّو مِ صَبَاحًا ، ورَاسَلَتْهُ مَسَاءَ ١٠٧
حِينَ أَبْدَتْ إِلَيْكَ « خَرْشَنة العُلْـ ـيا » (٨) مِنَ الثَّلج هَامَةً شَمْطَاءَ

---

(١) السَّبرات : « الغدوات الباردات – الواحدة سبرة – « الصِنَّبْر » : واحد صنابر الشتاء وهو شدة البرد ، وفى ديوانه وشرح التبريزى : « أُبيخَت » من باخت النار تبوخ إذا سكن لَهَبُها ، أما « أُنِيخَتْ » فمن أناخ الابل أى أبركها ، والمعنى : إذا سكنت الحروب هاج البرد .

(٢) « عودا » : أى جملا مسنا ، « ركوبا » : مذللا وقد سبق فى ١ : ٢٦١ ، ٢٧١ .

(٣) انظر رأى عبد القاهر فى اللفظ الواحد يقع مقبولا ومكروها « دلائل الإعجاز ص ٤٧ » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٤٢ والتبريزى ٢ : ٤٤٢ .

(٥) التبريزى : « الفظّ » وذكر رواية الموازنة ، والتبريزى وديوانه « ذو فكرة » .

(٦) التبريزى وديوانه : « حَقُّ حبيب » .

(٧) ديوانه ١ : ١٦ ، الأبيات « ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٨ ، ٣٩ » .

(٨) خَرْشَنةُ : بلد قرب مَلَطِيّة من بلاد الروم « معجم البلدان » .

مَانَهَاكَ الشِّتَاءُ عَنْها وفِى صَدْ رِكَ نَارٌ للحِقْدِ تُنْهِى الشِّتَاءَ

قوله : « خَرْشَنَةُ العُلْيَا » هى خَرْشَنَةٌ واحِدةٌ ، وإنَّما قَالَ : « العُلْيا » أراد : التى هى عَالِيَةٌ .

وقَوْلُهُ : « وفى صَدْرِكَ نارُ الحِقْدِ تُنْهِى الشِّتَاءَ » أحْسَنُ من « فضَرَبْتَ الشتاء فى أخْدَعَيْهِ » ، وخلافُ قَوْلِهِ :

لاتُبَالِى بَوارِقَ السُّمرِ والبِيـ ـضِ ولكنَ بَالَيْتَ لَمْعَ البُرُوقِ(١)

وَقَالَ أبو تمّامٍ(٢) :

أَوْقَدْتَ مِنْ دونِ الخَلِيجِ لأَهْلِها نَارًا لَهَا خَلْفَ الخَلِيجِ شَرَارُ

إلا تَكُنْ حُصِرَت فَقَدْ أَضْحى لها من خَوْفِ قارِعَةِ الحِصَارِ حِصَارُ

فَهُنَاكَ نَارُ وغًى تُشَبُّ وَهاهُنا جَيْشٌ له لَجَبٌ وثَمَّ مُغَارُ

خَشَعُوا لَصَوْلَتِكَ التِى هِىَ عِنْدَهُم كالمَوْتِ يأتِى لَيْسَ فيه عَارُ

وهَذَا فى غَايَةِ الجَوْدةِ والصحةِ والسَّلامَةِ .

وقال بَعْدَ هَذَا :

غَادَرْتَ أرضَهُمُ بِخَيْلِكَ فى الوَغَى فَكَـأَنَّ أمنعَهـا لَهَـا مِضْمَـارُ

« لها » : للخَيْلِ مِضْمَارُ ، وَهْوَ الميدانُ الذى تَجْرِى فِيهِ وتُضَمَّرُ .

فأَقَمْتَ فِيها وادِعاً مُتَمَهِّلا حَتَّى ظَنَنَّا أنَّها لَكَ دَارُ

---

(١) رواه قَبْلُ : « البيض والسمر » .

(٢) ديوانه ١ : ٥٢٢ والتبريزى ٢ : ١٦٨ .

وهَذَا مَعْنَى حَسَنٌ لَطِيفٌ ، وأَحْسَنُ منه وأَجْوَدُ وأحلى قول البُحْتُرِىّ[1] :

وَوَصَلْتَ أَرْضَ الرُّومِ وَصْلَ كُثَيِّرٍ أطـلالَ عَزَّةَ فى لِوَى تَيْمَـاءِ
فى كلِّ يَوْمٍ قد نَتَجْتَ مَنِيَّةً لِحُمَاتِها من حَرْبِكَ العُشَراءِ

وَقَال أبو تَمَّامٍ فى فَتح عمّوريَّة[2] :

يَايَوْمَ وَقْعَةَ عَمُّورِيَّةَ انصَرَفَتْ مِنكِ المُنَى حُفَّلا مَعْسُولَةَ الحَلَبِ[3]
أَبْقَيْتِ جَدَّ بَنِى الإِسْلامِ فى صَعَدٍ والمُشْرِكِينَ ودَارَ الشركِ فى صَبَبِ
أُمٌّ لهَمْ لَوْ رَجَوا أن تُفْتَدى جَعَلُوا فِداءَها كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمُ وأَبِ
وَبَرْزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُها كِسرى وَصدَّتْ صُدُودًا عَنْ أبى كَرِبِ[4]
بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْها هِمَّةُ النُّوَبِ
مِنْ عَهْدِ إسكَنْدرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ شَابَتْ نَوَاصِى اللَّيَالِى وهْىَ لَمْ تَشِبِ
حَتَّى إذا مَخَّضَ اللّٰهُ السِنِينَ لها مَخْضَ البَخِيلةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ[5]
أَتَتهمُ الكُرْبَةُ السَّوْداءُ كارِبَةً[6] مِنْهَا وَكانَ اسْمُها فَرَّاجَةَ الكُرَبِ
جَرَىٰ لَها الحَالُ بَرْحًا يَوْمَ أنقرةٍ[7] إذْ غُودِرَتْ وحشةَ السَّاحاتِ والرُّحَبِ
لما رَأَتْ أُخْتَها بالأمسِ قد خَرِبَتْ كَانَ الخَرابُ لَها أَعْدَى من الجَرَبِ

---

(١) ديوانه ١ : ١٠ .

(٢) ديوانه ١ : ١٩٠ والتبريزى ١ : ٤٦ .

(٣) ديوانه : « عنك » .

(٤) أبو كرب : كنية أحد التبابعة من ملوك اليمن « التبريزى » .

(٥) ديوانه : « الحلبية » .

(٦) فى الأصل « سادرة » وهى رواية الديوان والتبريزى ، غير أن الآمدى روى « كاربة » فى الشرح بعد الأبيات فأثبتُّها .

(٧) ديوانه والتبريزى : « الفال » .

قوله : « مَخْضَ البَخِيلةِ » ، لأنّها تَستَقصِى مَخْضَ السِّقَاء حتى لايَبْقى شَىءٌ مِن الزُّبْدِ إلا استخرَجَتْهُ .

وقَوْلُهُ : « الكُرْبَةُ السَّودَاءُ » مِن أجْلِ الرَّاياتِ السّودِ ، « كارِبةً مِنْها » يُرِيد مِن عَمُّورِيَّة ، « كارِبةً » أى : غَاشِيةً لَهَا ودانِيَةً مِنهَا ، يُقَال : قَدْ كَرَبَ أن يَفْعَل كَذَا أى : دَنَا وقَرُبَ .

« وكَانَ اسْمُها فرَّاجَةَ الكُرَبِ » أى : الكُرْبَةُ السَّوْدَاء ، يريد الرَّايَاتِ السُّودُ ، و « فَرَّاجَةَ الكُرَبِ » : لأنها فَرَّجَتِ الكُرْبَةَ مِن الدولَةِ الأمويَّةِ لمَّا خَرَجَت مِن خُرَاسَان .[1]

ثُمَّ وَصفَ الحَرِيقَ فَقَالَ :

تَرَكْتَ فيها بَهِيمَ اللَّيلِ وَهْوَ ضُحىً ... يَشُلُّهُ وَسْطَها صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

حَتَّى كأنَّ جلابيب الدُّجَى رَغِبَتْ ... عَنْ لَوْنِها وكأنَّ الشَّمسَ لَمْ تَغِبِ

ضَوءٌ مِن النَّارِ والظَّلمَاءُ عاكِفَةٌ ... وظُلْمَةٌ[2] من دُخَانٍ فِى ضُحىً شَحِبِ

فَالشَّمسُ طَالِعَةٌ مِن ذَا وقَدْ أَفَلَتْ ... والشَّمس واجِبَةٌ مِنْ ذَا ولَمْ تَجِبِ

وإنَّما حَذَا فى هَذَا كُلِّهِ حَذْوَ قَوْلِ النَّابِغَةِ[3] يَصِفُ يَوْمَ حَرْبٍ :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمسُ طَالِعَةٌ ... لا النُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

ثُمَّ قَالَ :

تَكَشَّف[4] الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الغَمَامِ لَهَا ... عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْها طَاهِرٍ جُنُبِ

---

(١) قال ابن المستوفى فى النظام : « ويروى كارِبَةً منها أى : من عمورية أى دانية منها ، يقال : كَرَبَ أى : دنا . وقوله « فَرَّاجَةَ الكُرَبِ » لأنها [فَرَّجت] الكرب من الدولة الأموية لما خرجت من خراسان » .
« النظام حـ ١ لوحة ٥٠ » .

(٢) فى الأصل : « وظلمته » .

(٣) ديوانه ١٣٤ .

(٤) ديوانه والتبريزى : « تصرّح » .

مَارَبْعُ مَيَّةَ معْمُورا يُطيفُ به غَيْلانُ أَبهىٰ رُبىً مِن رَبْعِها الخَرِبِ[1]

ولا الخدودُ وَقَد أُدْمِينَ مِنْ خَجلٍ أَشْهَى إلى نَاظِرٍ من خَدِّها التَّرِبِ[2]

سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ منَّا العُيونُ بِهَا عن كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أو مَنْظَرٍ عَجَبِ[3]

/ وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْقَى عواقِبُهُ جَاءَت بَشَاشَتُهُ من سُوءِ مُنْقَلبِ ١٠٨

وقَوْلُهُ : « مارَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ به غَيلانُ » إنما استَحْسَنَه غَيْلانُ وَحْدَه ويَكُون بَهِيًّا عِندَه لا عِنْدَ النَّاسِ ، وكَأَنَّه أرَادَ : أبهى رُبىً عِنْدَنا من رَبْعِ مَيَّة عِند غَيْلان[4] ، والمعنى غيرُ جيِّد ، وإنَّما كَانَ يَنبغى أن يشبِّهه بشيءٍ له بَهاءٌ عَلَى كلِّ حَالٍ عند كلِّ أَحد على العُمُومِ ، لكنَّ البُحترىَ ذَكَر كُثَيِّراً وأطلالَ عَزَّةَ فَوَضَع القَوْلَ فِى مَوْضِعِه الذى يَلِيقُ بِهِ فَقَالَ[5] :

وَوَصَلْتَ أَرْضَ الرُّوم وَصْلَ كُثَيِّرٍ أطـلالَ عَزَّةَ فى لِوَى تَيْمَـاءِ

وَهَذا فى غَايَةِ الحُسْنِ والصِحَّةِ ، يَصْلح أن يَكونَ مِثَالا لكلِّ شىءٍ أَدَام الملازمةَ لشىءٍ .

وقَال البُحْتُرىّ[6] :

رَمَى الرُّومَ بالغَزْوِ الذى ماتَتَابَعَتْ نوافِذُهُ إلا أصبَنَ المقاتِـــلا

---

(١) غيلان : هو ذو الرّمّة ، ومَيَّة : صاحبته التى يشبب بها .

(٢) ديوانه : « ولو أُدْمِينَ » .

(٣) التبريزى : « تبلو » .

(٤) قال أبو العلاء : وفى بيت الطائى حذف يدل عليه المعنى ، وذلك أنه ذكر ربْعَ مَيَّة وليس له بَهاءٌ ، إلا عند غيلان لمكان لَهْجِه بها ، فكأن المعنى : ماربعُ ميَّةَ فى نفس غيلان أبهى من هذا الرَّبْعِ الخَرِبِ فى أعين المسلمين « التبريزى ١ : ٥٧ » .

(٥) ديوانه ١ : ١٠ ، وتيماء : بُلَيْد فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى « معجم البلدان » .

(٦) ديوانه ١٦٠١ .

غَزاهُمْ فَأَفْناهُمْ ، ولم يَقْتَصِرْ بِهِمْ | على العَامِ حَتَّى جَدَّدَ الغَزْوَ قَابِلا [١]
رُوَيْدَك ! أَنْظِرْهُمْ لِتَنْتجِعَ الرُّبى | مُنَوَّرَةً أَوْ تَحْلُبَ الخِلْفَ حَافِلا [٢]
فقد غُرْتَ بالغَاراتِ فى وهَدَاتِهِمْ | وَلِيًّا وَوَسْمِيًّا رِذَاذًا ووابِلا
وسُقْتَ الذى فوقَ المَعاقِلِ مِنْهُمُ | فلَمْ يَبْقَ إلا أَنْ تَسوقَ المَعَاقِلا

فهذه هى الطَّرِيقَةُ العربِيَّةُ والبلاغَةُ المُتْقَنَةُ .

وقال :[٣]

حوَى كُلَّ ما دُونَ الخليجِ ولم يَدَعْ | فُؤَادًا بما دونَ الخَليـــجِ مُعَلَّقَـــا [٤]
قليـلُ السُّرورِ بالكَـثيرِ يَنالُـهُ | فتَحْسَبُهُ – وهو المُظَفَّرُ – مُخْفِقَا
ومُحْتَرِسٍ من أين رُمْتَ اغْتِرَارَهُ | وَجَدْتَ له سَهْمًا إليك مُفَوَّقَا

وهذا حَزْمٌ وتَيَقُّظٌ لا غايةَ وراءَهُما ، ولَفْظٌ وعِبَارَةٌ عن معنىً لاشَىءَ أَوضحُ مِنْهُ .

ومثلُ قَوْلِهِ : « ... وهو المُظَفَّرُ مُخْفِقا » قَوْلُهُ فى أَبى سَعِيدٍ :[٥]

يُرَجِّى التُّقَى من هَدْيِهِ واعْتِلائِهِ | سَكِينَةَ مَغْلُوبٍ وأَوْبَةَ غَالِبِ

* * *

(١) ديوانه : « لهم » .
(٢) ديوانه : « لك الخير » والخلف : الضرع .
(٣) ديوانه ٣ : ١٥٠٠ .
(٤) الخليج : بحر دون قسطنطينية : « معجم البلدان » ، وفى ديوانه « بما خلف » .
(٥) ديوانه ١ : ١٨٢ . وفيه « يزجى » وفى الهامش : « « يرجى » تصحيف » .

ذكر من انهزم ونجا بحشاشته ومن أُسر

قال أبو تَمّامٍ يعنى بابَكَ الخُرَّمِيَّ[1] :

ونَجا ابنُ خَائِنَةِ البُعولَةِ لَوْ نَجا   بِمُهَفْهَفِ الكَشْحَينِ والآطالِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ سالِيًا لا نَاسِياً   عُذْرُ النَّسيِّ خِلافُ عُذْرِ السَّالِى[2]
هَتَكتْ عجَاجَتَهُ القَنا عن وَامِقٍ   أهدى الطِعانُ لَه خَليقةَ قَالِ

وقال فيه[3] :

عَشِيَّةَ صَدَّ البَابكيُّ عن القَنَا   صُدودَ المُقَالى لا صُدودَ المُجامِلِ
تَحدَّر من لِهْبَيْهِ يَرجُو غَنيمةً   بِسَاحةِ لا الوَانِى ولا المُتخَاذِلِ[4]
فكان كَشاةِ الرَّمْلِ قَيَّضَهُ الرَّدىٰ   لِقَانِصِهِ من قَبْلِ نَصْبِ الحَبَائِلِ[5]

وهذا وما قَبْلَهُ جَيِّدٌ بالِغٌ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٢١٧ والتبريزى ٣ : ١٤٢ .

(٢) التبريزى : « خلّى الأحبة سالما لا ناسيا » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٢٦ والتبريزى ٣ : ٨٣ .

(٤) اللِّهْبُ : طريق ضيّق فى الجبل .

(٥) شاة الرمل : البقرة الوحشية « التبريزى » .

وقالَ :[1]

عَدا اللّيلُ فِيها عن مُعاوِيَةَ الرَّدى ... وما شَكَّ رَيْبُ الدَّهْرِ فى أنَّه رَدِى
لَعَمْرِى لقَد حَرَّرْتَ يومَ لَقِيتَهُ ... لَوَ آنَّ القَضاءَ وَحْدَهُ لم يُبَرِّد
وَفى أَرْشَقِ الهَيْجاءِ والخَيْلُ تَرْتَمِى ... بأَبْطَالِها فى جَاحِمٍ مُتَوقِّدِ
عَطَطْتَ على رَغْمِ العِدا عَزْمَ بَابَكٍ ... بِصَبْرِكَ عَطَّ الأَتْحَمِيِّ المُعَضَّدِ[2]
فإنْ لايَكنْ وَلَّى بِشِلْوٍ مُقَدَّدٍ ... هُناك فَقدْ وَلَّىْ بِعزمٍ مُقَدَّدِ[3]

قَوْلُهُ : « لَوَ آنَّ القَضاءَ وَحْدَه لم يُبَرِّدِ » من معانِيه التى كان الشيوخُ يَضْحَكُونَ مِنْهَا .[4]

وقولُهُ : « وفى أَرْشَقِ الهَيْجاءِ » أَرادَ : فى هَيجاءَ أَرْشَقَ فجاءَ بِهِ على القَلْبِ ، أى : فى حَرْبٍ أَرْشَقَ ، « عَطَطْتَ » : شَقَقْتَ ، والأَتحمِيُّ : ضَرْبٌ من الثِّيابِ .

وقالَ :

وقد كانَتِ الأَرْماحُ أَبصَرْنَ قَلْبَهُ ... فأَرْمَدَهَا سِتْرُ القَضاءِ المُمَدَّدِ

والسِتْرُ المَمْدُودُ من كلِّ شَيءٍ إنَّما يَحجبُ العَينَ عن أَنْ تَنْظُرَ إلى ما وراءَهُ ، فأمّا أن يُرْمِدَها فلا ، لَكِنَّه ذهبَ إلى أَنَّ الأَرمَدَ لايُبصِرُ .

---

(١) ديوانه ١ : ٤٣٢ والتبريزى ٢ : ٢٧ .
(٢) عط : شق ، والأتحمى : ضرب من البرد « التبريزى » .
(٣) فى الأصل : « بشاة » تحريف .
والشلو : العضو ، وقيل بقية الجسد « التبريزى » .
(٤) قال ابن المعتز : وأنشد البيت » : لم تخرج له هذه المطابقة خروجا حسنا ، ولا تحسن فى كلّ شيء « الموشح ص ٤٧١ » ، ونقل هذا ابن المستوفى فى النظام ، وزاد عليه فقال : ونقلت من خطّ عبد الله بن محمد ابن سعيد بن سنان وقال « وأنشد البيت » ومعه قوله :
فإن خفرت أموالَ قَوْمٍ أكفُّهم ... من النّيلِ والجَدوىٰ فكَفَّاهُ مَقطَعُ
فهذان البيتان من الطباق القبيح الذى لم يرد لحسن معناه وسلاسة لفظه ، بل ليكون فى الشعر مطابقة فقط « النظام حـ ١ لوحة ٣٢٠ » .

[وقال](١) :

وكَانَ هُوَ الجَلْدُ القُوَىٰ فَسلَبْتَهُ … بِحُسْنِ الجِلادِ المَحْضِ حُسْنَ التَّجلُّدِ
لَعَمْرى لقَد غَادَرْتَ حِسْىَ فُؤادِهِ … قَرِيبَ رِشاءِ لِلقَنا سَهْلَ مَوْرِدِ
فكان بَعيدَ القَعْرِ من كُلِّ مَاتِحٍ … فغادَرْتَه يُسْقَىٰ ويُشْرَبُ باليَدِ

وهذا غاية فى حسنه وصحّته وحلاوته وغرابته .

وقال(٢) :

/ إلّا تَنَلْ « مَنْوِيلَ » أطرافُ القَنَا … أو تُثْنَ عَنْه البِيضُ وهْىَ حِرَارُ ١٠٩
فلقَدَ تَمنّىٰ أنَّ كُلَّ مَدِينَةٍ … جَبَلٌ أصَمُّ ، وكلَّ حِصْنٍ غَارُ
فأنْظُرْ بعَيْنِ شَجاعَةٍ فَلَتَنْظُرَنْ(٣) … أَنَّ المُقامَ بحَيْثُ كُنْتَ فِرَارُ
هَيْهاتَ جاذَبَكَ الأعِنَّةَ بَاسِلٌ … يُعْطِى الشَّجَاعَةَ كُلَّ من تَخْتَارُ(٤)
فَمضى لو آنَّ النَّارَ دونَك خَاضَها … بالسَّيْفِ إلّا أنْ تَكونَ النَّارُ(٥)

وقال يمدحُ الأَفْشِينَ(٦) :

لاقَاكَ بَابَكُ وَهو يَزْأَرُ فانْثَنىٰ … وزَئِيرُهُ قد عادَ وَهْوَ أنِينُ
لما رَأىَ عَلَمَيْكَ ولَّىٰ هَارِبًا … ولِكُفْرِه طَرْفٌ عَلَيْه سَخِينُ
وَلَّى ولَمْ يَظْلِمْ وهلْ ظَلَمَ أمرؤٌ … حَثَّ النَّجاءَ وخَلْفَه التِّنِّينُ

---

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) ديوانه ١ : ٥٢٣ والتبريزى ٢ : ١٧١ .
(٣) ديوانه والتبريزى : « فلتعلمن » .
(٤) ديوانه والتبريزى : « كلّ ما » .
(٥) ديوانه : « يمضى » .
(٦) ديوانه ٣ : ٣٦ والتبريزى ٣ : ٣١٨ .

طَعَنَ التَّلهُفُ قَلْبَهُ فَفُؤادُهُ من غَيْرِ طَعْنَةِ فارسٍ مَطْعونُ
ورجَا بِلادَ الرُّومِ واسْتَعْصَىٰ بِهِ أَجَلٌ أَصَمُّ عن النَّجاءِ حَرونُ
هَيْهاتَ لم يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ ثَوىٰ بالصِّينِ لم تَبْعُدْ عليكَ الصِّينُ[1]

وهذا كلُّه معنًى ولفظًا لا مطعنَ عَلَيْهِما فى الصحَّةِ والاسْتِقَامةِ والحُسْنِ والجَوْدَةِ .

وقالَ[2] :

إن يَنْجُ مِنْكَ أبو نَصْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ تَنْجُو الرِّجالُ ولكِنْ سَلْهُ كَيفَ نَجَا

وهذا بَيْتُهُ المَشْهُورُ الذى يُسْتَحْسَنُ من أَجْلِ إجْمالِهِ وتَرْكِهِ أَنْ يُشْرَحَ .

وقد أَحسنَ البُحتريُّ فى قَوْلِهِ[3] :

إن يَنْجُ مُنْهَزِمًا رَكْضًا فَقَد وَطِئَتْ مِنْهُ الرِّماحُ صَلِيفَىْ كَاهِلٍ وقَفَا

وقال أبو تمّامٍ[4] :

ولَّىٰ مُعاويةُ عَنْهُمْ وقَد أخَذَتْ فيه القَنَا ، فأبَىٰ المِقْدارُ والأَمَدُ[5]
نجَّاكَ فى الرَّوْعِ مانَجَّىٰ سَمِيَّكَ فى صِفِّينَ والخَيْلُ بالفُرْسانِ تَنْجَرِدُ[6]

---

(١) فى الأصل : « لم يعلم بابك » تحريف .

(٢) ديوانه ١ : ٣٦٢ والتبريزى ١ : ٣٣٦ .

(٣) ديوانه ٣ : ١٤٣٦ .

(٤) ديوانه ١ : ٤٢٦ والتبريزى ٢ : ١٤ .

(٥) جاء فى النظام « وفى نسخة : معاوية اسم بابك » النظام حـ ١ لوحة ٣١٧ ، وفى التبريزى : « وقد حكمت » .

(٦) أراد قول النجاشى فى معاوية بن أبى سفيان :

ونجَّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالَةٍ أجَشُّ هَزِيمٌ والرِّماحُ دَوانِى

« وقعة صفين ٥٢٤ » .

إنْ تَنْفَلِتْ وأُنوفُ المَوتِ رَاغِمَةٌ　　فاذْهَبْ فأنْتَ طَلِيقُ الرَّكْضِ يالُبَدُ (١)

وقال فيها :

تَرَكْتَ مِنْهُمْ سبيلَ النَّارِ سَابِلَةً　　فى كُلِّ يَوْمٍ إلَيْها عُصْبَةٌ تَرِدُ
كأنَّ بَابَك بالبَذَّيْنِ بَعْدَهُمُ　　نُؤْيٌ أقَامَ خِلافَ الحَيِّ أو وَتَدُ (٢)

وقال (٣) :

لمَّا رَأى الحَرْبَ رَأْيَ العينِ تَوْفَلِسٌ　　والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى من الحَرَبِ (٤)
غَدا يُصَرِّفُ بالأَمْوالِ جزْيَتَها　　فَعَزَّهُ البَحْرُ ذُو التَّيارِ والحَدَبِ (٥)
لم يُنْفِقِ الذَّهَبَ المُرِبى بِكَثْرَتِهِ　　على الحَصَى وبهِ فَقْرٌ إلى الذَّهَبِ
إنَّ الأُسُودَ أُسودَ الغِيلِ هِمَّتُها　　يَومَ الكَرِيهَةِ فى المَسْلوبِ لا السَّلَبِ (٦)
وَلَّى وقَدْ أَلْجَمَ الخَطِّيُّ مَنْطِقَهُ　　بِسَكْتَةٍ تَحْتَها الأَحْشَاءُ فى صَخَبِ
أحذَى قَرابِينَه صَرْفَ الرَّدَى ومَضَى　　يَحْتَثُّ أَنْضَى مطَايَاهُ من الهَرَبِ (٧)

وهذا إحْسانُهُ المعروفُ الذى لَاشَىء يَفوقُهُ .

---

(١) « لبد » اسم أحد نسور لقمان ، وهو اسم يتشاءم منه » انظر التبريزى » .

(٢) شبهه بالنؤىء أو الوتد المهملين يريد أنه تُرِكَ ذليلا .

(٣) ديوانه ١ : ٢٠٠ والتبريزى ١ : ٦٤ .

(٤) توفلس : هو توفيل بن ميخائيل ، انظر تاريخ الطبرى ٩ : ٥٥ ، دار المعارف . وقد سبق البيت فى ١ : ٧١ .

(٥) ديوانه والتبريزى « جريتها » بالراء المهملة وقال الصولى : « وسمعت من لا يفهم شيئا ويدّعى كل شىء ولا أسميه ، يقول : « جزيتها » بالزاى يذهب إلى أنه أراد أن يعطى الجزية ، وهذا تصحيف قبيح ، لأنه لو بذل الجزية لأخذت منه ، إنما بذل مالا لا على سبيل الجزية » .

(٦) ديوانه « الغاب » .

(٧) ديوانه : « أخفى » والتبريزى « أنجى » .

وقال (١)

رآهُ العِلْجُ مُقْتَحِمًا عليه   كما اقْتَحَم الفَناءُ علىَ الخُلودِ
فمرَّ ولو يُجارِي الرِّيحَ خِيلَتْ   لدَيهِ الرِّيحُ تَرْسُفُ فى القُيودِ

قوله :

كما اقْتَحم الفَناءُ على الخُلودِ

من قول مُسْلِمِ بن الوَليدِ (٢) :

كأنَّه أَجَلٌ يَسْعىٰ إلىٰ أَمَلِ

وقولُهُ :

.... خِيلَتْ   لَدَيهِ الرِّيحُ تَرْسُفُ فى القُيودِ

فى غايَةِ الجَودَةِ .

وقال فى مَدح إسحاق بنِ إبراهيمَ (٣) :

سَمّاهُمُ البَطَرُ الأُسْدَ الغِضَابَ فلَمْ   تَهْجَعْ سُيُوفُكَ حَتَّى صُيِّرُوا نَعمَا (٤)
ولَّتْ شَياطِينُهم عن حَدِّ مَلْحَمَةٍ   كَانَتْ نجُومُ القَنَا فِيها لَهُمْ رُجُما (٥)

وما وراءَ هذا البيتِ غايةٌ فى حُسْنِهِ وحلاوَتِهِ وصِحَّةِ مَعناهُ ، ولَسْتُ أَدْرى أَيُّهُما أَجَودُ فى مَعناه أَهُو أَمْ قولُ البُحْتُرِيِّ :

---

(١) ديوانه ١ : ٤٣٧ والتبريزى ٢ : ٣٧ وقد سبق البيت الأول فى ١ : ٧٨ .

(٢) ديوانه : ص ٩ وصدره :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يَوم ذى رَهَجٍ

(٣) ديوانه ٢ : ٤٣٦ والتبريزى ٣ : ١٧٢ .

(٤) التبريزى يقول : بَطِرُوا وعَتَوْا على الإسلام وأهلِه عَتْوَةَ الأُسْدِ الغِضابِ .

(٥) التبريزى أى : كانوا فى تعرضهم للإسلام كالشياطين التى تسترق السمع ، وكنت فى قمعهم كالكواكب تُرْجَمُ بها الشياطين .

قَمَرٌ يكُرُّ على الكُماةِ بِكَوْكَبِ ؟[١]

وقال فى مَدْح خَالِدِ بن يَزيدَ بنِ مَزْيَدٍ[٢] :

وَلمَّا رَأى تَوْفِيلُ راياتِكَ التى   إذا ما اتْلأَبَّتْ لايُقاوِمُها الصُّلْبُ[٣]
تَوَلَّى ولم يَأْلُ الرَّدىٰ فى اتِّباعِهِ   كأنَّ الرَّدى فى قَصْدِه هَائِمٌ صَبُّ
غدا خَائِفًا يَستَنْجِدُ الكُتْبَ مُذْعِنًا   عليكَ فلا رُسْلٌ تَنتَكَ ولا كُتْبُ
وما الأَسَدُ الضِّرْغَامُ يومًا بِتَارِكٍ   صَرِيمَتَه إن أَنَّ أَوْ بَصْبَصَ الكَلْبُ[٤]
/ فمرَّ ونَارُ الكَرْبِ تَلْفَحُ قَلْبَهُ   وما الرَّوْحُ إلّا أَنْ يُخَامِرَهُ الكَرْبُ[٥] ١١٠
مَضىٰ مُدْبِرًا شَطْرَ الدُّبُورِ ونَفْسُهُ   على نَفْسِهِ من سَوءِ ظَنٍّ بِهَا إِلْبُ[٦]
جَفا الشَّرْقَ حَتى ظَنَّ من كَانَ جَاهِلًا   بِدِينِ النَّصارىٰ أَنَّ قِبْلَتَه الغَرْبُ

وحَسْبُكَ بِهذَا جَوْدَةً .

وقال البحتريُّ[٧] فى هذا البابِ :

أَشْلَى على « مَنوِيلَ » أَطْرافَ القَنا   فنَجَـا عَتِيـقَ عتِيقَـةٍ جَرْداءِ[٨]
ولَوَ انّـهُ أَبطىٰ لَهُـنَّ هُنَيْهَـةً   لصَدَرْنَ[٩] عَنْـهُ وهُـنَّ غَيْـرُ ظِمـاءِ

---

(١) ديوانه ١ : ٨١ وصدره : « وتَراهُ فى ظُلَمِ الوغىٰ فتخالُه » .

(٢) ديوانه ١ : ٢٧١ والتبريزى ١ : ١٨٨ .

(٣) اتلأبّت أى : استقامت « التبريزى » .

(٤) ديوانه والتبريزى : « بعاكس » .

(٥) الرَّوْحُ : الفرح ، والمَعنىٰ : وما الرَّوْحُ للمسلمين إلا أن يخامر هذا العدوَّ الكَرْبُ ، فحذف لعلم السامع « التبريزى » ، وفى ديوانه : « تلفح وجهه » .

(٦) يقال : هم إلب عليك أى تألّبوا « التبريزى » .

(٧) ديوانه ١ : ١٢ .

(٨) منويل قائد من قواد امبراطور الروم ، والمعنى : أن الفرس العتيقة أعتقته من الأسر « ديوانه » وانظر عبث الوليد ص ٢٢ .

(٩) فى الأصل : « فصدرن » والتصحيح من ديوانه .

فَلَئِنْ تَبَقَّاهُ القَضاءُ لِوَقْتِهِ   فلقدْ عَمَمْتَ جُنودَه بِفَنَاءِ
أَثكَلْتَهُ أشياعَه ، وتَرَكْتَهُ   لِلْموتِ مُرْتَقِبًا صَباحَ مَساءِ
حتَّى لَوِ ٱرْتَشَفَ الحدِيدَ أذَابَهُ   بالوَقْدِ من أنْفاسِه الصُّعَداءِ

وقالَ (١) :

وما كانَ « بُقراطَ بن آشوطَ » عِنْدَهُ   بأوَّلِ عَبْـــدٍ أوْبَقَتْـــهُ جَرائِـــرُهْ (٢)
وقدْ شاغَبَ الإسلامَ خَمْسينَ حُجَّةً   فلا الخَوفُ نَاهِيهِ، ولا الحِلْمُ زَاجِرُهْ
ولَمْ يَرْضَ من « جُرْزانَ » حِرزًا يُجيرُهُ (٣)   ولا فِي « جبالِ الرُّومِ » رَيْدًا يُجاوِرُهْ
فجاءَ مَجِيءَ العِيرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ   إلىٰ أَهْرَتِ الشِّدْقَينِ تَدْمىٰ أَظَافِرُهْ (٤)
ومن كانَ فى اسْتِسْلامِهِ لائِمًا لَهُ   فإنِّى على مَاكانَ من ذَاكَ عاذِرُهْ
ولم يَبْقَ بَطْرِيقٌ لَهُ مِثْلُ جُرْمِهِ   « بأرَّانَ » (٥) إلّا عازِبُ اللُّبِّ طَائِرُهْ
كَسَرْتَهُمْ كَسْرَ الزُّجاجةِ بَعْدَهُ   ومن يَجْبُرُ الوَهْىَ الذى أنْتَ كَاسِرُهْ
فإن يَكُ هذا أَوَّلَ النَّقْصِ فِيهِمُ   وكُنْتَ لَهُمْ جاراً فما هُو آخِرُهْ

وهذا فى غَايَةِ الحُسْنِ والصِحَّةِ والسَّلامَةِ .

وقوله :

فجاءَ مَجِيءَ العِيرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ

---

(١) ديوانه ٢ : ٨٧٨ .

(٢) بقراط بن أشوط ، ويقال له بطريق البطارقة ، خرج يطلب الإمارة فى أرمينية سنة ٢٣٧ هـ ، « الطبرى ٩ : ٨٨٧ ، دار المعارف » .

(٣) جرزان : اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس « معجم البلدان » .

(٤) سبق فى ١ : ٣٤٩ .

(٥) أرّان : من أصقاع أرمينية « معجم البلدان » .

مثل قولِ أبى تمَّام:[1]

فكانَ كشَاةِ الرَّمْلِ قَيَّضَهُ الرَّدى

والبيتانِ جميعًا جيِّدَانِ ومَعناهُما مُشْتَرَكٌ جارٍ فى العاداتِ ولَيس مِثْلُهُ مَسْروقاً .[2]

وقال:[3]

ولقد عَذَلْتُ « أبا أُمَيَّةَ » لَوْ وَعَتْ — أُذُنَاهُ ذاكَ العَذْلَ والتَّأْنِيبَا
قَصَدَ الهُدىٰ بالمُعْضِلاتِ يَكِيدُهُ — ودعَا إلى إضْلالِهِ[4] فأُجِيبَا
حتَّى تَقَنَّصَ فى أظَافِرِ ضَيْغَمٍ — مَلأَتْ هَماهِمُهُ القلوبَ وَجِيبَا
ونَهيتُ « بُقْراطَ بنَ حَمْزَة »[5] لو نَهىٰ — أملًا كَبارِقَةِ الجَهَامِ كَذُوبَا
ظنَّ الظُّنونَ صَواعِدًا فَرَدَدْتَهُ — خَزْيَانَ يَحْمِلُ مَنْكِبًا مَنْكُوبَا
مُتَقَسِّمُ الأَحْشاءِ يَنْفُضُ رَوْعُهُ — قَلْبًا كأنْبُوبِ اليرَاعِ نَخِيبَا[6]

وهذا كلُّه جَيِّدٌ بالِغٌ لَفظاً ومعَنًى وسَبْكا .

وقال:[7]

ولمَّا رأىَ الأكْرادُ بَرقَ سِنَانِهِ — تَمُجُّ[8] دَمًا مِنْهُمْ فوبْلٌ وَرِيِّقُ
تَوَلَّوْا ، فهَامٌ بالفِرَارِ مُعَيَّرٌ — دُهورًا ، وهَامٌ بالسُّيوفِ مُفَلَّقُ

---

(١) سبق البيت فى ٣٥٢ وعجزه : « لِقَانصه من قَبْل نصْب الحَبائِل » وشاةُ الرمل : البقرة الوحشية .
(٢) انظر تفصيل هذا فى ١ : ٣٤٩ .
(٣) ديوانه ١ : ١٨٦ .
(٤) ديوانه : « إذلاله » .
(٥) فى ديوانه : « آشوط بن حمزة » ، وهو الذى أسره بغا الشرابى بعد مقتل يوسف بن محمد ، وكنيته أبو العباس وهو صاحب الباق ، وهى من كور البَسْفُرَّجَان وهى بأرض آران السابق ذكرها ، فى أرمينية الثالثة ومدينتها « النَّشوى » « الطبرى ٩ : ١٨٨ – معجم البلدان ١ : ٤٢٢ » ، وفى الأصْل : « الجمام » ولا معنى لها والتصحيح من ديوانه ، « والجهام » : السحاب الذى لا ماء فيه .
(٦) النخيب : الذى لا قلب له وهو الجبان .
(٧) ديوانه ٣ : ١٤٩٣ .
(٨) ديوانه « ينجّ » .

وهذا كما تَرى غايَةٌ فى حُسْنِهِ وغرَابَتِهِ .

وقال : (١)

وزَرٌّ فُروجَ المُرْهَفاتِ على بَنِى زُرارَةَ واخْتارُوا عَلَيْهِ السَّلاسِلا (٢)
وأَصْلَح مِنْهُمْ كُلَّ من كانَ فَاسِدًا وقَوَّمَ مِنهمْ كُلَّ من كانَ مائِلا (٣)
وأَصْعَدَ «مُوسَى» فى السَّماءِ فلم يَجِدْ بَها مَهْرَبًا مِنْهُ فأَقْبَلَ نَازِلا (٤)
ولم تَسْتَطِعْ «بَدْلِيسُ» تَمْنَعُ رَبَّها من الأَسَدِ المُزْجِى إلَيْها القَنابِلا (٥)
لأَذْكَرْتَهُ بالرُّمْحِ ما كانَ نَاسِياً وعَلَّمْتَهُ بالسَّيْفِ ماكانَ جَاهِلا
أَحَطْتَ بِهِ قَهْرًا ، فلمَّا مَلَكْتَهُ أَحَطْتَ بِهِ مَنًّا عَلَيْه ونائِلا
ولَوْ لَمْ تُنَاهِضْهُ وأَبْصَرَ عُظْمَ مَا تُنِيلُ من الجَدوىٰ لجَاءَكَ سَائِلا

وهذا هو الإحسانُ الذى لا يتعلق به إحسان ، غَيْرَ أَنَّ قَوْلَهُ : «وزَرَّ فُروجَ المُرْهَفاتِ» استعارةٌ رَدِيئَةٌ وتَجْنِيسٌ قَبيحٌ يُشْبِهُ تَجْنِيساتِ أبى تمَامٍ الرَّدِيئةِ .

وقال : (٦)

سُلِبُوا وأَشْرَقَتِ الدِّماءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً ، فكأَنَّهم لَمْ يسْلُبُوا (٧)
ولَوَ انَّهُمْ رَكِبُوا الكَواكِبَ لم يَكُنْ يُنَجِّيهِمُ مِنْ أَخْذِ بَأْسِكَ مَهْرَبُ (٨)

«رَكِبُوا الكَواكِبَ» لأَنَّهُ لاتَفِى بِحَرَكَةِ سَيْرِها حَرَكَةٌ .

---

(١) ديوانه ٣ : ١٦٠٣ .
(٢) فى الأصل : «فرارة» والتصحيح من ديوانه .
(٣) ديوانه : «كل ما كان» .
(٤) هو موسى بن زراة كان على ابنة بقراط بن أشوط ، بطريق بطارقة فى أرمينية «الطبرى ٩ : ١٨٧» .
(٥) بدليس : بلدة من نواحى أرمينية قرب خِلاط ذات بساتين كثيرة «معجم البلدان» .
(٦) ديوانه ١ : ٧٦ .
(٧) سبق فى ١ : ٣٢١ .
(٨) ديوانه «لِمُجِدِّهم» .

وما أحسنَ ماقالَ عَبدُ العُزّىٰ بنُ ودَيعَةَ المُزَنِىُّ[1] :

كأنَّ سُيوفَنَا فِينَا وفِيهِمْ سحَابٌ يَسْتَهِلُّ ويَسْتَطِيرُ
كَأَنَّهُمْ وقَـد وَلَّـوْا جَرَادٌ بذِى لَجَبٍ تُهَوِّرُهُ الدَّبُورُ

* * *

(١) لم أقف عليه بعد ، ذو لجب : كناية عن الجيش ، واللجب الصخب والجَلَبة ، تهوّره : تشتّته وتفرّقه ، الدبور : ريح .

قال أبو تمّام[1]:

لما قَضَى رمَضانُ فيهِ قَضَاؤُهُ ... شَالَتْ بِهِ الأَيَّامُ فى شَوَّالِ
أَهْدى لِمَتنِ الجِذْعِ مَتْنَيْهِ كَذَا ... من عَافَ مَتْنَ الأَسْمَرِ العَسَّالِ
لا كَعْبَ أَسْفَلَ مَوضِعًا من كَعْبِهِ ... مَع أَنَّهُ عن كُلِّ كَعْبٍ عَالِ
سامٍ كَأَنَّ العِزَّ يَجْذِبُ ضَبْعَهُ ... وسُمُوُّهُ من ذِلَّةٍ وَسِفَالِ
مُتَفَرِّغٌ أبدًا ولَيْسَ بِفَارِغٍ ... من لا سَبيلَ لَهُ إلى الإِشْغَالِ

هذا كُلُّه من مَشْهور إحسْانِهِ وبارِعِ قَوْلِهِ .

وقولُهُ : « مُتَفَرِّغٌ أبدًا ...... » من الفَلْسَفةِ العَجِيبَةِ ، وهو البَيْتُ الذى كانَ الكِنْدىُّ[2] يُعْجَبُ بِهِ .

---

(١) ديوانه ٢ : ٢١٧ والتبريزى ٣ : ١٤٣ « يمدح المعتصم ويذكر قتلَ بَابَكَ وصَلْبَهُ فى سامراء » .

(٢) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندى من أبناء ملوك كندة ، وفيلسوف العرب والإسلام فى عصره ، نشأ فى البصرة وانتقل إلى بغداد فتعلم واشتهر بالطب والموسيقى والهندسة والفلك وألف وترجم وشرح كتبا كثيرة « انظر طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ٢٨٥ وأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٤٠ وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقى ص ٤١ » .

وقال فيه :[1]

ولَقَدْ شَفى الأَحْشَاءَ مِنْ بُرَحائِها ... أَنْ صَار « بَابَكُ » جَارَ « مَازَيَّارِ »[2]

ثَانِيهِ فى كَبِد السَّماءِ ولم يَكُنْ ... لاثنينِ ثَانٍ إذْ هُما فى الغَارِ

وكَأَنَّما انْتَبذا لِكَيْما يَطْوِيَا ... عن « نَاطسٍ » خَبرًا من الأَخبارِ[3]

سُودُ اللِّباسِ كأنَّما نَسَجَتْ لَهُمْ ... أَيـدِي السَّمُـومِ مَدارِعًـا من قَارِ

بَكَرُوا وأَسْرَوْا فى مُتونِ ضَوامِرٍ ... قِيدَتْ لَهُم من مَرْبَطِ النَّجَارِ

لايَبْرَحُونَ ومن رَآهُمْ خَالَهُمْ ... أبدًا على سَفَرٍ من الأَسْفارِ

قَوْلُهُ : « .... لم يَكُنْ لاثنينِ ثَانٍ إذْ هُما فى الغَارِ » من لُحونِه القَبيحَةِ ، وقد ذَكَرْتُه فى جُملةِ ماذَكَرْتُه من أَغَالِيطهِ فى المَعانى[4] .

وأما « نَاطِسُ » فَلسْتُ أدْرى ما أَرادَ بِهِ وَأَظُنُّه عَظيِماً من عُظَماءِ أهل الشِّرْكِ مِمَّنْ كانَ تَجِبُ طَاعَتُه ، كأنَّما أَتَاهُما خَبَرٌ فَهُما يَتفاوَضانِهِ ويَطْوِيانِهِ ، وقَدْ كُنْتُ سَمِعْتُ فِيه شَيْئًا أظُنُّه هَذا[5] .

---

(١) أى : فى بابك ديوانه ١ : ٥٤٧ والتبريزى ٢ : ٢٠٧ .

(٢) مازَيَّار بن قارن كان على طبرستان أيام المعتصم ، وانتقض عليه فحاربه المعتصم وأسره ثم صلبه إلى جانب بابك سنة ٢٢٤ « الطبرى ٩ : ٨٠ – ١٠٣ » .

(٣) ديوانه والتبريزى « الثياب » .

(٤) انظر ١ : ٣٠ .

(٥) نقل ابن المستوفى من حاشية كتاب الخارزنجى أبو يحيى . حُكِيَ أن جذعى ماريار وأفشين كانا فوق جذع ياطس وكلا الجذعين مائل أحدهما إلى صاحبه كأنهما يتناجيان بينهما مايطويانه عن ياطس فى رأى العين لا فى الحقيقة « النظام حـ ٢ لوحة ٥٥ » .

وقال المرزوقى فى شرح مشكل أبيات أبى تمام « ص ٣٠ » : « يعنى بابك ومازيار ، وكانا لما صُلِبا قُرِّب أحدهما من الآخر ونُحِّيَ عنهما ناطس الرومى ، فقال : كأنما تنحيا عن ناطس ليكتما عنه سرا ويطويا دونه خبرا لا يريدان وقوفه عليه » .

وناطس هو ياطس الرومى الذى كان علىٰ عمورية من قبل ملك الروم عندما دخلها المعتصم ظافرا وأسره ، ومات ياطس سنة ٢٢٤ وصلب بسامراء إلى جانب بابك « الطبرى ٩ : ٦٣ ، ٦٤ ، ١٠٢ » .

وقَوْلَهُ :

لَايَبْرَحُونَ ومن رآهمْ خَالَهم ... أَبدًا على سَفَرٍ من الأَسْفارِ

مَأْخوذٌ من قَولِ آخَر – وأَنْشَده ثَعْلَبٌ[1] –:

قَامَ ولمَّا يَسْتَعِنْ بِسَاقِهِ ... آلَفَ مَثْواهُ على فِرَاقِهِ

وقال البحتريُّ فى صَلْبِ بَابَكَ يخاطب أبا سعيد[2] :

مازِلْتَ تَقْرَعُ بابَ « بَابَك » بالقنَا ... وتَــزُورُه فى غَارةٍ شَعْــواءِ

حتَّى أَخذْتَ بِنَصْلِ سَيْفِك عُنْوَةً ... مِنْهُ الذى أَعيا على الخُلفَاءِ

أَخْلَيتَ منه « البَذَّ » وهى قَرارُهُ ... ونَصَبْتَهُ عَلمَاً بـ « سامَرَّاءِ »

لَم يُبْقِ مِنْهُ خوفُ بَأْسِك مَطْعمًا ... لِلطَّيرِ فى عَوْدٍ ولا إِبْداءِ

فتَرَاهُ مُطَّرِدًا على أعـوادِهِ ... مثلَ اطِّرادِ كَواكِبِ الجَوْزَاءِ

مُسْتَشْرِفًا[3] للشَّمْسِ مُمْتَدًّا لها ... فى أُخْرياتِ الجِذْعِ كالحِرْبَاءِ

قَوْلَه : « بسامَرَّاء » من لُحونهِ القَبيحَةِ ، وإنما ذهب إلى أنْ جَعلَها اسمًا واحِدًا كما تَلْفظُ بِهِ العَامَّةُ ، وإنما هِىَ : « سُرَّ مَنْ رأى »[4] .

وقَوْلَهُ : « مُطَّرِدًا على أعوادِهِ » أى : يَلُوحُ ، لأَنَّ الشَّمْسَ صَيَّرتْهُ كما تُرَى الكَواكِبُ ، كأَنَّها تَتَحرَّكُ . تَطَّرِدُ أى : يَطْرُدُ ضَوءُها بَعْضُهُ[5] بَعْضًا ، كأَنَّ الضَّوءَ يَتدَافَعُ ، وخَصَّ كواكِبَ الجَوْزَاءِ لأَنَّها كَهَيئةِ الإنسانِ المَصْلوبِ .

---

(١) سبق هذا فى ١ : ٨٢ وانظر تخريجه هناك .

(٢) ديوانه ١٠ : ٩ .

(٣) فى الأصل « متشرقا » تحريف ، والتصحيح من ديوانه .

(٤) قال ياقوت : فيها لغات : سامراء ، ممدود ، سامرا مقصور وسر من راء مهموز الآخر وسرّ من رأى مقصور الآخر « معجم البلدان » .

و « البذ » كورة بين أذربيجان وأرّان بها كان مخرج بابك الخرمى ، « معجم البلدان » .

(٥) فى الأصل : « بعضها » .

وقَوْلُهُ : « فى أُخْرَيَاتِ الجِذْعِ كالحِرْباءِ » مازِلْتَ أَسمعُ الشُّيوخَ من أهْلِ العلمِ بالشِّعْرِ يقولونَ إنّه ماشُبِّهَ المَصْلوبُ بأصحَّ من هَذا التَّشْبيهِ ولا أقربَ ولا أَحْسنَ لَفْظًا ولا أَشْبَه بكلامِ العَرَبِ .

وأمّا ما تَقدَّم من قولِ أبى تمّامٍ فإنَّهُ حِكْمَةٌ مُتْقَنةٌ وفَلسفَةٌ تَفُوق كُلَّ فَلْسَفةٍ وتَتَقدَّم معَانى النَّاسِ فى الرِقَّةِ واللَّطافَةِ .

وقال البُحترىّ فى قَومٍ أُخِذُوا ومَعَهم صَلِيبٌ لَهُمْ فصُلِبُوا (١) :

وما صَلِيبُ [ابنِ] آشوطٍ بأَمْنَع مِنْ صَلِيبِ « بُرجان » إذ خَلَّوْهُ وانْجَفَلُوا (٢)
أَمسَى يَردُّ حَريقَ الشَّمْسِ جَانِبُهُ عن « بَابَكٍ » وهْوَ فى الباقِينَ يَشْتَعِلُ (٣)
كأَنَّهُمْ رَكِبُوا فى الحَرْبِ وهو لَهُم بَنْدٌ (٤) ، فمالُفَّ مُذْ أُوفِى ولا نَزَلُوا
تَفاوَتُوا بَيْنَ مَرْفوعٍ ومُنْخَفِضٍ عَلى مَراتِبَ مَاقالُوا ومافَعَلُوا
رَدَّ الهَجِيرُ لِحاهُمْ بعد شُعْلَتِها سُودًا ، فعادُوا شَبَابًا بعدما اكْتَهَلُوا

وهذا مرعًى ولا كالسَّعْدانِ (٥) .

وقالَ (٦) :

قَوْمٌ تَرى أَرْماحَهُمْ (٧) يومَ الوَغَى مَشْغوفَةً بمواطِنِ الكِتْمَانِ

---

(١) ديوانه ٣ : ١٧٥٨ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقطة من الأصل ، والتصحيح من ديوانه ، وبرجان : موضع من بلاد الخزر « معجم البلدان » ، أو جنس من الروم .

(٣) ديوانه : « وهى فى الباقين » .

(٤) البند : العلم الكبير .

(٥) السَّعْدانُ : نبت ذو شوك كأنه فلكة يستلقى فتنظر إلى شوكه كالِحًا إذا يبس ، ومنبته سهول الأرض وهو من أنجع المراعى ، والعرب تقول : أطيب الإبل لبنا ما أكل السعدان والحُرْبُثَ ولهذا قيل فى المثل : مرعىً ولا كالسَّعْدانِ .

(٦) ديوانه ٤ : ٢٣٦٥ .

(٧) فى الأصل : « أرواحهم » والتصحيح مما سبق ومن ديوانه ، وقد سبق فى ١ : ٣١٦ .

يَتسرْبَلُونَ أَسِنَّةً وصَفائِحاً والمَوْتُ بين صَفيحَةٍ وسِنَانِ
/ قَوْمٌ إذا شَهِدوا الكَريهَةَ صَيَّروا كُمَمَ الرِّماحِ جَماجِمَ الأَقْرانِ[1] ١١٢

فهذا مَأْخُوذٌ من قَوْلِ مُسْلِمٍ[2]:

يُغْشِي السُّيوفَ نُفوسَ النَّاكِثِينَ بِه ويَجْعلُ الهَامَ تيجانَ القَنا الذُّبُلِ

وأَخذَه أبو تَمَّامٍ فأساءَ الأَخْذَ وقَبَّح لَفظاً ومعنىً ، وسَلكَ وَجْهاً آخَرَ فقَالَ[3]:

بَدَّلْتَ أَرْؤُسَهم يَومَ الكَرِيهَةِ مِنْ قَنا الظُّهورِ قَنا الخَطِّيِّ مُدَّعمَا

وإنما أَلَمَّ مُسلِمٌ بن الوليدِ بِقَوْلِ جَريرٍ[4]:

كَأَنَّ رُؤوسَ القَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنا غَداةَ الوَغَى تِيجَانُ كِسْرى وقَيْصَرا

وقال آخر[5]:

سَخِطَتْ جماجِمُهم على أَجْسادِهم فتَبدَّلَتْ مِنْهــا صُدورُ رِمَــاحِ[6]
ماوَاجهَتْكَ عُقابُ حَرْبٍ مَرَّةً إلّا كَسَرْتَ جناحَها بِجَناحِ

* * *

---

(١) سبق فى ١ : ٣١٩ .
(٢) ديوانه : ص ١١ وفيه « يكسو » ، وقد سبق هذا البيت برواية الديوان فى ١ : ٨١ ، ٣١٩ .
(٣) ديوانه ٣ : ٤٣٥ والتبريزى ٣ : ١٧١ ، وقد سبق فى ١ : ٨١ ، وانظر تعليق صاحب الوساطة فى الهامش .
(٤) لم أجدهُ فى ديوانه ، وهو فى الوساطة ٢٢٩ ، ومحاضرات الأدباء ٣ : ١٦٠ ، وشرح العكبرى ١ : ١١٩ ، وعجزه فى ديوان المعانى ٢ : ٧١ .
(٥) هو المُعَلَّى بن طارق الطائى ، والبيتان فى الوحشيات من أربعة أبيات والبيتان الآخران :

مَشَتِ الهُوَيْنَى فى العَدُوِّ رماحنا حتى عَرَفْنَ مَسالِكَ الأَرْواحِ
تَشْقَى بِضَحْكَتِهِ البدورُ فإن غَدا غَضْبانَ أَضْحَكَ ذَابِلَ الأَرْمَاحِ

« الوحشيات ص ١١٧ » .
(٦) فى الوحشيات : « فَتَحشَّدَتْ غصًّا » .

ذكر الحرب في البحر

قال البحتريّ فى أحمد بن دينار فى الحرب التى تولّاها فى البحر[1] :

ولما تَوَلَّى البَحْرَ والجُودُ صِنْوُهُ ... غدَا البَحْرُ من أَخلاقِهِ بينَ أَبْحُرِ
أضافَ إلى التَّدبيرِ فَضْلَ شَجاعَةٍ ... ولَاعَزْمَ إلّا للشُّجاعِ المُدبِّرِ
إذا شَجَرُوهُ بالرِّماحِ تَكسَّرَتْ ... عَوامِلُها فى صَدْرِ لَيثٍ غَضَنْفَرِ
غَدَوْتَ على «المَيْمُونِ» صُبْحًا وإنَّما ... غدَا المركبُ المَيمونُ تَحْتَ المُظَفَّرِ
أطلَّ بِعِطْفَيْهِ ومَرَّ كَأَنَّمَا ... تَشَوَّفَ من هَادِى حِصَانٍ مُشَهَّرِ
إذا زَمْجَرَ النُوتِيُّ فَوْقَ عَلاتِهِ ... رَأَيْتَ خَطيبًا فى ذُؤَابَةِ مِنْبَرِ
يَغُضُّونَ دون الاشْتِيامِ عُيونَهم[2] ... وقُوفَ السِّماطِ لِلْعَظِيمِ المُؤَمَّرِ
إذا عَصَفَتْ فيه الجَنوبُ اعْتَلَى لَهَا ... جَناحَا عُقابٍ فى السَّماءِ مُحَجَّرِ[3]

(١) أحمد بن دينار قائد من قواد الموفق فى حربه مع صاحب الزنج ، ومن الذين تطوعوا لقتاله ، كان عاملا على إيذاج ونواحيها من كور الأهواز ، وصار إلى الموفق فى جمع كثير من الفرسان والرجالة ، فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قتل صاحب الزنج وذلك سنة ٢٧٠ هـ ، أما معركته البحرية فقد كانت فى أول خلافة المتوكل ، والأبيات فى ديوانه ٢ : ٩٨٢ .

(٢) الاشتيام : رئيس المركب : كلمة نبطية ، وفى ديوانه : « وفوق » ، والسماط : الصف من القوم ويقال : قام القوم حوله سماطين ، وكل صف من الرجال سماط .

(٣) ديوانه : « مهجّر » .

إذا مَا انْكَفَىٰ فى هَبْوَةِ النَّارِ خِلْتَهُ   تَلَفَّعَ فى أَثْنَـاءِ بُرْدٍ مُحَبَّـرِ (١)
وحَوْلَكَ رَكَّابُونِ لِلْهَوْلِ عَاقَرُوا   كُؤوسَ الرَّدىٰ من دَارِعِينَ وحُسَّرِ (٢)
تَمِيلُ المَنايا حيثُ مَالَت أَكُفُّهُمْ   إذا أَصْلَتُوا حَدَّ الحديدِ المُذَكَّرِ
إذا رَشَقُوا بالنَّارِ لَم يَكُ رَشْقُهم   لِيُقْلِعَ إلّا عن شِواءٍ مُقَتَّرِ
صَدَمْتَ بهم صُهْبَ العثَانِينِ دونَهم   ضِرابٌ كَإِيقادِ اللَّظَى المُتَسعِّرِ
يَسوقُونَ أُسْطولًا كأنَّ سَفِينَهُ   سَحائِبُ صَيْفٍ من جَهامٍ ومُمْطِرِ
كأنَّ ضَجِيجَ البَحْرِ بَين رِماحِهِم   إذا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عَوْدٍ مُزَمْجِرِ (٣)
يُقارِبُ من زَحْفَيهِمُ فكأنَّما   يُؤَلَّفُ من أَعْناقِ وحشٍ مُنَفَّرِ
فمَا رِمْتَ حتى أَجْلَتِ الحَرْبُ عن طُلًى   مُقَطَّعَـةٍ فيهِـمْ وَهَـامٍ مُطَيَّـرِ (٤)
على حينَ لانَقْعٌ تُطَوِّحُهُ الصَّبا   ولا أَرْضَ تُلفَىٰ للصَّرِيعِ المُقَطَّرِ
وكُنْتَ ابنَ كِسْرى قَبلَ ذاك وبَعْدَهُ   مَلِيًّا بأَنْ تُوهِي صَفاةَ ابنِ قَيْصَرِ
جَدَحْتَ له المَوْتَ الذُّعافَ فعَافَهُ   وطارَ على ألْواحِ شَطْبٍ مُشَمَّـرِ (٥)
مَضىٰ وهو مَوْلىٰ الرِّيحِ يَشْكُر فَضْلَها   عَلَيْهِ ، ومن يُولَ الصَنيعَةَ يَشْكُرِ

وهذا من إحسانِ أبى عُبادَةَ المَشْهورِ الذى يَفُوقُ كُلَّ إحْسانٍ .

وليس لأبى تَمَّامٍ فى حَرْبِ البَحْرِ شَىْءٌ .

* * *

(١) ديوانه : « هَبْوة الماء » .
(٢) الدارعون : لابسوا الدروع ، والحسّر : ضد الدراعين .
(٣) العَوْدُ : المسن من الابل وفى ديوانه « مجرجر » .
(٤) الطُّلى : صفحات الأعناق .
(٥) ديوانه : « مسمّر » بالسين المهملة ، الجدح : خلط الدقيق الناعم بالماء ، الشطب : الأخضر من جريد النخل .

ما قالاه في حزب ذوي الأرحام والحض
على صلحهم والصفح عنهم

قال أبو تمّام في مالك بن طوْق[1] :

لو أنَّ دهْرًا ردَّ رجْعَ جوابِ[2]

يامالكَ ابنَ المالكينَ ولَمْ تزَلْ　　تُدعى لِيوْمَيْ نائلٍ وعِقابِ
لم ترْمِ ذا رَحِمٍ ببائقةٍ ولا　　كَلَّفتَ قومَكَ من وراءِ حِجابِ[3]
لِلْجودِ بابٌ في الأنامِ ولم تزَلْ　　كفَّاكَ مِفْتاحًا لِذاكَ البابِ[4]
ورأيتَ قومَكَ والإساءةَ منهُمُ　　جَرحيْ بظُفْرٍ للزَّمانِ ونابِ
همَ صيَّروا تِلْكَ البُروقَ صواعِقًا　　فيهِمْ وذاكَ العَفْوَ سَوْطَ عَذابِ
وأقِلْ أُسامَةَ جُرْمَها واصْفَحْ لَها　　عَنْهُ وهَبْ ماكانَ لِلوَهَّابِ[5]
رَفَدوكَ في يَوْمِ الكُلابِ وشَقَّقوا　　فيهِ المَزادَ بِجَحْفَلٍ غَلّابِ[6]

---

(١) ديوانه ١ : ٢٠٨ والتبريزي ١ : ٧٥ .
(٢) عجزه : « أو كف من شأويه طول عتاب » .
(٣) ديوانه والتبريزي : « كلمت » .
(٤) التبريزي : « يمناك » .
(٥) أسامة : حي من تغلب .
(٦) يوم الكُلاب : كان بين الملكين شرحبيل بن الحارث وأخيه مسلمة بن الحارث . شقّقوا فيه المزاد : أي أراقوا ما كان معهم من الماء ، وقالوا لانشرب إلا من الكُلاب .

وهُمُ بعَيْنِ أُبَاغَ رَاشُوا لِلوَغى سَهْمَيْكَ عِند الحَارِثِ الحَرَّابِ (١)
ولَيالِىَ الثَّرْثَارِ والحَشَّاكِ قَدْ جَلَبُوا الجِيادَ لواحِقَ الأَقْرابِ (٢)
فَمَضَتْ كُهُولُهُمُ ودَبَّرَ أَمْرَهُمْ أَحْداثُهُم تَدْبِيرَ غَيْرَ صَوابِ
لا رِقَّةُ الحضَرِ اللطيفِ غَذَتْهُمُ وتَباعَدُوا عن فِطْنَةَ الأَعْرابِ
/ وإذا كَشَفْتَهُمُ وَجَدت لَديهِمُ كَرَمَ النُّفوسِ وقِلَّةَ الآدَابِ ١١٣
أَسْبِلْ عَلَيهِمْ سِتْرَ عَفْوِكَ مُفضِلًا وآنْفَحْ لَهُم من نَائِلٍ بِذِنَابِ
لكَ فى رَسولِ اللهِ أَعْظَمُ أُسوَةٍ وأَجلُّها فى سُنَّةٍ وكِتَابِ
أَعطَى المُؤَلَّفَةَ القُلوبِ رِضاهُمُ كَمَلًا وَرَدَّ أَخَايِذَ الأَحزَابِ (٣)
والجَعْفَرِيُّونَ اسْتَقلَّتْ ظُعْنُهُمْ عن قَوْمِهِمْ وَهُمُ نُجُومُ كِلابِ (٤)
حَتَّى إذا أُخذَ الفِراقُ بِقسطِهِ مِنْهُمْ وشَطَّ بِهِمْ عن الأَحْبَابِ
ورَأَوْا بِلادَ اللهِ قَد لَفَظَتْهُمُ أَكنافُها رَجَعُوا إلى جَوَّابِ (٥)
فَأَتَوْا كريمَ الخِيمِ مِثْلَكَ صافِحاً عن ذِكْرِ أَحْقَادٍ مَضَتْ وضِبَابِ (٦)
ليسَ الغَبِىُّ بِسَيِّدٍ فى قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِه المُتغَابِى
فاضْمُمْ قَواصِيَهُمْ إلَيْكَ فإنَّهُ لَايزْخَرُ الوَادِى بِغَيْرِ شِعَابِ (٧)
والسَّهْمُ بالرِيشِ اللُّؤامِ ولَنْ تَرَى بَيْتًا بلا عَمَدٍ ولا أَطْنَابِ

(١) عين أباغ : موضع معروف كانت فيه وقائع فى العصور الجاهلية الأولى . الحارثَ الحَرَّابِ : من ملوك العَربِ ، راشوا سهميك : أى أعانوك .

(٢) الثَّرثار والحَشَّاك : موضعان كانت بهما وقعتان لبنى تغلب مع قيس عيلان ، لواحق الأقراب : الجيادُ الضامرة .

(٣) الأخايذ : السبَايا .

(٤) الجَعفريون : بنو جعفر بن كلاب .

(٥) هو جواب الكلابى نابذه الجعفريون من بنى قومه فلما لم يقدروا عليه وعلموا حطأهم رجعوا .

(٦) الخِيم : الأصل والنَّجْر ، ضِباب : جمع ضِبّ وهو الحِقْدُ .

(٧) التبريزى : « أقاصيهم » ديوانه : « بغير عباب » .

وهذه من قَصائِدِ أبى تمّامٍ التى يَرْضاها أضْدادُهُ لِتَرْكِه التَّصنُّعَ فيها بِطَلَبِ الطِّباقِ والتَّجْنِيسِ والاستعاراتِ إلّا أُبياتًا يسيرةً فى نَسيبِها .

وقال أبو تَمّامٍ فى مَالِكِ بنِ طَوْقٍ[1] :

مَهْلًا بَنِى عَمْرِو بنِ غَنْمٍ إنَّكُمْ هَدَفُ الأسِنَّةِ والقَنا يَتَحطَّمُ
وستَذْكُرونَ غَدًا صنائِعَ مَالِكٍ إنْ جَلَّ خَطْبٌ أو تُدوفِعَ مَغْرَمُ
إن تَذْهَبُوا عن مالِكٍ أو تَجْهَلُوا نُعْماهُ فالرَّحِمُ الضَعيفَةُ تَعْلَمُ
هِىَ تِلْكَ مُشْكاةٌ بِكُمْ لو تَشْتَكِى مَظْلُومَةٌ لَوْ أنَّهـا تَتَظَلَّـمُ
كَانَتْ لَكُمْ أخلاقُهُ مَعْسُولَةً فتَركْتُموهُ وَهْىَ مِلْحٌ عَلْقَمُ
فَقَسا لِتَزْدَجِرُوا ومن يَكُ حَازِماً فَلْيَقسُ أحْيانًا على مَنْ يَرْحَمُ[2]
أعْزِزْ عَلَيْهِ إذا ابْتَأَسْتُمْ بَعْدَهُ وتُذُكِّرَتْ بالأمْسِ تِلْكَ الأنْعُمُ
وَوَجَدتُمْ قَيْظَ الأذَى ورَمَيْتُمُ بِعيونِكُمْ أيْنَ الرَّبِيعُ المُزْهِمُ
وَندِمْتُمْ ولَوْ اسْتَطَاعَ علَى جَوَى أحْشائِكُمْ لَوَقاكُمُ أنْ تَنْدَمُوا

قَوْلُهُ : « هى مُشْكاةٌ بِكُمْ » أى : مُشْكاةٌ مِنكُمْ يُقالَ : أشْكَيْتُهُ إذا شكا إلَيْكَ فَزِدْتَهُ مِمّا كانَ شَكاهُ ، وأشْكَيْتُهُ : إذا نَزَعْتَ عَمّا شَكاهُ ، وهِىَ من الأضْدادِ وهى هَاهُنا : لو أنَّها تَشْتَكِى لِزِدْتُمُوهَا .

وقَوْلُهُ : « لَوَقَاكُمُ أنْ تَنْدَمُوا » كأنَّه لَفْظٌ مَوضُوعٌ فى غَيرِ مَوْضِعِهِ ، لأنَّ ندَمَهم إنّما هو عُقوقُهم لَهَ ، والنَّدمُ إنّما هو رُجوعٌ واسْتِبْصارٌ ، فكَيْفَ يَقِيهم من رُجوعِهم واسْتِبْصارِهم ، فإن قِيلَ : إنّما أرَاد : يِقيهِم الأمْرَ الذى نَدِمُوا عليه لا أنْ

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٥٨ والتبريزى ٣ : ١٩٨ .

(٢) التبريزى « أحيانا وحينا يرحم » .

يَقيهُم النَّدمَ ، قيلَ فالذِى نَدِمُوا عليهِ هو العُقوقُ ، فكَيْفَ يَقيهِمُ العقُوقَ . وَوَجْهُ هذَا عِندى أنَّهَ أرَادَ : لَوقَاكُمْ غَمَّ النَّدَم وَلَوْعَتَه ، وقَدْ يكونُ أرَادَ : لَوقَاكُمْ الأمْرَ الذى تُدْفَعونَ إلَيْه فيكونُ سبَبَ نَدَمِكُمْ ، فوضَعَ النَّدمَ مَوْضِعَ سبَبِ النَّدمِ .

وقالَ أيْضًا فى مَالِك بنِ طَوْقٍ (١) :

سَلِّمْ على الرَّبْعِ من سَلْمى بذِى سَلَمِ (٢)

مَهْلًا بَنِى مَالِكٍ لاتَجْلُبُنَّ إلىٰ ... حَيِّ الأراقِمِ دُؤْلُولَ ابْنَةَ الرَّقِمِ (٣)
فأىَّ حِقْدٍ أثَرْتُمْ من مَكامِنِهِ ... وأىَّ عَوْصَاءَ جَشَّمْتُمْ بَنِى جُشَمِ
لم يَأْلُكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا ومَغْفِرَةً ... لو كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحىِّ فى فَحَمِ
لا بالْمُعاوِدِ وَلْغًا فى دِمائِكُمُ ... ولا إلى لَحْمِ خَلْقٍ مِنْكُمُ قَرِمِ
أخْرَجْتُموهُ بِكُرْهٍ من سَجِيَّتِهِ ... والنَّارُ قَدْ تُنْتَضىٰ من نَاضِرِ السَّلَمِ
أوْطَأتُموهُ على جَمْرِ العُقوقِ وَلَوْ ... لم يُحْرَجِ اللَّيْثُ لم يَخْرُجْ مِن الأُجُمِ (٤)
قَدِ انْثَنى والمَنايَا فى أسِنَّتِه ... وقد أقامَ حَيارَاكُم على اللَّقَمِ (٥)
جَذْلَانَ من ظَفَرٍ حرَّانَ إن رَجَعَتْ ... أظْفَارُهُ مِنْكُمُ مَخْضُوبَـــةً بِدَمِ (٦)
دِينٌ يُكَفْكِفُ مِنْهُ كُلَّ بَائِقَةٍ ... ورَحْمَةٌ رَفْرَفَتْ مِنْهُ على الرَّحِمِ (٧)

« الدُؤْلُولُ » : الأمْرُ الشَّدِيدُ العَظِيمُ ، أرادَ بِهِ أبو تمَّامٍ الدَّاهِيَةَ ، و « العَوْصاءُ » : الأمْرُ المُعْتَاصُ الشَّدِيدُ ، و « السَّلَمُ » : شَجَرٌ شَدِيدُ الصَّلابَةِ

---

(١) ديوانه ٢ : ٣٤٦ والتبريزى ٣ : ١٨٤ .
(٢) عجزه : « عليه وسم من الأيام والقدم » .
(٣) الدؤلول والرقم : من أسماء الداهية .
(٤) التبريزى « لم يبرح من » .
(٥) حيارى : جمع حيران ، واللَّقَمُ : الطريق الواضح « التبريزى » وفيه « بالمنايا » .
(٦) ديوانه والتبريزى : « مخضوبةً منكم أظفاره بدم » .
(٧) فى الأصل : « يكفكف منكم » ، والتصحيح من ديوانه والتبريزى ، وستأتى فى تعليقه على الأبيات .

لايَكادُ تُقْدَحُ مِنه النَّارُ ، و « اللَّقَمُ » : جادة الطَّريق ، وإنَّما أَرادَ أَقَامَهم على الهُدىٰ وأَراهُم إيَّاهُ .

وقوله : « دِينٌ يُكَفْكِفُ مِنْهُ كُلَّ بائِقَةٍ » يُقال : كَفْكَفْتُ الشَّيءَ عن الشَّيءِ ، إذا رَدَدْتُه عَنْهُ ، مِثْلُ « كَفَفْتُهُ »(١) . ويكونُ : « يُكَفْكِفُ عَنْهُ كُلَّ بَائِقَةٍ » / ١١٤
– يَدْفَعُ ، أي : تَقِفُ وتُحْجِمُ – مثلَ قوله(٢) :

إذا دَرَجَتْ فيه الصَّبا كَفْكَفَتْ لَها ... وقَام يُبَارِيها أبو الفَضْلِ جعْفَرُ

وليس فى هذهِ القَصيدَةِ بَيْتٌ جيِّدٌ عليه طَلاوةٌ إلّا قَوْلُهُ :

أَخْرَجْتُمُوه بِكُرْهٍ مِنَ سجِيَّتِهِ ... والنَّارُ قَدْ تُنْتَضىٰ من نَاضِرِ السَّلَمِ

فإنَّهُ من مَشْهورِ إحْسانِه ونَادِرِ مَعانِيه ، والبَيْتُ الذى بَعدَهُ أيضاً جَيِّدٌ بَالِغٌ .

وما أحسَنَ ماقالَ شمَّاسُ بنُ أَسودَ الطُّهَوِيُّ(٣) :

فإلّا تَصِلْ رِحْمَ ابنِ عمرِو بنِ مَرْثِدٍ ... يُعلِّمْكَ وَصْلَ الرِّحْمِ عَضْبٌ مُجرِّبُ

وقال حُمَيْدُ بن أبى شِحَاذٍ الضَّبِّيُّ(٤) :

---

(١) الرواية « منه » كما سبق . وقال التبريزى : الكَفْكَفَةُ فى معنى الكَفِّ ، وَوزنُ كَفْكَفَ عند سيبويه فَعْلَلَ ، وعند صاحب كتاب العَين فَعْفَع ، وعند الفَراءِ فَعْفَلَ .

(٢) ديوانه : ١ : ٥٥٣ والتبريزى ٢ : ٢١٥ والممدوح هو جَعْفَر بن دينار الخياطُ مِن كِبار القُوادِ اشْتركَ مع الأفشين فى حَرْب بابك كما شارك فى فتح عمورية ، وقد ولاه المعتصم اليمن سنة ٢٢٤ ثم عزله عنها فى السنة التالية ، وأعاده إليها الواثق سنة ٢٣١ .

(٣) البيت من جملة أبيات فى الحماسة بشرح التبريزى ٢ : ٣٦ ، ويقولها لِحَرِّىّ بن ضَمْرَةَ بن ضَمْرة ، وكان قد جاوره عمرو بن عمران الأسدى فأخذ قيس بن حسان « وأخواله بنو مجاشع » بَكْرا من إبل عمرو بن عمران ، فأتى عمْرو حَرِّىَّ شاكِيًا فغضب حَرِىٌّ ، فأتى قَيسًا فضَرَبَه ، وأخذَ من إبِلِه ثلاثين بَعيرًا ، ودفعها إلى عمرو بن عمران ، فأخذ قيسٌ أخوالَه بنى مجاشع ، فانطلقوا إلى بنى نهشل يطلبونَ رد الإبل أو أن يخلعوا حَرِّىَّ بن ضمرة ، فخلعوه ، وأخذه بنو مجاشع فضَرَبُوه ، وأخذوا منه أكثر مما أخذ .

(٤) حميد بن أبى شحَاذٍ الضبى قال المرزبانى : هو إسلامى واسمه محمد « معجم الشعراء ص ٣٤٤ ، وانظر « حماسة أبى تمّام للمرزوقى ص ١١٩٩ ، ١٢٠٢ » ، وفى التاج « شَحِذ » : « عمر بن أبى شحاذ ، ككتاب شاعِرٌ ضَبِّىّ » .

فَقَضَيْنا قَضاءَنا من بَنى عَبْـ ـسٍ وقد يَقْتُلُ الشَقِيقَ الشَّقِيقُ
هُمْ بَنُو أُمِّنا فَجَرَّبَنَا الدَّهْـ ـرُ ففى أُهْبِ بَيْنِنِا تَمْزِيقُ

وقال القُطامىُّ (١):

لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لإخوَتِهِمْ مِنَّا عَشِيَّةَ يَجرْى بالدَّمِ الوَادِى
نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٌ نَقُدُّ بِهَا ما كانَ خَاطَ عليهِمْ كُلُّ زَرّادِ

وَحسْبُكَ بِهَذا جَوْدَةً .

ولله دَرُّ أبى عُبادةَ إذ يقولُ لبَنِى الحَارِثِ بنِ كَعب فى قصيدةٍ يَمْدَحُ بِهَا علىَّ بنَ مُرٍّ (٢):

أَقِيمُوا « بنِى الدَّيَّانِ » من سُفَهائِكُمْ فقد طَال عن قَصْدِ السَّبيلِ مُجِيدُها
أَما آنَ أن يَنْهى عن الجَهْلِ والخَنَا قِيامُ المَنايَا فِيكُمُ وقُعودُها ؟
قَرابَتُكُمْ لاتَظْلِمُوها فتبْعَثُوا عَليكُمْ صُدُوراً ماتَموت حُقُودُها
لَها الحَسَبُ الزَّاكى الذى تَعرفُونَهُ وفيكمْ طَرِيفاتُ العُلا وَتليدُها (٣)
فلاتَسألُوها عن قَدِيمِ تُراثِها فعَسْجدُها مِمَّا أَفادَ حَديدُها
ذَوُو النَّخَلاتِ الخُضْرِ من بَطْنِ «حَائِلٍ» وفى « فَلَجٍ » خُطْبَانُها وَهبِيدُها (٤)
وأهلُ « سُفُوحٍ » من شَمائِلَ تَكْتَسِي بِهِمْ أَرَجًا حَتَّى يُشَمَّ صَعِيدُها (٥)
يَنامُونَ عن أَكفَائِهِمْ وَلَدَيْهِمُ مِنَ اللهِ نُعْمىٰ مايَنامُ حَسودُها (٦)

---

(١) ديوانه ص ١١ .

(٢) ديوانه ٢ : ٦٥٠ وفيه « وقال يَمْدَحُ مُرَّ بن عَلىِّ الطَائى » .

(٣) ديوانه : « وفيهم » .

(٤) « حائل » واد فى جبل طيء ، « فلج » : مدينة باليمامة . « الخطبان » : الحنظل ، و « الهبيد » : حب الحنظل ، وفى ديوانه : « فى بطن » .

(٥) « سفوح » : مدينة عرض اليمامة وما حولها « معجم البلدان » .

(٦) ديوانه : « وعليهم » .

مَقَامَاتُهم أركانُ « رَضْوىٰ » و « يَذْبُلٍ » وأَيْدِيهُـمْ بأسُ اللَّيالِـى وجُودُهـا(١)

« أبا خَالِدٍ » ماجَاوَر اللهُ نِعْمَةً بِمِثْـلِك إلّا كانَ حَتْمًا خُلودُهـا(٢)

وَجدنَا خِلالَ الخَيْرِ عِندَك كُلَّها ولو طُلِبَتْ فى الغَيْثِ عَزَّ وجُودُها

فقدْ جزِعَتْ « جلْدٌ » ولَوْلَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيجزَعَ من صَرْفِ الزَّمانِ جَليدُهـا(٣)

فأَوْلِهِمُ نعُمىٰ ، فكلُّ صَنيعَةٍ رأَيْناكَ تُبديها فأَنْتَ تُعيدُها

قَرَابَتَكَ الأَدنَيْنَ من حِيثُ تَنْتَمِى وجِيرتَك الدَّانِى إلَـيْكَ بَعيدُهـا(٤)

أَتَهْدِمُ جُرْفَيْهَا وطَوْدُكُ طَوْدُها وتَنْحِتُ فَرْعَيْها وعُودُك عودُها

وتَنْهَضُ بالأَبْطالِ تُفْنِى عدَيدَها وسُؤْلُكُ فى أنَّ التُّرابَ عَديدُها(٥)

إلَيْكَ وُقودُ النَّارِ عند ابْتِدائِها ولَيْسَ إذا تَمَّتْ إليكَ خُمودُها

فَأَقْصِرْ فَفِى الإِقْصَارِ بُقْيا فإنَّها مَكارِمُ حَيَّىْ « يَعْربٍ » تَستفيدُها

ودُونَك فاخْتَرْ فى قبائِلِ « مَذْحِجٍ » أَتَقْهَرُها عن أَمْرِها أم تَسودُهـا

قَوْلُهُ : « وأهلُ سُفُوحٍ » فسُفُوحٌ : مَوضِعٌ ، « من شَمائِلِ » ، أى : وفى أَهْلِ سُفوحٍ شَمائِلُ أى : أَخْلاقٌ ، و « مِنْ » زَائِدة . « تكتسى أَرَجاً » أى : تَكْتَسي سُفوحٌ بأَهْلِها أَرَجاً ، « حتّى يُشَمَّ صَعِيدُها » أى : تُرابُها ، وهذا هو اللَّفْظُ الجَزْلُ والمَعْنىٰ الفَحْلُ والنَّظْمُ الرَّصِينُ والطَّبْعُ السَّلِسُ والمَذْهَبُ العَجَبُ .

ومِثْلُهُ فى الجَوْدَةِ والرَّصانَةِ والحَلاوةِ قَوْلُهُ(٦) فى القصيدَةِ التى يَمْدَحُ فيها المُتَوكِّلَ ويَذْكُر حَرْبَ تَغْلِبَ وإصلاحَ الفَتْحِ بيْنَهُمْ :

---

(١) رضوى ويذبل : جبلان .

(٢) ديوانه : « جمًا » .

(٣) « جلد » : عشيرة جلد بن مالك بن أُدُد بن زيد بن كهلان « جمهرة الأنساب ص ٤١٢ » .

(٤) ديوانه : « قرابتُكَ الأدنَوْنَ » .

(٥) ديوانه : « فى الأبطال » .

(٦) ديوانه ٢ : ١٢٩٨ .

أَسِيتُ لأَخوالِى « ربيعَة » إذْ عَفَتْ   مَصايِفُها فِيها ، وأَقْوَتْ رُبوعُها
بِكُرْهِىَ أَنْ بَاتَتْ خَلاءً دِيارُها   وَوَحشًا مَغانِيها وشَتَّى جَميعُها
وأَمْسَتْ تُسَاقِى المَوْتَ من بَعْدِما غَدَتْ   شَرُوبًا تُساقِى الرَّاحَ رِفْهًا شُرُوعُها

« الرِّفْهُ » : أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ كُلَّ يوم .

إذا افْتَرقُوا عن وَقْعةٍ جَمَعَتْهُمُ   لأُخرىٰ دِماءٌ مايُطَلُّ نَجِيعُها[1]
تَذُمُّ الفَتاةُ الرُّوُدُ شِيمةَ بَعْلِها   إذا باتَ دُونَ الثَّأْرِ وهو ضَجِيعُها
حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَاهِلِيٌّ وعِزَّةٍ   كُلَيْبِيَّةٍ أعيا الرِّجالَ خُضُوعُها
/ وفُرسانُ هَيْجاءِ تجَيشُ صدورُها   بأَحقادِها حتَّى تَضيقَ دُرُوعُهَا ١١٥
تُقَتَّلُ من وِتْرٍ أعزَّ نُفُوسِها   عَلَيْها بأَيْدٍ ماتَكادُ تُطِيعُها
إذا احْتَرَبَتْ يومًا فَفاضَتْ دِماؤُها   تَذَكَّرَتِ القُرْبىٰ فَفَاضَتْ دُمُوعُها
شَواجِرُ أَرْماحٍ تَقطَّعُ بَيْنَها   شواجِرُ أَرْحامٍ مَلُومٌ قَطُوعُها[2]
ولولا أَمِيرُ المؤمنينَ وطَوْلُهُ   لعادَتْ جُنوبٌ والدِّماءُ دُروعُها[3]
ولاصْطُلِمَتْ جُرْثُومَةٌ تَغْلِبيَّةٌ   بِهِ استُبْقِيَتْ أَغصانُها وفُروعُها[4]
رَفَعْتَ بِضَبْعَىْ « تَغْلبَ ابنَةِ وَائِلٍ »   وقد يَئِسَتْ أَنْ يَسْتَقِلَّ صرِيعُها
وكُنتَ أمينَ اللهِ مَولىٰ حياتِها   ومَوْلَاك « فَتْحٌ » يومَذَاك شَفِيعُها[5]
فَأَلَّفَهُمْ من بَعدِ ما شَرَّدَتْهُمُ   حَفائِظُ أَخلاقٍ بَطيءٍ رُجوعُها[6]

---

(١) فى الأصل : « رقعة » يطلّ : يهدر .
(٢) ديوانه : « تقطع بينهم شواجر أرحام » .
(٣) ديوانه : « لعادت جيوبٌ والدِّماءُ رُدوعُها » .
(٤) فى الأصل : « اصطلمت » بالبناء للمعلوم ، والتصحيح من ديوانه ، وفى ديوانه : « بها استبقيت » .
(٥) « الفتح » : الفتح بن خاقان .
(٦) ديوانه : « شرّدت بهم » .

وأبْصَر غَاوِيها المَحجَّةَ فاهْتَدَىٰ ... وأقْصرَ غَالِيها ودَانَىٰ شَسُوعُها[١]
وأمضَىٰ قَضاءً بَيْنَها فتحاجَزَتْ ... ومَخْفُوضُهــا رَاضٍ بِه ورفِيعُهــا[٢]
فَقَدْ رُكِزَتْ سُمْرُ الرِماحِ وأُغْمِدَتْ ... رِقَاقُ الظُّبا : مَجْفُوُّهَا وَصنِيعُهــا
أَتَتْكَ وقد ثَابَتْ إليها حُلومُها ... وباعَدَها عمَّا كَرِهْتَ نُزوُعها
فَقَرّتْ قلوبٌ كان جمًّــا وجَيبُها ... ونامَتْ عُيونٌ كان نَزْرًا هُجوعُها
تُعِيدُ وتُبْدِى من ثَناءٍ كَأَنَّهُ ... سبَائِبُ رَوْضِ الحَزْنِ جادَ رَبِيعُها
تَصُدُّ حَياءً أنْ تَراكَ بأوْجُهٍ ... أتَىٰ الذَّنْبَ عَاصِيها فَلِيمَ مُطِيعُها[٣]
ولا عُذْرَ إلَّا أنَّ حِلْمَ حليمِها ... يُسَفِّهُ فى شَرٍّ جَناهُ خَلِيعُهــا[٤]
بَقِيتَ ، فكم أبْقَيْتَ بالعَفْو مُحْسِنًا ... على « تَغْلِبٍ » حتّى استَمَرَّ ظَلِيعُها[٥]
ومشفقةٍ تَخْشَىٰ حِمَامًا على ابْنِها ... لأوَّلِ هَيجاءٍ تَلاقَىٰ جُموعُهــا[٦]
رَبطْتَ بِصُلْحِ القَوْمِ نَافِرَ جَأْشِها ... فَقَرَّ حَشاهَا واطْمَـأَنَّتْ ضُلوعهَـا

وقالَ البحتريُّ فى هذه الحربِ بعَيْنِها ، ويَذْكُرُ ماكان مِنَ « الفَتحِ » فى صُلْحِ بَيْنِهم ، وهيَ من المُنْصِفَاتِ ، وقد بَيَّنَتْ عن فَضْلِ البُحْتُرِىِّ وعَربيَّتِهِ وطَريقَتِه التى لَيْسَتْ لِشاعِرٍ مِنِ المُتَأخرين ، وهى تُبرُّ على كلّ ماقالُوه فى وَصفِ حَربٍ ، وهى القَصيدَةُ التى أوّلُها[٧] :

ضَمانٌ على عَيْنَيْكِ أنِّيَ لا أسْلُو

(١) ديوانه : « راض بها » .
(٢) المجفوّ : الغليظ ، الصنيع : الصقيل .
(٣) ديوانه : « تُسَفِّهُ » .
(٤) فى الأصل : « حتى تغلب » .
(٥) ديوانه : « تخشى الحمام » .
(٦) ديوانه : « فقرّت » .
(٧) ديوانه ٣ : ١٦١١ وعجز البيت : « وأنَّ فُؤادِى من جَوًى بِكِ لايَخلُو » .

بَنى « تَغْلِبٍ » أَعْزِزْ علىَّ بِأَنْ أرىٰ دِيارَكُمُ أَمْسَتْ ولَيْسَ بِهـا أَهْـلُ (١)
خَلَتْ « بَلَدٌ » من ساكِنِيها وأَوْحَشَتْ مَرابِعُ من « سِنْجَارَ » يَهْمِى بِها الوَبْلُ (٢)
وأَزْعَجِ أَهْـلَ المَحْلَبِيَّـاتِ نَاجِـزٌ من الحَـرْبِ مافيـه خِداعٌ ولا هَزْلُ (٣)
وأَقْوَتْ من القَمقامِ أَعراضُ « مارِدٍ » فمـا ضُمِّـنَتْ تِلْكَ الأَعِقَّـةُ والرَّمْـلُ (٤)
أَفِى كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ من جَمِيعِكُمْ تَبِيدُ ودَارٌ من مَجامِعِكُمْ تَخْلُو
مَصارِعُ بَغْيٍ تَابَعَ الظُّلْمُ بَيْنَها بِسَاعَةِ عِزٍّ كَانَ آخِرَهُ الذُّلُّ
إذا ما الْتَقَوْا يوم الهِياجِ تَحاجَزُوا ولِلْمَوْتِ فِيما بِيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ
غَدَوْا عُصْبَتَىْ وَرْدٍ سَجالُهُما الرَّدَىٰ فَفِى هَذهِ سَجْلٌ ، وفى هَذِهِ سَجْلُ
إذا كَان قَرْضٌ من دَمٍ عندَ مَعْشَرٍ فلا خَلَفٌ فى أَنْ يُؤَدَّىٰ ولا مَطْلُ
كَفِىٌّ من الأَحْياءِ لَاقَى كَفِيَّهُ ومِثْـلٌ من الأَقْرَانِ زَاحَفَـهُ مِثْـلُ (٥)
إذا ما أَخٌ جَرَّ الرِّماحَ انْبَرىَ له أَخٌ لابَليدٌ فى الطِّعَانِ ولا وَغْلُ
تَحُضُّهُمُ البِيضُ الرِّقاقُ وضُمَّرٌ عِتَاقٌ ، وأَحسابٌ بها يُدْرَكُ التَّبْلُ (٦)
وما المَوتُ إلّا أنْ تُشاهِدَ ساعَةً فوارِسَهُـمْ فى مَأْقِطٍ وَهُـمْ رَجْـلُ (٧)
بِطَعْنٍ يَكُبُّ الدَّارِعِينَ دِراكُهُ وضَرْبٍ كَما تَرْغُو المُخَزَّمَةُ البُزْلُ
يُهـالُ الغُـلامُ الغِـرُّ ثُمَّ يَرُدُّهُ على الهَوْلِ من مَكْرُوهِها الأَشْيَبُ الكَهْلُ (٨)

---

(١) ديوانه : « وليس لها » .
(٢) بلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ .
« سنجار » : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . « معجم البلدان » .
(٣) المحلبيات : المحلبية : بُلَيْدَةٌ بين الموصل وسنجار « معجم البلدان » .
(٤) مارد : بلاد ماردين وسيأتى ، وفى ديوانه : « الأعراص » بالصاد المهملة ، الأعقة : جمع العقيق : الوادى ، القمقام : السيد الكثير الخير ، والماء الكثير .
(٥) ديوانه : « من الأقوام » .
(٦) ديوانه : « تحثهم » ، والتبل : العداوة والحقد .
(٧) ديوانه : « مأزق » ، والمأقط : المضيق فى الحرب .
(٨) ديوانه : « الغلام الغمرُ حتى يرده » .

تَجَافَى أميرُ المؤمنِينَ عنِ التى … عَلِمْتُمْ ، ولِلْجانِينَ فى مِثْلِهَا الثُّكْلُ [1]

وعادَ عَلَيْكُمْ مُنْعِمًا بِفَواضِلٍ … أَتَتْ وأَمِيرُ المؤمنِينَ لَها أَهْلُ

وكَانَتْ يَدُ الفَتْحِ بنِ خَاقانَ عندكُمْ … يَدُ الغَيْثِ عند الأَرْضِ أَجْهَدَها المَحْلُ [2]

ولَوْلَاهُ طُلَّتْ بالعُقوقِ دِماؤُكُمْ … فلا قَوَدٌ يُعطَى الأَذَلُّ ولا عَقْلُ

تَلافَيْتَ يا « فَتْحُ » « الأراقِمَ » بعدَمَا … سَقَاهُمْ بأَوْحَى سُمِّهِ الأَرْقَمُ الصِّلُّ [3]

وَهبْتَ لَها بالسِّلْمِ باقِيَ نُفوسِهِم … وقَدْ شَارَفُوا أنْ يَسْتَتِمَّهُمُ القَتْلُ

أَتَوْكَ وُفُودَ الشُّكْرِ يَثْنُونَ بالذى … تَقَدَّم من نُعْمَاك عِنْدَهُمُ قَبْلُ

فلَمْ أَرَ يومًا كان أَكْثَرَ سُؤْدَدًا … من اليَوْمِ ضَمَّتْهُمْ إلى بَابِكَ السُّبْلُ

تَراعَوْكَ من أَقْصَى السِّمَاطِ فَقصَّروا … خُطَاهُمْ وقد جَازُوا السُّتُورَ وَهُمْ عُجْلُ [4]

/ ولمَّا قَضَوْا صَدْرَ السَّلامِ تَهافَتُوا … على يَدِ بسَّامٍ سَجِيَّتُهُ البَذْلُ [5] ١١٦

إذا قَلَّبُوا أَبْصَارَهم من مَهابَةٍ … ومَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتَ أَنَّهُمُ قُبْلُ [6]

قَوْلُهُ : « وأَقوَتْ من القَمقامِ أعَراضُ مَارِدٍ .... » « فالقَمْقَامُ » : العدد الكَثِيرُ ، و « الأعَراضُ » جَمْعُ عُرْضٍ ، وعُرْضُ كُلِّ شيءٍ نَاحِيَتُهُ ، ويَجوزُ أن يكونَ أرادَ بالأَعْرَاضِ : جَمْعَ عَرْضٍ ، والعَرْضُ : الجَبَلُ ، و « مَارِدٌ » : يرِيدُ بِلادَ مارِدِين ،

(١) ديوانه : « أتيتم » ، فى الأصل : « الثَّكْلُ » ولا يصح .

(٢) ديوانه : « حرّقها » .

(٣) الأراقم : حيّ من تغلب من ولد بكر بن حبيب وهم : حشم ، وفيه البيت والعدد ، ومالك ، والحارث ، وعمرو ، وثعلبه ومعاوية . « جمهرة الأنساب ص ٣٠٤ » ، وفى اللسان « رقم » : أن ناظرا نظر إليهم تحت الدِّثار وهم صغار فقال : كأن أعينهم أعينَ الأراقم ، فلجّ عليهم اللقب ، و « الأرقم » : من الحيات الذى فيه سواد وبياض ، وهو من أَخْبَثِها وأَطْلَبِها للنّاس ، « الصِلُّ » : الحيَّة التى تقتل إذا نهشت من ساعتها .

(٤) سبق فى ٢ : ٣٧١ .

(٥) ديوانه : « صدر السّماط » .

(٦) سبق فى ٢ : ٣٧١ ، قُبْلُ : جمع أقبل ، ضرب من الحول ، وفى ديوانه : « نكسوا » .

ولِمَارِدِين[1] جَبالٌ فيها حُصونٌ . و « الأعِقَّةُ » : جمع عَقِيق ، فجَمَعَهُ بما أحوالِهِ[2] [؟] ، وكذلك « الرَّمْلُ » هَاهُنا : مَوْضِعٌ .

وقَوْلُهُ : « فِرْقَةٌ من جَميعِكم ..... » أى : من كِلَا الحِزْبَيْنِ ، و « دَارٌ من مَجامِعكُم ... » أى : من مَحافِلِكُمْ واجْتماعِكُم .

وقوله : « سِجَالهُمَا الرَّدىٰ ..... » فالسِجالُ : المُساجَلَةُ وهو مِنَ السَّجْلِ ، والسَّجْلُ : الدَّلْوُ وذلك أَنْ يتَبارَى السَّاقِيانِ بِسَجْلَيْهِمَا فى الاسْتِقَاءِ ، فَيسْتَقِى هذا سَجْلًا وهَذَا سَجْلا ، فجَعَلَهُ مَثلًا هَاهُنا ، أى : لِكُلٍّ واحِدٍ مِنْهُما قِسْطٌ من الرَّدىٰ .

وللبُحْتُرِيِّ قَصيدةٌ أُخرى فى حَرْبِ بنى الأعْمامِ ، مُنْصِفَةٌ ، هى مِثْلُ القَصيدَةِ التى مَضَتْ ، أو تَزيدُ عَليها فى الجَوْدَةِ والبَراعَةِ ، يَمدَح فِيها أبَا المُعَمَّرِ الهَيْثَم بنَ عَبدِ اللهِ التَّغْلِبيَّ ويَذْكُر حُروبَ بَنِى تَغْلِب أيْضًا ، أَوَّلُها[3] :

أَمِنْكَ تأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّروبِ

أَمَا « لِرَبيعةَ الفَرَسِ[4] » انْتِهاءٌ ... عَنِ الزَلْـزال فِيهـا والحُـروبِ

لِكُلِّ قبيلَةٍ خَيْلٌ تداعَىٰ ... إلى خَيْلٍ مُعاوِدَةِ الرُّكوبِ

كَدأْبِ « بَنِى المُعَمَّرِ » حينَ زَارُوا ... « بنِي عَمرٍو » بِمُصْمِيَةٍ شَعُوبِ

تَبالَوْا[5] صَادِقَ الأحسابِ حَتّىٰ ... نَفَوْا خَوْرَ الضَّعِيفِ عن الصَّلِيبِ

---

(١) ماردين : قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دنّيسر ودارًا و نصيبين « معجم البلدان » .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) ديوانه ١ : ٩٨ وعجزه :

« حَبيبٌ جَاء يُهْدىٰ من حَبيبِ » .

(٤) رَبيعَةُ الفَرَسِ هو : ربيعة بن نزار أخو مضر « جمهرة الأنساب ٢٩٢ ، مروج الذهب للمسعودى ٢ : ١١٦ » .

(٥) تَبالَوْا : استحسنوا واختبروا ، الصليب : الخالص النسب .

صَرِيحُ الخَيْلِ والأبطالِ أغْنَى ... عَنِ الهُجُناتِ والخَطأ المَشُوبِ (١)
وكَانُوا رَفَّعُوا أيَّامَ سِلْمٍ ... على تِلْكَ القَوادِحِ والنُّدوبِ
إذا ما الجُرْحُ دُمَّ على فَسادٍ ... تبيَّنَ فيهِ تَفرِيطُ الطَّبِيبِ (٢)
رَزِيَّةُ هَالِكٍ جَلبتْ رزَايَا ... وخَطْبٌ بَاتَ يَكْشِفُ عن خُطوبِ
يَشُقُّ الجَيْبَ ثمّ يَجِيءُ أمْرٌ ... يُصَغِّرُ فيهِ تَشْقِيقَ الجُيوبِ
وقَبْرٌ عن أيامِنَ « بَرْقَعِيدٍ » ... إذا ما نَاحَرتْ أُفُقَ الجَنُوبِ (٣)
يَسُحُّ تُرابُهُ أبدًا عَلَيْهَا ... عِهَادًا من مُراقِ دَمٍ حَبيبِ
إذا سَكَبَتْ سماءٌ ثُمَّ أجْلَتْ ... ثَنَتْ بِسَماءِ مُغْدِقَةٍ سَكُوبِ
ولمْ أرَ للتِّراتِ بَعُدْنَ عَهْدًا ... كَسَلِّ المَشْرَفِيَّةِ مِنْ قَرِيبِ
تُصَوِّتُ فِيهِمُ حِزَقُ العوالِي ... وغَابُ الخَطِّ مَهزوزُ العلُوبِ (٤)
كَنَخْلِ سُمَيْحَةَ استَعلَى رَكِيبٌ ... تُكَفِّيهِ الرِّياحُ على رَكِيبِ
فَمَنْ يَسْمَعْ وَغَى الأخَوَيْنِ يُذْعَرْ ... لِصَكٍّ مِن قِراعِهِمَا عَجِيبِ
تَخَمُّطَ « تَغْلِبَ » الغَلْبَاءِ ألْقَتْ ... على « التَّرْثَارِ » بَرْدًا و « الرَّحُوبِ » (٥)
زَعِيمَا خُطَّةٍ ورَدَا جِمامًا ... ورُودَهُمَا حَيَا المَاءِ الشَّرُوبِ (٦)
إذا آدَ البَلاءُ تَحمَّلاهُ ... على دَفَّيْ مُوَقَّعَةٍ رَكُوبِ (٧)
إذا قُسِمَ التَّقَدُّمُ لم يُرجَّحْ ... نَصِيبٌ فى الرِّجالِ عَلى نَصيبِ

---

(١) ديوانه : « والخِلْطِ المشوب » ، ورواية الديوان أوجه فى رأيى .

(٢) ديوانه : « رُمَّ » بالراء .

(٣) ديوانه : « إذا هى ناحرّت » . وبرقعيد : بليدة فى طرف بَقْعاء الموصل بينها وبين الموصل أربعة أيام « معجم البلدان » .

(٤) ديوانه : « تُصَوِّبُ فوقهم » ، « مهزوز الكعوب » .

(٥) الثرثار : واد عظيم بالجزيرة ، والرَّحوب : ماء بالجزيرة لبنى جشم بن بكر .

(٦) فى الأصل : « وردَهما » والتصحيح من ديوانه .

(٧) على دَفَّىْ مُوَقَّعَةٍ : أى صفحتى وجانبى الناقة الذلول .

على أنَّ الكَبيرَ يُزادُ فَضْلًا ... كفَضْلِ الرُّمحِ زِيدَ مِنَ الكُعُوبِ (١)
فهل لابْنَىْ عَدِىٍّ مِن نَصيحٍ ... يُرُدُّ شَرِيدَ حِلْمِهِما الغَرِيبِ (٢)
أخافُ علَيْهِما إمْرارَ مَرْعىً ... من الكَلأ الذى عُلِفاهُ ، مُوبِى (٣)
وأَعْلَمُ أنَّ حَرْبَهُما خَبالٌ ... على الدَّاعى إلَيْها والمُجيبِ
كما أسْرىٰ القَطَا لِبَيَاتِ « عَمرٍو » ... وسَالَ لِهُلْكِهِ « وادىِ قضيبِ » (٤)
وفى حَرْبِ العَشيرَةِ مُؤْيِداتٌ ... تُضَعْضِعُ تَالِدَ العِزِّ المَهيبِ (٥)
لَعَلَ « أبَا المُعَمَّر » يَتَّلِيها ... بِبُعْدِ الهَمِّ والصَّدْرِ الرَّحيبِ
فكَمْ من سُؤْدَدٍ قَد بَاتَ يُعْطِى ... عَطِيَّةَ مُكْثِرٍ مِنْهُ مُطِيبِ (٦)

فهَذهِ طَرِيقَةُ الشُّعراءِ الفُحولِ فى مَذْهَبٍ لايُحسنِه إلّا الفُصحاءُ المَطْبوعونَ من الأَعْرابِ ، ولا يَتَّجِهِ لمِثْلِه مُسْلِمٌ ولا أبُو نواسٍ فضْلًا عن أبِي تَمّامٍ .

قَوْلُهُ : « بِمُصْمِيَةٍ ... » فَمُصْمِيَةٌ : دَاهِيَةٌ ، يقال : « رَمَاهُ فأَصْماهُ » إذا قتَلَه مكَانَه ، و « رَماهُ فأنْماهُ » ، إذا أُصاب الصَّيدَ فتحامَل وغَاب عن عَينِ الرَّامِي ، و « رمَاه فَأَشْواهُ » ، إذا أصابَ الشَّوىٰ / وهو الأَطْرافُ غَيرُ المَقاتِلِ ، ١١٧
و « الشَّعُوبُ » : الَّتى تَشْعَبُ أى تُفَرِّقُ .

---

(١) ديوانه : « خلا أن الكبير » .
(٢) فى الأصل : « لبنى عدى » تحريف والتصحيح من ديوانه .
(٣) ديوانه : « عَلِقَاه » بالمثناة ، موبى : من الوباء .
(٤) وادى قضيب فى أرض تهامة ، وفيه جرى المثل : سال قضيب بماء أو حديد ، وذلك عندما لائتمرت قبيلة مراد بعمرو بن أمامة من المنذر بن امرىء القيس وهو أخو عمرو بن هند من أبيه ، وكان قد قصد ملكا من ملوك حمير ليأخذ له بحقه فأرسل معه مرادا ، وعندما نزلوا بوادى قضيب من أرض قيس عيلان ثاروا به ، فقالت له امرأته : « ياعمرو أتيت أتيت سال قضيب بماء أو حديد » فذهبت مثلا . « معجم البلدان » .
(٥) المؤيدات : الدواهى .
(٦) ديوانه : « مكثر فيه » .

وقَولُهُ : « تَبالَوْا صَادِق الأَحسابِ » تَفاعلُوا ، من البَلْوىٰ ، وهى الاخْتبارُ حتّى نَفَوْا الضّعافَ وأَبْقَوْا الشّدَادَ .

« إذا ما الْجُرْحُ دُمَّ » أى عُولجَ حتّى اندمَّ ، امتْلأَ والْتَحَمَ .

« إذا ما ناحَرت أُفُقَ الجَنوبِ » ، أى : كانَت فى نَحْرِها ، أى : تِلْقاء هُبوبِها . « عِهَادًا » أى : شيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، مِثْلَ عِهادِ المَطَرِ .

وقولُهُ : « مَهزُوزَ العُلوبِ » : يُرِيدُ عوَامِلَ الرِّماجِ ، وهى صُدورُها ، والعُلوبُ : من قَوْلِهِم : رُمْحٌ مَعلَّبٌ ، وهو الذى يُشَدُّ مَوضِعُ السِّنانِ مِنْهُ بالعِلْبَاءِ ، وهى عَصَبَةُ العُنقِ من البَعيرِ .

و « سُمَيْحَةُ » : مَوضعٌ كَثيرُ النَّخِيل ، « استَعلىٰ رَكِيبٌ » أى : نَخيلٌ مَرْكوبٌ ، عليه حِمْلُهُ كالرَّاكِبِ ، أَوْ يُرِيدِ بالرَّكيبِ الذى قد غُرِسَ سَطْرًا بإزاءِ سَطْرٍ .

وقولُهُ : « أسرىٰ القَطا لِبيَاتِ « عَمرٍو » » : له خَبَرٌ ، وكَذلِك « وادِى قَضِيبِ »[1] .

وقال أيضا[2] :

لا دِمْنَةٌ بِلِوَىٰ خَبْتٍ ولا طَلَلُ

بَنِى زُرارَةَ نُصْحٌ مالَه ثَمَنٌ ‏ ‏ ‏ يُرجىٰ لَديكُمْ ، وقَوْلٌ كُلُّهُ عَذَلُ
وإنَّمَا هَلكَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ « إرَمٌ »[3] ‏ ‏ ‏ لأَنَّهُمْ نُصِحُوا دَهْرًا فما قَبلوُا

---

(١) فى الأصلِ : « رأى قصب » تحريف ، وانظر الخبر فى معجم البلدان : « قضيب » والبيات : من تَبييتِ العَدوّ لَيْلًا والإيقاعِ بِهِ .

(٢) ديوانه ٣ : ١٧٥٤ وعجزه :

« يَرُدُّ قَوْلًا على ذى لَوْعَةٍ يَسَلُ » .

(٣) هى إرم ذاتُ العِماد ، وجَبّارُها شداد بن عاد ، والتى خسف الله بها الأرض . « معجم البلدان » .

مُسْتَعْصِمِينَ مع الأَرْوَى كَأَنَّكُمُ ... لَاتعلَمونَ بأَنَّ الـعُصْمَ لاتَئِـلُ (١)
أَنْذَرْتُكُمْ عَارِضًا تَدْمَى مَخايِلُهُ ... اَلقَطْرَةُ الفَذُّ مِنْه عَارِضٌ هَطِلُ
هذا «ابنُ يوسفَ» فى سَرْعانِ ذي لَجَبٍ ... فيهِ الظُّبا والقَنَا والخَيْلُ والحِيَـلُ (٢)
غَزَاكُمُ بِقلوبٍ مالَها خَلَلٌ ... مِنْ خَلفِها ، وسُيوفٍ مالَها خِلَلُ (٣)
وَلَّاكُمُ البَغْيَ ثُمَّ انسابَ نَحْوكُمُ ... بالمَشْرَفِيَّة وهى الثُّكْلُ والهَبَلُ (٤)
وانْحَازَ مِثْلَ انْحيازِ الطَّودِ يَتْبَعُهُ ... رَأْىٌ يُصَغَّرُ فيهِ الحَادِثُ الجَلَلُ
أَللّهَ ! أَللّهَ ! كُفُّوا إنَّ خَصْمَكُمُ ... « أبوُ سَعيدٍ » ، وضَرْبُ الأَرْؤُسِ الجَدَلُ
تَغَنَّمُوا الصُّلْحَ إنَّ الحَرْبَ تُوعِدُكُمْ ... يومًا يَعُودُ بهِ « صِفِّينُ » و « الجَمَلُ » (٥)
الآنَ والعُذْرُ مَبسوطٌ لِمُعْتَذِرٍ ... والأَمْرُ مُسْتَقْبَلٌ ، والعَفْوُ مُقْتَبَلُ
وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مِنـهُ تَبَذُّلُـهُ ... بالإِذْنِ حَتَّى استَوى الأَرْبَابُ والخَوَلُ
فإن يَكُنْ ظاهِرًا فالشَّمْسُ ظَاهِرةٌ ... أو كانَ مُبْتَذَلًا ، فالرُّكْنُ مُبْتَذَلُ (٦)
طَالَ الرِّوَاءُ الذى فى رَأسِ فَحْلِكُمُ ... لايَسْهُلُ الصَّعْبُ حَتَّى يُقْصَرَ الطِّوَلُ (٧)

---

(١) « الأروى » : ضأن الجبل « تئل » : من آلَ يئل : إذا طَلَب موئلا يتجو فيه .

(٢) سرعان : أوائل الجيش وفى عَبَثِ الوليد : يقال : سَرْعانٌ وسِرْعان وسُرعان ، والأجودُ : سَرَعان بفتح السين والراء . « عبث الوليد لأبى العلاء المعرى ص ٧٤ » .

وابن يوسف : هو محمد بن يوسف الثغرى الصامتى ، وفى ديوانه : « والكيد والحيل » .

(٣) الخَلَلُ : بالفتح الضعف والفساد ، وبالكسر : جمع الخِلَّة ، أى جَفْنُ السيف .

(٤) الثكل والهبل : معناهما واحد .

(٥) ديوانه : « تغنّموا السّلم » ، و « يعود به صفون » ، صفين : فيها لُغتان إحداهما : إجراءُ الإعراب على ما قبل النون ، وتركها مفتوحة كجمع السّلامة ، فتقول : شهدت صِفِّينَ ، وبِئْسَتِ الصِّفُّونَ ، والثانيةُ : أن تَجعلَ النُونَ حرف الإعراب ، وتُقِرَّ الياءَ بحَالِها ، فتقول : هذه صِفِّينُ ، ورأيتُ صِفِّينَ ، ومررتُ بصِفِّينَ .

(٦) الابتذال هنا : سهولة لقائه والتحدث إليه ، والرُّكْنُ : أَحَدُ أَرْكانِ الكعبة .

(٧) « الرِّواءُ » : الحبل الذى يُرْوىٰ به على الدَّابَةِ إذا حُكِمَتْ المَزادَتَان ، و « الطِّوَلُ » حبل طويل تشدّ به قائمة الدابة ، أو هو الحبل الذى يُطَوَّلُ للدابة فترعى فيه ، وفى ديوانه : « يَقْصُرَ » مبنى للمعلوم .

لايَجْذِبُ الوَطنُ المأمولُ عَزْمَتَهُ ... ولا الغَزَالُ الذى فى طَرْفِهِ كَحَلُ (١)

مُسافِرٌ ومطاياهُ مُحلَّلَــةٌ ... غُروضُها ، ومُقِيمٌ وهو مُرْتحِلُ (٢)

يَهَشُّ لِلْغَزْوِ حَتَّى شَكَّ عَسْكَرُهُ ... فِيه ، فَقَالُوا : أَغَزْوٌ ذاكَ أَمْ قَفَلُ (٣)

* * *

(١) ديوانه : « الوطن المألوف » .

(٢) سبق فى ١ : ٣٣٠ ، والغروض : جمع غرض وهو حزام الرحل .

(٣) القفل : الرجوع من الغزو ، « قارن ما شرحه به محقق الديوان » .

هذا آخر القسم الأول من الجزء الثالث من كتاب « الموازنة » للآمدى ، رحمه الله بتجزئه محققه غفر الله له .

يتلوه إن شاء الله فى القسم الثانى من الجزء الثالث ما قالاه فى أوصاف الخيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

تصويب الأخطاء

الصفحة/السطر	الخطأ	الصواب
أولاً : الدراسة		
١٤/١١	ومنْهِ	ومَنُّهُ
٢١/١١	قبلنا	قبلناه
١٦/٤٠	شِعَرَ	شعْرُ
١٣/٤٥	قرضتكم	قرظتكم
١٦/٥٥	الغيثَ	الغيثُ
١٧/٧٧	ثم	ثَمَّ
٩/٨٨	المتعلة	المفتعلة

° ° °

الصفحة/السطر	الخطأ	الصواب
ثانياً : النص المحقق		
٢/٥	الهُدَىٰ	الهَدْىَ
٢/٨	رأيتُ	رأيتَ
١١/٩	طِخْية	طَخْية
١٢/٢٩	جَلَبُ	جُلَبُ
٦/٣٧	لِتُنصِفَهُ	لِتَنْصُفَهُ
٩/٤١	تَنِدبُ	تَنْدُبُ
٢/٤٢	فضَضْتَ	فضضتُ
٣/٤٢	الزَّهَرِ	الزَّهْرَ
١١/٤٢	تُراثُ	تراثَ
١٠/٦٢	لينُ	لينَ
٩/٦٤	بُغَضة	بِغْضة
١١/٦٦	وُجدان	وِجدان
١٠/٦٨	خُفِّضَتْ	خَفَضَتْ
٥/٧٢	تَمْحَلُ	تُمْحِلُ
٢/٧٧	مِنَ اليأس والمعروفِ والجودِ	مَن اليأسُ والمعروفُ والجودُ
١/٨٧	منشوراً	منثوراً
٢/٨٨	تَخْدِمُ	تخدُمُ
١٠/٨٨	المستعملةِ	المستعملةُ
١٠/١٠١	لأُخْبَرِنَّك	لَأُخَبِّرَنَّك
١/١٠٩	لسكُونُ	ليكوُنِ
٢/١١٧	تُذلِلِ	تُذلَلْ
١٢٢/عنوان	الجودِ والكرمِ	الجودُ والكرمُ
١٢/١٣٤ ، ١٥ ١٨ ، ٣/١٣٥	تُنتِجُ	تُنتَجُ
١٠/١٤٤	تَرتَقِب	تُرتَقَب
٤/١٦١	أو يصحُّ	أو يَصحَّ
٨/١٨٤	البخيلَ	البخيلُ
٧/١٨٧	وَفْرةِ	وفْرِهِ
٩/١٩١	أنوفُ	أنوفَ
٢/١٩٩	رِفْقاً	رُفَقاً
٢٠٠/هـ٣	أن يكون أبا تمام	أن يكون أبو تمام
٢/٢٢٢	سُمَيْدَع	سَمَيْدَع

تصويب الأخطـــاء

الصفحة/السطر	الخطأ	الصواب
٨/٢٣١	أُشْنُعُ	أُشْنَعُ
٩/٢٥٣	بالشُّكْرَ	بالشُّكْرِ
٦/٢٦٠	يُرُدُّ	تَرُدُّ
١٤/٢٨٩	محُصِنَة	مُحْصَنَة
١١/٢٩٢ ، ٥/٣٠٨	غضبان	عَضبانُ
٣/٢٩٦	شرس	شَرِسَ
٤/٢٩٦	تُفَصَّمُ	تَفَصَّمُ
٨/٣٠١	ضِجاج	ضَجَاجٌ
٨/٣٠٩	الفوتُ	الفوتَ
٧/٣١٣	غُرُّ	غِرٌّ
٢/٣١٩	جِنان	جَنان
٨/٣٢١	أُنهما	إنَّهما
٢/٣٢٢	الصوارمُ	الصوارمَ
٢/٣٢٣	صائبُ	صائبَ
٢/٣٢٤	المنونَ	المنونُ
١٠/٣٢٥	فالتَّرس	فالتُّرس
٤/٣٢٦	جَلائِهِ	جِلائِهِ
١٤/٣٢٩	عِتادهم	عَتادهم
١٢/٣٣٠	خيالُ	خيالَ
٥/٣٤٥	طَلْقُ	طَلْقَ
٦/٣٤٥	مصلَتاً	مُصْلِتاً
٢/٣٤٦	غَادَرْتَه	غَادَرَتْهُ
٥/٣٤٨	يالوم وقعةَ	يايوم وقعةِ
٢/٣٥٤	الجَلَدُ	الجَلَدَ
٦/٣٥٩	حُجَّةٌ	حِجَّةٌ
٥/٣٦١	مِنهُمْ	مِنهُمُ
٢/٣٦٣	قضاؤه	قضاءَهُ
٥/٣٦٣	سِفالِ	سَفَالِ
٢/٣٧٠	رَحْيم	رَحِم
٤/٣٧٠	الإساءَةَ	الإساءةُ
١/٣٧٦	أيديهِمْ	أيديهِمُ
١٦/٣٧٧	حفائض	حفائظُ
٨/٣٧٩	وَرْد	وِرْدٍ
١٥/٣٨١	خَوْرَ	خَوَرَ
٧/٣٨٢	حَبيب	صَبيب
٧/٣٨٤	مَعَلَّبٌ	مُعَلَّبٌ